الدكتور أحمد كمال الدين حلمي
مدرس اللغة الفارسية وآدابها
بجامعة الأزهر
وجامعة الكويت حاليًا



دار البحوث العلمية
ص. ب ٢٨٥٧
الكويت

الطبعة الأولى
١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع : شارع فهد السالم عمارة الشرق الاوسط
الكويت ـ ص٠ب ٢٨٥٧ هاتف ٤٣١٩٨٢

تمهيد

بحديثنا عن الدولة السلجوقية نتحدث عن دولة من أهم الدول في التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الشرق وإيران خاصة . وبكتابتنا حول عصر السلاجقة نؤرخ لفترة زمنية طويلة تتميّز بتعدد المعسكرات المتصارعة فيما بينها رغبة في الرفعة واتساع الرقعة ، وحباً في المواصلة والبقاء .. أو المناوئة للسلاجقة أملاً في إضعافهم وكسر شوكتهم ، والاستيلاء على بعض ما في يدهم ..

نؤرخ لحقبة تموج بالحوادث وتغلي بالفتن وتسود فيها الدسائس وتروج المؤامرت ، ويتقاتل فيها الإخوة وتنقض العهود ، وتسيِّر فيها النساءُ أمورَ الدولة ، ويعلو العبيد أكتاف سادتهم .

كان السلاجقة بادىء ذي بدء يخضعون لسلطان واحد ويعيشون في وحدة متماسكة .. ثم تفرّقت كلمتهم وكثر حكّامهم وتعددت فروعهم ، واجتهد كل فرع في أن ينهك قوى الآخر ، ويقوده في طريق الضعف ، ويمهد له سبيل الفناء .

وإلى جانب تلك الفروع المتنازعة كانت هناك دول تلفظ أنفاسها كالدولة الغزنوية والدولة البويهية ، وقد أسهم السلاجقة في فنائها وعجّلوا به .

كما كانت هناك دويلات فتية وأسرات قوية يحكمها أناس ذوو طموح .. وقد استغلت هذه الأسر وتلك الدويلات الفرصة فحققت انتصارات ساحقة

على حساب المتنازعين . ومنها : الغز والغور والخطا والخوارز مشاهيّون .

ولم تكن الأسرات كلها تنشد الانتصارات بطبيعة الحال وتسعى إليها عن طريق القتال والنزال ، فقد وجدنا في هذه الفترة عدداً من الأسر ذات الاستقلال الذاتي والداخلي .. كان لها أثرها كعامل ملطّف في ذلك الجو العنيف ، ودورها في توجيه الأحداث السياسية والدينية والأدبية والاجتماعية .

والدارس لهذه الفترة يشعر بأهمية المصادر الفارسية وضرورتها . لذا لا نجد بأسا من استعراض أهم الكتب الفارسية في هذا الشأن :

(١) راحة الصدور وآية السرور [١] (أعلام الملوك) :

من أهم الكتب التي أرّخت للدولة السلجوقية . ألّفه نجم الدين أبو بكر محمد بن علي بن سليمان الراوندي ، وفرغ من تأليفه في عام ٥٩٩ هـ = ١٢٠٢م وترجع أهمية الكتاب إلى أن المؤلف قد عاصر بعض حكام السلاجقة [٢] ، وشهد الكثير من الأحداث بعينيه ، وعمل في دواوين الدولة وأرّخ لها تأريخاً شاملاً منذ قيامها الفعلي عام ٣٤٢ هـ = ١٠٤٠ م حتى عام ٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م ، أي بعد سقوط سلاجقة العراق بخمس سنوات .

---

(١) ترجم هذا الكتاب إلى العربية ثلاثة من الأساتذة المصريين ، من رواد اللغات الشرقية ، وهم الدكاترة : إبراهيم أمين الشواربي ، عبد النعيم حسنين ، فؤاد عبد المعطي الصيّاد . وتمّ طبعه في القاهرة عام ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م .

(٢) كان المؤلف معاصرا للسلطان طغرل الثالث آخر سلاطين سلاجقة العراق . وقد قتل طغرل هذا في عام ٥٩٠ هـ = ١١٩٤ م . كما كان معاصرا لكيخسرو بن قلج أرسلان .. أحد سلاطين سلاجقة آسيا الصغرى ، وله قدّم كتابه هذا .

فهرس الكتاب


مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

سبقني بعض الأخوة الأساتذة إلى الكتابة حول السلاجقة من أكثر من زاوية .. فمنهم من تحدث عن فرع أو فرعين من فروعهم ، ومنهم من تحدث عن النتاج العربي الذي ظهر في عهدهم ، ومنهم من ترجم لشعرائهم ..

ورأيت أن أكمل ما بدأوا ، وأن ألقي الأضواء على ما خفي من جوانب هذه الدولة الفتية المسلمة التي قدِّر لها أن تحكم إيران فترة تميزت بالصراع العنيف ونشوب الفتن ورواج المؤامرات وسيادة العبيد وسيطرة النساء .

رأيت أن أكتب عن هذه الدولة ذات الأهمية الكبيرة في التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الشرق وإيران خاصة .

وأحسست منذ البداية بأهمية المصادر الفارسية فبادرت إلى تقديم أهمها للقارىء .. ليعرف شيئاً عن موضوعاتها ومؤلفيها وتاريخ تأليفهم لها .. ويطمئن إلى دقة المعلومات الواردة ، ويرجع إلى هذه المؤلفات إن شاء التجويد أو الكتابة حول الموضوع من جديد .

وجعلت الكتاب في قسمين . وأدرت الحديث في القسم الأول حول



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

السلاجقة بفروعهم الخمسة : سلاجقة إيران ، العراق ، كرمان ، الروم ، والشام .. وذلك من الوجهة التاريخية . ووتتبّعت سير الأحداث في كل فرع ، وأبرزت دور السلاجقة في الصراع الناشب بين السنّة والشيعة ، وفتوحاتهم في سبيل رفع راية الإسلام ...

كما تحدثت عن المعسكرات المناوئة للسلاجقة ، والتي كان لها دورها البارز في مسيرتهم ، وألقيت الضوء على عدد كبير منها .

فأفردت فصولاً عديدة للحديث حول الغزنويين والقرهخطائيين والخوارزمشاهيين والغور وملوك الجبال والغز والأتابكة والخلافة العباسية والإسماعيلية والفرنج .

وفي القسم الثاني .. استعرضت مظاهر الحضارة في العصر السلجوقي .. فأفردت فصولاً للتحدث حول الناحية الإجتماعية والناحية الإدارية والناحية الدينية والناحية الفنية والناحية العلمية .

وقد اعتمدت في حديثي عن الناحية الاجتماعية على إيراد شواهد شعرية فارسية وعربية تؤكد ما توصلت إليه ، وأحلت القارىء إلى المصادر الغنية بالأمثلة والأدلّة .

وفي حديثي عن الناحية الإدارية بيّنت كيف اعتمد السلاجقة على عناصر غير عنصرهم في إقرار النظم الإدارية ، وكيف قسّموا دواوينهم إلى خمسة أقسام ، فوجّهوا الناحية الإدارية وجهة تخدم كل مرافق الدولة .

وحين تعرضت للناحية الدينية بيّنت أهمية هذه الفترة باعتبارها فترة اشتدت فيها الخلافات المذهبية والعقائدية ، وراجت فيها العلوم الدينية ، وتدخّل فيها العلماء المذهبيون والفقهاء في شئون الحكم والسياسة ، وحرّموا الفلسفة والعلوم العقلية ، مما تسبب عنه انحراف العلم عن محوره الحقيقي .. وهو البحث عن حقائق الأشياء .. وتسبب عنه بالتالي ضيق الأفق وقصر النظر ،

وجَعْلُ الفلسفة والحكمة تابعتين لمجادلات أصحاب المذاهب ومناظراتهم ، والمباحثات العلمية محدودة داخل نطاق الإحساسات المذهبية .

وبيّنت دور السلاجقة في مناصرة المذهب السنّي ، ومؤازرتهم بالتالي للخليفة العباسي ومناصبتهم العداء لكل من يعاديه .

وتحدثت عن النزاع الذي كان محتدماً بين السنة والشيعة وبين الفرق السنية وبعضها البعض .

وتطرقت إلى الصوفية الذين كانوا بمثابة مرفأ الأمان في هذا البحر الهائج الموّاج بالخلافات والمنازعات .

أما الناحية الفنية فقد تحدثت فيها عن الفن الحضاري وعن فن القول .. فأمكنني بذلك أن أتحدث عن المعمار والصنعة والنقش والتصوير والموسيقى وأمثالها في ديار السلاجقة ، كما تمكّنت من الحديث عن الأدب بشقيه : النثر والشعر . هذا وقد تحدثت في إفاضة عن الأدباء نثّاراً وشعراء ، وترجمت لحياة ٤٣ شاعراً ، وعدّدت مؤلفاتهم وتصديت لإنتاجهم في محاولة جادة جديدة لإثبات هذا النتاج وبيان قيمته وهدفه والفلك الذي يدور فيه .

وحين تعرضت للناحية العلمية .. تحدثت عن العلوم الشرعيّة ، والعلوم العقليّة ، والعلوم الأدبيّة واللغويّة والبلاغيّة . وفصّلت الكلام في كل قسم وذكرت أعلامه وفرسانه وأثبتُّ مؤلفاتهم ونتاجهم .

وبعد .. فأنا لا أزعم أني قمت بما يعجز سواي عن القيام به .. ولكنها لبنة متواضعة وضعتها على أمل أن يستعين بها من يتصدى لهذا الموضوع فيشيد صرحاً شامخ البنيان . والله الموفق

المؤلف

أحمد كمال الدين

الكويت في ٧٤/١١/٢٥

السَلاجِقَة في التاريخ

(٢) عتبة الكتبة [١] :

مصدر معاصر لفترة من فترات حكم الدولة السلجوقية . ألّفه علي بن أحمد الكاتب الملقّب بمنتجب الدين بديع أتابك البويهي الذي كان يشغل منصب رئيس ديوان الإنشاء في عهد سنجر . وهو يشتمل على مجموعة من الرسائل والوثائق الرسمية والأوامر السلطانية .. رتّبها المؤلف لتغطي أحداث الفترة ما بين عامي ٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م ، ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م . وهي على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية ، تعطي معلومات متنوعة عن كثير من الولاة والحكّام ورجال الدولة والأمراء والفقهاء والعلماء الذين عاشوا في عهد سنجر (٥١١ هـ – ٥٥٢هـ) – (١١١٧ م – ١١٥٧ م) .

(٣) مجمل التواريخ والقصص [٢] :

قام بتأليفه أحد أهالي أسد آباد في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م . وهو يشتمل على عرض إجمالي لتاريخ العالم عموماً وتاريخ ممالك إيران بصفة خاصة منذ بدء الخليقة حتى عام التأليف .

وهو إلى جانب أهميته التاريخية ذو أهمية جغرافية لأنه يعرّف بأشهر

---

(١) كانت لهذا الكتاب القيِّم نسخة خطية وحيدة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٦٢٩٢ ، يرجع تاريخها إلى عام ٦٧١ هـ = ١٢٧٢م ، وقد قام عبد الوهاب القزويني بتصويرها تصويرا شمسيا بهدف نشرها وتحقيقها . فلما عاجلته المنية قبل إتمام عمله أكمل تلميذه عباس إقبال ما بدأه ، ونشرها في إيران على أن النشر والتحقيق لأستاذه ثم له ، وذلك في عام ١٣٢٩ هـ . ش .

(٢) قام محمد تقي بهار بنشر هذا الكتاب في طهران عام ١٣١٨ هـ . ش ، عن نسخة خطية مصورة فريدة كانت في المطبعة الأهلية تحت رقم ٦٢ ، وذلك بعد أن قام بتصويرها محمد بن عبد الوهاب القزويني .

البلاد في عهده ، ويأتي بمعلومات قلَّ أن نصادفها في غيره . وقد قسَّم المؤلف كتابه إلى ٢٥ بابا ، ضاع آخرها .

هذا ، ويشتمل الكتاب على كثير من الحكايات التاريخية والمحليَّة التي كانت متداولة في عصر المؤلف مما يضفي على الكتاب مسحة من الطرافة .

(٤) تاريخ سيستان [١] :

مجهول المؤلف . وتغيُّر الأسلوب في قسميه بالإضافة إلى بعض العبارات .. يجعلنا نُرجِّح أن أكثر من مؤلف قد اشترك في تأليفه . فقد ألِّف القسم الأول منه – على ما يبدو – في عام ٤٤٤ هـ أو ٤٤٥ هـ = ١٠٥٢ م أو ١٠٥٣ م مع بداية استيلاء السلاجقة على سجستان وجلوس طغرل الأول الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة السلجوقية . ويُفهم ذلك من دعاء المؤلف له مستخدماً هذه العبارة : « خلَّد الله ملكه » .

أما القسم الثاني فيتغير فيه الأسلوب من الناحية الفنية عن القسم الأول ، وتمتد فيه الأحداث حتى عام ٧٢٥ هـ ، مما يجعلنا نرجِّح أنه من إنشاء شخص رأى إضافته إلى القسم الأول الذي يعتبر أصل الكتاب .

والكتاب شامل لكثير من الحوادث التاريخية الهامة التي تعرضت لها سجستان منذ أقدم العصور حتى عام ٧٢٥ هـ .

ومما يضفي عليه أهمية بالغة أنه ينقل عن مصادر عربية وفارسية قيِّمة ضاع بعضها ، وأنه يذكر أسماء تلك المصادر ويطلعنا على جزء من محتوياتها . كما أنه يتحدث في إفاضة عن أقدم نبي للفرس « زرادشت » ، وعن قدامى ملوك فارس .. ذاكراً أخباراً قيِّمة جديدة لم ترد قبل في غيره من المصادر

---

(١) قام محمد تقي بهار بنشر هذا الكتاب في طهران عام ١٣١٧ هـ . ش عن مخطوطة فريدة عثر عليها .

الفارسية والعربية ، ويورد روايات عن العرب والفرس لا تقع العين عليها في غيره ، وروايات أخرى نادرة عن سيطرة الترك على سجستان .

(٥) تاريخ بيهق [١] :

ألفه أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فندق [٢] ، وهو عالم وأديب من أصل عربي ، عاش في الفترة ما بين عامي ٤٩٣هـ ، ٥٦٥هـ = ١١٠٠ م ، ١١٦٩ م .

وقد فرغ البيهقي من تأليف كتابه في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٥ م . وهو يدور حول تاريخ بيهق .. وهي ناحية من نواحي خراسان ، ومدينة قديمة تشغل مكانها الآن مدينة سبزوار الحالية .

ويشتمل الكتاب على تراجم لمشاهير رجال بيهق من علماء وأدباء ووزراء وكتاب وحكماء وأطباء وسادة . ويورد ذكراً لأنساب الأسر العربية التي سكنت بيهق أو هاجرت إليها ، ووصفاً مسهباً لجغرافية هذه المدينة ، ويمدنا ببعض المعلومات المتعلقة بنظم الحكم السائدة آنذاك وكيفية فرض الضرائب وتحصيلها .. مما لا يرد كثيراً في كتب التاريخ العام ، وهنا تتركز أهمية الكتاب .

(٦) مصادر أخرى :

إلى جانب المصادر التي ذكرناها يوجد عدد كبير آخر من المصادر الفارسية

---

(١) قام بهمنيار بنشر هذا الكتاب في طهران عام ١٣١٧ هـ . ش .

(٢) قام ابن فندق بتأليف العديد من الكتب بالفارسية والعربية ، وقد عدد له ياقوت ٧٤ كتابا ... ضاعت ولم يبق سوى عناوينها .
(أنظر : معجم الأدباء . طبعة أوروبا ج ٥ ، ص ٢١٨)

يمكن لقارىء بحثنا هذا أن يقف عليها ، وأن يدرك مدى أهميتها حين نورد ذكرها مقترنة بالأحداث .

ولا شك أن لبعض المصادر العربية أيضاً أهمية بالغة نظراً لما ورد فيها من أخبار عن السلاجقة . ومن أهم هذه المصادر :

مختصر آل سلجوق للبنداري ، أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني ، الأنساب للسمعاني ، آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد القزويني ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ، المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، وفيات الأعيان لابن خلكان .

تاريخ الإسلام الذهبي للحافظ ، معجم البلدان لياقوت ، وغيرها مما سيرد ذكرها خلال عرضنا لأحداث الدولة السلجوقية .

وقد وجد من بين المستشرقين من اهتم بالكتابة عن هذه الفترة ، ويمكن الرجوع في ذلك إلى الكتب التالية على سبيل المثال .. نذكرها مقترنة بمؤلفيها :

1 — E.G. Browne : A literary History of Persia (From Firdawsi To Sàdi).

2 — Lane-Poole Stanley : The Mohammadan Dynasties (London, 1895).

3 — Sanaullah : The decline of the Seljuqid Empire (Calcutta, 1928).

4 — M.S. Dimand : A Handbook of Mohammadan Art (New York, 1947).

5 — Malcolm, J. : The History of Persia (London, 1829).

6 — Aldo Mieli : La Science Arabe (Brill, 1939).

7 — Massé : Anthologie Persane (Paris, 1950).

الباب الأول

فروع السلاجقة

الفصل الأول

سلاجقة ايران

السلاجقة طائفة من الأتراك الغز ، نزحت من تركستان وحطّت رحالها في مناطق تقع بين بلاد ما وراء النهر والبلاد التي كانت تسكنها طائفة « الخرلخ » التركية المسلمة . وباتت بذلك تجاور الدول الإسلامية التي استقلت في إيران ، ونعني بها السامانية والغزنوية والخانية .

وترجع تسمية هذه الطائفة بالسلاجقة إلى رئيسها « سلجوق بن دقاق » (تقاق) الذي تولى قيادتها ووحّد كلمة أبنائها . وقد كان إسلام السلاجقة واعتناقهم المذهب السني سبباً في تقربهم من حكام الدول المجاورة لهم ، بحيث باتوا يتدخلون في المنازعات التي تنشب بين أمراء الدولتين السامانية والخانيّة ، ويقدّمون المساعدات للسامانيين .

وكان سماح السامانيين لهم بعبور بلادهم بمثابة نقطة الإنطلاق بالنسبة إليهم .. إذ استغل سلجوق هذه الفرصة ليستقر بأتباعه قرب شاطىء نهر سيحون ، ويتخذ من مدينة (جند) قاعدة له .

وقد مكنتهم كثرتهم من إعداد جيش وفير العدد وافر العدة .. يُخشى خطره ويُرهب جانبه . إلا أنهم كانوا يتمسكون بتعاليم الإسلام ، ويميلون

إلى التقرب من أئمة المسلمين ، وإلى مجاورة إخوانهم في الدين ، ولا يتعرضون لأحد بالإيذاء .

وقد اجتذبتهم إلى منطقة بلاد ما وراء النهر وفرة المراعي وطيب المناخ .. ومع ذلك فقد كانوا يقومون برحلتين إحداهما في الشتاء إلى (نور) قرب بخارى والأخرى في الصيف إلى (سغد) قرب سمرقند .

وظل السلاجقة على ولائهم لزعيمهم سلجوق حتى وافته منيّته تاركاً من خلفه أربعة أولاد ، هم : إسرائيل وموسى بيغو ويونس وميكائيل .

وقد تولى اسرائيل قيادة السلاجقة باعتباره أكبر إخوته سناً . غير أن حظّه العاثر أوقعه بين مخالب محمود الغزنوي سلطان الدولة الغزنوية المجاورة للديار التي سكنها قومه . فقد أوعز ملك الخانيين إلى محمود — بعد أن تصالحا — بأن يقضي على السلاجقة ويحدّ من خطورتهم .

ولما كان محمود قد لاحظ بالفعل — حين جاء إلى جيحون — تجمع السلاجقة وكثرتهم .. فقد قبل نصيحة حليفه ، وأضمر في نفسه الشر لهم ، وأصر على تصفيتهم متوسلا بالحيلة متذرعاً بالدهاء .

وقد قبل إسرائيل مقابلة السلطان محمود للتفاوض معه — وفق زعمه — ولم يصحبه في هذا اللقاء — بناء على رغبة محمود — سوى عدد قليل من قوّاد جيشه وأتباعه . وقد اغترّ اسرائيل بكرم محمود وطيب وفادته ؛ فأقام في ضيافته عدة أيام أملاً في عقد محالفة معه يلتزم كل منهما بموجبها بمدّ يد العون لصاحبه عند الضرورة ، معتقداً أنه بذلك يسهم في تمكين السلطان السني المسلم من غزو الهند ، ونشر الإسلام في تلك البلاد .

وقد استطاع محمود استدراجه ، وأدرك بثاقب فكره أن لديه من المقاتلين الأشداء ما يفوق العدّ والحصر ، وأن لديه من العتاد الشيء الكثير . فأوجس في نفسه خيفة ، وسيطرت على ذهنه فكرة القضاء على السلاجقة في مهدهم ..

ورأى أن يبدأ خطته بالقضاء على زعيمهم ، فأصدر أمره إلى أتباعه باعتقاله ومن معه . وظل إسرائيل حبيساً في قلعة « كالنجر » بالهند – حيث أرسله محمود – مدة سبع سنوات . وقد حاول بعض أتباعه أن يخلّصوه من أيدي حرّاسه أثناء خروجه للصيد .. إلاّ أنهم أخفقوا فيما اعتزموه . وقد وافته المنيّة بعد انقضاء السنوات السبع .. مما أحفظ السلاجقة ودفعهم إلى تركيز جهودهم للانتقام .

وتحت قيادة ميكائيل بن سلجوق أخذ السلاجقة يخططون لبلوغ هدفهم ، فطلبوا من السلطان محمود الغزنوي أن يأذن لهم بعبور دياره والإقامة بين (نسا) و (باورد) . وقبل محمود ظناً منه أن القضاء على اسرائيل زعيمهم السابق قد فلّ شوكتهم ، وأن الوقت قد حان لملاطفتهم . ولم يأبه لتحذير (ارسلان جاذه) والى (طوس) الذي كان يرى أن وصول السلاجقة إلى خراسان يشكّل خطراً جسيماً على الدولة الغزنوية .

وهكذا عبر السلاجقة جيحون – بناء على موافقة محمود – واستقروا في خراسان .

وفي عام ٤٢١ هـ = ١٠٢٩ م ، توفي السلطان محمود ، وتولى ابنه السلطان « مسعود » حكم الغزنويين [١] ، فانتهز السلاجقة الفرصة وأرسلوا إلى والي (نيشابور) يطلبون منه السماح لهم بالإقامة في تلك النواحي . فأرسل الوالي

---

(١) يخطىء عباس إقبال حين يقول : « وبدأ (السلاجقة) في عام ٤٢١ هـ = ١٠٢٩ م في الإغارة على حدود إيران الشمالية والشرقية ومضايقة محمود الغزنوي ، مما جعله يسلك مع قادتهم سبيل الغدر والخيانة » ... إذ تجمع المصادر على أن محمودا قد توفي في العام المذكور (٤٢١ هـ) ، وأن غدره بقادة السلاجقة قد بدأ قبل ذلك التاريخ بسنوات .

انظر : عباس اقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرگث سلجوقي ... از تاريخ تشكيل اين سلسله تامرگث سلطان (٤٣٢ – ٥٥٢) طبع ظهران ١٣٨٨ هـ . ش ، ص ١١ .

رسولاً إلى (گرگان) – حيث يقيم مسعود – وعرض الأمر عليه . فعاد السلطان على جناح السرعة إلى نيشابور وقد صمم على قتال السلاجقة . وكان السلاجقة بدورهم على أهبة الاستعداد للقائه . فما أن تلاقى الجيشان في معركة عنيفة قرب (نسا) حتّى كان النصر للسلاجقة . مما اضطر السلطان مسعود إلى عقد صلح معهم . وكان من بين الأسباب التي دفعته إلى اتخاذ هذا القرار حاجته الملحّة إلى السفر للهند لتدبير شئونه .

وانساح السلاجقة يضعون أيديهم على أجزاء عدة من خراسان . وبلغ الخبر مسعودا فترك الهند إلى غزنيم ، وطلب من أمير خراسان طردهم عن دياره . واعتذر أمير خراسان للسلطان وأقر بعجزه واعترف بأن الأمر بات مستحيلاً نتيجة قوة السلاجقة الرهيبة . ولما اتّهمه مسعود بالتقاعس وألحّ عليه في قتالهم ، اضطر إلى ذلك مكرهاً . وفي آخر شعبان من عام ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م تلاقى الجيشان قرب (سرخس) . وأسفرت المعركة عن هزيمة نكراء مُنِيَ بها الغزنويون [(١)] .

وهكذا أصبحت قوة السلاجقة أعظم قوة في خراسان . وتضاءلت أمامها قوة الغزنويين بحيث لم يعودوا يجرؤون على الوقوف في وجهها مرة أخرى .

وقد برزت في هذه المعارك شخصية « ركن الدين طغرل بك أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق » [(٢)] . كما برزت إلى جوارها شخصية أخيه

(١) البيهقي : تاريخ البيهقي (تاريخ مسعودي) . طهران ١٣١٦ هـ . ش ، ج ٢ ، ص ٦٧٣ .

(٢) أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبع بولاق . سنة ١٢٨٣ هـ ، ج ٢ ، ص ٤٤ . ويخطىء عباس إقبال حين يقول فيما يتعلق بطغرل :

« لجأ السلاجقة إلى بغراخان إيلك خاني في تركستان وسكنوا بلاده . فقبض بغراخان على (طغرل) بعد مدة وسجنه ، غير أن چغري وُفِّق في تخليص أخيه من حبسه » . إذ يفهم من السياق أن ذلك كان قبل عام ٣٨٩ هـ . والمفروض أن (طغرل بك)=

« چغري بلك » (أبي سليمان داود) . وقد وقع اختيار السلاجقة على (طغرل بلك) ليكون لهم قائداً وزعيماً ، وليجلس على عرش مسعود في نيسابور في عام ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م ؛ فاعتُبر بذلك أول سلاطينهم والمؤسس الحقيقي لدولتهم .

وبعد جلوس طغرل على العرش قرئت الخطبة باسمه ، وأعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة . ولم يبق إلا أن يعترف الخليفة العباسي بشرعية سلطنته .

وكان عليه منذ اليوم الأول لاعتلائه العرش أن يعمل على القضاء على المعسكرات المناوئة للسلاجقة ، وأن يوسِّع منطقة نفوذه . وكان المعسكر الغزنوي أول من بدأ بالمناوءة .. حين قرّر مسعود في عام ٤٣١ هـ = ١٠٣٩ م الانتقام لنفسه من طغرل ، فانتهز فرصة وجوده في (طوس) بعيداً عن أخيه چغري ليهجم عليه بجيش كبير علّه يفاجئه قبل أن يتوحّد السلاجقة وتنضم قوتا الأخوين . غير أن (طغرل) لم يمكّنه من ذلك ، وسارع بالانضمام لأخيه چغري ، ودارت بين السلاجقة والغزنويين معركة عنيفة عند (دنيدانقان) في شهر رمضان من نفس العام [1] .. انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة ، وبذلك أمكنهم أن يكفّوا أيدي الغزنويين عن إيران وما وراء النهر . واجتمع إليهم عدد كبير من الجند من كل أنحاء خراسان .

= كان طفلا في ذلك الوقت . أو ربما لم يكن قد ولد بعد . فقد توفي عام ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م – وفق بعض الأقوال – عن عمر يناهز السبعين ... فمولده قد كان إذاً في عام ٣٨٥ هـ .

أنظر : عباس اقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي ، طبع طهران ١٣٨٨ هـ . ش ، ص ١١ .

(١) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ليدن ١٩٢١ م ، ص ١٠٠ – ١٠١ . ويذكر يحيى القزويني أن تلك الموقعة قد دارت في عام ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م . أنظر : يحيى القزويني : لب التواريخ ، طبع طهران سنة ١٣١٤ هـ ، ص ١٠٥ .

ورأى طغرل أن الوقت قد حان للسيطرة على العالم الإسلامي .. فأخذ على أخيه وعمّه وبقية أفراد البيت السلجوقي العهودَ والمواثيق بالتضامن والتكاتف[1] وكتب إلى الخليفة العباسي « القائم بأمر الله » مظهراً ولاءه له ، مؤكداً حبَّه لرفع راية الإسلام واعلاء كلمة الله ، كاشفاً عن الدور الذي لعبه محمود للقضاء على السلاجقة ، طاعناً في خُلُق مسعود ، طالباً من الخليفة أن يعترف بسلطنة السلاجقة وشرعية حكمه .

ورغم أن الخلافة العباسية كانت آنذاك غاية في الضعف [2] ، ورغم أن قوة الخلفاء المادية كانت معدومة .. والضعف يسيطر عليهم سياسياً وعسكرياً .. إلاّ أن قوتهم المعنوية ظلت قائمة بصورة كبيرة [3] تدفع الحكام إلى الحرص على التقرّب منهم لإكساب سلطنتهم الصفة الشرعية .

وكان هذا نفسه السر في اهتمام طغرل بكسب تأييد الخليفة العباسي وموافقته الشرعية على سلطنته .. رغم أن قوته كانت تفوق قوة الخليفة .

وعلى أي حال فقد اهتم الخليفة برسالة طغرل ، واعترف بسلطنته في عام ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م مما أكسب دولته الفتية صفة شرعيةً .

ودعا الخليفةُ طغرلا إلى زيارة عاصمة ملكه بغداد .. غير أن السلطان

---

(١) منح طغرل أخاه الأكبر (چغري) ولاية مرو فبسط نفوذه منها على خراسان ، ومنح (موسى بيغو) ولاية بست وهراة وسيستان ، ومنح (قاورد) ـ أصغر أبناء چغري ـ ولاية طبسين ونواحي كرمان ، ومنح (ابراهيم ينال) ـ أخا طغرل غير الشقيق ـ ولاية همدان ، ومنح الأمير (ياقوتي بن چغري) ولاية أبهر وزنجان ونواحي آذربيجان ، ومنح (قتلمش بن اسرائيل) ولاية جرجان ودامغان .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة ١٩٥٥ م ، الطبعة الثالثة ، ج ٣ ص ١ .

(٣) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، طبع ليبزج ١٨٧٨ ، ١٨٧٩ م ص ١٣٢ .

أرسل إليه يعتذر عن الحضور لانشغاله بالفتوحات . وتأكدت مظاهر الاعتراف بسلطنة طغرل حين أصدر الخليفة أمره في عام ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م بأن ينقش اسم هذا السلطان على السكة ، ويذكر في الخطبة في مساجد بغداد ،مقدماً على اسم من يخلفه .. على أن يذكر بعده (١) اسم الملك الرحيم أبي نصر بن كاليجار سلطان الدولة حفيد عضد الدولة الديلمي وهو من آل بويه . وأن يكون لقبه السلطان ركن الدين أبو طالب طغرل بك بن محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين .

وفي عام ٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م اصطدمت تلك القوة الفتية بقوة الدولة الزيارية بهدف القضاء عليها . فقد استقل أنوشيروان حاكم الزياريين بجرجان وطبرستان ، وقبض على كاليجار خال طغرل . فتوجه طغرل لتأديبه .. وأجبره على دفع ضريبة سنوية له . وعيّن والياً من قبله – فيما بعد – على تلك الديار وبسط نفوذه عليها .. وتمكّن في النهاية من اسقاط الدولة الزيارية .

وما أن حلّ العام التالي (٤٣٤ هـ = ١٠٤٢ م) حتى ضم طغرل خوارزم إلى ممتلكاته ، ثم أتبعها الري واتخذ منها عاصمة له . وتمكن كذلك من الاستيلاء على قزوين وأبهر وزنجان ؛ فأصبح أمراء الديلم طوع أمره وأبناء علاء الدين كاكويه رهن إشارته . وهكذا اتسع نطاق نفوذه فبات يسيطر على إيران كلها تقريباً .

وبعد أن أحكم قبضته على خراسان أرسل إلى أخيه من أمه « إبراهيم ينال » والي همدان طالباً منه تسليم همدان وبعض القلاع ؛ فرفض ابراهيم وحاول

---

(١) من المؤرخين من يقول إن الخليفة ذكر اسم طغرل بعد اسم الملك الرحيم أبي نصر بن أبي كليجار سلطان البويهيين قبل أن يسجنه طغرل ويموت في الري عام ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م .
أنظر : تاريخ دولة آل سلجوق ، إنشاء الإمام عماد الدين محمد بن محمد حامد الاصفهاني ، إختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني . طبع مصر ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م ، ص ١٠ .

المقاومة ، ثم اضطُر للتسليم وإظهار الخضوع والولاء لأخيه طغرل في عام ٤٤١ هـ = ١٠٤٩ م .. إذ وجد أنه لا قبل له بقوته الهائلة ؛ فاكتفى بالاستيلاء على ما أراد وأصدر عفوه عنه .

وفي عام ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م حاصر أصفهان التي سقطت في يده عام ٤٤٣ هـ = ١٠٥١ م . وخلال فترة الحصار تمكّن طغرل من السيطرة على بلاد فارس والقضاء على دولة الديالمة قضاء مبرماً .

وفي عام ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م أراد طغرل أن يكلل انتصاراته بالاستيلاء على آذربيجان .. فعمد إلى الاستيلاء على گنگه وملاذگرد . ومع مستهل عام ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م توجّه إلى همدان ومنها إلى العراق العربي مزمعاً الاتجاه إلى بغداد للاستيلاء عليها .

وفي يزد ، كانت السيطرة لآل بويه . وكان الملك الرحيم ابن الأمير أبي كاليجار هو حاكم البويهيين وتحت يده العديد من المناطق أمثال كرمان وفارس وخوزستان وعمان والعراق العربي . وكان معسكر البويهيين مفككاً متخاذلاً تسوده الفتن والقلاقل . كما كان الملك الرحيم البويهي يتميز بالضعف وقلة الحيلة ، فبدل أن يستعين بأخوته لصدّ السلاجقة هيأ لهم سبيل الاستيلاء على بغداد في عام ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م [١] . وقد انهار معسكر البويهيين وسقطت دولتهم في نفس العام المذكور حين قبض على الملك الرحيم وسيّره إلى الري فمات في الطريق [٢] ، ويقال إنه توفي في سجنه بالري عام ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م [٣]

---

(١) البنداري (الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني) : مختصر تواريخ آل سلجوق . نشر هوتسما ، طبع ليدن ١٨٨٩ م ، ص ٩ – ١٠ .

(٢) أنظر كتاب تاريخ دولة آل سلجوق ، إنشاء الإمام عماد الدين الاصفهاني ، إختصار البنداري ، طبع مصر ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م ، ص ١٠ .

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة السابقة .

وقد تضافرت عدة عوامل أدّت في مجموعها إلى انتصار طغرل ودخوله بغداد ..

أهمّها أن الخلافة العباسية كانت غاية في الضعف ، مما تسبب عنه انقسام المسلمين إلى شيعٍ وطوائف تتصارع فيما بينها [1] . كما أن قوة الخلفاء المادية كانت معدومة – كما ذكرنا – بعكس قوتهم المعنوية الكبيرة . وكان الخليفة العباسي القائم بأمر الله هو الحاكم آنذاك وفيه يتمثل هذا الضعف بأجلى معانيه إذ كان المسيِّر الحقيقي لدفّة الأمور في خلافته مملوك نابه يدعى أبا الحارس البساسيري . وكان هذا المملوك يتولى قيادة جيش الترك في بغداد ، ويتصل بالمعسكر المناوىءَ للخليفة والخلافة ونعني به معسكر الفاطميين .

ومع أن معسكر الفاطميين – ممثلا في الخلافة الفاطمية في مصر – كان هو الآخر غاية في الضعف .. إلاّ أنه كان شوكة في جنب العباسيين السنيين .. يسعى لإسقاط دولتهم بشتّى الطرق ، وإحلال العلويين محلّهم .

ولذا ما أن دخل طغرل بغداد حتّى اتصل البساسيري بخلفائه الفاطميين ، واتفق سراً مع الخليفة المستنصر بالله الفاطمي على خطة يقضيان بها على الخليفة والملك الرحيم معاً .. خاصة وأن البساسيري كان قد خرج على طاعة القائم بأمر الله منذ عام ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م أي في العام السابق على العام الذي دخل فيه طغرل إلى بغداد .

وكان الاتفاق يتلخص في ألاّ يقدم البساسيري العون لخليفة بغداد .. وهذا ما تم فعلاً .. إذ أن البساسيري لم يخف لمساعدة الخليفة ، ولم يتحرك لصد جيش طغرل ؛ فاستطاع أن يدخل بغداد بسهولة ، وأن يقضي على الملك الرحيم كما أسلفنا القول .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي . القاهرة ١٩٥٥ م ، الطبعة الثالثة ، ج ٣ ص ١ .

وإزاء قوة طغرل وانتصاره لم يجد الخليفة العباسي بداً من أن يصدر أمره بقراءة الخطبة باسمه ، وحذف اسم الملك الرحيم نهائياً .. وازداد طغرل قوة وتمكّنا ورسخت قدمه في بغداد بفضل ارتباطه بالقائم بأمر الله برباط المصاهرة ؛ فقد تزوج الخليفة من ابنة أخيه چغري بك ، وهي في عين الوقت أخت ألپ أرسلان ولي العهد آنذاك . وكانت ابنة چغري هذه تقيم — مع أخويها ألپ ارسلان وسليمان — في الري في كنف عمها السلطان طغرل منذ عام ٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م ، بعد أن تزوج الأخير من أمها بعد وفاة أبيها .

وقد هال البساسيري ما آل إليه وضع طغرل ، وساءه أن تفشل خطّته التي رسمها مع الفاطميين ، فقرر أن ينقل ميدان الصراع خارج بغداد ؛ واستطاع بمظاهرة المستنصر بالله الخليفة الفاطمي أن يفتح الموصل ويهزم واليها وكان ابن عم لطغرل .

واتخذ الصراع اتجاهاً آخر بناء على خطته هذه .. فبدلاً من أن يكون بين طغرل وخليفة بغداد صار بين حماة المذهب السني وحماة المذهب الشيعي . وكان طغرل وخليفة بغداد يمثلان المذهب السني في هذا الصراع ، كما كان البساسيري وخليفة الفاطميين يمثلان المذهب الشيعي .

وظل طغرل أكثر من عام مقيماً في بغداد قبل أن يهاجم البساسيري في بلاد الجزيرة . وفرّ البساسيري من وجهه حين وجد أن المقاومة لن تجدي فتيلا ؛ وأصدر الخليفة العباسي أمره بتعيين طغرل على بلاد الجزيرة ، فعيّن هو من قبله أخاه ابراهيم إينال والياً عليها . وشغل طغرل بتفقد شئون دولته تاركاً بغداد ، فكان هذا أنسب وقت لهجوم البساسيري عليها واحتلالها .

وهكذا جرد البساسيري جيشاً دخل به بغداد ، وفر الخليفة العباسي ناجياً بنفسه . وأمر البساسيري بقراءة الخطبة باسم المستنصر بالله الخليفة الفاطمي الذي كان يحكم آنذاك في مصر ، وحذف اسم بني العباس منها ، وذلك في الثامن من ذي القعدة من عام ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م . وأحس طغرل بأن الأمر يقتضي

منه التفرغ لمحاربة البساسيري . وأن عليه – لكي يتفرغ لذلك – أن يسرع بالتخلص من المتمردين من أبناء أسرته .. فقتل أخاه إبراهيم ينال لعصيانه في هذا العام نفسه .

وسارع بالتوجه إلى بغداد فتصدى له البساسيري . وانتهى القتال العنيف بينهما بقتل البساسيري وإرسال رأسه إلى الخليفة القائم ، والاستيلاء على بغداد في الخامس عشر من ذي الحجة عام ٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م ، وزوال نفوذ الفاطميين منها وكف يدهم عنها ، وعودة الخليفة إلى بغداد مرة أخرى .

وقد وثّق طغرل علاقته بخليفة بغداد عن طريق خطبته لابنته ثم زفافها إليه في عاصمة ملكه (الري) في عام ٤٥٤ هـ = ١٠٦٢ م إلا أنه توفي بعد عام من زواجه ، في الثامن من رمضان عام ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م [1] عن عمر يبلغ السبعين ، تاركاً البلاد لعدد من المتنازعين على العرش . وقد حكم مدة ٢٦ سنة ، ووزر له « عميد الملك الكُندري » [2] .

٤٥٤

(١) يذكر يحي الحسيني القزويني أن الوفاة كانت في يوم الجمعة ١٨ رمضان عام ٤٥٤ هـ ، بينما يذكر السرّاج أنها كانت في عام ٤٥١ هـ بعد حكم استمر نيفا وعشرين عاما .
ولما كان النزاع بين سليمان والپ ارسلان – كما يفهم من كتب التاريخ – لم يدم طويلا ...
ولما كان ألپ أرسلان قد جلس على العرش في عام ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م ، فاني أرجّح أن عام ٤٥٥ هـ هذا هو عام وفاة طغرل . (لبّ التواريخ ، طهران ١٣١٤ هـ ص ١٠٥ ، طبقات ناصري ، كابل ١٣٤٢ هـ ش ، ط ٢ ص ٢٥٢) .

(٢) هو أبو نصر منصور بن محمد الكندري ، من قرية كندر من أعمال نيشابور . كان يلقب بعميد الملك ، وكان من أصحاب اللسانين وله مؤلفات باللغتين .

أنظر ترجمته في : راحة الصدور وآية السرور للراوندي ، دستور الوزراء لخواندمير ، سياستنامه لنظام الملك ، الكامل لابن الأثير . عتبة الكتبة لمنتجب الدين بديع أتابك الجويني .

وقد تركّز النزاع على العرش أكثر ما تركّز في جبهتين .. الجبهة الأولى يمثلها « الپ أرسلان بن چغري » ويعاونه « نظام الملك » ، [1] والجبهة الثانية يمثلها « سليمان بن چغري » ويعاونه « أبو نصر الكندري » .

وقد نتج نزاع الأخوين عن ادعاء الكُندري بأن طغرلبك قد أوصى بأن تكون ولاية العهد من بعده لسليمان أصغر أبناء أخيه چغري .. وإعلانه – بمجرد وفاة طغرل – أن « سليمان » الطفل الصغير هو السلطان الفعلي للسلاجقة ، وإجلاسه على العرش في الري . لأن هذا الادعاء لم يعجب ألپ ارسلان – الابن الأكبر لچغري ، وكان قد خلف والده في حكم خراسان وما وراء النهر .

فقد رأى ألپ أرسلان أنه أحق من أخيه الأصغر بتوليّ عرش السلطنة بعد عمّه طغرل الذي لم يترك ابناً من صلبه يرث ملكه العريض ؛ فخرج على طاعة سليمان ، وأعلن نفسه سلطاناً للسلاجقة . وأقرَّه أمراء البيت السلجوقي على ذلك .

وقبل الكندري الأمر الواقع ، وانضم إلى أقوى الجانبين ، فرجحت كفة الپ أرسلان ، وقرئت الخطبة في الري بإسمه .. بأمر من الكندري نفسه ، وإن استقر الرأي على أن يكون سليمان ولياً للعهد .

أما الذين لم يعجبهم الوضع فقد تخلّص منهم ألپ أرسلان ، وكان على رأسهم ثائر يدعى « شهاب الدولة قتلمش ، وهو ابن عم چغري . وقد ادّعى هذا الرجل السلطنة واضطر ألپ ارسلان لمحاربته وقتله بعد أن يئس من ولائه . فقد استولى قتلمش على الري أثناء ابتعاد ألپ ارسلان عنها معتمداً على جيشه الجرار . ولولا قتاله وقتله لحقق مآربه أو ظل شوكة في جنب الپ أرسلان .

---

(١) نظام الملك : هو أبو علي حسن بن علي بن اسحق الطوسي ، كان يلقب بخواجه نظام الملك .

وانتهت الفتن واستقر الأمر لألپ ارسلان في عام ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م[1] .
وكان جلوسه على العرش في الري دون منازع في عام ٤٥٦ هـ = ١٠٦٣ م . ووزر له الكندري ونظام المُلْك . وكان نظام الملك على درجة كبيرة من الكفاءة والدهاء .. فاستطاع أن يغيّر مشاعر السلطان تجاه الكندري بالدّس والوقيعة ، ودفعه إلى الشك في نواياه وإلقاء القبض عليه وقتله في نفس العام المذكور .

واتخذ الپ ارسلان الري — شأنه شأن عمه — عاصمة لملكه ومقراً لسلطانه .

وحلّ عام ٤٥٧ هـ = ١٠٦٤ م ، وكادت الأوضاع تستقر لألپ أرسلان تمام الاستقرار لولا أن ظهر على مسرح الأحداث من ينازعه السلطنة .. مما اضطره لتسيير جيش إلى بلاد ما وراء النهر لتأديب عمه موسى بيغو ، وقد أفلح فعلاً في ردّه إلى حظيرة طاعته .

وباخضاع الچغانيين استقرت الأمور في بلاد ما وراء النهر وفي خراسان بصفة قاطعة ، وتمّ الاستقرار لألپ ارسلان ووزيره نظام الملك .. وبدأ في مدّ بصره إلى البلاد الواقعة خارج نطاق نفوذه وفي مقدمتها البلاد المسيحية .. والبلاد غير الإسلامية بوجه عام . فأضفى بذلك على فتوحاته صبغة الجهاد في سبيل الله ورفع راية الإسلام .

وقد اقتضاه هذا الأمر أن يخطط ويمهد بمعاونة وزيره .. لأن بعض هذه البلاد كانت على درجة كبيرة من القوة والمنعة . فتوجه بادىء ذي بدء نحو آذربيجان ، وتمكّن في مدى الخمس سنوات الواقعة بين عام ٤٦٠ هـ وعام ٤٦٥ هـ من السيطرة على المناطق الواقعة بين بحيرتي وان وأورميا ، وإخضاع بعض القلاع المنيعة ، وفتح بلاد الأرمن والكرج . وكان يعرف مسبقاً أن مثل هذه الإنتصارات وتلك الفتوحات سوف لا تقابل من قبل العالم المسيحي

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ، طبع ليدن ١٩٢١ م ، ص ١١٦ .

بغير الاستياء وأنها ستواجه برد فعل قوي له آثاره الخطيرة ، وأن الامبراطور الروماني « رومانوس ديوجينس » سوف يقود الحركة المضادة ؛ فأخذ في تدعيم جبهته الداخلية يعاونه في ذلك « نظام الملك » .

ولما كانت بلاد ما وراء النهر وخراسان وهرات والأجزاء الغربية والشمالية الغربية خاضعة له تمام الخضوع ، والخليفة العباسي يناصره ويشد أزره ، وبلاد الأرمن والكرج في قبضة يده .. فقد وجد أن الواجب يقتضيه أن يولي وجهه شطر الجنوب والشرق وأن يوليهما عنايته حتى يأمن هذين الجانبين قبل أن يواجه الخطر الروماني أو المسيحي . فتوجه إلى اصفهان ومنها إلى كرمان حيث استقبله أخوه قاورد حاكمها بالحفاوة والترحاب ، وجدّد له العهد بالولاء والطاعة وحماية حدود الدولة من الجنوب . وارتبط بجيرانه في الشرق برباط المصاهرة ليضمن استمرار مودتهم ؛ فزوّج ابنه « ملكشاه » من ابنة « طمغاج خان » التوراني ملك الخانيين ، وزوّج ابناً آخر من أبنائه من ابنة « ابراهيم الغزنوي » سلطان الغزنويين . وهكذا أمن غدر الخانيين والغزنويين معاً .

ولم يصبر الإمبراطور رومانوس ديوجينس حتى يستعد الپ أرسلان بل بادره بالهجوم وسبقه إلى العدوان ، فأغار على حلب في بلاد الشام وهزم أميرها الذي كان قد خرج على الفاطميين وانضم إلى السلاجقة إيماناً منه بقوتهم وقوة العالم السني تبعاً لذلك . وقد أغار رومانوس ديوجينس على حلب في عام ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م .. أي في نفس العام الذي أعلن فيه أمير حلب هذا ولاءه للسلاجقة وأمر فيه أن تقرأ الخطبة باسم العباسيين . فكأن الإمبراطور كان بذلك يبرز تحدّيه للسلطان .

وقد اهتدى رومانوس ديوجينس إلى فكرة تضمن له الانتصار والقضاء على تلك الدولة الفتية ، فجعل جيشه خليطاً من أجناس عدة . فكان الجيش يضم في صفوفه رجالاً من الأرمن واليونانيين والروس ومقاتلين من بلاد الكرج والبلغار . وكان هدف الامبراطور من ذلك واضحاً وهو أن تأخذ

حربه في آسيا الصغرى صبغة الحرب الصليبية ، وأن تكون نتيجتها القضاء على السلاجقة والعالم الإسلامي معاً .

وعسكر جند رومانوس – وعددهم ٢٠٠ ألف مقاتل – على الحدود قرب (ملازگرد) في انتظار الفرصة المناسبة للهجوم . وأيقن القائد الشاب ألپ أرسلان أن النصر الخاطف قد يغير الموقف بعض الشيء .. فانقض على مقدمة جيش الإمبراطور في سرعة خاطفة وشجاعة نادرة مكّنتاه من النصر على هذه المقدمة .. غير أنه أحسَّ بأن مواصلة القتال ضد هذا الجيش الكبير وهذه الكثرة الهائلة من المقاتلين يعدُّ خطأً جسيما . ورأى أن الحكمة تقتضيه أن يسعى في طلب الصلح إلى أن يستعد الاستعداد الملائم لملاقاة غريمه . إلاّ ان الإمبراطور رفض الصلح في صلف وكبرياء مما أثار حفيظة ألپ ارسلان وحماس الجنود وغيرتهم على الإسلام . وكان لاستماتتهم في القتال أثره في سير المعركة لصالحهم وانتصارهم المؤزّر على جيش الإمبراطور وقتلِ عددٍ هائل من أفراده .. وبلغ بهم التوفيق حدَّ أسرِ الإمبراطور والزجِّ به في أحلكِ السجون وجلدِه بالسياط .

وأطلق ألپ أرسلان سراح الامبراطور لقاء فدية كبيرة ، وعقد معه معاهدة تسري شروطها مدة خمسين عاماً .. أرغمه فيها على التعهد بدفع الجزية للسلاجقة .

وبقدر ما كان لموقعة ملازگرد من أهمية في تاريخ السلاجقة والاسلام بقدر ما كان لها أيضاً من أهمية بالغة في تاريخ الشرق وتاريخ غرب آسيا . فقد حرص الرومانيون كل الحرص – ومنذ القدم – على أن تكون بلاد الروم (آسيا الصغرى) وبلاد الأرمن والكرج – باعتبارها المعبر للبلاد الشرقية المتاخمة لها – تحت سيطرتهم وسلطانهم . ولم يفلح الأشكانيون أو الساسانيون أو حتى المسلمون قبل السلاجقة في إجلائهم عن تلك الديار . أما السلاجقة فقد كفوا أيديهم عنها ، وضمّوها جزءاً إثر جزء إلى العالم الإسلامي ، وكانوا السبب في تفتيت قوة الدولة الرومانية الشرقية ودفعها في طريق الزوال ، وتيسير

السبيل للأتراك العثمانيين للقضاء عليها – فيما بعد – قضاء مبرماً .

وهكذا حلّت الحضارة الإسلامية في آسيا الصغرى – بعقائدها ونظمها وآدابها – محل الحضارة المسيحية ، وانتشرت اللغة الفارسية – وهي إحدى اللغات الإسلامية آنذاك – على يد الغزاة من الجنود الإيرانيين .

ونتج عن تلك الموقعة أيضاً أن تمكّن المسلمون – ممثّلين في السلاجقة – من القضاء على الصليبيين تماماً .

وفي أواخر عهد ألب أرسلان .. ساءت العلاقات بينه وبين أصهاره من الخانيين إثر وفاة طمغاج خان (والد زوجة ملكشاه) في عام ٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م . فقد حاول ابنه شمس الدين نصر أن يستقل عن السلاجقة .. مما اضطر السلطان في عام ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م إلى التوجه إلى ما وراء النهر لتأديبه ، واستطاع بالفعل أن يحاصر الكثير من القلاع ويفتحها .

وفي ذروة التوفيق والنجاح .. انتهت حياة السلطان الب ارسلان نهاية غير متوقعة .. إذ قتل على يد قائد من قواد إحدى القلاع المفتوحة يدعى يوسف الخوارزمي أو (البرزمي) . فقد طعنه هذا القائد بخنجره طعنة نجلاء أودت بحياته بعد أيام أربعة قضاها في خيمة قرب القلعة التي كان يسيطر عليها ذلك الثائر .. وهو يعاني سكرات الموت .

وقد دفن السلطان في مرو في شهر ربيع الأول من العام المذكور [1] . بعد حكم دام أكثر من تسع سنوات .. وسّع فيها رقعة الدولة السلجوقية ، ورفع فيها راية الإسلام فوق كثير من البلدان التي كان أهلها يدينون بدين غير دين الإسلام ..

---

(١) البنداري : مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، طبع مصر ، ص ٤٤ ، ٤٥ .
يحيى القزويني : لب التواريخ ، طبع طهران ، ص ١٠٦ .
حمدالله مستوفي القزويني : تاريخ گزيده ، طهران ١٣٣٩ هـ ، ص ٤٣٣ .

مما نتج عنه انتقال الحضارة الإسلامية إلى مناطق لم تشهد مثل هذه الحضارة من قبل .

وخلف « ملكشاه » والده ألپ أرسلان — بناء على وصيته — على عرش السلاجقة .

وقد تبدّى ذكاء نظام الملك وحسن تدبيره في فترة الانتقال الواقعة بين اغتيال السلطان الراحل الپ ارسلان وتولية ابنه مكانه . فما أن طُعِن السلطان حتى أشار نظام الملك على ملكشاه — وكان مصاحباً للحملة — بالعودة بالجيوش إلى خراسان حيث يعلن نفسه سلطاناً على الدولة . وقد قبل ملكشاه ذلك ، ونفّذ رأي وزير والده .. واتخذه وزيراً له .

وقد جلس ملكشاه على العرش في نيسابور أولاً ثم في الري . ووجد نفسه منذ اللحظة الأولى مكلّفاً بثلاثة أمور :

أولها : القضاء على منافسيه وتصفية خصومه ، وثانيها : المحافظة على ما ورثه عن أبيه وأجداده ، وثالثها : بسط نفوذ السلاجقة على أجزاء العالم الإسلامي على اختلافها ، وعلى الأقطار غير الإسلامية التي كان للرومان اليد العليا فيها .

وقد حقق ملكشاه أول هذه الأمور حين تحارب هو وعمه قاورد وقتله بعد قتال عنيف [1] . وتفصيل القول أن قاورد بن چغري بك — وهو عم السلطان ملكشاه كما أسلفنا القول — كان والياً على كرمان وفارس من قبل الپ أرسلان ، وأنه أعلن التمرد على ملكشاه وادّعى أحقيته بعرش السلاجقة . ولتحقيق مأربه في الاستيلاء على السلطة .. قاد جيوشه إلى الري للاستيلاء عليها والجلوس على العرش فيها . غير أن ملكشاه قطع عليه الطريق ، وتقابل وإياه

(١) محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ، طبع ليدن ١٨٨٦ م ، ص ١٣ ، راحة الصدور . ليدن ، ص ١٢٦ . ١٢٧ .

في همدان ، ودار بينهما قتال عنيف استعان فيه ملكشاه بحلفائه من عرب الموصل والحلة والجزيرة . وكانت النتيجة أن تمكن من أسره ، ثم قتله بناء على مشورة نظام الملك ، فخشيه كل أفراد البيت السلجوقي ولم يخرج عليه أحدهم ؛ فاستتب الأمن وعمّ الهدوء واستقرت الأمور له . كما اكتسب أنصاراً جدداً بتزويج ابنته من المقتدي بأمر الله في عام ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م ، وضمن بذلك مظاهرته وتأييده [١] .

أما الأمر الثاني فقد تحقق نتيجة مرونة ملكشاه وحسن تدبيره هو ومستشاره نظام الملك . فقد رأيا أن تحقيق هذا الأمر لا يتم إلا بإرضاء أفراد البيت السلجوقي وتقوية الجيش وزيادة عدده . وأن إرضاء أفراد البيت السلجوقي يمكن أن يتم عن طريق تعيينهم كولاة من قبل السلطان على البلاد المفتوحة وإطلاق يدهم في ممتلكاتهم بما يشعرهم بقوتهم .. فكلّما ازدادوا قوة كلما ازدادوا قدرة على صد أي هجوم خارجي على البلاد .. وبذلك تتم المحافظة على إرث السلف .

ويمكننا بسهولة أن نظهر كيف تصرّف ملكشاه لتحقيق هذا الأمر . فنجده قد ترك كرمان في يد أبناء عمه قاورد — بعد قتله إياه — يحكمونها ويتوارثون حكمها [٢] . كما أسند مُلك الأجزاء التي استولى عليها من بلاد الشام — حتى عام ٤٦٨ هـ = ١٠٧٥ م — لأخيه تاج الدين « تتش » ، وذلك في عام ٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م ، وفوّض إليه مهمة الفتح والتوسع ، وأقرّه على الأجزاء التي في حوزته والتي سيضع يده عليها مستقبلاً [٣] .

---

(١) تولى المقتدي الخلافة في عهد ملكشاه . ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ هـ — ١٠٧٤ م بعد القائم بأمر الله ، وبايعه ملكشاه . (تاريخ آل سلجوق ، طبع مصر ، ص ٤٨) .

(٢) ظل أفراد هذه الأسرة يتوارثون حكمها حتى عام ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م ، وعرفوا في التاريخ باسم « سلاجقة كرمان » .

(٣) تمكّن تتش من تأسيس دولة عرفت في التاريخ باسم « سلاجقة الشام » .

كما عيّن ملكشاهُ (سليمانَ بن قتلمش بن اسرائيل) – وهو من أبناء عمومة چغري بلك – والياً على بلاد الروم (آسيا الصغرى) ليحافظ على ممتلكات السلاجقة بها ، ويفتح ما استطاع من أقاليمها [1] .

وبفضل ذلك التنظيم وتلك السياسة سارت الفتوحات من حسن إلى أحسن ، وتحقّق الأمر الثالث .

ففي بلاد الشام واصل ملكشاه فتحه الذي كان قد بدأه في عهد أبيه عام ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م إبّان إنشغال الأخير في إخضاع بلاد الكرج والأرمن والصراع مع رومانوس ديوجينس . وكان ملكشاه قد حقق بعض النصر في بلاد الشام آنذاك ووصل به الأمر حد دخول بيت المقدس وإخضاع أجزاء مختلفة من فلسطين ، مما شجّعه على التوجه إلى القاهرة ومحاصرتها بغية فتحها .

وكاد ملكشاه يفلح فيما اعتزمه لولا استماتة الفاطميين في الدفاع عن المدينة ، وإيقاعهم الهزيمة في النهاية بالجيش السلجوقي .

والآن وقد صار ملكشاه سلطاناً فقد قرر معاودة فتح الشام ، ووفّق في وضع يده على كثير من أجزائها . وأكّد سيطرته هذه بتعيين أخيه تاج الدين تتش والياً عليها في عام ٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م . وكاد تتش يفلح في ضم حلب إلى منطقة نفوذه لولا أن هاجم الفاطميون دمشق .. فاضطر للعودة واضطروا هم إلى الإنسحاب .. فدخل دمشق دون قتال ، وذلك في عام ٤٧٢ هـ = ١٠٧٩ م وجعل منها مقراً لحكمه .

وبالنسبة لآسيا الصغرى .. كانت تطلّعات ملكشاه هي نفسها تطلّعات أبيه الپ أرسلان . لأنه كان يرى – شأنه شأن والده – أنّ فتح بلاد الروم له أهميته البالغة ، إذ يمكنه عن طريق فتحها – وعن طريق السيطرة على الشام

---

(١) يعتبر سليمان المؤسس الحقيقي لدولة سلاجقة الروم في تلك المناطق ... وهي الدولة التي حكمت حتى عام ٧٠٠ هـ = ١٣٠٠ م .

ومصر — أن يجعل العالم الإسلامي بأسره خاضعاً لقيادة واحدة ، وأن يجعله قادراً على التكتل ضد المسيحية وهزيمتها وكفٍّ يدها عن بيت المقدس .

وقد عيّن من قبله سليمان بن قتلمش والياً على بلاد الروم ؛ فبسط نفوذه على ولاية (قونية) ، واتخذها مقراً لعرشه ، وسيطر كذلك على ولاية (آق سرا) ، واستولى على (انطاكية) في عام ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م ، وأخرجها من يد الرومان بعد أن حكموها مدة مائة وتسع وثلاثين سنة (٣٣٨ — ٤٧٧هـ) ، فأوصل حدود الدولة السلجوقية بذلك إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط .

ولم يكتف ملكشاه بجهد أتباعه بل أخضع بنفسه الكثير من قلاع الرومان . كما توجه إلى ما وراء النهر للانتقام من الخانيين . فقد استنجد به العلماء الذين يعيشون في كنف الخانيين ورأوا فيه منقذاً او مخلّصاً لهم من طغيان (أحمد خان التوراني) وهو ابن أخي (شمس الدين نصر) . وقد أخضع ملكشاه بخارى وسمرقند وأسر أحمد خان . ثم اضطر والي كشغر — وهو من الخانيين — إلى أن يذكر اسمه في الخطبة وينقشه على السكة . كما قضى على ثورات القبائل المقيمة قرب سمرقند . وأخضع عامل فرغانة بعد أن انضم لتلك القبائل الثائرة .

وهكذا وصل نفوذ السلطان ملكشاه حدود الصين والهند ، وامتد من كشغر في الشرق إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط (أي أنطاكية) ، كما شمل إيران بأسرها وبلاد ما وراء النهر وآسيا الصغرى والعراق والشام ، وأصبحت الدولة السلجوقية مصدر رعب يهدد العالم المسيحي ويخيفه .

ومع هذه الانتصارات الناجمة عن سياسة القوة والحنكة . كانت هناك بعض المواقف العصيبة التي تعرضت لها الدولة وأثّرت فيها بصورة أو بأخرى .

منها أن النزاع قد دبَّ بين سليمان وتتش حول الممتلكات الخاصة بكل منهما .. فقد حاول سليمان أن يستولي على حلب بعد استيلائه على انطاكية .. مما اضطر تتش إلى قتله في حرب ضروس دارت قرب حلب في شهر صفر من

عام ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م . وقد اقتضى الأمر ذهاب ملكشاه بنفسه إلى حلب في جمادى الآخرة من نفس العام . ولمّا اطمأن إلى ولاء أخيه تتش أقرّ حكمه على بلاد الشام ، وأقرّ حكم أبناء سليمان على بلاد الروم .

ومن هذه المواقف العصيبة أيضاً أن قوة خطيرة جديدة قد ظهرت على مسرح الأحداث ، وباتت مصدر خطر يهدد السلاجقة بصورة لم يسبق لها مثيل . هذه القوة هي فرقة الشيعة الإسماعيلية التي ظهرت في سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م ، واتخذت مع مرور الوقت وتغيُّر الظروف أسماء كثيرة [1] .

وليس معنى هذا أن الشيعة الاسماعيلية لم يكن لها وجود قبل ذلك التاريخ في إيران .. فقد استطاع الاسماعيليون أن ينشروا دعوتهم في بقاع متفرقة من إيران وفي ما وراء النهر ، وأن يكسبوها قوة في عهد بعض الحكام من السامانيين والديالمة من آل زيار ، إلا أن نفوذهم تلاشى في عهد الغزنويين والسلاجقة السابقين على ملكشاه لارتباطهم الكبير بالخليفة وحمايتهم للمذهب السني .

وقد عادت الإسماعيلية بصورة مخيفة على يد حسن الصباح (حسن بن علي ابن صباح) ، واختارت لنفسها طريق الاغتيال للتخلص من الخصوم والمعارضين . والسر في قوتهم في تلك الفترة بالذات .. هو أن قائد حركتهم — ونعني به حسن الصباح — قد تمكّن في عام ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م من الاستيلاء على قلعة من أقوى القلاع تدعى « الموت » ، واتخذها مقراً لدعوته ومركزاً لمنظمته ونقطة انطلاق نحو أهدافه .

وقد عمدت هذه المنظمة الرهيبة إلى قتل كل من يعترض سبيل مبادىء دعوتها ، وانتشر فدائيوها في الأقطار الإسلامية يغتالون الخلفاء والسلاطين

---

(١) لمعرفة أسمائها والكثير عن أحوالها أنظر :
ابن الأثير : الكامل ، طبع مطبعة ذات التحرير في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٠٣ هـ ، ص ١٠٨ وما بعدها . وسوف أفرد لها حديثا مفصّلا في موضع آخر .

والوزراء ، ويبثون الرعب في أرجاء العالم الإسلامي .

وقد لعبت هذه المنظمة دوراً خطيراً في مسيرة الدولة السلجوقية ، فقد أثّرت في سياسة هذه الدولة .. وفي توجيه هذه السياسة على نحو يمكّنها من تفادي خطرها .

ومن أبرز أعمال هذه المنظمة في عهد ملكشاه تمكّن الفدائيين من أتباعها من اغتيال نظام الملك في العاشر من رمضان سنة ٤٧٥ هـ = ١٠٩٢ م ، ذلك الوزير الخطير الذي كان بمثابة عقل السلطان المفكّر ويده الضاربة .

وقد سعى ملكشاه لإبادتهم حتى لا ينسبه العوام وأهل الدين للإلحاد وفساد الاعتقاد وحتى لا يعتقد النظامية (أتباع نظام الملك) أن له دخلاً في موضوع اغتياله . خاصة وأن العلاقات بينه وبين الوزير المقتول كانت قد ساءت للغاية في الآونة الأخيرة لأسباب عدة [1] نلخّصها فيما يلي :

(أ) اعتماد نظام الملك على أبنائه وأقاربه وأتباعه وأنصاره في إدارة شئون الدولة ، ومنحهم صلاحيات واسعة تطلق يدهم في مهام الدولة صغيرها وكبيرها .. مما أغضب ملكشاه ، وأثار حفيظته .

(ب) سَعْيُ (تركان خاتون) — زوجة السلطان ملكشاه — بالوقيعة بينه وبين نظام الملك وانضمامها لأعدائه ، وإيغارها صدر زوجها على الوزير ، وميل السلطان إلى تصديق مفترياتها .. خاصة وأنها كانت تسيطر عليه . ويُروى أنه كان يسمح لها بالتدخّل في سياسة الدولة بصورة تشجعها على فرض رأيها في كل ما يحدث بها .

وكان السرُّ في كراهيتها لنظام الملك يرجع إلى وقوفه ضد رغبتها

---

(١) لمعرفة الكثير حول هذه النقطة أنظر :
الراوندي : راحة الصدور ، ليدن ، ص ١٣٢ — ١٣٤ . الكامل ، حوادث سنة ٤٨٥ ، البنداري : تاريخ آل سلجوق ، مصر ، ص ٦٣ .

في جعل الولاية لابنها الطفل « محمود » الذي يبلغ من العمر ٤ سنوات ، إذ كان يفضّل أن تكون الولاية « لبركيارق » ابن السلطان الأكبر .

(ج) كثرة الطامعين في منصب نظام الملك والحانقين عليه لأسباب شخصية . وكان أكثر هؤلاء طمعاً وأعظمهم حنقاً تاج الملك الشيرازي صاحب ديوان الإنشاء . ومجد الملك القُميّ صاحب ديوان الاستيفاء ، وسديد الملك الشيرازي صاحب ديوان عرض الجيش . وقد استطاع أحدهم وهو تاج الملك أن يكسب صداقة زوجة السلطان وتأييدها بحيث جعلها تحدث السلطان بشأن تعيينه وزيراً مكان نظام الملك .

وكان هؤلاء الطامعون وأمثالهم يسعون بالوشايات لدى السلطان ويوغرون صدره على وزيره . وقد وجدت هذه الوشايات وتلك المساعي طريقها إلى قلب السلطان ، ودفعته إلى التفكير الجديّ في عزل الوزير . غير أنه تردد في تنفيذ ما أعتزمه لمعرفته مدى حب الشعب وقسم كبير من الجيش للوزير وأبنائه ، وتوقُّعِه أن تثور الفتن وتعمّ الاضطرابات وتختلّ الأوضاع في حالة عزله .

ولم يعد الوفاق ممكناً بين السلطان والوزير بعد أن دفعت الأحداث بهما إلى الصدام . ففي عام ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م تنازع والي مرو مع ولد من أولاد نظام الملك يدعى شمس الملك عثمان .. وشكاه للسلطان . فعاتب السلطان وزيره في خطاب ضمّنه عبارات قاسية .. حمله إليه عدوّاه : تاج الملك الشيرازي ومجد الملك القميّ . وقد جاء في خطاب السلطان :

« إذا كنت شريكي في الملك فهذا شيء آخر ، واذا كنت تابعا لي فعليك بتأديب ولدك ولزوم حدّك .. فإن لم تفعل فإن بمُكنتي أن أصدر أمري بعزلك » .

وكان رد نظام الملك أكثر قسوة وأشد عنفاً ، اذ قال في خطابه للسلطان :

« ألا تدري أني شريكك في الملك وأن ملكك مرتبط بوزارتي يزول

بزوالها ؟ ألا تدري أنني الذي جمعت الجيش – بعد موت السلطان الشهيد ألپ ارسلان – وفتحت الأقاليم وهيأت لك أسباب المُلك ؟ ..

لو ان وزارتي سقطت اسقط التاج من فوق رأسك » .

ورغم هذا الصدام الكبير والتحدّي السافر لم يستطع ملكشاه أن يقدم على عزل نظام الملك ، لذا لم يكن غريباً أن يرى الكثيرون أنه هو الذي حرّض على قتله في نفس العام الذي ثار فيه النزاع بينهما .

وقد قُتل نظام المُلك في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م – كما أسلفنا القول – إثر طعنة من خنجر أحد فدائيي الاسماعيلية ، وكان آنذاك برفقة السلطان في طريقهما إلى بغداد . وقد تم الاغتيال في مدينة (صحنة) على يد فدائي شاب كان يرتدي ملابس الدراويش ويتخفى في زيّهم .

ولا يعتبر مصرع نظام الملك أمراً جللا فحسب بل إنه يعد من أهم الحوادث في تاريخ السلاجقة . فقد كان يجمع بين قوة الشخصية ورجاحة العقل وصواب التدبير ، بحيث يعتبر عاملاً كبيراً من عوامل تدعيم بنيان الدولة السلجوقية .

كما يمكننا القول بأنه كان يجمع إلى جوار عظمته كوزير سياسي بارع .. مقدرة فائقة على ممارسة الكتابة والاشتغال بالعلم .. نظراً لثقافته الواسعة . وشاهدنا على ذلك كتابه « سياستنامه » الذي خلّفه وراءه .. فهو مؤلف على درجة كبيرة من الأهمية من النواحي الأدبية والاجتماعية والسياسية ، وقد ضمّنه الأسس التي يبني عليها الملك وتساس الرعية . كما أنشأ العديد من المدارس التي اشتهرت باسمه (المدارس النظامية) في بغداد و نيشابور .

وقد مات السلطان ملكشاه – مسموماً على الأرجح – [1] في الشهر التالي

---

(١) يمثل ابن الأثير الطائفة التي تقطع بأن ملكشاه قد مات مقتولا ، ويقول انه قتل بعد نظام الملك بثلاثة وثلاثين يوما ، بينما يمثّل البنداري الطائفة التي ترجّح أنه مات ميتة طبيعية ولم يقتل أنظر : الكامل حوادث سنة ٤٨٥ هـ ، تاريخ آل سلجوق ، مصر ، ص ٥٨ . =

لمصرع الوزير . وكانت وفاته في الخامس عشر من شهر شوال سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م ، أي بعد الوزير بخمسة وثلاثين يوماً فقط .. مما يجعل الشبهة تحوم حول النظامية .

ويمكننا أن نقول إن مصرعهما واختفاءهما من فوق المسرح السياسي يعدُّ من أهم الحوادث التاريخية في الدولة السلجوقية .. فهو حادث يفصل بين عهد التماسك والاتحاد وعهد الفرقة والتفكك . وبموت الوزير والسلطان زلزلت الدولة زلزالها ، واستعرت نار التنافس على العرش ، وتدخلت الجفوة بين السلاطين ، وقُطع ما بينهم من رحم ، وكثر حنثهم ونقضهم للعهود [1] .

ففي البداية .. تنازع بركيارق [2] بن ملكشاه – يؤيده النظامية – مع أخيه

= وإني أرجّح وفاته مقتولا . وأستند في حكمي هذا إلى بيت ورد في ديوان الأنوري – شاعر السلطان سنجر – الذي يقول فيه أثناء مدحه لملكشاه بن سنجر بن ملكشاه ... أحد عظماء عصره :

* إذا كان مأتم سنجر قد جدد ذكرى قتل ملكشاه وأحياه ...

فإنك عيد ذلك المأتم وفرحه ... أيها المعظّم ملكشاه .

والنص الفارسي :

ما تم سنجر اگر قتل ملكشه تازه كرد   اي ملكشاه معظم سور آن ماتم تويى

انظر : ديوان الانورى – طبع طهران ، ص ٣٢٧

ويعزز رأيي هذا ان الأنوري قد ولد عقب مصرع ملكشاه بسنوات قليلة . اذ كان مولده في عام ٤٩٢ هـ طبقا لما أثبته في بحثي للدكتوراه .

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول – طبع بيروت سنة ١٨٩٠ م ، ص ٢٤٣ .

(٢) هو الابن الأكبر لملكشاه . وقد كانت ولادته في اصفهان عام ٤٧٤ هـ وفق قول الراوندي في كتابه راحة الصدور . أما ابن الأثير في كتابه الكامل فيقول إن ولادته كانت في عام ٤٧١ هـ . وهذا في رأيي خطأ ... بدليل قول ابن الأثير أنه مات في عام ٤٩٨ هـ عن ٢٥ عاما .

أنظر : راحة الصدور ، ليدن ١٩٢١ ، ص ١٣٨ ، الكامل ج ١٠ ص ٢٦١ ،

الأصغر محمود الذي كانت تناصره أمه تركان خاتون أرملة ملكشاه المدللة وتاج الملك الشيرازي الذي وَزَرَ لملكشاه بعد مصرع نظام الملك .

واعترف الخليفة المقتدي بمحمود (٤ سنوات) سلطاناً على السلاجقة (١) ، وذلك في عام ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م ، ووزر له تاج الملك الشيرازي ، ووافق الأمراء والعظماء على سلطنته .

وكما أفلحت توركان خاتون في استمالة الخليفة وكسب موافقة الأمراء والعظماء على سلطنة ابنها .. أفلحت أيضاً في القبض على بركيارق وسجنه . غير أن أتباع نظام الملك وتلاميذ المدرسة النظامية في اصفهان تمكّنوا من تحريره وتنصيبه سلطاناً في اصفهان والمناداة به خليفة شرعياً لملكشاه (٢) ، وذلك نكاية في تركان خاتون وفي تاج الملك الشيرازي لموقفهما المعادي لنظام الملك في حياة ملكشاه . وهكذا وُجِد سلطانان في وقت واحد .. أحدهما في بغداد والآخر في اصفهان .

ولم ترض توركان خاتون بالوضع الجديد ؛ فتوجهت برفقة ابنها وبصحبتها تاج الملك على رأس جيش كبير إلى اصفهان واقتحمتها ، واضطرت بركيارق إلى الفرار ..

ولم ترض توركان بأنصاف الحلول بل تعقبته لتقضي عليه قضاء مبرماً .

---

(١) هذا ما يؤكده البنداري في كتابه ، أما الراوندي فيذكر أن الخليفة لم يوافق على الخطبة لصغر سنّه . بينما يذكر حمد الله مستوفي في القزويني أن الخليفة المقتدي لم يوافق أول الأمر ثم عاد فوافق وخطب باسمه .
أنظر : تاريخ آل سلجوق ، ص ٧٦ ، راحة الصدور ، الترجمة العربية ، طبع القاهرة ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م ، ص ٢١٥ ، تاريخ گزيده ، طهران سنة ١٣٣٩ ، ص ٤٤٠ .

(٢) تولى بركيارق وعمره لا يزيد عن ١٣ عاما ، حتى أنهم علّقوا التاج على العرش فوق رأسه لثقله ... إشفاقا عليه .
ابن هشام : سيرة ابن هشام ، طبع وستنفلد ، ص ٤٢ .

وقرب (بروجرد) نشبت معركة عنيفة بين جيش توركان خاتون وجيش بركيارق ، وكانت الغلبة للجيش الأخير بفضل مساعدة النظامية .. واضطرت توركان خاتون إلى الهرب ، واستقرت في اصفهان . وسعى بركيارق جاهداً في تكوين جيش كامل العدة كبير العدد . فلما تمّ له ما أراد هاجم اصفهان وفتحها ، وقضى على توركان خاتون . وتمكّن النظامية من قتل تاج الملك الشيرازي إثر فراره إلى بروجرد . وخلا الجو لبركيارق .. فجلس على عرش السلاجقة دون منازع . واعترافاً من بركيارق بجميل النظامية .. اتخذ له وزيراً من بينهم هو « عز الملك حسين » . وسار برفقة وزيره الجديد إلى بغداد في السابع عشر من ذي القعدة عام ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م وطالب الخليفة العباسي (المقتدي بالله) بالاعتراف به سلطاناً على السلاجقة ، فتم له ما أراد في ١٤ محرم سنة ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م . وشاء القدر أن يموت الخليفة المقتدي بالله في اليوم التالي على إعلان إعترافه هذا وأن يخلفه المستظهر بالله ، ولم تنشأ عن ذلك عقبة ما .. إذ اعترف الخليفة الجديد بدوره بسلطنة بركيارق .

ورغم انتصار بركيارق على خاله اسماعيل بن ياقوتي حاكم آذربيجان انتصاراً مؤزرا — وكان قد ثار عليه بتحريض من توركان خاتون ووعد منها بالزواج — إلا أنّ الأمور لم تستقر له استقراراً كلياً .. إذ كان لزاماً عليه أن يقضي على ثورة نشبت في بلاد الشام ، أثارها عمه تاج الدولة تتش والي دمشق ، وهو أحد اخوة ملكشاه كما ذكرنا .

وقد تمكن تتش من احتلال حلب إثر هجومه عليها في جمادى الأولى عام ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م ، كما تمكن من قتل عدد كبير من أتباع بركيارق . واتخذ له وزيراً من بين أفراد الأسرة النظامية ، هو فخر الملك أبو الفتح المظفر — الابن الأكبر لنظام الملك — ليضمن تأييد الناس له ورضاهم عنه . ولكي يقضي بركيارق على ثورة عمه توجّه إليه على رأس جيش كبير ، غير أن الهزيمة كانت من نصيبه ، واضطر معها إلى الفرار إلى اصفهان .

واتجه بركياق نفس اتجاه عمه تتش فقرّب إليه ابناً آخر من أبناء نظام الملك ، واتخذه وزيراً له . وكان مؤيد الله – وهذا اسمه – يضارع والده حنكة ودهاء ؛ فاستطاع أن يوجّه دفّة الأمور الوجهة الصحيحة .. وأمكنه في عام ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م أن يقضي على ثورة تتش وأن يقتله قرب مدينة الري في معركة طاحنة [١] . كما تمكّن من أسر أخيه فخر الملك بن نظام الملك ، وكان هذا بدأ النزاع والصراع بين أفراد الأسرة النظامية وبعضهم حول الوزارة .

وبوفاة محمود ، ومصرع تتش انتهى النزاع حول العرش إلى حين . إلاّ أن الفتن لم تنته والثورات لم تهدأ ، فقد خرج على السلطان عمه « ارسلان ارغون » .

وفي عام ٤٩٠ هـ = ١٠٩٧ م ، أصدر بركيارق أمره بتولية « سنجر » [٢] حاكماً على خراسان بلقب (الملك ناصر الدين) ، وأوفد معه الأمير قماج ليتعاونا معاً في القضاء على فتنة أرسلان . ثم تبعهما في جيش جرار ليعجل بإهلاك المتمرد . غير أن القدر كفاه مؤونة الحرب ، إذ قُتل عمه أرسلان على يد أحد الغلمان قبل وصول جيش السلطان . وأقام السلطان مدة في بلخ قبل أن يرجع إلى عاصمة ملكه .

وإذا كان النزاع حول العرش قد نخر في عظام الأسرة السلجوقية ، وأوهن كثيراً من عزمها ، وصرف قادتها عن الفتوحات الخارجية بالصورة التي كانت عليها سابقاً .. فإن النزاع حول الوزارة قد أوجد هو الآخر تفككاً في الرابطة القوية التي كانت تربط بين أفراد هذه الأسرة ، وأوجد بالتالي

---

(١) كان ذلك في موقعة دارت بين تتش وبركيارق في السابع عشر من صفر سنة ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م عند قرية داشلو قرب الري .
أنظر : تاريخ آل سلجوق ، طبع مصر ، ص ٧٩ . زبدة النصرة ونخبة العصرة (لعماد الدين الكاتب الاصفهاني ، اختصار أبي الفتح البنداري) ، ليدن ١٨٨٩ م ، ص ٨٥ .

(٢) كان سنجر أخا غير شقيق لبركيارق .

شكاً في كفاءة أفرادها وإمكان الاعتماد عليهم . ولم يعد هناك هدف مشترك يجتمع عليه أفراد البيت المالك السلجوقي وأفراد الأسرة النظامية كما كان الحال في عهد نظام الملك وزير السلطانين : ألب أرسلان وملكشاه .

وقد أدى وقوع فخر الملك في أسر أخيه مؤيد الملك إلى تفكير أولهما في الكيد لأخيه . وكانت وسيلته إلى ذلك الاتصال بعدوي أخيه اللدودين ، ونعني بهما (مجد الملك القمّي) صاحب ديوان الاستيفاء ، (وزبيدة خاتون) أم بركيارق . وقد تمكن بالذكاء والحيلة من الدس لأخيه لدى السلطان .. رغم وجوده هو في السجن . وأفلح في تحقيق مسعاه فقد عزل السلطانُ مؤيدَ الملك من الوزارة ، وأفرج عنه وعيَّنه وزيراً .. وإن أصبح تصريف شئون الوزارة في الواقع في يد مجد الملك دونه . لأن زبيدة خاتون كانت تسانده وتعضّده . ولم يكن غريباً والحال هذه أن يعزل بركيارق فخرَ الملك ليتخذ من مجد الملك القمي وزيراً له .. مما جعل فخر الملك ينزوي في خراسان بين حنق الأسرة النظامية على السلطان وسخطهم عليه [1] .

وثار الأمير (أنر) بدوره على بركيارق ، غير أن الاسماعيلية قتلوه غيلة في اصفهان وكفوه شره .

ثم عاد النزاع حول العرش يطلُّ برأسه من جديد إثر اتصال مؤيد الملك ابن نظام الملك « بمحمد بن ملكشاه » [2] — أخي بركيارق غير الشقيق — بعد أن عزله بركيارق من الوزارة على نحو ما ذكرنا . وقد أفلح مؤيد الملك في إقناع محمد باتخاذه وزيراً له في ولايته (آذربيجان) ، كما أفلح في إغرائه بالاستيلاء على العرش وانتزاعه من يد أخيه .

---

(١) قرّب سنجر فخر الملك إليه بعد مدة ، واتخذه وزيرا له ، إلى أن كانت سنة ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م ، حين قُتل على يد الاسماعيلية .

(٢) كان محمد أخا شقيقا لسنجر .

وتوجه محمد إلى الري وبرفقته مؤيد الملك حيث قبض على زبيدة خاتون – أم بركيارق – وقتلها خنقاً [١] ، بينما فرّ بركيارق إلى اصفهان ومنها إلى خراسان فخوزستان .

وقد تسببت عدة عوامل في هزيمة بركيارق على هذا النحو . فهو رغم استعداده بجيش كبير لمواجهة أخيه محمد واتخاذه من زنجان معسكراً ، قد فوجىء بثورة الجند في وجهه ومطالبتهم إياه بقتل وزيره مجد الملك القمي . ولما تقاعس في تنفيذ مطلبهم هجموا على خيمة الوزير ومزّقوا جسده شر ممزق ، وقطعوا رأسه وحملوها إلى معسكر محمد ، فاضطر بركيارق إلى الفرار على النحو الذي ذكرناه .

وأعلن محمد نفسه سلطاناً في همدان . واعترف به الخليفة العباسي في عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م ، فأصبح على عرش السلاجقة سلطانان في وقت واحد .

وتحارب الأخوان خمس مرّات [٢] بعنف وضراوة ، وكان سنجر يظاهر أخاه الشقيق محمداً [٣] . وتصالح الأخوان بعد المعركة الثالثة على أن يكون بركيارق هو السلطان ومحمد الملك ، ويضرب له ثلاث نوب ، ويكون له

نوبات

(١) ابن الأثير : الكامل ، ص ١٠٠ .

(٢) يذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩٣ هـ أن بركيارق هزم في أول معركة ، ويذكر الراوندي أن بركيارق انتصر في أربع معارك وهزم في الخامسة (ولعل الراوندي لا يقصد الترتيب) .
هذا وقد دارت المعارك في السنوات ٤٩٣ هـ = ١١٠٠ م ، ٤٩٤ هـ = ١١٠١ م ، ٤٩٥ هـ = ١١٠٢ م ، ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م . وقد تصالح الأخوان بعد المعركة الثالثة ، غير أنهما عادا فاستأنفا الحرب في نفس العام .
أنظر : الكامل ، حوادث سنة ٤٩٣ هـ ، الترجمة العربية لراحة الصدور ، ص٢٢٨ .

(٣) للاطلاع على الوقائع والحوادث المتعلقة بسنجر .. ارجع الى : الكامل حوادث ٤٨٩ هـ ، ٤٩٠ هـ ، ٤٩٣ هـ ، ٤٩٤ هـ .

(جنزة) وأعمالها و (آذربيجان) و (ديار بكر) و (الجزيرة) و (الموصل) ، وأن يمد السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها .

وحلف كل منهما لصاحبه ، غير أنهما خلفا الوعود ، ووقعت المعركة الرابعة في نفس السنة التي وقعت فيها المعركة الثالثة . وهكذا انعدم الاستقرار ، وسهل على الحكّام خُلف الوعد وسفك الدماء . ووقعت الحرب الخامسة في نفس العام أيضاً . ثم تصالحا ثانية في عام ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م على ألا يعترض بركيارق أخاه محمداً في الطبل ، وألا يُذكر معه على سائر البلاد التي صارت له ، وألاّ يكتب أحدهما للآخر بل تكون المكاتبة عن طريق الوزيرين ، ولا يعارَض أحدٌ من العسكر في قصد أيهما شاء . وأن يكون لمحمد من النهر المعروف بسپيد روز إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ، ويكون له من العراق بلاد سيف الدولة صدقة . وتسلم بركيارق إصبهان ، وتبادلا الهدايا .

وبذلك تم الصلح بين بركيارق ومحمد بصورة نهائية في عام ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م ، واتفقا على أن تكون الأقاليم الشمالية (آذربيجان ، بلاد الأرمن ، بلاد الروم ، الموصل ، الشام) من نصيب محمد ، وأن تكون الأقاليم الجنوبية (بلاد الجيل ، العراق العربي) من نصيب بركيارق .

غير أن بركيارق لم ينعم بالصلح طويلاً فقد توفي في العام التالي (٤٩٨ هـ = ١١٠٤ م) [1] .. وقد تجزّأت الدولة فباتت أجزاؤها الشرقية لسنجر والشمالية لمحمد ، والشام لأبناء تتش ، وآسيا الصغرى لأبناء سليمان بن قتلمش ، وكرمان وتوابعها لسلاجقة كرمان من نسل قاورد . وكل حاكم يسيطر سيطرة تامة مطلقة على إقليمه .

---

(١) الكامل ، حوادث ٤٩٨ ، ص ١٣٢ .

وكان بركيارق قد أوصى قبل وفاته بتنصيب ابنه الصغير « ملكشاه الثاني » على عرش السلاجقة . وكان ملكشاه هذا ما زال طفلا لم يبلغ الخامسة من عمره بعد حين مات أبوه ، فحمله الأتابك (اياز) الوصي عليه إلى بغداد ، وحصل من الخليفة العباسي على اعتراف بسلطنته . فسارع محمد بالتوجه إلى بغداد ، واستمال إياز إلى جانبه ، واتخذه وزيراً له ؛ فسلّم إليه عرش السلطنة دون نزاع . ولم يعد هناك من ينافسه عليه . وكان « ملكشاه الثاني » قد جلس على العرش بضعة أشهر فخلع عنه وسُملت عيناه كما كانوا يفعلون عادة في هذا الوقت بكل من يريدون إقصاءه عن العرش [١] .

وهكذا تولى « محمد بن ملكشاه [٢] » العرش سنة ٤٩٨ هـ = ١١٠٤ م [٣] ، وصار الحاكم بلا منازع. ويؤثر عنه أنه- إلى جانب إخماده للعديد من الفتن – قد قام بكفاح مرير ضد الملاحدة بغية قمعهم . وحاول جاهداً أن يقتلع شراك الكفر والبدعة [٤] . وكان الإسماعيلية قد وسّعوا نطاق نشاطهم بصورة مرعبة شملت الأشخاص والجهات ، مغتنمين فرصة الانقسام بين

---

(١) براون : تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي إلى السعدي (الترجمة العربية) ، ص ٣٧٧ .

(٢) ولد محمد بن ملكشاه في شعبان سنة أربع وسبعين وأربعمائة – وفق ما ذكره الراوندي – وامتد ملكه ثلاث عشرة سنة ، وبلغ عمره سبعا وثلاثين سنة . أما المؤرخ ابن الأثير فيدقق بصورة أكبر ويقول : ... ومات وعمره سبعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام .
أنظر : راحة الصدور – الترجمة العربية – ص ٢٣٤ ، الكامل ، ص ١٨٥ .

(٣) أول ما دعى له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م ، وقطعت خطبته عدة مرّات ، ولقي من المشاق والأخطار ما لا حدّ له . فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة
(ابن الأثير : الكامل ، ص ١٨٥) .

(٤) سوف أفصِّل دوره في هذا المضمار أثناء حديثي عن الاسماعيلية .

السلاجقة .. فقتلوا الكثير من السنّة ، واستولوا على عدد من القلاع الحصينة من أهمها قلعة (شاهدژ) الواقعة قرب اصفهان .

وخوفاً من سوء العاقبة واستفحال الخطر .. حاصر محمد القلعة عام ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م ، وظل يضيّق عليها الحصار إلى أن سلّم قائدها « احمد بن عبد الملك عطّاش » فقتله في عام ٥٠١ هـ — ١١٠٧ م وأصدر أمراً بقتل أبنائه . ولم يتوان عن قتل وزيره (سعد الدولة) بتهمة الاتصال بالاسماعيلية . ولكي يكسب رضاء الناس .. اختار له وزيراً من بين أبناء نظام الملك اسمه « أحمد » ، ويلقب بنظام الملك الثاني . وقد اعتبر محمد جهاده ضد الاسماعيلية ووقوفه في سبيلهم وصده خطرهم جهاداً في سبيل الله . ويؤثر عنه أنه اتبع طريق الاحسان والعدل في حكمه .. مما اكسبه حب الناس عامة والسنة خاصة . كما يؤثر عنه أنّه حاول صدّ الصليبيين وطردهم من سواحل الشام ، وذلك في عام ٥٠٩ هـ = ١١١٥ م ، إلا أنه أخفق في مسعاه نتيجة الانقسام الذي كان قد دبّ بين قواد جيشه ، مما زاد من نفوذ الصليبيين في الديار الإسلامية .

ولما أدركت الوفاة محمداً في عام ٥١١ هـ = ١١١٧ م تجدّد النزاع على العرش بين أفراد البيت السلجوقي . ويعتبر محمد السبب المباشر لذلك النزاع . إذ أوصى قبل وفاته بأن يخلفه ابنه محمود (البالغ من العمر ١٤ عاماً) على العرش . فلما تم ذلك الأمر لمحمود ، واعترف الخليفة العباسي بسلطنته وأمر أن تقرأ الخطبة في بغداد باسمه .. عارض سنجر [١] حاكم خراسان وما وراء النهر . إذ كان يعتبر نفسه الوارث الشرعي للسلطنة بعد موت أخيه الشقيق

---

(١) يذكر منهاج السراج — ويؤيدة يحيى القزويني صاحب لب التواريخ وابن الأثير والراوندي — أن سنجر ولد في سنجار بآسيا الصغرى سنة ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م ، بينما يؤكد البنداري أنه ولد في سنة ٤٧٢ هـ = ١٠٧٩ م .
أنظر : طبقات ناصري . الطبعة الثانية ١٣٤٢ هـ . ص ٢٥٧ .

محمد ، وأعلن نفسه سلطاناً للسلاجقة . فبات هناك سلطانان في وقت واحد ، ووجد قسمان متمايزان :

(١) سلاجقة الشرق أو سلاجقة خراسان ، وسلطانهم سنجر بن ملكشاه .

(٢) سلاجقة الغرب أو سلاجقة العراق ، وسلطانهم محمود بن محمد ابن ملكشاه .

وتحارب المعسكران في عام ٥١٣ هـ = ١١١٩ م ، وكان النصر لسنجر . وقد تمت الموقعة بالقرب من ساوه ، وركن محمود إلى الفرار لاجئاً إلى اصفهان . ودخل سنجر همدان ، فلم يلبث الخليفة أن اعترف به سلطاناً على السلاجقة ووضع اسمه مكان اسم محمود في الخطبة ، وذلك في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥١٣ هـ = الرابع من سبتمبر سنة ١١١٩ م . وكان يحكم قبل ذلك في خراسان مدة السنوات الأربع والعشرين السابقة على هذا التاريخ [١]. وهكذا اختص بلقب السلطنة ، ولقب بمعز الدين بدلاً من ناصر الدين . وقطعت الخطبة لمحمود وسار مدحوراً إلى اصبهان . ثم قبل سنجر شفاعة أم محمود ووعده بولاية العهد ، وأنابه عنه في العراق [٢] ، ومنحه كل ما كان قد تركه من رسوم السلطنة وشعائرها ، وأنعم عليه كثيراً . وكتب إلى سائر

---

(١) نصب بركيارق أخاه سنجر على خراسان سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٧ م . ووطد هذا نفوذه قبل توليته السلطنة ، ففتح ترمذ وطخارستان في عام ٤٩١ هـ = ١٠٩٨م ، وبسط نفوذه على ما وراء النهر في عام ٤٩٥ هـ = ١١٠١ م ، وعين عليها والياً من قبله ، كما أنه فتح غزنة بعد أن هزم أرسلانشاه الغزنوي في عام ٥١١ هـ = ١١١٧ م .
أنظر : براون : تاريخ الادب – الترجمة العربية – ص ٣٧٦ ، الكامل : حوادث ٤٩١ ، ٤٩٥ هـ

(٢) يذكر دولتشاه هذه الحوادث بالتفصيل ، ويعمد إلى المبالغة ، ويخطىء في تاريخ الواقعة التي كانت بين سنجر ومحمود .
أنظر : تذكرة الشعراء ، ص ١٣٠ .

الولايات بذلك ، وأعلم الخليفة . وأعاد لمحمود كل ما كان تحت يده من بلاد وأقاليم .. فيما عدا الري ليراقبه منها . وزوجه ابنته (ماه ملك خاتون) .

وظل محمود يحكم العراق مدة ١٤ سنة حاملاً لقب سلطان [١] .

ووكل سنجر إلى عماله جمع الضرائب من كل مدن العراق وأمهات البلاد ، وصار منذ ذلك الوقت (السلطان الأعظم) .. سلطان كل الممالك السلجوقية . وبسط نفوذه بمرور الوقت في سائر الأنحاء . حتى ليقال إن خطبته قد وصلت من حدود كاشغر إلى أقصى بلاد اليمن ومكة والطائف ومكران وعمان وآذربيجان .. وانتهت عند حدود بلاد الروم . وظل يخطب له في الأطراف حتى بعد وفاته بأكثر من عام [٢] .

وهكذا خرج علينا هذا الوضع بمن يطلق عليهم في التاريخ اسم « سلاجقة خراسان » ويمثلهم سنجر — كما ذكرنا — وقد سموا بذلك تمييزاً لهم عن سلاجقة العراق . كما سموا « بالسلاجقة العظام » لأن سلاجقة العراق كانوا يعترفون لسنجر بالزعامة ، ولأن الخليفة كان بدوره يعترف له بها .

ويعتبر سنجر آخر السلاجقة العظام نظراً لأنه استطاع أن يعيد إلى الدولة السلجوقية هيبتها ووحدتها ، وأن يجعل كل أجزائها خاضعة لإمرة سلطان واحد ، فأعاد بذلك عصر السلاجقة العظام .. أمثال طغرل وألب أرسلان وملكشاه . بل إن نفوذه قد شمل كثيراً من البقاع بصورة رائعة لم تتيسر لسواه من حكام هذه الدولة قط .

وقد صار إقليم خراسان في عهد سنجر مقصد الناس جميعا ومركز العلم والأدب . وكان هو شخصيا يحترم علماء الدين احتراما كبيرا ويتقرب إليهم ، ويميل إلى الزهاد والأبدال ويختلي بهم ، ويجمع حوله الشعراء ويغدق عليهم ..

---

(١) استمر ذلك الوضع ساريا بالنسبة لخلفاء محمود .

(٢) راحة الصدور — الترجمة العربية — ص ٢٦٠ .

ومن بينهم الشاعرين الفارسيين المشهورين : المعزي والأنوري .

وفي عام ٥٢٤ هـ قامت ثورة في إقليم ما وراء النهر ، فأخمدها سنجر وقضى على قائدها أرسلان خان ، وعيّن واليا من قبله على هذا الإقليم وتوابعه.

ولمّا دانت الدنيا لسنجر طغى أمراء دولته وحشمه وبغوا وظلموا وتطاولوا على الرعايا [١] ، وعاثوا في إقليم ما وراء النهر فسادا ، وخرج بعضهم عليه . وبدأت الأحداث المؤلمة تعكّر صفو أيامه الأخيرة [٢]

ففي عام ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م اضطر إلى السير إلى خوارزم على رأس جيش جرار ليحارب خوارزم مشاه أتسز بن محمد لأنه امتنع عليه وعصاه وترك خدمته [٣] . واقتتلا .. فانهزم الخوارزمية ، وقُتِل ابن خوارزم مشاه أتسز [٤] .

وملك سنجر خوارزم ، وأقطعها لغياث الدين سليمان (ابن أخيه محمد) ، وكرّ عائدا إلى مرو . فتعاون الخوارزميون مع خوارزم مشاه اتسز وأعادوه إلى عرشه ، وطردوا (سليمان) بسبب كراهيتهم لعسكر سنجر [٥] . ولجأ أتسز إلى استعطاف سنجر حتّى عفا عنه .. بعد أن تعهد له بالولاء والطاعة ، وهكذا استطاع البقاء في الحكم والاحتفاظ بدولته في خوارزم . .

وتراسل خوارزم مشاه الموتور مع (گورخان) زعيم (الخطا) فيما وراء

---

(١) العماد الأصفهاني : زبدة النصرة ونخبة العصرة ، ليدن ١٨٨٦ م . ص ٢٧٦ .
(٢) يذكر أصحاب كتب التاريخ أن سنجر خاض ١٩ معركة — منذ تولى ملك خراسان من قبل أخيه بركيارق إلى أن انقضت أربعون سنة من حكمه — لم يصبه فيها وهن ولم تحلّ به هزيمة إلا في معركتين اثنتين . وكانت هزيمته الأولى على يد الخطا والثانية على يد الغز .
(٣) الكامل ، حوادث سنة ٥٣٣ هـ .
(٤) أنظر : خواندمير : حبيب السير ، ج ٢ ص ٦٣١ . ويرد في هذا المرجع أن سنجر قد قطع ابن اتسز من وسطه إلى نصفين .
(٥) الكامل ، ج ١١ ص ٢٦ .

النهر ، وأغراه بالهجوم على مملكة سنجر . فسار اليها گورخان على رأس جيش قوامه ثلاثمائة الف فارس ، وذلك في عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م [١] .

وتوجه سنجر لملاقاة الخطا ، وتقابل واياهم في (قطوان) من أعمال سمرقند ، ودارت بين الطرفين رحى معركة طاحنة ألقى كل منهما فيهابثقله ، وذلك في واد يدعى وادي (ديرغم) في الخامس من شهر صفر سنة ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م . وكانت الهزيمة من نصيب المسلمين ، وولى سنجر الأدبار ، فلجأ إلى ترمذ ومنها إلى بلخ .

وكانت نتائج معركة قطوان مريرة .. فقد أُسر صاحب سجستان والأمير قماج ، كما وقعت في الأسر (تركان خاتون) زوجة السلطان سنجر [٢] . وقُتل الآلاف من جنوده ورعيته ، وفقد في معركة واحدة اثني عشر الفاً كلهم أصحاب عمامات [٣] .

---

(١) بدأ الصراع بين سنجر والقره خطائيين قبل هذا التاريخ كما يرد في بعض المصادر . ويقال إن سنجر هو الذي هاجمهم في عام ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م ، وأنهم لم يحاربوه إلا بعد أن يئسوا من عفوه عنهم ... بسبب إغارتهم على بعض المناطق التابعة له وازعاجهم لرعيته .
أنظر في ذلك : راحة الصدور ، ليدن ، ص ١٧٢ . حبيب السير ج ٢ ص ٥٠٩ ، تاريخ آل سلجوق . ص ٢٥٣ ، ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات درايران ج ٢ ص ٩٠ ، ٩١ . الكامل ج ١١ ص ٣٣ .
ولير : ايران ماضيها وحاضرها — ترجمة عبد النعيم حسنين العربية ، ص ٦١ .

(٢) يذكر بعض المؤرخين أن زوجة سنجر قد افتديت بخمسمائة دينار ، وأن الأسرى فرّوا بعد مدة ولحقوا بسنجر .
أنظر : حمد الله مستوفي القزويني : تاريخ گزيده — طبع طهران ، ص ٤٤٩ نقلاً عن تاريخ عماد الكاتب .

(٣) الكامل ، ج ١١ ص ٣١ .

واستقرت دولة الخطا والترك والكفار بما وراء النهر (١) . واستولى گورخان زعيم الخطا على مرو وسرخس ونيسابور وبيهق (٢) .

وتعدُّ هذه أول هزيمة مني بها سنجر . وكان من جريرتها أن ظهرت قوة جديدة تنافس السلاجقة وتوسع نفوذها ورقعتها على حسابهم . وقد استطاعت هذه القوة بالفعل أن تضطر ملوك المسلمين أمثال الخانيين في كاشغر وبلاساغون وختن وطراز وغيرها إلى دفع الجزية لها وهم صاغرون . بل إن هذه الهزيمة لتعتبر حداً فاصلاً بين عهدين من حكم سنجر : عهد القوة والبطش والانتصارات المتوالية ، وعهد الضعف والانهيار ومواجهة الهزائم .

وانفعل الشعراء وهزّهم الحدث فبادروا إلى نظم أشعار لا تخلو من لمحة تاريخية. فهذا أحدهم (٣) يؤكد أن هذه أول هزيمة مني بها سنجر ، حين يخاطبه مواسيا :

— ايها الملك ، إن الدنيا قد استقامت بفضل سنانك ..
وانتقم سيفك من اعدائك طوال ٤٠ سنة .
— فإن تكن عين السوء قد أصابتك فذلك فعل القضاء ..
والله وحده الباقي على حالة واحدة (٤) .

---

(١) بقي ما وراء النهر في يد الخطا إلى أن أخذه منهم علاء الدين محمد خوارزمشاه عنوة في عام ٦٠٩ هـ = ١٢٠٢ م ، وقيل إنهم أبعدوا عنه في عام ٦١٢ هـ = ١٢٠٥ م ، وقيل في عام ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م .
أنظر : ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٤ هـ ، سلاجقة ايران والعراق ص ١١٨ ، تاريخ آل سلجوق ، طبع مصر سنة ١٩٠٠ م .

(٢) براون : تاريخ الأدب في إيران ج ٢ (الترجمة العربية) ، ص ٣٧٩ .

(٣) نعني به الشاعر فريد الدين الكاتب وهو من شعراء القرن السادس وتلميذ من تلامذة الأنوري شاعر سنجر .

(٤) الأصل الفارسي :

شاها زسنان توجهان شده راست　　تيغ تو چهل سال زأعدا كين خواست
گرچشم بدى رسيد آنهم زقضاست　　آنكس كه بيك حال بماندست خداست =

وتختلف المصادر حول نهاية الصراع بين سنجر والخطا ، فيرى البعض [1] أن السلطان غلب على أمره واضطر إلى دفع مبلغ ٥٠٠ دينار ليفتدي زوجته ، وأصبح يتجنب الصدام بهم . بينما يرى البعض [2] أنه صالحهم وأعطاهم مراعي التركستان وبلاساغون ، وأنهم بدورهم أعادوا له زوجته .

غير أن إشارة أوردها الأنوري [3] في ديوانه تثبت ثبوتاً قاطعاً أن سنجر قد هزم الخطا بعد فترة ، واستردّ من أيديهم ما أخذوه عنوة .

يقول الأنوري في إشارته هذه مخاطباً مولاه سنجر :

— الآن غدت قوائم الملك ثابتة وقواعده راسخة .. لأن ركابك قد استقر .

— لقد رأيت أياماً اضطرب فيها أمر الملك على يد الخطا ..

— ثم خجلت (الأيام) فاعتذرت واحتضنت عرشك .

— ولم تُلق ظلك يا مولاي على أعمال العدو ولم تعرها التفاتاً ، رغم تجاوزه المدى.

— فقد تركته همتك — برضاها — لعدة أيام .. ينفرد بعمل ما يشاء ، دون إضرار به.

— وتركت له جانباً من جوانب العالم ، فاستولى على قسم تابع لعرشك يامولاي .

= انظر : يحي القزويني : لب التواريخ ، طهران ، بهمن ماه سنة ١٣١٤ ، ص ١٠٩ ، الراوندي : راحة السرور ، ليدن ، ص ١٧٣ .

(١) حمد الله مستوفي القزويني : تاريخ گزيده ، طبع طهران ، ص ٤٤٩ .

(٢) طبقات ناصري ، ص ٢٦٢ .

(٣) شاعر سنجر ، ولد في عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م ، وتوفي في عام ٥٦٥ هـ = ١١٦٩ م . وكان يلازم « سنجر » في أهم مواقعه الحربية ... وكان شاعره في تلك الفترة مما يجعل لإشارته أهميتها .
وقد كتبت بحثا عن الأنوري عنوانه : الأنوري : عصره وبيئته وشعره ، نلت به درجة الدكتوراة في عام ١٩٧١ م ، ولم يطبع هذا البحث حتى الآن .

– حتى وضع النجمُ الشوكَ في قدميه ، وأمسك الثعبان فترة بيديه .

– وفي يوم الهيجاء ، اتخذت المعركة من موكبك اللعلي صورة رياض اللعل .

– واتخذ القتال – بفضل هجمات جيشك – صورة قهر الخالق .

– فلئن كان خصمك قد اغترّ بنشوة المُلك .. حين امتلأت رأسه بنشوة الخمر ..

– فصوّر له الأمل أنه تعلق بأذيال الملك ، وكسب لملكه الخلود والاستقرار ..

– فإنه قد ترك المُلك ونام عنه غافلا .. فاستولى عليه ملك يقظ مثلك [1] .

وأغرت الهزيمة أتسز بمناوءة مولاه سنجر والتمرُّد عليه ، وضمّ أجزاء إلى ما تحت يده ، وتأليب الأقطار الإسلامية عليه بعد خضوع وطاعة .

فما عتّم أن دخل مرو وقتل بها ونهب ، وجلس على عرش سنجر ..

---

(١) النص الفارسي للأبيات :

پاي ملك استوار اكنون گشت — كه ركاب تو استوار گرفت
روز چند ، از سرخطا بيني — ملك ازين خطه گر كنار گرفت
خجل اينك بعذر باز آمد — سر تخت تو در كنار گرفت
سايه بركار خصم نفگندي — كرچه زاندازه بيش كار گرفت
همتت بي ضرورتي دو سه روز — انفرادي باختيار گرفت
گوشه اي از جهان بدو بگذاشت — گوشه تخت شهريار گرفت
تابپايش ستاره خار سپرد — يا بد ستش زمانه مار گرفت
روز هيجا ، كه ازطرادۀ لعل — معركت شكل لاله زار گرفت
كار زار هزاهز سپهت — صورت قهر كردگار گرفت
خصم اگر غره شد بمستي ملك — چون دماغش زمي بخار گرفت
پاي در دامن أمل بنداشت — دامن ملك پايدار گرفت
ملك در خواب غفلتش بگذاشت — ملكي چون تو هوشيار گرفت

ديوان الأنورى ، طبع طهران ١٣٣٧ هـ ، ص ٦٤ ، ٦٥

وارتكب الفظاعات في خراسان وسرخس ونيسابور وبيهق ، وقتل العلماء ، ونهب أموال أصحاب السلطات والأغنياء ، وقطع الخطبة لسنجر وجعلها لنفسه [1] .

غير أن الأهالي ثاروا وأبدوا استياءهم ، فأعيدت الخطبة لسنجر عام ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م . وفي عام ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م سار سنجر إلى خوارزم للانتقام من أتسز ، وحاصرها ، واستطاع أن يجبره على طاعته وأن ينظّم أمر المملكة من جديد [2] . وهمَّ أن يبطش بذلك الثائر المتمرد لولا أن لجأ إلى الاعتذار والاستعطاف وتعهد بالطاعة والولاء ، فعفا عنه وصالحه وترك له خوارزم وقفل عائداً إلى مرو .

وهدأت الأحوال بينهما بضع سنين . وفي عام ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م تجدد النزاع وثارت ثائرة سنجر ، فقد عاد أتسز إلى العصيان ثانية . ورأى سنجر أن القتال هو الحل الوحيد لإخماد ثورته .. فتوّجه إلى قلعة (هزار اسب) وكان قد تحصَّن بها ، وحاصرها بإحكام وإصرار حتى تمكن من فتحها . فعمد أتسز إلى الاستعطاف ثانية .. ومن عجب أن (سنجر) قد قبل اعتذاره في هذه المرة أيضاً وتركه ولم يحاربه بعد ذلك ، بل وأقرَّه على خوارزم ، فرسخت أقدام دولته . وشقت طريق القوة والمنعة .

وتقدم العمر بسنجر وذاق طعم الهزيمة على يد القره خطائيين ، وقاسى الأمرَّين في إخضاع الخوارزميين .. ومع ذلك لم يهادنه الزمن ، فجاء الدور لكي يصطرع مع الغوريين . ففي سنة ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م حاصر ملك الغور « علاء الدين حسين الغوري » هراة ونهب عسكره ناب وأوبة ومارباد من هراة الرود ؛ ثم سار إلى بلخ وحاصرها وملكها ؛ فسار سنجر لمنعه فثبت له في

(١) الكامل ، جـ ١١ ص ٣٣ ، ٣٤ ، تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، راحة الصدور (ترجمة عربية) ، ص ٢٦٤ .
(٢) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ١٤

عناد وصلف .. فقاتله سنجر وتمكّن من أسره وقتل عدد كبير من أتباعه. غير أن إعجابه بشجاعته ولطفه وحلاوة حديثه جعله يلقّبه بأخيه ويطلق سراحه ، ويعيده لبلاده محملاً بالهدايا والودائع [1] .

وحفلت السنوات الأخيرة من حياة سنجر بأقسى ألوان الذل والمرارة . فقد تقاتل مع طائفة من التركمان تدعى الغز كانت قد تطاولت على ملكه وقتلت بعض رعاياه .

وحاول أفراد هذه الطائفة المسلمة السنية استرضاءه واستعطافه دون طائل ، فقد أبى إلا أن يحاربهم ، فقاتلوه في بسالة ، وهزموا جيشه هزيمة نكراء ، وأمعنوا في القتل والسلب . وبلغ بهم الأمر حد أسر سنجر وزوجته وبعض أمرائه .

وقام الغز بقتل الأمراء ، وأبقوا على سنجر وزوجته في أسرهم ، وعمدوا إلى تخريب البلاد بصورة شنيعة .. حتى أنهم لم يتركوا بقعة نزلوها دون تخريب [2] . وعذّبوا الأهالي وقتلوا الكثير من العلماء والأئمة والقضاة والأعيان ، وعذّبوا الأسرى ليدلّوهم على مكان الدفائن ، وقتلوا من رفض الكلام منهم . وكانت تخريباتهم من الشدّة بحيث لم يعد أحدٌ يعرف حيّه الذي كان يقيم فيه .

وبينما كان سنجر في أسر الغز ، أحضر أمراء نيسابور « سليمانشاه » ابن السلطان محمود السلجوقي ، وهو ابن أخي السلطان سنجر الذي كان يعيش مع عمّه في خراسان ، ونصبوه سلطاناً وخطبوا له .

وحدث أن توفي وزير سنجر المدعو طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك في عام ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م فوزر لسليمانشاه وزير جديد هو نظام الملك أبو علي

---

(١) طبقات ناصري ، ص ٣٤٨

(٢) أنظر : الكامل ، حوادث سنة ٥٤٨ هـ ، راحة الصدور ، ليدن ، ص ١٧٧ — ١٨١ ، تاريخ گزيده ، ص ٤٥١ ، حبيب السير ، ج ٢ ص ٥١١ .

الحسن بن طاهر، وهو ابن الوزير السابق . وكان سليمانشاه سيء السيرة والتدبير ولذا انحلّ أمر الدولة تماماً ، مما اضطره إلى ترك خراسان عام ٥٤٩ هـ = ١١٥٤م إلى جرجان بعد أن مني بهزيمة من جانب الغور حين فكّر في مهاجمتهم . ثم انتهى به الأمر إلى أن صار حبيس قلعة الموصل على يد صاحب الموصل « قطب الدين مودود »[١] .

وهنا استدعى الامراء محمود بن محمد بن بغراخان (ابن اخت سنجر) من سمرقند ، ونصبوه سلطاناً عليهم وخطبوا له في خراسان في نفس العام .. وقاتلوا الغز بقيادته فلم ينالوا نصراً .

وهنا ظهرت على مسرح الحوادث شخصية جديدة هي شخصية مملوك سنجر المدعو « شهاب الدين المؤيد » والذي اشتهر في التاريخ بلقب « اي آبه » . وقد استطاع هذا المملوك أن يجمع حوله الكثير من الجند والأمراء ، وأن ينتزع بعض الأماكن من يد الغور ويقتل العديد منهم .

وهكذا أقرّ المؤيد الأمور لنفسه وسيطر على أتباعه ، واتّبع سياسة عادلة فحظي بحب الناس . وتراسل « محمود بن محمد بن بغراخان » مع الغز وصالحهم في عام ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م ، واتفق معهم على هدنة .

وانتهز أحد غلمان سنجر ومملوكيه - ويدعى « ايتاخ » - الفرصة بدوره فاستولى على الري ، وقويت شوكته وعظم خطره إلى حدٍ جعل السلطان محمد شاه بن محمود صاحب همدان واصفهان يسعى في كسب رضاه . فلما مات السلطان محمد .. استولى ايتاخ على عدة بلاد تجاور الري ، وازداد شأنه علوا وجنده كثرة[٢] .

في عام ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م حاول الإسماعيلية المتمركزون في قهستان

---

(١) الكامل ، حوادث ٥٥١ هـ .

(٢) تاريخ ادبيات در ايران ج ٢ ص ١٦ .

الاستفادة من فرصة انشغال جند خراسان بمقاومة الغز .. فسار عدد كبير منهم يبلغ السبعة آلاف مقاتل تقريباً نحو هذا الإقليم للاستيلاء عليه . وقد قاموا فعلاً بالهجوم على أعمال خواف وما يجاورها . غير أنهم هُزموا وهلك أعيانهم وسادتهم ، وأُسر عدد كبير منهم ، وخلت قلاعهم ممن يحميها . ولولا انشغال الجند بالغز لكانت نهاية الاسماعيلية ولسقطت قلاعهم في يد خصومهم دون تعب .

ومع هذه الهزيمة الساحقة التي مني بها الاسماعيلية وزوال خطر الغز برحيلهم عن خراسان . استقرت الأمور نسبياً . إلا أن أهل الإقليم مع ذلك لم يحسوا طعم الراحة .. فقد عاشوا في صراع مذهبي نتجت عنه حرائق وخسائر أحالت الخرابات التي خلفها الغز إلى أطلال ، وتسببت في القحط والوباء وهلاك الناس جوعاً .

وطالت فترة أسر سنجر إلى ثلاث سنوات [1] ، ولم يفكر في الفرار من أيدي الغز إلا بعد أن ماتت زوجته في الأسر . وقد ساعده في تنفيذ خطة

---

(١) يذكر الراوندي أن (سنجر) قد أمضى عامين في أسر الغز ، وأنه مات في عام ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م ، بينما يذكر حمد الله المستوفي القزويني أنه فرّ من أسر الغز بعد أسر دام ثلاث سنوات ، وأنه توفي في عام ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ ، ويذكر خواندمير نفس التاريخ الذي ذكره حمدالله ونفس المدة الزمنية التي قضاها في الأسر . أما منهاج السراج فيرى أن سنجر قد فرّ بعد عام واحد من أسره تقريبا ، غير أنه يجعل وفاته في عام ٥٥٢ هـ = ١١٥٧م . ويؤكد ذبيح الله صفا أنه مكث بالأسر أربع سنوات قبل أن يتمكن من الفرار . فإذا رجعنا إلى ما ذكره ابن الأثير وجدناه يحدد فترة أسر سنجر فيما بين السادس من جمادى الأولى سنة ٥٤٨ هـ ورمضان سنة ٥٥١ هـ .

أنظر : راحة الصدور ، ليدن ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، تاريخ گزيده ، طهران ، ص ٤٥٢ . حبيب السير ج ٢ ص ٥١٢ ، طبقات ناصري ، ص ٢٦٢ ، تاريخ أدبيات درايران ج ٢ ص ١٥ ، الكامل ، طهران ١٣٣٦ هـ ، ج ١١ ص ٧٩ .

الفرار الأمير « عماد الدين احمد بن أبي بكر قماج »[1] . وكانت خطة غاية في البساطة .. فقد أوهم حرّاسه من الغز – أثناء خروجهم معه للصيد – بأنه ذاهب لمقابلة بعض خواصّه وعبيده على باب مدينة بلخ . وفي غفلة منهم تمكّن من الوصول إلى ترمذ ومنها إلى عاصمته مرو .. حيث أخذ في إعادة تنظيم مملكته ، وجمع فلول جيشه أملاً في استعادة خراسان وإعادة رونقها وبهائها إليها . لكنّه رأى الخزانة خالية والمملكة خراباً والرعية مشردة ، فانتابه الحزن والغم لعدة أشهر ، وسقط فريسة مرض عضال أودى بحياته .

وكانت وفاته في مرو ، في يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول عام ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م[2] . ودفن في مقبرة كان قد بناها بتلك المدينة وأسماها

---

(١) هذا وفقا لما ذكره الجويني ، أما ذبيح الله صفا فيؤكد أن مؤيد اي آبه هو الذي ساعده على الهرب .
أنظر : الجويني : جهانگشا ، ليدن ، ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م ، ج ٢ ص ١٢ ، ١٣
ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات درايران ج ٢ ص ١٥ .

(٢) أعتقد أن هذا هو أصح التواريخ إذ أنه ورد في رباعية نظمها الشاعر الأنوري ... شاعر سنجر الملازم له .
ويستفاد من الرباعية أيضا أن الوفاة حدثت في مدينة مرو . وهذا نص الرباعية :

چاشتگه در شهر مرو آن نامور فخر زمان — خسرو روي زمين سنجر زعالم درگذشت
رفته از تاريخ هجرت پانصد وپنجاه ودو — روز شنبه از ربيع الأول از بعدسه هشت

والمعنى : قبل الظهر في مرو توفي سنجر ملك وجه الأرض وسيدها الشهير ، فخر الزمان وذلك في يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول ، في عام ٥٥٢ من الهجرة .
(ديوان الأنوري ، طهران ، ص ٣٦٢) .
ويؤكد خواندمير عام الوفاة ومكانها في رباعية ينسبها إلى الأنوري – وإن لم أجد لها أثرا في ديوانه – وهذا نصها :

جهاندار سنجركه در بـاغ ملك — سر افراز بودي بكردار سـرو
چو در مـرو ميبـود آنجـا بمـرد — بجو سال فوت وي ازشاه مـرو

(حبيب السير ج ٢ ص ٥١٢) . =

(دار الآخرة) .[1]

ولما وصل خبر موته إلى بغداد قطعت خطبته بها ، ولم يجلس له في الديوان للعزاء . وكان قد استخلف على خراسان – قبل موته – ابن أخته « محمود بن محمد بن بغراخان » فجلس على العرش فعلا ، وبايعه الأمراء والجنود . لكنه خاف سطوة الغز فلجأ إلى جرجان يستظهر بحاكمها ، فلم يقف الغز في وجهه وتركوه يفرّ إلى مرو .

واستولى المؤيد اي آبه – بمعونة من أنضم إليه من جند خراسان – على قسم من هذه المدينة فبقيت عرضة للقلاقل حتى سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، ثم استتب الأمر له .

وكان الحظ حليفه إذ تخلص من أحد منافسيه دون عناء .. ونعني بـه سليمانشاه بن محمد بن ملكشاه . ففي عام ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م غادر «سليمانشاه» مدينة الموصل إلى همدان بهدف الجلوس على عرش السلاجقة ، وخطب الناس له واستقر ملكه بتلك البلاد .. غير أنه قتل في عام ٥٥٦ هـ = ١١٦٠ م لتهوره وشربه الخمر جهارا ، وعدم اهتمامه بالجنود ، واحتقاره للأمراء .

وأراد محمود بن محمد أن يغيّر الموقف لصالحه ، فاتصل هووابنهبالغز واكتسبا ولاءهم . غير أن المؤيد استطاع في عام ٥٥٧ هـ = ١١٦١ م أن

=والمعنى : توفي مالك الدنيا سنجر الذي كان بأعماله بمثابة شجرة السرو السامقة النامية في حديقة الملك .

توفي بمرو أثناء وجوده بها ... فاستخرج عام وفاته من عبارة (شاه مرو) .

والمعروف أن عبارة (شاه مرو) بحساب الجمل تعطي الرقم ٥٥٢ .

(١) أنظر : الكامل ، حوادث ٥٥٢ هـ (ج ١١ ص ٨٣) . وبالرجوع إلى (تاريخ الأدب في إيران) نجده يذكر أن سنجر قد أسمى مقبرته (دولت خانه) ، ولم أجد هذه التسمية في أي كتاب آخر . (أنظر ص ٣٨٠ من الترجمة العربية للجزء الثاني من الكتاب المذكور) .

يقبض على محمود وأن يسمل عينيه [1] ، ويسطو على أمواله وجواهره ، ويقطع خطبته في نيسابور وغيرها مما كان تحت يده . وهكذا أصبح اسم المؤيد يذكر في الخطبة بعد اسم الخليفة العباسي المستنجد بالله [2] .

وقد صفّى مؤيد اي آبه الجوّ بينه وبين « أيل أرسلان » [3] الذي قاتله بحجة سمله عين محمود ، وذلك بأن صالحه وارتبط معه بالعهود والمواثيق ، وبذا خلا له الجو تماماً . غير أن الأمور ساءت بالنسبة له مرة أخرى حين اصطدم « بعلاء الدين تكش » والي (جند) . وتفصيل الأمر أن « سلطانشاه » تولى مكان أبيه « أيل أرسلان » حين توفي في عام ٥٦٧ هـ = ١١٧١ أو ١١٧٢م ، وكانت أمه هي التي تعاونه وتوجه دفة الأمور في مملكته .

ورأى علاء الدين تكش — الإبن الأكبر لأيل أرسلان — أنه أولى بالملك من أخيه ، فلجأ إلى القره‌خطائيين ، وتعهد بدفع خراج سنوي لهم ، فقدّموا له مساعدات عسكرية كبيرة مكّنته من مهاجمة خوارزم في عام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م ، والجلوس على عرش السلطنة . ولجأ سلطانشاه إلى مؤيد اي آبه يريد عونه ، فهاجم بنفسه خوارزم . لكنّ سوء حظّه أوقعه أسيراً في يد تكش الذي لجأ إلى قتله ليتخلص منه نهائياً .

---

(١) مات محمود بعد ذلك ، ومات ابنه من بعده لشدة وجده وحزنه لموت أبيه . أنظر : جهانگشاي جويني ، ج ٢ ص ١٥ ، ١٦

(٢) توفي المقتفي لأمر الله سنة ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م ، وبويع المستنجد بالله أميراً للمؤمنين ، واسمه يوسف . وقد توفي سنة ٥٦٦ هـ = ١١٧٠ م .

(٣) هو الحاكم الذي تولّى بعد وفاة أتسز في عام ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م وأظهر ولاءه لسنجر فأقرّه على ولاية خوارزم . وقد استفاد من موت سنجر ومن قيام الفتن في خراسان وكرمان وسيستان ، فأعلن استقلاله التام عن السلاجقة ، وتقدم إلى نيشابور ، وحاصر (اي‌آبه) ثم تصالحا . (الكامل جـ ١١ ص ٧٨ ، ٧٩ ، طبقات ناصري ص ٣٠٠ حبيب السير جـ ٢ ص ٦٣٣) .

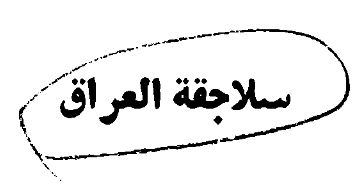
وولى سلطانشاه وجهه هذه المرة شطر الغور والخطا . ولمّا لم تفد المساعدات التي قدّماها له في تحقيق النصر على منافسه كفَّ يده عن خوارزم، وصالحه على أن يأخذ لنفسه بعض بلاد خراسان .

وبوفاة سلطانشاه في عام ٥٨٩ هـ = ١١٩٢ م استقل تكش خان بالسلطنة واتسعت رقعة الدولة الخوارزمشاهية على حساب سلاجقة إيران والعراق .

وبمصرع طغرل السلجوقي في عام ٥٩٠ هـ = ١١٩٤ م على يد تكش ، وسيطرة الأخير على مملكة العراق ، وإقرار الخليفة العباسي (الناصر لدين الله) له على هذا الوضع .. يمكننا القول بأن الدولة الخوارزمشاهية قد ابتلعت دولة السلاجقة في كل من إيران والعراق .



الفصل الثاني



بوفاة محمد بن ملكشاه بن أَلُبْ أرسلان في عام ٥١١ هـ = ١١١٧ م [١] ، بدأ عهد تعدد السلاطين . فأصبح هناك أكثر من سلطان للسلاجقة ، وانتهت مظاهر التبعية للدولة السلجوقية العامة ، وسادت الروح الإقليمية ، وبرزت شخصية سلاجقة العراق بجلاء إلى جانب شخصية سلاجقة إيران .

وأول من جلس على عرش السلطنة بالعراق من بين السلاجقة هو السلطان محمود ، الذي تمكّن من الاستقلال عن عمِّه السلطان سنجر بعد حرب ذاق فيها طعم الهزيمة والذلة . وقد صالحه سنجر بعد هزيمته هذه وشمله بعطفه ، ونادى به ولياً لعهده [٢] ، وأنابه عنه في العراق سنة ٥١٣ هـ = ١١١٩ م واعترف به الخليفة العباسي [٣] سلطاناً رغم صغر سنه ، فقد كان في الرابعة

(١) أنظر : يحيى بن عبد اللطيف الحسيني القزويني : لب التواريخ ، بهمن‌ماه سنة ١٣١٤ هـ ، ص ١٠٨ .

(٢) بالرجوع إلى الاصفهاني : زبدة النصرة ، ص ١٢٥ ، وإلى البنداري ص ١٢٨ – ١٢٩ نقف على كيفية فرار محمود من وجه سنجر ، وكيفية استعطافه له ... ونرى كيف استذلّه سنجر قبل أن يعفو عنه .

(٣) اعترف به الخليفة العباسي « المسترشد » إذ أن المستظهر بالله كان قد مات في بداية=

عشر من عمره آنذاك . وبذلك بدأت دولة سلاجقة العراق بداية فعلية .

ورغم أن محموداً كان يعمل بأمر سنجر ويحكم بإذن منه إلا أنه كان للسلاجقة — بناء على هذا الوضع — سلطانان في وقت واحد (١) .

ورغم سلطنة محمود الإسمية فقد منحه سنجر عدداً من البلاد جعلته يبدو في صورة السلطان الواسع الجاه صاحب القوة والمنعة .. فقد منحه البلاد الممتدة من حدود خراسان إلى بلاد الشام .. ويدخل فيها همدان واصفهان باقليم العراق العجمي ، وبلاد الجبال وكرمان وفارس وخوزستان والعراق العربي وآذربيجان وأرمينية وديار بكر والجزيرة وبلاد الشام وبلاد الروم التي بيد أولاد قلج أرسلان .

وإن كان واقع الأمر أن سلطان محمود الفعلي كان قاصراً فقط على العراقين العربي والعجمي (٢) .

وكان محمود يسير وراء نزواته وينغمس في الملذات متأثراً في ذلك ببطانته التي اشتهر أفرادها بسوء أخلاقهم ، واندفاعهم وراء شهواتهم ، وقدرتهم على

= سلطنة محمود (عام ٥١٢ هـ = ١١١٨ م). وبناء عليه فإن ما ذكره ابن الأثير من أن المستظهر هو الذي اعترف بمحمود وخطب له خاطئ مردود .

أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ، طبع الهند ١٣٥٨ هـ ، جـ ٩ ص ١٩٧ ، ابن الطقطقى : الفخري ، المطبعة الرحمانية ١٩٢١ م ، ص ٢٢١ . ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥١١ .

(١) Sanaullah : The decline of the Seljuqid Empire (calcutta 1928). p. 39.

(٢) ذلك لأن بلاد الجزيرة وآذربيجان وفارس ودياربكر كانت موزعة بين الأتابكة العديدين ، كما انتزع الصليبيون معظم بلاد الشام لتكوين إماراتهم الصليبية الأربعة ، وتركوا للمسلمين بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب .

أنظر :

Lane poole : The Mohammadan Dynasties (London. 1895), p. 152.

Barker : The Crusades (London, 1925), p. 25.

التأثير في السلطان وضمّه إلى زمرتهم .

ولم تكد تمضي على حكم محمود بضع سنوات حتى تعرض لمنافسة أخيه مسعود – ملك الموصل وآذربيجان – الذي أغراه ضعف محمود بالانقضاض على عرشه وانتزاع الملك منه ..

غير أن محموداً تمكن من هزيمة أخيه في عام ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م ./

بيد أن هذا الانتصار لم يحجب الحقيقة عن أعين الطامعين ، فقد كان ضعف محمود واضحاً جلياً بصورة جعلت « دبيس بن صدقة » لا يعير أوامره التفاتاً ، ويهاجم بغداد حين يشاء ويكثر فيها من النهب والقتل .. فتصبح بغداد نهباً موزعاً بينه وبين العيارين الذين ظهروا فيها وأكثروا فيها الفساد (١) .

وكما تعرّضت بغداد لهجوم دبيس تعرضت مدينة البصرة بدورها لهجومه ونهبه وسلبه وقتله .. كما حكمها وأدار دفة أمورها « علي بن سكمان » دون إذن السلطان .

وعاد النزاع يطل برأسه بين محمود وأحد أفراد البيت السلجوقي ونعني به أخاه طغرل صاحب قلعة سرجهان وساوه وآوه زنجان ، الذي أغراه ضعف أخيه بمناوشته والخروج عن طاعته ..

كما بدأت الخلافة العباسية – في ظل ضعف السلطان – تسترد شيئاً من قوتها وتستعيد بعض هيبتها . غير أن محموداً لم يترك الفرصة لتماديها ، وحاصر بغداد في عام ٥٢١ هـ = ١١٢٦ م فصالحه الخليفة واسترضاه .

وأحس دبيس بضعف الخليفة والسلطان معاً فتجرأ وسطا على ممتلكات كل منهما حين دخل الحلّة والبصرة (٢) .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ص ٢١٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٠ – ٢١ .

وبوفاة محمود في همدان عام ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م بدأ النزاع على العرش بين الملوك وأمراء السلاجقة . فتنازع (داود بن محمود) مع عمه (مسعود) زمناً ثم تصالحا ، وراسل كل منهما خليفة بغداد يطلب اعترافه به كسلطان لسلاجقة العراق . ورأى المسترشد أن الفرصة باتت مواتية وأنه يجب عليه انتهازها للإيقاع بين السلاجقة وإيجاد الفرقة والانشقاق في صفوفهم فترك الحكم في ذلك الأمر لسنجر وأوعز إليه من طرف خفي بوجوب رفض سلطنتهما معاً باعتباره صاحب الحق في ذلك وبصفته أحق منهما بالسلطنة .. فازدادت رقعة الخلاف واستعرت نيران التنافس . وزادها اضطراماً وتأججاً ظهور طرف آخر في هذا النزاع الناشب بين أفراد الأسرة الحاكمة . فقد وصل (سلجوقشاه) عم داود إلى بغداد حيث حظي بإكرام الخليفة العباسي . ورأى الخليفة أن يدفع بهذا الرجل إلى أتون المعركة ويجعل منه طرفاً في النزاع ، فاستخلفه لنفسه ورفض أن يخطب لمسعود بل وتصدى لجيشه وهزمه .

ثم اتفق مسعود والخليفة وسلجوقشاه على تكوين حلف هدفه التصدي لسنجر .. وتم الإتفاق بينهم على أن يكون العراق لوكيل الخلافة ، وأن تكون السلطنة لمسعود ، أما ولاية العهد فلسلجوقشاه [1] .

وتمكن سنجر من هزيمة مسعود وسلجوقشاه معاً قرب مدينة (دينور) في عام ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م ، ثم أصدر أمره بأن يكون « طغرل بن محمد » - أحد إخوة مسعود - سلطاناً على سلاجقة العراق ، وأن يخطب له من جميع البلاد .

وبدأ طغرل عهده بمحاربة أخيه الملك (داود) بن محمد الذي حاول منافسته في الحكم والاستيلاء على العرش من دونه . وأفلح طغرل في القضاء على فتنة داود مؤقتاً ، وتمكن من هزيمته .

(١) نفس المرجع ، ص ٢٥ .

غير أن الأمور لم تستقر ، فقد نزل مسعود في عام ٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م بدار السلطنة في بغداد ، حيث خطب له ولداود من بعده . وكوّن مسعود وداود جيشاً مشتركاً — بمعاونة الخليفة — هزمابه جيش طغرل ، وألجأه إلى الفرار من البلاد . واستولى مسعود على عرش سلاجقة العراق في عام ٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م ، فوجد ثلاثة سلاطين في وقت واحد[1] .

ثم تمكّن طغرل من استجماع قوته وتنظيم جيشه ، ومهاجمة مسعود ، والانتصار عليه ، والاستقرار في همدان عام ٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م . واضطر مسعود إلى الهرب ، ولجأ إلى الخليفة في بغداد يحتمي به .

وخدمت الظروف محموداً وكان الحظ حليفه إذ توفي طغرل في عام ٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م ، فواتته الفرصة ليعود إلى همدان ويستولي عليها . وآلت اليه سلطنة العراق بأسرها ، وفرض نفوذه على كردستان وآذربيجان ، ووحّد صفوف السلاجقة بهذا الإقليم وأعاد إلى الدولة شيئاً من قوتها وهيبتها . ويمكننا إلى حد بعيد أن نشبّهه بعمّه سنجر في سطوته وقوته وغلبة نفوذه .

وهكذا حلّ عام ٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م وأصبح معه مسعود سلطان سلاجقة العراق بلا منازع[2] . ولما فكّر الخليفة «المسترشد بالله» في قتاله هزمه مسعود هزيمة ساحقة وأسره[3] وسجنه في مراغة ، وأرسل والياً من قبله إلى بغداد . غير أن أهل بغداد لم يقبلوا الوضع وثاروا عليه . وتدخّل سنجر في الأمر ، وطالب مسعوداً بإعادة الخليفة معززاً مكرّماً إلى بغداد ، وحذّره كتابةً من سوء فعلته[4] ، فصدع بأمر سنجر وأعاد الخليفة بعد أن أخذ منه تعهداً مالياً ، وشرطاً بعدم الخروج ثانية لمحاربته .

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٢٧ .
(٢) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، طبع مصر ، ج ٢ ص ٣٩ .
(٣) آل سلجوق ، ص ١٦٢ .
(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، المكتبة التجارية ١٣٧١ هـ ، ص ٢٨٧ .

ثم قُتل الخليفة على يد فدائيي الإسماعيلية .. أو بتحريض من مسعود كما يقول البعض [1] . وأظهر مسعود الطاعة للراشد بالله ، الخليفة العباسي الجديد ، بعد أن ظفر بتأييد حاكم بغداد المعيَّن من قِبَل مسعود [2] . وحاول مسعود في عام ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م أن يطالبه بالمال المقرر على أبيه .. فاعتذر الراشد بالله . ولجأ مسعود إلى القوة ، ولكن الخليفة تصدى له واضطره إلى الانسحاب . وتجرأ العامة فنهبوا دار السلطان ، وقطع الخليفة الخطبة له وخطب لداود . وقد شجعه الكثير من الملوك والأمراء على الوقوف هذا الموقف من السلطان وساندوه وظاهروه . فحاصر مسعود بغداد من الجانب الشرقي ونهبها العيّارون وتفرَّق المتحالفون . ودخل مسعود بغداد منتصراً ففر الراشد إلى الموصل ، ومنها إلى مراغة حيث التحم جيشه بجيش مسعود . وهُزم الخليفة شر هزيمة فواصل الفرار إلى اصفهان .

وجمع مسعود العلماء والفقهاء والقضاة والأعيان في بغداد ، فشهدوا بظلم الراشد وأقرّوا بفجوره وأفتوا بأحقية السلطان في خلعه ، ففعل ، وولى المقتفي لأمر الله سنة ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م ، وجعله ألعوبة في يده .. فهو الذي يحدد له مخصصاته وهو الذي يدير دفة شئون الحكم دونه .

وفي سنة ٥٣٢ هـ = ١١٥٧ م .. قتل الباطنية الراشد على باب اصفهان . واستمرت القلاقل في عهد مسعود تعكّر صفو أيامه وتقلق باله . وتحالف الأمراء ضده أكثر من مرة . فثار عليه والي فارس وأظهر تمرده وعصيانه .. مما اضطر مسعود إلى إرسال أخيه (سلجوقشاه) برفقة أمير آخر يدعى (قراسنقر) للقضاء على ذلك المتمرد ، فهزماه وعادا إلى همدان حيث توفي قراسنقر .

---

(١) دحية : النبراس في تاريخ بني العباس ، ص ١٥١ ، ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٢٢٣ .

(٢) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٢٨ ، الكامل ، حوادث ٥٢٩ ، تواريخ آل سلجوق ج ٢ ص ١٧٤ — ١٧٨ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

فأسند مسعود ولاية اران إلى ايلدگز بدلاً منه ، فأسس ولاية الأتابكة . وفي عام ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م توجه سنجر إلى الري لقتاله ، فلما استعطفه واسترضاه رجع عنه .

وثار والي اصفهان (قيمز) يحالفه (عباس) والي الري واثنان آخران من قوّاد الجيش هما (عبد الرحمن) و (بوزابه) .. وانضم الجميع إلى (سليمانشاه) أخي مسعود . وتحرك مسعود على رأس جيش كبير تاركاً بغداد مستهدفاً مهاجمة هذا الحلف الجديد ، غير أن الظروف الجوية لم تمكنه من مواصلة تقدّمه ، فعاد إلى بغداد ينتظر حلول الربيع .

ولما تحسن الجوّ سار اليهم ، واقترب بجيشه من (أعلم) عند همدان ، ففر أفراد الحلف هاربين ، فجدّ وراءهم ، وتمكن من القبض على عباس وعبد الرحمن وبوزابه ، واعتذر الأسرى له فأطلق سراحهم .

وعاد الحلفاء إلى التكتل ثانية ورفعوا راية العصيان ، فخاض مسعود ضدهم حرباً طاحنة قُتل فيها عباس وعبد الرحمن . ووقع أخاه سليمانشاه في قبضة يده فزج به في السجن . وظل يتعقب الباقين حتى ظفر بهم فاهلكهم جميعاً .

ولا شك أن هذه الفتن وتلك القلاقل قد خلقت للفساد والغلاء والقحط مرتعاً خصيباً ، وجرأت بعض المغامرين على العصيان ، فوجد من بين العيّارين من كان يضرب السكة باسمه ويخافه والي بغداد . ولقد ظل السلطان يبذل جهده لإيقاف هذه الفتن والقضاء على تلك القلاقل إلى أن مات في عام ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م في همدان (١) .. ففقدت سلطنة السلاجقة في العراق شخصية قوية . وبدأت الفتن والاضطرابات تلعب دورها في هدم كيان الدولة السلجوقية (٢) . وأخذ الأتابكة يتحكّمون في شئون الدولة وسلطانها .

---

(١) اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، طبع ليدن ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م ، ص ١٢٨
(٢) أفضل الدين الكرماني : عقد العلا للموقف الأعلى ، طهران ١٣١١ هـ . ش ، ص

وقد خُطب لملكشاه – ابن أخي مسعود – بناء على وصية مسعود . وكان ملكشاه هذا مثلا سيئاً للشباب ، فقد اشتهر باللامبالاة والاستهتار بحيث لم يكن يهتم بمهام الدولة وشئون الحكم ، ولا يحرك ساكناً للقضاء على الفتن .. فعزله الأتابك خاص بك ، وأجلس مكانه على عرش السلطنة (محمداً) ابن السلطان محمود . فما أن استقرت له الأمور حتى أحس بوجوب التخلص من خاص بك باعتباره قوة كبيرة في الدولة يخشى خطرها . وأفلح في التخلص من هذا الأتابك رغم ما أسداه اليه من جميل بعزل ملكشاه وتنصيبه مكانه .. فأغرى من قتله في عام ٥٤٨ هـ = ١١٦٣ م . وإزاء عدم الوفاء الذي أبداه السلطان تجاه ظهيره فقد ثقة الأمراء وكادوا يعزلونه . أما (المقتفي) الخليفة العباسي فقد حذف اسمه من الخطبة في بغداد ، وخطب لأمير سلجوقي اسمه سليمانشاه ابن محمد . كما حاول هذا الخليفة الاستقلال عن السلاجقة .. وكان قد قطع في ذلك شوطاً كبيراً بعد وفاة مسعود .

ولم يكتف بذلك بل أوفد سليمانشاه لقتال محمد . وتمكّن محمد من هزيمة سليمانشاه واضطره للفرار إلى خراسان ، وتقدم (محمد) إلى بغداد وحاصرها ، غير أنه لم يستمر طويلاً .. فقد صمد له المقتفي ومن ورائه أهل بغداد ، كما أن فتنة قامت في همدان – بتدبير من الأمراء وعلى رأسهم ايلدكز – اقتضته العودة السريعة لإخمادها . وقد تمكن فعلاً من انهاء الفتنة واقتلاع جذورها واسترضاء مثيريها .

وتوفي السلطان محمد في عام ٥٥٤ هـ = ١١٥٩ م [١] ، فتنازع على العرش أخوه ملكشاه وعمه سليمانشاه وأرسلان بن طغرل بن محمد (الذي تزوج الأتابك ايلدكز من أمه بعد وفاة أبيه) . وتدخل الأمراء لحسم الأمور ، فقتلوا ملكشاه في عام ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م بدس السم له . وفعلوا نفس الشيء بالنسبة لسليمانشاه ، فقتلوه بالسم في عام ٥٥٦ هـ = ١١٦١ م تعبيراً عن

(١) المنتظم ، جـ ١٠ ص ١٩١ .

استيائهم منه نتيجة انغماسه في الملذات وإهماله شئون الدولة .

وبعد أن تم التخلّص من ملكشاه وسليمانشاه خطب الأمراء في نفس العام لأرسلان بن طغرل الثاني ، وضربت السكّة بإسمه . لكن الأتابك ايلدگز حاكم أرّان وزوج أم السلطان كان المتصرّف الحقيقي في شئون الحكم . أما الخليفة العباسي فلم يوافق على سلطنة أرسلان ولم يأذن بالخطبة له في بغداد .

والحق أن حُسْنَ تدبير ايلدگز وعِظَمَ مساعدة ابنيه : محمد جهان پهلوان وعثمان قزل ارسلان قد مكّنا أرسلان من الانتصار على أعدائه [1] ، والمحافظة على دولة السلاجقة في العراق ودفع كيد أعدائها . فقد ثار عليه والي الري المدعو (اينانج) ، وخرج على طاعته (قيماز) والي اصفهان . فقُتل أولهما في عام ٥٥٩ هـ = ١١٦٤ م وتولى جهان پهلوان حكم الري ، وقُضي على فتنة الثاني وأُجبر على الطاعة .

والمعروف أنه لولا مساعدةايلدگز وولديه للسلطان أرسلان ما تمكّن من هزيمة الأبخاز الذين حاربوه قرب قلعة (كاك) وهاجموا بلاده أكثر من مرة .

ومات ايلدگز في عام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م وهو في أوج قوته وقدرته ، ومات أرسلانشاه في عام ٥٧١ هـ = ١١٧٥ م . وتولى العرش طغرل بن أرسلانشاه (طغرل الثالث) ، وكان في السابعة من عمره ، فتولى أمر الوصاية عليه عمّاه : جهان وقزل ، وتحكم فيه عمه جهان پهلوان وقبض على زمام الأمور دونه . وكان له الفضل في تخليصه من محمد بن طغرل الثاني بن محمد بن ملكشاه حين ثار ضد الدولة وهاجم عدة مناطق بالعراق بمساعدة تكش والي خوارزم .

كما كان له الفضل في كف يد ملك الأبخاز عنه ، فقد تصدى له وقام

---

(١) محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ، ص ٥١ ، كرماني : تاريخ أفضل ، طهران ١٣٢٦ هـ . ش ، ص ٤٣ .

بطرده حين حاول الهجوم على آذربيجان .

ومات جهان بهلوان في عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م ، ودب النزاع بين طغرل وعمه قزل ارسلان والي آذربيجان الذي حاول أن يحل محل أخيه الراحل في السيطرة على السلطان وتوجيهه وفق هواه . وانضم الخليفة العباسي الناصر لدين الله إلى قزل وأرسل كل منهما جيشاً في عام ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م إلى همدان ليقضيا على السلطان . غير أن الحظ كان حليفه فقد وصل جيش الخليفة قبل جيش قزل ، فسهل على طغرل هزيمته وردّه على أعقابه إلى بغداد مدحورا .

وعاود الخليفة الكرَّة في العام التالي ، ووصل جيشه وجيش قزل إلى همدان في وقت واحد ، ففر طغرل إلى آذربيجان مهزوماً . وطارده قزل حتى تمكن من القبض عليه فسجنه في قلعة بآذربيجان [1] .

وأراد أن يعين سنجر بن سليمانشاه السلجوقي على عرش سلاجقة العراق ، لكن الخليفة العباسي أرسل إليه خطاباً أفهمه فيه أنه أحق بالملك منه ، فأعلن نفسه سلطاناً على سلاجقة العراق في عام ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م . إلا أنه لم ينعم بمنصبه طويلاً فقد اغتيل بعد أسبوع من جلوسه على العرش . وكان قد تزوج أرملة أخيه جهان بهلوان ، فقيل إنها التي تآمرت عليه وشاركت في اغتياله لانصرافه عنها . ويرى البعض أن ابنه قتلوغ اينانج كان بدوره طرفاً في المؤامرة ، ويرى غيرهم أن الاسماعيلية هم قاتلوه لتصدّيه لهم .

ويرد في بعض المصادر أن أمراء العراق هم الذين قاموا باغتياله منافسة منهم له ، وكراهية منهم لأن يلي هو السلطنة بدلاً منهم . ويرد في غيرها أنه انحاز للحنفية ضد الشافعية وقتل الكثير من شيوخها ، فرصدوا له من يقتله .

وغادر طغرل سجنه وجلس على العرش في عام ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م . وكان الاضطراب يسود آذربيجان لكثرة الحروب بين واليها نصرة الدين أبي

---

(١) ابن الوردي ، طبع مصر ، ص ١٠٠ .

بكر بن جهان بهلوان وبين أخيه قتلغ . كما كان الاضطراب يسود همدان عاصمة طغرل ، بينما يتطلع تكش والي خوارزم إلى إسقاط الدولة السلجوقية وضم أراضيها إليه .

وقطع طغرل شوطاً كبيراً في إخضاع منافسيه . وكان قد تزوج من الخاتون زوجة عمه قزل وعمّه جهان بهلوان من قبله . ونظراً لما يعرفه عن طباعها من ميل إلى الغدر .. وخوفاً من أن تفعل به ما فعلته بعمّه « قزل » قام بقتلها ، وعرّض نفسه لحقد ابنها (قتلوغ) وانتقامه . خاصة وأنها كانت تشجع ابنها هذا على الاستيلاء على العرش ، وتسعى جاهدة في سبيل تحقيق هذا الهدف .

وتنفيذاً لخطة الانتقام ، اتصل قتلوغ بتكش طالباً معونته ، فأمدّه هذا بجيش هزما به طغرل بعد معركة قاسية . ووقع السلطان في يد قتلوغ فبادر إلى قتله ، وأرسل رأسه إلى بغداد (١) . ولم يلبث تكش أن جلس على عرش السلاجقة .

وهكذا تضافرت عدة عوامل لتساهم في تحطيم قوة السلاجقة وإزالة تماسكهم وهدم صرح ملكهم . من هذه العوامل تفرق كلمة الأبناء والأحفاد الذي غذّاه وجود العديد من الأتابكيات ، وحاشية فاسدة لا هم لها سوى الإيقاع بين السلاجقة لاحتلال أرقى المناصب والاستيلاء على الإقطاعات الواسعة .

ومن هذه العوامل أيضاً الدور الفعّال الذي لعبته الأمهات والنساء عامة في إذكاء نار المنافسة بين رجال البيت الحاكم وإثارة الخصومات بينهم ، والتدخل في شئون الحكم بصورة سافرة .

---

(١) هناك من المؤرخين من يقول ان خليفة بغداد هو الذي حرّض خوارزمشاه « تكش » على مقاتلة طغرل في عام ٥٩٠ هـ = ١١٩٣ م ، ومنّاه بالجلوس على العرش مكانه ، فقتله في الري وأرسل رأسه إلى بغداد . وبذا تخلّص الخليفة من آخر مظاهر الحكم السلجوقي ، واستقلت الخلافة تماما عن النفوذ السلجوقي وعن تحكم سلاطين السلاجقة .

والدور الفعال الذي قام به الأمراء والوزراء والذي شهدنا آثاره الخطيرة في أكثر من موضع .

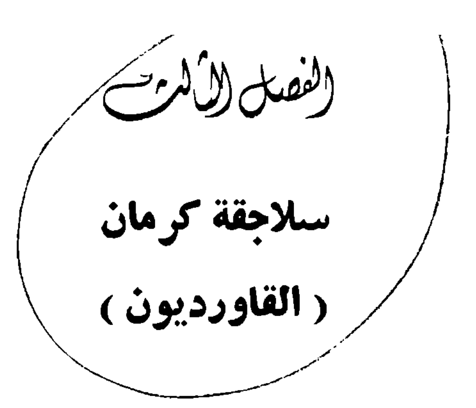
ومن العوامل الهامة ذات الأثر الفعال أيضاً تدخل الخلفاء وايعازهم لبعض ذوي النفوذ في الدولة السلجوقية بإثارة الفتن والقلاقل . بالإضافة إلى أن سلبية الخلفاء واعترافهم بشرعية كل من يجلس على العرش وخطبتهم لكل منتصر قوي .. قد أوجد روح التنافس بين السلاطين ، وساهم في القضاء على السلاجقة .

وما أن جلس تكش على عرش السلاجقة واستولى على مملكة العراق كلها وضمّ إليه كل ممتلكات السلاجقة وقضى على كل منافس له في هذه الديار .. حتّى أقرّه الخليفة العباسي على ذلك .

وأسند تكش حكم اصفهان إلى قتلوغ ، وأقطع العديد من بلاد تلك الأقاليم لمماليكه [1] . ولم يبق إلا نصرة الدين أبو بكر الذي اكتفى بأتابكيته في آذربيجان ، ولم يحاول مناوءة تكش ، فظلت دولة الأتابكة قائمة كما هي دون أن تتعرض لها الدولة الخوارزمية التي صارت أكبر قوة في إيران والعراق .

---

(١) راحة الصدور ، ص ٣٧٥ .



الفصل الثالث

سلاجقة كرمان

(القاوردیون)

يعرف هذا الفرع من السلاجقة باسم سلاجقة كرمان .. نسبة إلى الإقليم الذي كانوا يحكمونه ويوجّهون منه حملاتهم إلى ما يريدون غزوه من بلاد .

ويطلق عليه المؤرخون أيضاً تسمية أخرى هي : « القاورديون » .. نسبة إلى « عماد الدين قره أرسلان قاورد بن چغري بيك داود بن ميكائيل » مؤسس هذا الفرع من السلاجقة . وقاورد هذا أخ لألپ ارسلان بن چغري بيك .

وهناك خلاف بين المؤرخين حول بداية اتصال قاورد بكرمان . فمن قائل أنه قد بدأ اتصاله بها في عام ٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م [١] .. حين أوفده عمّه طغرلبك إليها ليحكمها من قبله على أن يدين له بالطاعة والولاء . ومن قائل إن قاورد قد توجه إلى كرمان لفتحها في عام ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م بأمر من عمه طغرل ،

---

(١) من بين هؤلاء المؤرخين : حمدالله مستوفي القزويني ، خواندمير وزمباور .
أنظر : تاريخ گزيده ، ص ٤٧١ ، حبيب السير ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ ، معجم الأنساب ، ص ٣٣٥ .

وكانت آنذاك تحت سيطرة الديالمة ، يحكمها أحد رجالهم ويدعى بهرام . وقد توجه قاورد إلى كرمان وحارب بهرام هذا وهزمه .. ثم انتهى الأمر بينهما بالصلح . وما كادت الأمور تستقر له في كرمان حتى حاول من يدعى كاليجار السيطرة عليها وإخضاعها لحكمه ، فقتله قاورد بالسم وتخلص منه . وبهذا دخلت كرمان في حوزة السلاجقة [١] .

والواقع أن التاريخ الأول هو الصحيح لأن معظم المؤرخين قد أجمعوا على أن « قاورد » قد قضى في الحكم مدة ٣٢ عاماً . ولما كانت وفاته في عام ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م كما هو ثابت فان عام ٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م يكون عام قبضه على زمام الأمور في كرمان .

وقد تمكن قاورد خلال هذه الفترة الطويلة نسبياً من حكمه أن يسيطر على إقليم فارس . وقد تمّ له ذلك في عام ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م .

كما استطاع أن يكف يد الديالمة عن شيراز وينهي نفوذهم فيها .

وأحس بقوته وعظيم سطوته فعصى أخاه الب أرسلان . وحين أحس خطره ولمس قوة بطشه عاد إلى طاعته [٢] .

وفي عام ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م توفي ألب أرسلان وجلس على العرش ابنه ملكشاه . فثارت ثائرة قاورد وقرّر محاربة ملكشاه وانتزاع العرش منه ، إذ كان يرى أنه أحق بالملك منه . وهكذا جهّز جيشاً كبيراً توجّه به إلى الري للقضاء على ابن أخيه .. غير أن السلطان ملكشاه قطع عليه طريقه .. وتلاقى معه في همدان ، وهزمه وأسره ، وقتله بالسم بإيعاز من وزيره نظام الملك [٣] .

---

(١) على رأس هؤلاء المؤرخين ذبيح الله صفا .
أنظر : تاريخ ادبيات در ايران ، ج ٢ ، ص ١٨ .
(٢) تاريخ گزيده ، ص ٤٧٢ .
(٣) محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ، ليدن ١٨٨٦ م ، ص ١٣ ، راحة=

وبعد أن أصبح ملكشاه سلطاناً .. أسند حكم كرمان لسلطان شاه بن قاورد وكان يلقب بركن الدين ، فحكم مدة ، وتوفي في عام ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م [(١)].

وجلس تورانشاه بن قاورد على العرش بعد وفاة سلطان شاه ، وكان يلقّب بمحي الدين عماد الدولة . فاتبع سياسة العدل والإنصاف بين الرعية وعمد إلى تعمير البلاد . ومات في عام ٤٨٩ هـ = ١٠٩٥ م [(٢)] .

وجلس على العرش من بعده ابنه إيران شاه الملقب ببهاء الدين . وكان فاسقاً ظالماً لا يهتم بالرعية ، يميل إلى اللهو والمتعة ويبدي عطفاً على الملاحدة (الاسماعيلية) ؛ فخرج عليه أهل كرمان وقتلوه بعد حكم دام خمس سنوات . وكان مصرعه في عام ٤٩٤ هـ = ١١٠٠ م .

=الصدور ، ليدن ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ، حبيب السير ج ٢ ص ٥٣٧ .
ويرى بعض المؤرخين أنه لم يعص ملكشاه وإنما عاد إلى عصيان ألب ارسلان ، وذلك في عام ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م ، وأن ألب أرسلان هو الذي قتله بالسم . والمعروف أن العام المذكور هو عام وفاة ألب ارسلان وتولية ملكشاه . أنظر : تاريخ گزيده ، ص ٤٧٢ .

(١) كانت وفاة سلطانشاه في عام ٤٧٦ هـ = ١٠٨٣ م طبقا لما ورد في كتاب حمد الله مستوفي القزويني «تاريخ گزيده» ، وقد ذكر المؤلف ضمنا أن مدة حكم سلطان شاه بلغت ١٢ سنة ، والمفروض أن تكون مدة الحكم بناء على التاريخ الذي ذكره ١١ سنة . أما ذبيح الله صفا فيذكر أن سلطانشاه تولى الحكم من سنة ٤٦٧ هـ إلى ٤٧٧ هـ وأن كرمانشاه بن قاورد هو الذي حكم كرمان من ٤٦٥ هـ إلى ٤٦٧ هـ . ويؤكد زمباور أن كرمانشاه بن قاورد قد تولى فعلا حكم كرمان من سنة ٤٦٦ هـ إلى سنة ٤٦٧ ، ثم تولى سلطانشاه من سنة ٤٦٧ هـ إلى سنة ٤٧٧ هـ ، ولم يذكر شيئا عن الفترة ما بين عامي ٤٦٥ هـ ، ٤٦٦ هـ .
أنظر : تاريخ گزيده ، ص ٤٧٢ ، حبيب السير ، ج ٢ ص ٥٣٧ ، تاريخ ادبيات در ايران ، ج ٢ ص ١٨ ، معجم الأنساب ، ص ٣٣٥ .

(٢) يذكر براون أن وفاة تورانشاه كانت في عام ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م . أنظر : تاريخ الأدب في إيران ، ج ٢ ص ٣٨٠ من الترجمة العربية .

/ وكان ايران شاه أثناء حياته على خلاف مع ابن عمه ارسلان شاه بن كرمانشاه قاورد . وقد اتسعت شقة الخلاف بينهما إلى حدّ أن سعى ايرانشاه في قتله . وفر ارسلان شاه ناجياً بنفسه ، واختفى في حانوت صانع أحذية ، وفقد أتباع السلطان أثره . فلما هلك ايران شاه ، خرج أرسلانشاه من مخبئه فنصبه أمراء كرمان وأعيانها سلطاناً شرعياً للبلاد ، واعترفوا به . وكان بطبيعته عادلاً محسناً .. فأحبه الشعب والتفت حوله الرعية .. واستمر يحكم البلاد مدة ٤٢ سنة .. إلى أن مات في عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م . \

وبوفاة أرسلانشاه خلا الجو لابنه محمد الملقّب بمغيث الدين . غير أنه فوجيء بظهور بعض المنافسين الطامعين في العرش .. فقرر أن يزيلهم من طريقه بكل الوسائل . فعمد إلى قتل البعض وسمل أعين البعض الآخر . حتى ليقال إنه افتتح عصره بسمل أعين عشرين أميراً من إخوته وأبناء إخوته [1] .

واستمر يحكم البلاد مدة ١٤ سنة اهتم فيها بالعمران . وكان يميل إلى علم النجوم ويؤمن بالتنجيم . وكانت وفاته في عام ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م بعد أن أوصى بأن يكون العرش لابنه « محيي الدين طغرل شاه بن محمد » . وقد قام الأمراء والأعيان بتنفيذ وصيّته ، فجلس هذا الابن على العرش وأمسك بزمام الأمور في نفس العام . ودام حكمه ١٢ سنة ، ووافته منيته في عام ٥٦٢ هـ = ١١٦٦ م .

وبعد وفاة طغرلشاه دبَّ النزاع بين أبنائه واتخذ صورة عنيفة . وتجزأت الدولة وتفككت إلى حد بعيد . واستطاع أكثر من واحد من بين الأخوة أن يعتلي كرسي العرش وأن يجد من بين الأمراء من يعترف به . وهكذا تولى زمام الأمور – في وقت واحد – ثلاثة أخوة هم :

بهرامشاه بن طغرلشاه ، ارسلانشاه بن طغرلشاه ، وتورانشاه بن طغرلشاه .

---

(١) براون : تاريخ الأدب في ايران (الترجمة العربية جـ ٢ ص ٣٨٠) .

واستمر النزاع بينهم فترة طويلة .

وقد استقل كل حاكم منهم في قسم من أملاك القاوردين . غير أن أقواهم وأكبرهم سطوة وأكثرهم استقراراً كان تورانشاه .. الذي مات مقتولاً في عام ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م وجلس محمد شاه بن بهرامشاه مكان عمه تورانشاه في نفس العام ، واستولى على أملاكه وما كان تحت يده ، بعد أن أخرجه أحد الغلمان القاورديين (ظافر محمد أميرك) من السجن . غير أنه لم ينعم بالحكم طويلاً .. فقد خرج عليه أحد أفراد الأسرة المالكة واسمه مبارك شاه السلجوقي .. يسانده بعض الأقارب ممن ساءهم أن يسطو على الملك دونهم .

ولجأ محمد شاه إلى السلطان ارسلان ، فأمده بجيش جرار استطاع به أن يهزم مباركشاه ، وأن يضطره إلى الفرار إلى ديار الغز .

وهكذا استقر المُلك في كرمان لمحمد شاه ، وكان ذلك في عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م إلا أنه صار خاضعاً لملوك الغز يتحكمون فيه ويوجهونه كيف شاءوا . وما أن مرّ عام على توليته حتى عزله الملك دينار أحد ملوكهم .

واستولى الملك دينار في عام ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م (٢) على حكومة كرمان وضم ممتلكات محمد شاه إلى ممتلكاته . وبذلك انتهت دولة القاورديين أو سلاجقة كرمان .. وساهمت عدة عوامل في انهيارها ، منها تدخل الأمراء من الأتراك في شئون البلاد بعد أن اغراهم ضعف الدولة وتفكك الرابطة بين حكامها . والحق ان الضعف والتفكك كانا من العظم بحيث كان الغلمان والعبيد ينضمون إلى من يجزل لهم العطاء ويقتلون في سبيل المال .

ومن هذه العوامل أيضاً اتخاذ الغز من كرمان — في الفترة الأخيرة —

---

(١) كان استيلاء الملك دينار على حكومة كرمان في عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م طبقا لقول زمباور .

(٢) أنظر : زمباور : معجم الأنساب ، ص ٣٣٥ .

مسرحاً لارتكاب فظاعاتهم وجرائمهم الوحشية .. تلك الفظاعات والجرائم التي لم يكفّوا عنها إلا بعد أن كفّت مقاومة الناس لهم .

وهكذا اختل وضع كرمان إلى أن آل الأمر إلى تكش ومحمد خوارزم . وبقدر ما كان سلاطين القاوردييين الأوائل هدفاً لمديح عدد من كبار الشعراء أمثال الأزرقي .. بقدر ما أهملوا في الآونة الأخيرة .. فلم يجدوا من يمتدحهم .

* * *

الفصل الرابع

سلاجقة آسيا الصغرى (سلاجقة الروم)

بلغ عدد من تولوا السلطنة من السلاجقة في بلاد الروم ١٤ شخصاً ، استمر حكمهم مدة ٢٢٠ عاماً [١] . ويرجع نسل هؤلاء الحكّام إلى « أبي الفوارس قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق » الذي عيَّنه السلاجقة في فترة الفتوحات الأولى حاكماً على الموصل وديار بكر والشام ليستخلص تلك الديار لصالحهم ، ويخضعها لنفوذهم .

وقد بدأ تطلع رائدهم وزعيمهم هذا إلى الاستقلال بالحكم عقب وفاة « طغرلبك » في عام ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م ، وتولية « الپ أرسلان » عرش السلاجقة . فقد خرج قتلمش على السلطان ألپ أرسلان لأنه رأى نفسه أحق بالملك منه .. فقتله الپ أرسلان ، وكاد يستأصل شأفة أسرته ويقضي عليها قضاء مبرماً لولا تدخل « نظام الملك » الذي جعله يكتفي بسلب لقب الإمارة من نسل هذا الثائر ، وإطلاق لقب سپهسالار على كل من يتولى الحكم من أعقابه .

---

(١) حبيب السير ، ج ٢ ص ٥٣٨ ... هذا ومما تجدر بنا مراعاته أن العدد الخاص بالحكام مختلف فيه في معظم المصادر .

كما اختطّ نظام الملك خطة تدل على ذكاء ودهاء .. ونفّذ السلطان خطة وزيره فمنح هذه الأسرة جيشاً وشغلهم بالفتوحات . وأصدر أمره إلى «سليمانشاه ابن قتلمش » بالتوجه إلى الشام مع أسرته لإخضاع تلك الولاية لسلطانه وضبط خراجها .. فسيطر سليمانشاه على معظم بلاد الشام ، وحكم ما فتحه من بلاد وما أخضعه من أقاليم بإذن من ملكشاه وموافقة من جانبه .. وكان ذلك في عام ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م .

وفي عام ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م ذاعت شهرة سليمان نتيجة فتح « انطاكية » وتخليصها من سيطرة الكفار حكّامها . وهكذا رفرفت راية الإسلام عالية خفاقة فوق ربوعها بعد أن ظلت مدة ١٢٠ عاماً خاضعة لحكم غير المسلمين .

ثم ثار الخلاف واحتدم النزاع بين «سليمان» و « تتش بن الپ أرسلان » ، فأنهى الأول حياتـــه بيده في عام ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م . واختار السلطـــان « ملكشاه » ابن سليمان هذا ليخلف أباه على العرش ، وكان يدعى « داود بن سليمان » . واستطاع داود أن يوجه ضربة قاضية إلى قيصر الروم وأن يهزمه ويجلس على عرشه في « قونية » في عام ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م . وقد دام حكم داود مدة تقرب من العشرين سنة ، وكانت وفاته في عام ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م [1]

وجلس « مسعود شاه » على العرش في مكان أخيه ، وسيطر على آسيا

---

(١) نفس المصدر والصفحة . ويذكر صاحب تاريخ گزيده أن داود جلس على العرش في عام ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م ، أما صاحب تاريخ ادبيات در ايران فيذكر أن مصرع سليمان كان في عام ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م وأن ملكشاه ولى مكانه ابنه قلج ارسلان (داود) على آسيا الصغرى في عام ٤٨٥ هـ . وبعد موت ملكشاه — وفي غمرة الخلافات حول العرش — استقل قلج ارسلان ووسّع ممتلكاته . كما يذكر صاحب معجم الأنساب أن قلج ارسلان (الأول) داود بن سليمان قد تولى الحكم عام ٤٨٥ هـ .
أنظر : تاريخ گزيده ، ص ٤٧٤ ، تاريخ ادبيات در ايران (الترجمة العربية) ، جـ ٢ ص ٢٢ ، معجم الأنساب ، ص ٢١٥ .

الصغرى وبسط نفوذه في أرجائها ، ونشر العدل وطار صيته في أنحاء المملكة .

ثم تكدّر الجو بينه وبين « مسعود » حاكم العراق فقرر أن يقاتله ، وأقام ابنه « مسعود شاه » (الثاني) مكانه وتوجه بنفسه على رأس جيش كبير إلى بغداد . فلما ورد نهرخابور ، استطاع جاولي (أعظم أتابكة مسعود) أن يثير ضده الأمراء ويقلّبهم عليه بالوعد والوعيد ، فأغرقوه في ذلك النهر ، في عام ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م .(١)

وحكم مسعود شاه (الثاني) مكان أبيه في بلاد الروم مدة ١٩ عاماً قضاها خاضعاً للدانشمندية (٢) ، ومات في عام ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م .

وتولى بعده « عز الدين قلج أرسلان بن مسعود » ، واستطاع بمعونة أبنائه العشرة وصدق مساعدتهم أن يوسّع حدود المملكة ، وأن يستولي على أملاك الدانشمندية – بعد أن ضعفوا ووهنوا – ويقسّمها بين أبنائه . وأخطأ خطأ بالغاً بمنحه ولاية العهد لابنه الأصغر « غياث الدين كيخسرو » دون إخوته .. لأنه ما أن حلّ عام ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م (٣) حتى ثارت الفتن والخصومات بين أفراد البيت المالك نزاعاً على العرش . ففي العام المذكور توفي عز الدين وجلس على العرش غياث الدين كيخسرو ليصطدم صداماً رهيباً باخوته وعلى رأسهم الأخ الأكبر « ركن الدين سليمان » حاكم « توقات » .

ووجّه الحلفاء جيشاً كبيراً نحو قونية لقتال الحاكم الجديد ، فتحصّن وقاوم حصارهم ما استطاع . ثم انتهى الأمر بينه وبينهم بصلح مشروط . وكان الشرط

---

(١) حمدالله مستوفي القزويني : تاريخ گزيده ، ص ٤٧٤ .

(٢) حبيب السير ، ج ٢ ص ٥٣٩ .

(٣) نفس المرجع والصفحة ، تاريخ گزيده ، ص ٤٧٥ . ويذكر زمباور في معجم الأنساب ص ٢١٥ أن كيخسرو تولى العرش في عام ٥٥١ هـ ، وأن وفاته كانت في عام ٥٨٨ هـ .

الأساسي في الصلح أن تكون السلطنة لركن الدين سليمان مقابل أن يؤمّن غياث الدين كيخسرو ولا يتعرض له بأذى . وما أن تم الصلح حتى أسرع كيخسرو إلى (ابلستان) ومنها إلى بلاد الفرنجة .

وباركت الخلافة العباسية الوضع الجديد ، واعترفت بركن الدين سليمان حاكماً ، ومنحته لقب السلطان القاهر . وازداد نفوذه وعُظمت قوته بسقوط سلاجقة العراق في تلك الفترة ، وتولية الخوارزميين [1] . واستطاع أن يستولي على ارزن الروم فمنحها لابن أخيه . [2]

وفي أواخر عهده هُزم في (كرجستان) ، فركبه الهم وعاد إلى بلاد الروم حيث مات في عام ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م ، بعد حكم دام مدة أربع وعشرين سنة [3] .

ورغم أن « عز الدين قلج أرسلان بن ركن الدين سليمانشاه » كان طفلاً

---

(١) يفهم مما ذكره صاحب تاريخ گزيده أن سقوط سلاجقة العراق كان في عام ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م أو بعدها بقليل . بينما الواقع أن انتهاء حكمهم كان في عام ٥٩٠ هـ = ١١٩٤ م .
أنظر في ذلك : راحة الصدور ، ص ٣٧١ ، الكامل في حوادث سنة ٥٩٠ هـ ، مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٣٠٢ ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٢ — ١٧٦ . وربما يجعلنا هذا نأخذ برأي ابن الأثير ، وابن العبري في (تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٨٣)، وابن البيبي في (مختصرسلجوقنامه، ص ٧) وهوالرأي القائل بأن وفاة قلج ارسلان كانت في عام ٥٨٨هـ.

(٢) تاريخ گزيده ، ص ٤٧٦ ، ابن البيبي : مختصر سلجوقنامه، طبع ليدن سنة ١٩٠٢م ص ٣ — ٧ .

(٣) تاريخ گزيده ، ص ٤٧٦ . وبالرجوع إلى ما ذكره خواندمير نعرف أنه حكم ٢٠ سنة ، ويعني المؤرخ بذلك أن غياث الدين قد استمر في الحكم أربع سنوات . هذا ويذكر زمباور أن وفاته كانت في السادس من ذي القعدة عام ٦٠٠ هـ .
أنظر : حبيب السير ، جـ٢ ص ٥٤٠ ، معجم الأنساب ، ص ٢١٥ .

فقد أجلسه بعض الأمراء على العرش .. وظل الحاكم للبلاد مدة عام [١] . غير أن هـــذا الوضع لم يعجب الأتابك « برنقش » فبادر – بموافقة بعض الأمراء – إلى استدعاء غياث الدين كيخسرو من دار الفرنجة ، فعاد إلى قونية على عجل واستولى على العرش واستقرت له السلطنة مدة ٦ سنوات تخلص فيها من منافسيه بسجنهم .

وفي عام ٦٠٩ هـ = ١٢١٢ م تحارب مع الكفار ففاز بالشهادة [٢] .

وجلس على العرش من بعده ابنه « عز الدين كيكاوس » .. إلا أن المرض لم يمهله طويلاً ، فمات بداء السل بعد عام واحد من حكمه . فأفسح الطريق لخُلاصة تلك الأسرة .. لأخيه « علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو ». وأخذ علاء الدين يدير دفة حكم البلاد مدة ٢٦ سنة ، سادها النزاع والقتال مع أكثر من ثائر وطامع .

وكان ممن ناوءه وخرج عليه أخوه « ركن الدين سليمان » ، ولم يتمكن من التخلص منه إلا بأسره وسجنه حتى الموت . كما أن « جلال الدين خوارزمشاه» قد حاربه أكثر من مرة وكان النصر له عليه في أكثر المعارك .

وفي عام ٦٣٦ هـ = ١٢٣٨ م توفي علاء الدين بعد أن تجرّع السم من يد ابنه كيخسرو [٣] وجلس على العرش قاتله « غياث الدين كيخسرو بن كيقباد» ،

---

(١) يرى زمباور أن جلوسه على العرش كان في الفترة ما بين عامي ٦٠٠ هـ ، ٦٠١ هـ . أنظر معجم الأنساب ، ص ٢١٥ .

(٢) يرى زمباور أن وفاته كانت في المحرم من عام ٦٠٧ هـ ... وهو عام تولية عز الدين كيكاوس الحكم .
أنظر : المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٣) يرد في طبقات ناصري أنه مات في شهور سنة ٦٣٣ هـ ولم يرد ذكر لتجرعه السم على يد ابنه ، ويرد في معجم الأنساب أنه مات مسموما في عام ٦٣٤ هـ ، وأن توليته كانت في سنة ٦١٦ هـ .
أنظر : طبقات ناصري ، جـ ١ ص ٢٦٤ ، معجم الأنساب ، ص ٢١٥ .

غير أنه لم ينعم بالحكم أكثر من ثمانية أعوام [1] وانتهى عهده بهزيمة ساحقة مُني بها على يد المغول ، ومات في عام ٦٤٤ هـ = ١٢٤٦ م ، تاركاً وراءه العديد من الأبناء [2] .

واحتدم النزاع بين الأبناء وتطلّع كل واحد منهم إلى عرش أبيه . وكان الفوز لأحدهم ويدعى « ركن الدين سليمان » . وقد عمل سليمان على تثبيت قواعد ملكه بكل الطرق ، واستطاع في النهاية أن يزيل إخوته من طريقه ؛ فصفا له الجو ، وحكم مدة عشرين عاماً . وكانت وفاته في عام ٦٦٤ هـ = ١٢٦٥ م بأمر من « أبا قاخان » المغولي الذي قرّر قتله بالسم .

وحكم بعده ابنه الطفل « كيخسرو بن سليمان » ، واستطاع أن يبقى على عرش السلاجقة مدة ١٨ عاماً .. حتى أصدر « احمد خان » أمره بقتله في عام ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م .

وتولى بعده « غياث الدين مسعود بن كيكاوس » — وكان حكم المغول قد آل إلى أرغون خان — فعاش عهداً مضطرباً اختلت فيه الأوضاع إلى أبعد حد . وتغلب عليه أعداؤه واستولوا على أجزاء عديدة في داخل بلاده . ورغم ذلك دام حكم غياث الدين إلى عام ٦٩٧ هـ = ١٢٩٧ م . وبوفاته في هذا العام جلس على العرش « علاء الدين كيقباد بن فرامر » — ابن أخيه — وذلك

---

(١) هذا طبقا لما ورد في حبيب السير . ج ١ ص ٥٤٠ ، أما تاريخ گزيده فيذكر أن مدة حكمه بلغت ٦ سنوات فقط رغم أن التاريخين اللذين ذكرهما لتوليته الحكم ووفاته يثبتان أنه قضى ٨ سنوات في الحكم . (تاريخ گزيده ص ٤٧٧) .

(٢) يرد في طبقات ناصري أنه مات في أول المحرّم من عام ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م .
أنظر : منهاج الدين عثمان بن سراج الدين (منهاج السراج) الجوزجاني (٦٥٨ هـ) ، طبقات ناصري ، جلداول — تعليق عبد الحي حبيبي — كابل ١٣٤٢ هـ . ش — الطبعة الثانية ص ٢٦٥ .

بناء على أمر من حاكم المغول آنذاك وهو « غازان خان » . فكوّن له جيشاً كبيراً وثبّت قواعد ملكه .

واغترّ علاء الدين بموته فخرج على غازان وعصاه . فاضطر الحاكم المغولي إلى أن يسوق إليه جيشاً لتأديبه . وهُزم علاء الدين ووقع أسيراً في قبضة غازان .. فأنهى حكم السلاجقة في تلك الديار وكفّ يدهم عنها .

ونحن نلاحظ أنه برغم الخلافات التي نشبت بين سلاطين السلاجقة والأمراء في آسيا الصغرى — مما كان له أبعد الأثر في إضعاف حكومتهم — فقد عاشت حكومتهم مدة أطول من غيرها من حكومات السلاجقة . ولعل السبب الرئيسي في بقاء حكومتهم في ظل المغول هو دخولهم في طاعتهم .. فقد أظهروا تبعيتهم للمغول منذ عام ٦٥٧ هـ = ١٢٥٨ م .

وقد كان تدخُّل المغول في شئون حكام هذه الدولة كبيراً إلى حد أنهم كانوا يعزلون سلاطينها ويولّونهم ، ويقتلون منهم من يرون التخلّص منه . إلا أن هذا التدخُّل نفسه وتلك التبعية للمغول كانت العاصم لهم من حملاتهم ، والدافع لغارات التتار المهلكة إلى حدٍ ما .

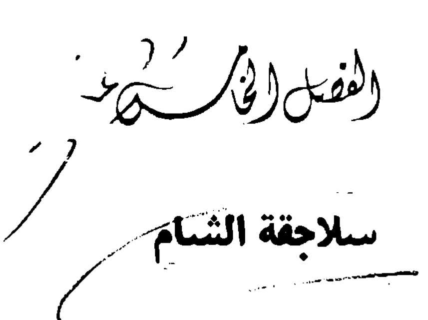
وقد أدى هذا الوضع إلى أن صارت بلادهم ملجأ من ملاجىء العلماء الايرانيين .

والحق أن سلاجقة الروم كانوا الوسيلة الكبرى لنشر اللغة والأدب الفارسي في البلاد التابعة لهم . ولهذا أصبح لهذه الدولة مقامها الكبير في تاريخ ايران [1] . هذا وقد بقيت عنهم في بلاد الروم آثار تاريخية كثيرة منها المدارس والمساجد والخانقات والربط والقناطر والأوقاف [2] .

---

(١) طبقات سلاطين اسلام ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) منهاج السراج : طبقات ناصري ، ص ٢٦٣ .



سلاجقة الشام

تنحدر هذه الطائفة من نسل « تاج الدولة تتش بن ألپ أرسلان » . وقد بدأ حكم أفرادها للشام في عام ٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م – بأمر ملكشاه – الذي منحهم حكومة (دمشق) وتوابعها على أن يكون كل ما يفتحونه من هذه النواحي من حقهم وتحت تصرُّفهم .

وقد تغلب تتش على حكام دمشق وفتحها في عام ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م إثر هجوم كبير على هذه النواحي . وبعد وفاة ملكشاه في عام ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م جمع تتش عسكره واتجه إلى (حلب) ، وقد استقرّ عزمه على أن يكون سلطاناً على السلاجقة بدل أخيه الراحل .

وخشي « قسيم الدولة آقسنقر » – حاكم حلب – سطوة تتش وبطشه فأظهر الطاعة وأبدى الولاء لتتش ، كما أطاعه حكّام (انطاكية) و (الرها) و (حران) . واختار لنفسه لقب السلطان ، وفتح (نصيبين) عنوة ، وقتل العديد من أهلها وسلب أموالهم ونهب ممتلكاتهم ، وارتكب بها أعمالاً قبيحة . ثم قصد (الموصل) و (دياربكر) و (ميافارقين) و (آذربيجان) .

ولما وصل خبر خروج تتش مسامع « ركن الدين بركيارق » – ابن أخيه –

وكان وقتها يحكم قسماً من المماليك السلجوقية .. بادر إلى مقابلة عمه في جيش كبير .

ورأى تتش أنه من الحكمة أن يعود بجيشه إلى الشام ليشتغل بتقوية نفسه .. بعد أن تفرّق عنه بعض أعوانه .

وفي عام ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م وجد تتش أن الفرصة قد باتت مناسبة للاستيلاء على إيران واخضاعها لنفوذه . وفي طريقه إلى (آذربيجان) و (همدان) أخضع جميع البلاد التي مرّ بها ، وضمّها إلى ممتلكاته .

وكان بركيارق وقتها في نصيبين . فلما وافاه الرسل بالأنباء خرج لملاقاة عمه . لكنه هُزم ولم يقو على الصمود في مواجهته ، فلجأ إلى الفرار قاصداً (اصفهان) ليستعين بما يقدمه له أخوه « محمود » من مدد .

واتفق أن مات محمود إثر إصابته بمرض الطاعون ، كما ابتلى بركيارق بدوره بهذا المرض [١] فلم يجد تتش من يقف في وجه انسياحه وتقدمه .

فلما تحسّنت صحة بركيارق سار بالمدد الذي جاء به من خراسان ، فتقابل وتتش قرب (الري) وتمكّن من هزيمته وقتلِه في السابع عشر من صفر سنة ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م [٢] .

وكان تتش – حين توقّف في آذربيجان – قد عيّن ابنه على حكومة الشام وحلب والعراق . فتوجّه ابنه هذا – واسمه رضوان ويلقب بفخر الملوك – إلى العراق لتولي مهام منصبه [٣] . فلما سمع خبر مصرع أبيه على يد

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران ، طبع طهران ، ج ٢ ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) تاريخ آل سلجوق ، طبع مصر ، ص ٧٩ ، زبدة النصرة ونخبة العصرة ، ليدن ١٨٨٩ م ، ص ٨٥ .

(٣) معجم الأنساب ، ج ٢ ص ٣٣٤ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، طبع بيروت سنة ١٩٠٨ م ، ص ١٨٩ .

بركيارق ترك العراق إلى حلب في نفس العام[1] .

وهكذا كتب الاستمرار للحكومة التي أوجدها تتش في الشام . غير أن هذه الحكومة لم تعمِّر طويلاً . ففي الثامن والعشرين من جمادى الأولى من عام ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م توفي فخر الملوك رضوان بن تتش . ولم يعد في الدولة حاكماً قوياً يمكنه السيطرة على الموقف والقبض بحزم على زمام الأمور .. خاصة وأن « شمس الملوك أبا نصر دقاق بن تتش » الذي تولى حُكم دمشق عام ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م كان قد توفي هو الآخر في الثامن عشر من رمضان عام ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م .

وفي عام ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م تولى الحكم في حلب « تاج الدولة الپ أرسلان الأخرس ابن رضوان » . وبعد عام واحد ـ أي في عام ٥٠٨هـ = ١١١٤ م ـ حل محله « سلطانشاه بن رضوان » تحت وصاية « بدر الدين لؤلؤ » .

وأخيراً زالت حكُومة سلاجقة الشام في عام ٥١١ هـ = ١١١٧ م على يد أتابكة (بوري) وأمراء (أرتقي)[2] .

---

(١) ارجع إلى ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٤٨٨ هـ .

(٢) الكريم الأقسراني : مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار ، طبع انقرة سنة ١٩٤٤ م ، ص ٢٠ ، ٢١ .

الباب الثاني

المعسكرات المناوئة للسلاجقة

الفصل الأول

الغزنويون

بدأ ظهور الدولة الغزنوية على يد عبد من عبيد أحمد بن اسماعيل الساماني يدعى البتكين . كان قد ارتقى في المناصب وأصبح قائداً لجيوش آل سامان في عام ٣٥١ هـ = ٩٦٢ م [١] ، قبل أن يتمكن من التحكُّم والسيطرة وتأسيس دولته . ثم بلغت الدولة أقصى اتساعها في عهد محمود بن سبكتكين (٣٨٧ – ٤٢١ هـ = ٩٩٧ – ١٠٣٠ م) . ويعدُّ عصره العصرِ الذهبي للأسرة . وقد استطاع بمهارته وذكائه وغيرته على الإسلام أن يوسِّع رقعة بلاده إلى حد كبير [٢] . وقد وقف هذا الغازي الذي اشتهر بفتوحاته الإسلامية في الهند .. وقف للسلاجقة بالمرِصاد ، واستطاع خداع زعيمهم إسرائيل والقضاء عليه على النحو الذي ذكرناه آنفاً .. مما جعل هؤلاء بقيادة زعيمهم ميكائيل يخططون للقضاء على الغزنويين . وتنفيذاً لخطتهم طلبوا من محمود أن يأذن لهم بعبور دياره ، والإقامة بين نسا وباورد . وقد وافق محمود على طلبهم .. فعبروا جيحون واستقروا في خراسان .

---

(١) خليلي : سلطنت غزنويان ، طبع كابل سنة ١٣٣٣ ، ص ٣ .

(٢) منهاج السراج الجوزجاني : طبقات ناصري ، جـ ١ ص ٢٣٠ .

وتوفي محمود عام ٤٢١ هـ = ١٠٢٩ م فدبّ النزاع بين مسعود وأخيه محمد . مما ساهم في إضعاف الدولة الغزنوية ، وأتاح الفرصة للسلاجقة للتدخل . وقد دارت بينهم وبين مسعود معارك عنيفة هزت الدولة الغزنوية في ما وراء النهر وخراسان ، وصرفتها بالتدريج عن فتوحات الهند . وقد انتصر السلاجقة على مسعود عند (نسا) ، واضطر إلى عقد صلح معهم فانساحوا في خراسان .

وحاربهم أمير خراسان قرب (سرخس) عام ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م فتمكّنوا من هزيمته وأصبحوا يشكّلون أكبر قوة في خراسان .

وتولى طغرلبك قيادة السلاجقة ، وجلس على عرش مسعود في نيسابور في نفس العام ، وصار أول سلاطين السلاجقة .

وعاد المعسكر الغزنوي إلى مناوءة السلاجقة ، فقرر مسعود الهجوم عليهم في عام ٤٣١ هـ = ١٠٣٩ م لكنهم تمكنوا من هزيمته في موقعة (دندانقان) [١] .. وكفوّا أيدي الغزنويين عن إيران وما وراء النهر . وفر مسعود محاولاً أن يجدد قواه ويلمّ شعث جيشه . ونادى الجند بمحمد سلطاناً ، وأسر مسعود وسجن في قلعة كسرى ، حيث قتل في عام ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م [٢] .

وقرّر ابنه مودود (نائب مسعود في غزنة) أن ينتقم ، فحارب عمه محمداً وأسره ، وأسر جميع أبنائه وأتباعه وتخلص منهم . وما أن جلس على العرش في عام ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م حتّى بادر بقتل عمه [٣] .

وطمع أخوه « مجدود » ـــ الذي كان يتولى إمارة الهند في المولتان ـــ في الحلوس على العرش ، فتحرك لمهاجمة غزنة ، وعزل مودود من السلطنة .

---

(١) البيهقي : تاريخ بيهقي ، طهران ١٣٢٤ هـ ، ص ٦٢٨ .
(٢) الكرديزي : زين الأخبار ، ص ٨٥ .
(٣) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، طبع انقرة سنة ١٩٥٧ م ، ج ٢ ـــ ٤ ص ٢١٦ .

وسارع مودود للقائه ، ونزل الجيشان بشاطىء السند ، لكنهما لم يتحاربا لأن مجدود وُجِد ميتاً في خيمته . وعاد مودود إلى غزنة حيث مات في عام ٤٤١ هـ = ١٠٤٩ م .

وتولى بعده مسعود الثاني وهو الابن الأصغر لمودود ، غير أنه لم يمكث بالحكم أكثر من شهر ، وخُلع وأبعد عن عرشه ليحلّ مكانه عمه علي ابن السلطان مسعود ، يشاركه في الحكم محمد بن مودود . فاختلت الأمور نتيجة تعدد الحكام مما اضطر الأمراء إلى خلعهما وسجنهما بعد شهرين من توليتهما .

وجلس السلطان عبد الرشيد بن محمود على العرش . وعيّن عبد الرزاق ابن أحمد بن حسن الميمندي وزيراً بسبب مساعدته له في تولّي الحكم. وكان عبد الرزاق قبل ذلك وزيراً لمودود [١] .

وتطلّع داود السلجوقي إلى احتلال غزنة ، فأوفد ابنه الپ أرسلان إليها ، لكنه هُزم أمام الغزنويين . ووصل داود إلى بست فتصدى له قائد الغزنويين (طغرل) واضطره إلى الفرار . وتبعه طغرل إلى سيستان . والحق الهزيمة ببيغو (عم داود) عند قلعة طاق ، ثم عاد إلى غزنة . وهناك جلس على عرش الغزنويين ، وقتل أحد عشر أميراً غزنوياً . لكنه لم يمكث على العرش أكثر من أربعين يوماً قتل بعدها ، وبويع الأمير فرخزاد بن مسعود فاصبح سلطاناً للغزنويين في عام ٤٤٣ هـ = ١٠٥١ م .

وحاول السلاجقة الإغارة على غزنة ، فتصدى لهم خرخيز وزير فرخزاد وهزمهم وطردهم بعيداً عن حدود غزنة [٢] .

وتوجه خرخيز بعد ذلك إلى بست وهزم قائدها وأسره ثم أطلق سراحه .

---

(١) ظل عبد الرزاق وزيرا حتى أدركته الوفاة . (خواندمير : دستور الوزراء ، طهران ١٣١٧ هـ . ش ، ص ١٤٥) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٢٠٢ .

وكان هذا الوزير من القوة بحيث كان الحاكم الفعلي والمسيطر على الأمور دون السلطان . ولم تراود السلاجقة في فترة توليته للوزارة فكرة الهجوم على بست وغزنة .

وفي عام ٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م توفي فرخزاد ، فجلس ابراهيم بن مسعود ابن محمود على العرش . وقد عمل هذا السلطان على دفع فتنة السلاجقة بالصلح مع داود بن ميكائيل السلجوقي ، وإقرار اتفاقية يتعهد الطرفان بموجبها أن يحترم كل منهما سيادة الآخر على أملاكه . كما سعى إلى إصلاح الفساد الداخلي وإحياء عظمة الغزنويين وأمجادهم . غير أن الفتن الداخلية كانت تستنزف كثيراً من قوته ، فلم يستطع التوسع عن طريق الفتوحات ، وإن حافظ على ما تحت يده من ممتلكات الغزنويين ، وعلى نفوذه في الهند .وقد حكم ابراهيم فترة طويلة ، ومات في عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٨ م .

وتولى علاء الدولة مسعود الثالث مكان أبيه في نفس العام . ولما كان زوجاً لأخت سنجر فقد تحسنت العلاقات بين الغزنويين والسلاجقة في بداية حكمه . غير أن السلاجقة عادوا إلى الطمع في السيطرة على دولته وانتزاع زمام الأمور منه . فهاجموا هراة وبلخ واستولوا عليهما ، كما استولوا على القسم الغربي من خراسان . واصبحت بست تحت سيطرتهم .

أما علاء الدولة فظل سلطانه قوياً في الهند ، واتسمت فتوحاته بطابع النصر والتوفيق . ولما توفي عام ٥٠٨ هـ = ١١١٤ م تولى الحكم من بعده السلطان أشيرزاد بناء على وصية أبيه . غير انه لم ينعم بالملك طويلاً إذ قتله أخوه

(١) هذا طبقا لما ورد في طبقات ناصري ، وتاريخ گزيده ، ولب التواريخ . أما الكامل فيرد فيه أن الوفاة كانت في ٤٨١ هـ . ويرد في جامع التواريخ أنها كانت في ٥٠٨ هـ . وهذا خطأ لأن فيه إهمالا وإغفالا لتولية مسعود الثالث .

أنظر : طبقات ناصري ، ج ١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ؛ تاريخ گزيده ، ج ١ ص ٤٠٤ ، لب التواريخ ، ص ٩٠ ، والكامل ، ج ١٠ ص ٥٧ ، جامع التواريخ ، ج ٢ — ٤ ص ٢١٨ .

أرسلانشاه (كانوا يدعونه الملك أرسلان) ، وجلس مكانه على العرش في العام التالي لتوليته (٥٠٩ هـ = ١١١٥ م) [1] . وساءت الأحوال واضمحلت قوة الدولة وضاعت هيبتها ، وتجرأ السلاجقة على العدوان عليها .

ولجأ بهرام شاه الغزنوي – ابن اخت سنجر – إلى خاله سنجر ، وكان آنذاك حاكماً على خراسان من قبل أخيه الشقيق محمد ، وطلب منه العون والمساعدة . وقرر سنجر أن يجلسه على العرش بدلاً من أرسلان شاه . وحاول أرسلان شاه استرضاء سنجر بالمال ، وجعل اخته تتشفع له لديه .. فلم يقبل سنجر مالاً ولا شفاعة . وانتصر الجيش السلجوقي على جيش أرسلانشاه قرب غزنة في معركة فاصلة ، مما اضطر ارسلانشاه إلى الفرار للهند . وسقطت عاصمة الغزنويين في يد سنجر عام ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م ، ودخلها فاتحاً منتصراً .

وهكذا يمكننا أن نقول انه إذا كانت موقعة دندانقان قد أكدت سلطان السلاجقة في خراسان ، فإن دخول السلاجقة غزنة قد وضع نهاية حقيقية للدولة الغزنوية .

وتولى بهرامشاه مقاليد الحكم .. لكن الملك أرسلان استطاع أن يهاجمه ويهزمه . فاضطر سنجر إلى فتح غزنة مرة أخرى . وتمكّن في عام ٥١٢ هـ = ١١١٨ م من قتل أرسلانشاه .

وقد ساء حكام الغور وأغضبهم أن استدعى بهرامشاه السلاجقة وتسبب في دخولهم غزنة . كما أحنقهم أنه قتل صهره محمداً بن الحسين . وكان محمد هذا أخا للسلطان سيف الدين سوري بن الحسين ملك الغور .. فجرّد حملة كبيرة توجه على رأسها إلى غزنة عام ٥٤٣ هـ= ١١٤٨ م . لينتقم من بهرامشاه.[2] وقد تمكن فعلاً من هزيمته وألجأه إلى الفرار إلى الهند .غير أن بهرامشاه عاد

---

(١) تاريخ گزيده ، طبع طهران . جـ١ ص ٤٠٤ . ٤٠٥ .
(٢) حبيب السير . ج ٢ ص ٣٩٩ .

بعد مدة إلى غزنة ، وتمكّن من هزيمة ملك الغور وأسره .. وبالغ في الانتقام منه فشنقه وعلّق جثته في السوق .

وأراد السلطان بهاء الدين الغوري مهاجمة بهرامشاه والانتقام منه لقتله سيف الدين ، لكنه مات قبل أن يصل إليه .

فعمد أخوه علاء الدين حسين بن الحسين إلى تنفيذ الانتقام . وتحارب هو وبهرامشاه ثلاث مرات إلى أن سقطت غزنة في يد الغور .

وكان انتقام علاء الدين رهيباً إذ أحرق غزنة واستباحها ، ونبش قبور السلاطين السابقين ، وخرّب القصور الفخمة . وأحرق مكتبة غزنة أو لعله حمل ما بها إلى مكتبة فيروزكوه [1] .

وتمكن بهرامشاه من الفرار ، ولم يتمكن من استعادة عرشه فقد أدركته الوفاة في عام ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م . وبعد فترة من الاضطراب تولى ابنه خسروشاه حكم البلاد ، وكان ذلك في الفترة السابقة على عام ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م . وقد تولّى في وقت كان فيه سلاطين الغزنويين لا يسيطرون إلاّ على غزنة وبعض بلاد الهند .

واستطاع الغز في تلك الفترة أن يستولوا على خراسان ويأسروا السلطان سنجر السلجوقي . وبات من السهل عليهم أن يفتحوا غزنة ففعلوا ، واضطر خسروشاه إلى الفرار للهند .. حيث حكم عدة سنوات في لاهور .

واستمر حكم الغز لغزنة مدة اثني عشر عاماً حتى استردها من يدهم غياث الدين محمد بن سام . وأجلس على عرشها السلطان معز الدين محمد ابن سام .

أما خسروشاه فقد مات في الهند ، وجلس ابنه خسروملك على عرش

---

(١) خليلي : سلطنت غزنويان ، ص ٢٦٥ .

لاهور من بعده . فكان في ذلك إيذان بانتهاء الدولة الغزنوية .. إذ توسّع الغز في فتوحاتهم ، وسيطروا على الكثير من ممتلكات الغزنويين. وبلغ الأمر في النهاية حدّ أن السلطان معز الدين محمد بن سام هاجم لاهور في عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م [١] على رأس جيش يبلغ عدد فرسانه عشرين ألفاً . وتمكن من أسر خسرو ملك ووضعه في السجن . وقُتل خسرو ملك في عام ٥٩٨ هـ = ١٢٠١ م لتنتهي الأسرة الغزنوية .

(١) يعتبر عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م عام القضاء الفعلي على الدولة الغزنوية .
أنظر : حتّي وجرجي جبور : تاريخ العرب ، طبع بيروت سنة ١٩٥٠ م ، ج٢ص٥٥٩.

الفصل الثاني

القره خطائيون

ينتمي (القره خطائيون) إلى عدة قبائل تركية مغولية [1] .. كان أفرادها يسكنون في أقصى الصين ، ويعتنقون الوثنية . وكانوا دائمي التنقل لا يقر لهم قرار . وقد أدى بهم انتقالهم – إبان حكم السلاجقة – إلى الوصول إلى شمال شرقي إيران . وهناك تمركزوا في مواقعهم الجديدة ، وأسسوا لهم دولة عاصمتها (بلاساغون) ، وذلك في عام ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م . وجعلوا زمام الأمور في يد مَلِك يطلقون عليه « گوخان » [2] .

(١) ايران ماضيها وحاضرها ، ص ٦١ .

(٢) يطلق عليه ابن الأثير في كتابه الكامل (ج ١١ ص ٣٣) لقب گوخان . أما الراوندي في كتابه راحة الصدور (طبع ليدن ، ص ١٧٢) فيلقّبه بكافر الخطا ، ويلقبه خواندمير في كتابه حبيب السير (ج ٢ ص ٥٠٩) باسم گورخان .

واذا رجعنا إلى ما ورد في مختصر تاريخ آل سلجوق (طبع مصر ، ص ٢٥٣) وجدنا اسم الملك يرد على هذا النحو : (أوزخان) . ويقول مؤلف الكتاب في حق ذلك الملك أنه كان صاحب خطا وختن ونعما . ويستطرد قائلا : « ولم يكن في الكفار الخطائية أوسع منه ملكا ، وأنظم سلكاً ، وأوفر عُدداً وعَددا . وكان أمره يصل إلى حدود الصين » .

والمؤلف يعني شخصا معيّنا ... هو الذي قاد الحملة ضد سنجر .

ويعتبر القره خطائيون من أهم الأقوام التي أغارت على بلاد ما وراء النهر ، إذا استثنينا آل أفراسياب والغز . ومن الأسماء التي كانت تطلق عليهم أيضاً : (تركان الخطا) .. خاصة الفرع الذي كان ينتمي إلى الجنس التونگوزي (Tunguse) . وكان هذا الفرع يحكم في النواحي الشمالية من الصين باسم (الخطا) . ثم تمكّن من طرد طوائف (القرقيز) من هذا المكان إلى سواحل مجرى نهر (يني سئي) (Iniséi) ، وإدخال طوائف اويغور – التي كانت تعيش في التركستان الصينية ، وتؤمن بمذهب ماني – في طاعتهم [1] .

وقد ارتفعت أسهم القره خطائيين ولمع اسمهم في تاريخ ايران في القرن السادس الهجري . ففي عام ٥١٩ ﻫ = ١١٢٥ م ، وعلى إثر ضغط طائفة جديدة من طوائف تونگوز ، اضطر عدد من طوائف الخطا إلى ترك ممتلكاتهم وما تحت يدهم . واستمروا في الضغط على ناحية المغرب حتّى سيطروا على ناحية كاشغر والختن .

وهــذه الطائفة نفسها هي التي اشتهرت في التاريخ الإسلامي باسم القره خطائيين [2] .

وفي عام ٥٣١ ﻫ = ١١٣٦ م بدأ أفراد هذه الطائفة تحركهم ، وكان تحركاً سريعاً خاطفاً .. تمكنوا به من هزيمة خان سمرقند في حدود (خجند) . ثم واصلوا تحركهم بقيادة سيدهم وزعيمهم گورخان ، فانساحوا في البلاد الإسلامية ، وأمعنوا فيها سلباً ونهباً وتخريباً وقتلاً ، وبثوا الرعب أينما ساروا وحيثما حلّوا . وأصبحت منطقة ما وراء النهر مسرحاً لأحداثهم الدامية .

وكانت بلاد التركستان – وهي كاشغر وبلاساغون وختن وطراز وغيرها

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران . جـ ٢ ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢) المرجع السابق والصفحتين السابقتين .

من بلاد ما وراء النهر المجاورة لها – في يد ملوك الخانية الأتراك . وهم مسلمون من نسل آفراسياب التركي . غير أن الخلاف كان دائم النشوب بينهم ، والفرقة تشتت صفوفهم . وأول من اعتنق الإسلام من بينهم .. جدهم الأكبر المدعو (شبق قراخاقان) . ولما مات هذا الرجل تولّى مكانه ابنه (موسى ابن شبق قراخاقان) . وظل المُلك يتنقل بين أولاده حتى وصل إلى (ارسلان خان بن محمد بن سليمان بن داود بغراخان بن ابراهيم) الملقب بطيغاج خان ابن ايلك الملقب بنصر ارسلان بن علي بن موسى بن شبق .

وقد خرج عليه (قدرخان) ، وانتزع الملك منه . ومن هنا كانت بداية تدخل السلاجقة تدخلاً فعلياً في شئون الخانيين ، فقد تصدّى سنجر لقدرخان ، وتمكّن من قتله في عام ٤٩٤ هـ ، وأعاد الملك إلى أرسلان خان وثبّت قدميه . وقد هاجم سنجرُ (القارغليةَ) مساندة لأرسلان خان ، فلما وجدوا أنفسهم عاجزين عن الصمود ، فرّوا بين يديه .

وعاد سنجر إلى سمرقند وقد تغيّر على ارسلان خان .. فقد نمى إلى علمه أنه تآمر على قتله رغم ما قدّمه من مساعدات . وتمكّن من أسر أرسلان خان ، فسيّره إلى بلخ حيث مات . وعيّن على سمرقند حاكماً من قبَلِه يدعى (قلج طمغاج) ، وهو أحد أعيان الخانيين وأثريائهم . فلما مات .. عيّن مكانه الملك (محمود بن ارسلان خان محمد بن سليمان بن داود بغراخان) ، وذلك في عام ٥٢٦ هـ .

واستنجد به الملك محمود ضد الأتراك بعامة ، فعبر إلى ما وراء النهر في عام ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م ونصره عليهم ، والمعروف أن محموداً هذا ابن اخت السلطان سنجر [١] ، وكان سنجر يقرّبه إليه ويحبّه كثيراً لأنه كان يساعده

---

(١) الكامل ، ج ١١ ص ٣١ ، ٣٢ .
البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

في معظم الأوقات مساعدة فعالة . ومما يؤثر عنه أنه كان محباً للأدب ، يكرم الشعراء ويحظى بمديحهم .

ولجأ محمود مرة أخرى إلى سنجر واشتكى إليه من القارغلية ، فتوجه سنجر إليهم وطردهم إكراماً له . فلجأ القارغلية إلى (كوخان) الصيني ومن يوالونه من الكفار ، فاستعد جنود الترك والصين والخطا لحرب سنجر [1] . فوجد نفسه مضطراً لمجابهتهم وخوض غمار الحرب معهم [2] .

وتقاتل الجانبان عند قطوان في وادي ديرغم قرب سمرقند [3] ، في الخامس من شهر صفر عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م [4] .. وتمكّن الحلفاء من

---

(١) يقال إنهم خافوا سنجرحين توجه إليهم ، وأخذوا يستعطفونه ، لكنه أصر على قتالهم فصمدوا له وانتصروا عليه . ويقال إن سنجر كاد يرجع عنهم . لولا أن البعض غرى (گورخان) ملك القرەخطائيين بمحاربته ومنّاه بالنصر ، فنشب القتال .

أنظر : تاريخ آل سلجوق ، اختصار البنداري ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، حبيب السير ، ج ٢ ص ٥٠٩ ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٣ .

ويقال إن السبب الحقيقي في نشوب هذه المعركة هو أن (سنجر) قتل ابناً من أبناء خوارزمشاه اتسز بن محمد ، فبعث اتسز إلى الخطا يطمعهم في البلاد ويهوّن عليهم أمر امتلاكها . ويحثهم على قصد مملكة سنجر .

ويقال إن عدوان جنود سنجر وظلمهم كان سببا من أسباب المعركة . إذ أرسل قواد ما وراء النهر يستدعون گورخان سراً إلى مملكتهم لتخليصهم من ظلم السنجريين .

أنظر : الكامل ، ج ١١ ص ٣١ ، راحة الصدور ، ليدن ، ص ١٧٢ .

(٢) يغفل صاحب حبيب السير (ج ٢ ص ٥٠٩) ذكرَ اسم من استدعى السلطان سنجر لقتال القرەخطائيين ، فيقول : « وأغراه بعض ذوي الأغراض الفاسدة بالتوجه لتأديب أهالي القرەخطا المستوطنين في حدود هذه المملكة (سمرقند) » .

(٣) لم يرد ذكر وادي ديرغم إلا عند ابن الأثير في كتابه الكامل ، ج ١١ ص ٣٣ .

(٤) تجمع المصادر على أن توجه سنجر لقتالهم كان في عام ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م ، وأن موقعة قطوان كانت في عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م . ومع ذلك يرد في كتاب تاريخ آل سلجوق (ص ٢٥٤) أن هزيمة سنجر كانت في عام ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م .

هزيمة المسلمين [١] . وولّى سنجر الأدبار وركن إلى الفرار .. وتوجّه تلقاء ترمذ ومنها إلى بلخ .

وكانت نتيجة المعركة قاسية بالنسبة لسنجر الذي لم يتعود الهزيمة. فقد أُسرت زوجته ، وأسر عدد من الأمراء من بينهم صاحب سجستان والأمير قماج [٢] . وقتل من أتباع سنجر وجنوده ١٠٠ ألف شخص ، منهم ١٢ ألفاً كلهم أصحاب عمامات ، وأربعة آلاف امرأة . [٣] .

واستقرت دولة الخطا ، واستقر الترك والكفار بما وراء النهر . وبقي گوخان في ما وراء النهر إلى أن مات في عام ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م . [٤] وملكت ابنته من بعده ، ثم ملكت أمها . ويقال ان (سنجر) أصبح يتجنب الصدام بهم ، ويقال إنه صالحهم وأعطاهم مراعي التركستان وبلاساغون في مقابل ردّ زوجته وإطلاق سراحها . إلا أن الأبيات التي سجلها الشاعر (الأنوري) في ديوانه تؤكد أنه استرد منهم ما أخذوه عنوة [٥] .

---

(١) يرجع حمدالله الهزيمة إلى عصيان جيش سنجر للسلطان ، مما تسبب عنه هزيمته وخروج ما وراء النهر عن سلطانه . ويرى الجوزجاني ان الهزيمة مرجعها طول مدة البطالة التي عاشها حشم السلطان ، وحياة الرفاهية التي غرقوا فيها مما أفقدهم روح المقاومة .
أنظر : تاريخ گزيده ، ص ٤٤٩ ، طبقات ناصري ، ص ٢٦١ .

(٢) يقال إن تركان خاتون زوجة سنجر قد افتديت لقاء ٥٠٠ دينار ، وأن الأسرى فرّوا بعد مدة ولحقوا بسنجر .
أنظر : تاريخ گزيده ، ص ٤٤٩ نقلا عن تاريخ عماد الكاتب .

(٣) تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ١٤ ، الكامل ج ١١ ص ٣١ ، تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي إلى السعدي ص ٣٧٩ تجمع هذه المصادر على أن عدد القتلى بلغ ١٠٠ ألف . أما لب التواريخ (ص ١٠٨) فيذكر أن عدد القتلى ٣٠ ألف شخص .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٣٣ .

(٥) أنظر في ذلك : تاريخ گزيده ، ص ٤٤٩ ، طبقات ناصري ، ص ٢٦٢ ، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، ص ٣٧٩ ، ديوان الانوري ، طهران ،

وعلى أي حال فقد بقي اقليم ما وراء النهر بيد الخطا إلى أن أخذه منهم علاء الدين محمد خوارزمشاه في عام ٦٠٩ هـ = ١٢٠٢ [1] .

وبالرجوع إلى (لب التواريخ) نجد فصلاً بعنوان : (ذكر سلاطين القرهخطائيين) [2] . ويستفاد مما ورد في هذا الفصل أن تسعة أشخاص من رجالات هذه الدولة قد حكموا في كرمان مدة ٨٦ عاماً . وأن أولهم هو (براق الحاجب) من أمراء گورخان قرهختاي الذي كان يعمل في بلاط السلطان محمد خوارزمشاه ، والذي استولى على كرمان ، وجعل السلطنة باسمه . وقد حكم براق أحد عشر عاماً ، ومات في عام ٦٣٢ هـ .

ويمضي الكتاب في ذكر سلاطينهم ، وينتهي بهم عند السلطان قطب الدين جهان سيور غتمش بن قطب الدين ، الذي عزله اولجايتو المغولي بعد عامين وبضعة أشهر من حكمه لكرمان . وبذا انتهت سيطرتهم على كرمان وزال سلطانهم منها ، وحكمها بعد ذلك المغول .

ويمكن القول بأن سلاطين القرهخطائيين – رغم قسوتهم إبان قتالهم مع سنجر ، ورغم أنهم لم يكونوا مسلمين ولم يقبلوا الدخول في الإسلام – كانوا في أغلب الأحيان أناساً حسني السيرة عادلين . وكانوا يأمرون عمالهم – منذ

= ص ٦٤ ، ٦٥ .

وقد ذكرت أبيات الأنوري وترجمتها عند حديثي عن السلطان سنجر .

(١) يختلف المؤرخون حول تاريخ استئصال هذه الطائفة وانتهاء دولتها ، فمن قائل ان ذلك كان في عام ٦٠٩ هـ ، ومن قائل أنه كان في عام ٦١٢ هـ .

ويمكن الرجوع في ذلك إلى : الكامل ج ١١ ص ٣٣ ، حوادث ٦٠٤ ، سلاجقة ايران والعراق ، ص ١١٨ أما تاريخ آل سلجوق فيرد فيه أنه لم يبق لهذه الطائفة من أثر بعد عام ٦٠٠ هـ .

(٢) لب التواريخ ، ص ١٣٣ – ١٣٥ .

استيلائهم على بلاد ما وراء النهر – برعاية قوانين الدين الإسلامي [1] . كما كانوا بمثابة حاجز يمنع سائر الأقوام المنتمين إلى الجنس الأصفر من التقدم في إيران .

ولذا فإن إزالة خوارزمشاه لهم تعتبر ضمناً إزالة لذلك السد المنيع. وقد ظهر أثر ذلك حين هاجم المغول والتتار ديار المسلمين .. فإنهم لم يجدوا مانعاً ولا رادعاً .. فاستطاعوا التقدم والتوغل .

---

(١) يذكر نظامي عروضي أنهم كانوا يعاملون المسلمين وعلماء المذهب باحترام بالغ ، ويحمون القوانين الاسلامية ويراعونها . ويروى عن گورخان الخطائي خبرا مؤداه أنه بعد انتصاره على سنجر في قطوان أعطى بخارا لألبتكين ابن أخي اتسز خوارزمشاه فظلم الأهالي بعد خروج گورخان من بخارا ، فاشتكوه له . فكتب اليه على طريقة المسلمين خطاباً بالفارسية يردعه فيه ويزجره وقد صدّره بعبارة بسم الله الرحمن الرحيم ، وأنهاه بلفظة (والسلام) . وبيّن له أن بعد المسافة لا يبعده عن سخطه ورضاه .. وأن عليه أن يفعل ما أمر به محمد .

أنظر : چهار مقاله ، بمباي ، المقالة الأولى ، ص ١٢ .

الفصل الثالث

الخوارزمشاهيون

الدولة الخوارزمية :

دولة ذات جذور بعيدة تصل إلى القرن الثالث الهجري [1] . ولما حل عصر محمود الغزنوي وجدناه يمنح الأمان في عام ٤٠٨ هـ = ١٠١٧ م لأهل خوارزم ، ويعين التونتاش — أحد حجابه — حاكماً على تلك الديار . فقد كانت خوارزم جزءاً من ولايات الغزنويين ، وكان ولاتها طبقاً للتقاليد القديمة والرسوم السالفة يسمون « الخوارزمشاهيون » .

وفي سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م عمل أحد غلمان السلاجقة — وكان ينحدر من سلالة الخوارزمشاهيين — حارساً لبركيارق وياورا له .. واسم هذا الغلام (النجي بن قچقار) . وكان سيء الحظ إذ قتله اثنان من الأمراء في نفس العام . فلما علم دادبك حبشي — عامل خراسان — بذلك الأمر .. أعطى حكومة

---

(١) يرد في معجم الأنساب (جـ ٢ ص ٣١٦) أن ولاية الخوارزمشاهيين تبدأ من سنة ٢٦٨ هـ على يد أحمد بن طاهر (من بني طاهر) . ويقول زمباور مؤلف الكتاب أنهم ينقسمون إلى عدة دول ، وأن الدولة الثالثة هي التي ظهرت في عهد السلاجقة .

خوارزم لقطب الدين محمد بن أنوشتكين غرچه [1] . وعُيِّن سنجر السلجوقي آنذاك والياً على خراسان من قبل أخيه بركيارق . فأذن لقطب الدين محمد بأن يحكم خوارزم ، وأصبح يُلقب بالخوارزمشاه . واستمر يحكم مدة ٣٠ عاماً ، لم يخرج فيها عن طاعة السلاجقة . وقد أمضى من الأعوام الثلاثين ستة أعوام في بلاط السلطان سنجر . كما أرسل ابنه (اتسز) إلى بلاط سنجر حيث قضى عاماً في خدمة السلطان .

وكانت وفاة قطب الدين محمد في عام ٥٢١ هـ = ١١٢٦ م [2] .

وقد تولى أتسز مكان ابيه في عام ٥٢٢ هـ = ١١٢٧ م ، وكانت قواعد الألفة والمحبة مستحكمة بينه وبين السلطان سنجر .. إذ تصادف أن تعرض سنجر لمؤامرة استهدف فيها المتآمرون قتله أثناء خروجه للصيد .. وعلم اتسز بما يُدبّر لسيده فتدخل في الأمر ونجّاه من الموت ، فقربه السلطان إليه . ولما تضافرت جهود الأمراء وسعوا في الكيد له ـ حقداً منهم وحسداً ـ ولاّه سنجر على خوارزم ليبعده عن أيديهم [3] .

وفي عام ٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م رافق اتسزُ السلطانَ سنجر حين توجه لمحاربة

---

(١) كان انوشتكين غرچه ـ والد قطب الدين محمد ـ غلاما تركيا مملوكا لبلكاتكين غلام ملكشاه في غرجستان . وقد تقلّب في المناصب في عهد هذا السلطان ، فأصبح (طشت دار) في البلاط وأسندت اليه وظيفة الشحنة في خوارزم باعتبارها تابعة لوظيفة الطشت دار. وقد مات انوشتكين غرچة في عام ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م عن تسعة أولاد وأحفاد حكموا بعد مدة ١٣٨ عاماً . انظر: حبيب السير ، جـ ٢ ص ٦٢٩ ، ادبيات درايران ، جـ ٢ ص ٢٩ ، لب التواريخ . ص ١١٤ هذا ويرد اسمه في الكامل (جـ ٢ ص ١٨٢) على هذه الصورة (غرشجه) وفي معجم الأنساب (ص ٣١٦) على هذه الصورة (غرشاه) .

(٢) حبيب السير ، جـ ٢ ص ٦٢٩ ، لب التواريخ ، ص ١١٤ .

(٣) حبيب السير ، جـ ٢ ص ٦٢٩ .

السلطان بهرامشاه سلطان الغزنويين [١] ، فقد كان ولاؤه ما زال بعد لسيده .

ثم أحس خوارزمشاه بقوته ورأى أن الوقت قد حان ليستقل عن السلاجقة . فثار على سنجر في عام ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م .. وهاجم عدة مناطق تابعة للسلاجقة ، وانتزعها من قبضتهم . وثارت ثائرة سنجر واضطر للخروج على رأس جيش لتأديبه . وتوجه الجيش إلى خوارزم عام ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م ، فخرج أتسز لصدّه .. لكن سنجر استطاع هزيمته ، وانتقم منه شر انتقام بأن قطع جسد ابنه إلى نصفين من وسطه [٢] . وأقصاه عن ملك خوارزم ، وأقطعها لغياث الدين سليمان شاه (ابن أخيه الشقيق محمد) . ولما استتبت الأمور عاد سنجر إلى مرو . فرجع خوارزمشاه (أتسز) – بمعونة الأهالي – إلى خوارزم . وقد ساعده الأهالي لأنهم كانوا يكرهون جند سنجر . ولم يجد سليمان بُدّاً من مفارقة البلاد [٣] . ولجأ اتسز إلى استعطاف مولاه سنجر .. وأمعن في ذلك حتى عفا عنه بعد أن تعهد له بالطاعة والولاء .

وفي عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م حين هزم سنجر – للمرة الأولى في حياته الحربية – على يد الخطا في معركة قطوان ، وفرّ إلى ترمذ ومنها إلى بلخ .. انتهز أتسز فرصة ضعفه فدخل مرو وقتل بها ونهب ، وجلس على عرش سنجر ، وارتكب الفظاعات في خراسان وسرخس ونيسابور وبيهق ، وقتل العلماء ، ونهب أموال أصحاب السلطان ، وقطع خطبة سنجر وجعلها لنفسه . وثار الأهالي .. فأعيدت الخطبة لسنجر في عام ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م .

وسعى أتسز جاهداً في تأليب الأقطار الإسلامية ضد مولاه سنجر [٤] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٢٩ هـ .

(٢) حبيب السير ، جـ ٢ ص ٦٣١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ص ٢٦ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، الراوندي : راحة الصدور (ترجمة) ، ص ٢٦٤ .

وتوعّده سنجر فلم يرتدع . ويقال إنه أوعز إلى أحد شعرائه فنظم شعراً يجيب به على السلطان ويعلن موقفه ويؤكد إصراره على العصيان. ومما قاله في هذا الصدد :

إذا كان حصان الملك سريع العدو فليس حصاني بأعرج

فتعال هنا .. واذهب أنا هناك .. فليس العالم ضيّقاً .[1]

وفي عام ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م توجه سنجر إلى خوارزم وقد اعتزم الانتقام من أتسز ، فتحصن الأخير بالمدينة . وحين شدد سنجر الحصار لجأ الثائر إلى الاعتذار ، والتمس العفو وقدّم الهدايا وطلبَ الصلح . وقبل سنجر ، وترك له خوارزم وعاد إلى مرو .

ومن الشائع أن رشيد الدين الوطواط كان قد نظم شعراً في ذلك الوقت يعلن فيه عن قيام حكومة أتسز وهذا مطلع المنظومة :

حين اعتلى الملك أتسز عرش المملكة .. انتهت دولة سلجوق وآله[2] .

ولم يمض طويل وقت حتى عاد أتسز إلى العصيان ، وأهان سنجر في شخص شاعره « أديب صابر » . وتفصيل القول أن اتسز استطاع أن يخدع اثنين من مخاذيل خوارزم وأن يشتريهما بالأموال على طريقة الملاحدة لينفذهما إلى السلطان سنجر ليقتلاه مغافصة . وكان السلطان في هذه الأثناء قد أرسل شاعره (أديب صابر) يحمل رسالة إلى اتسز في خوارزم . وعلم الشاعر بأمر المكيدة فأرسل إلى مولاه في مرو رسالة مخبأة في حذاء امرأة عجوز تحتوي على أوصاف الشخصين الموكلين بقتله ، فأمر السلطان بالبحث عنهما . وعُثر

---

(١) أنظر : راحة الصدور (ترجمة) ، ص ٢٦٤ ، لباب الألباب ، جـ ١ ص ٣٧ .

(٢) النص الفارسي :

چون ملك اتسز بتخت ملك برآمد — دولت سلجوق وآل او بسرآمد

أنظر : ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٣٠ ،

الوطواط : حدائق السحر في دقائق الشعر (ترجمة) ، طبع القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ، ص ٨ .

عليهما في إحدى الخرابات فقُتلا . وعلم أتسز بما فعله أديب صابر فأمر بإلقائه في نهر جيحون وإغراقه فيه [1] .

وتحرك سنجر ثانية في عام ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م نحو خوارزم ، وحاصر قصبة (هزار اسب) مدة شهرين . وكان شاعره الأنوري في رفقته ، فطلب منه أن ينشىء بضعة أبيات تناسب الموقف ، فنظم ما معناه :

أيها المليك .. إن ملك العالم رهن لإشارتك

والعالم ملك يمنيك بفضل إقبال حظك ودولتك .

فخذ اليوم بحملة واحدة قصبة هزار اسب وقلعتها

وغداً تكون لك خوارزم ومائة شبيهة بهزار اسب . [2]

وكتب هذا الرباعي على سهم قُذف به إلى داخل القلعة المحاصرة .

وفعل الوطواط نفس الشيء وكان برفقة اتسز ، فكتب بيتاً على سهم طوّح به إلى جيوش السلطان . وقال في هذا البيت معظّماً مولاه ساخراً من السلطان :

لو قدّر وكان خصمك هو البطل المعروف رستم ..

---

(١) حدائق السحر ، ص ٨ .

(٢) النص الفارسي :

اي شاه همه ملك زمـــين حسب تراست
وازدولت واقبـــال جهان كسب تراست
امروز بيك حمله (هزاراسب) بگـــير
فردا خوارزم وصد هزاراسب تراست

أنظر : حدائق السحر (ترجمة) ص ٨ . والواقع أن هذا الرباعي لم يرد في ديوان الأنوري .

فلن يتمكن من أخذ حمار واحد من هزاراسب (أو من جيادك الألف)[1]

وتمكن سنجر بعد جهد جهيد من فتح هزاراسب . ولجأ اتسز كعادته إلى الاستعطاف . وحضر بناء على أمر سنجر إلى شاطىء جيحون – وكان سنجر قد اشترط عليه أن يضع وجهه على التراب – وترجل عن جواده وأحنى رأسه ، ثم لوي عنان جواده وانصرف .

ورغم أن ذلك لم يُرق لعيني سنجر .. إلا أنه تركه وصفح عنه ولم يحاربه بعد ذلك . وكان في إقراره له على خوارزم ما ثبّت أركان دولته ودّعمها .. بينما اخذت دولة سنجر في الانهيار .

وبانتهاء اتسز من الصراع ضد سنجر أصبحت لديه الفرصة للتوسع والفتوحات . فقام بعدة حملات استطاع بواسطتها أن يضم إلى مملكته بعض البقاع .

ووقع سنجر أسيراً في يد الغز ، وأمضى فترة طويلة تحت رحمتهم . فتوجه أتسز إلى خراسان ، وتلاقى مع ركن الدين محمود (ابن اخت سنجر) ، وأقاما في نسامدة ثلاثة أشهر ، وتشاوروا في تدبير أموز المملكة . لكن تدبيرهما لم يتم وخططهما لم تنفّذ بسبب فرار سنجر من أسر الغز وعودته إلى دياره .

ومات أتسز في عام ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م . وجلس على عرش خوارزم من بعده ابنه أيل ارسلان . وقد بدأ حكمه بقتل نفر من أعمامه ، وسمل عيني أخيه . ثم أرسل لسنجر – وكان قد هرب من بين أيدي آسريه – وأظهر له الطاعة وتعهد له بالولاء . فكتب السلطان له منشور الولاية على خوارزم ، فبقي بها ساكناً آمناً[2] .

---

(١) النص الفارسي :

گر خصم توای شاه شود رستم گـــرد
يك خر زهزار اسب تو نتواند بـــرد

المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) الكامل ، جـ ١١ ص ٧٨ ، ٧٩ .

ثم لجأ إلى تسخير كل ممالك أبيه وإخضاع حكامها لسلطانه . وحاول أن يمتنع عن دفع الأموال التي كان أبوه يقوم بدفعها سنوياً للكفار القرهخطائيين ليتقي شرهم ويكف أيديهم عن بلاده . غير ان القرهخطائيين لم يتركوه يفعل ، وإنما جردوا جيشاً لقتاله .. فلم يستطع الصمود في وجههم وعاد يدفع لهم ما كان مقرراً على أبيه [1] .

وتوفي سنجر بعد جلوس ايل ارسلان على العرش بفترة قصيرة ، ونشبت الفتن في خراسان على إثر استيلاء ركن الدين محمود (ابن اخت سنجر) على مقاليد الحكم . وبرزت شخصية مؤيد آي آبه في خراسان . وعمّت الثورات أنحاء خراسان وكرمان وسيستان بسبب سيطرة الغز واتساع نفوذهم . وتمكن مؤيد آي آبه من سمل عيني محمود خليفة سنجر .

فاستفاد ايل ارسلان من هذه الحوادث واستقل تماماً عن السلاجقة الضعاف ، وتقدم بجيوشه حتى بلغ نيشابور ، وحاصر مؤيد آي آبه بحجة سمله عيني محمود ، ثم تصالحا على ألا يتدخل أحدهما في شئون الآخر .

ومات ايل ارسلان في عام ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م أو ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م [2] . وجلس على العرش مكانه ابنه سلطانشاه ، تعاونه أمه وتسيِّر أمور المملكة دونه . لكن الابن الأكبر لأيل ارسلان – وكان والياً على جند – لم يقبل الأمر الواقع . ولجأ علاء الدين تكش – وهذا اسمه – إلى القراخطائيين طالباً عونهم ومددهم ، وتعهد بدفع خراج سنوي . فساعدوه عسكرياً ، ومكّنوه من الهجوم على خوارزم في عام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م ، والجلوس على عرش خوارزم .

---

(١) حبيب السير ، جـ ٢ ص ٦٣٣ ، طبقات ناصري ، ص ٣٠٠ .

(٢) حبيب السير ، جـ ٢ ص ٦٣٣ . أما صاحب لُب التواريخ فيرجع الوفاة إلى عام ٥٥٨ هـ ، ويقول إنه توفي بعد حكم دام سبع سنوات ، وهذا خطأ .

ولجأ سلطانشاه إلى مؤيد أي آبه ، فهاجم الأخير خوارزم ، لكنّه وقع أسيراً في يد تكش فقتله .

فولى سلطانشاه وجهه شطر الغور ، ثم تركهم إلى الخطا . وهاجم خوارزم على غير طائل . وأخيراً تصالح مع تكش ، وقنع بامتلاك بعض بلاد خراسان .

وفي رمضان من عام ٥٨٩ هـ = ١١٩٢ م مات سلطانشاه ، فاستقل تكش خان بالحكم وقبض وحده على زمام الأمور [١] .

وقد توالت فتوحاتُ تكش وانتصاراتهُ في التركستان وخراسان والعراق ، ومنحت الدولةَ الخوارزمشاهية .. قوة وهيبة كبيرتين .

كما استطاع تكش في عام ٥٩٠ هـ = ١١٩٣ م أن يقتل السلطان طغرل السلجوقي ، وأن يسيطر على مملكة العراق . ولم يلبث الخليفة العباسي « الناصر لدين الله » أن أقره على هذا الوضع .

ثم أسند حكم اصفهان إلى قتلوغ اينانج ، وأقطع كثيراً من البلاد التابعة لذلك الإقليم لمماليكه [٢] . وهكذا ظل معسكر سلاجقة العراق زاخراً بالمنازعات والحروب حتى دالت دولتهم على يد الخوارزمشاهيين الذين استولوا على ممتلكاتهم في الشرق والغرب ، وصارت قوتهم أكبر قوة في ايران والعراق معاً .

وقد استطاع تكش أن يكف يد الخطا عن بلاده ، وأن يمنع المال المقرر لهم سنوياً ، وأن ينتصر على ملكتهم وقائد جيوشها (قرما) [٣] حين حاولوا مساعدة سلطانشاه . وظل يحكم البلاد إلى أن مات في عام ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م ، بعد حكم دام ٢٨ سنة [٤] .

---

(١) حبيب السير ، ج ٢ ص ٦٣٤ .

(٢) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص ٣٧٥ ، ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٨٧ هـ .

(٣) كان (قرما) قائد جيوش القرهخطائيين زوجا لملكتهم .

(٤) حبيب السير ، ج ٢ ص ٣٦٨ ، لب التواريخ ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

وتولى السلطان محمد بن تكش الحكم في عام ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م ، ووجد تحت يده مملكة واسعة وقوة وعتاداً ، فأخذ يتحرك في ثقة واعتزاز .. فهزم ملك الغور وتمكن من قتله في عام ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م ، وسيطر على غزنين وسخرها عام ٦١١ هـ = ١٢١٤ م . ولم يعد هناك من يستطيع مقاومته . وكان لسعة فتوحاته وكثرة انتصاراته يلقب بسنجر الثاني ، والإسكندر الثاني ، وظل الله في الأرض [١] . وفي خلال حكمه زالت من الوجود دولة الخطا وآل افراسياب .

ثم غربت شمس دولته بعد حكم دام ٢٠ سنة ، وتوفي في عام ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م إثر هزيمته على يد المغول وفراره إلى جزيرة ابكون [٢] .

وتولى ابنه جلال الدين منكبرتي بن محمد بن تكش الحكم وقبض على زمام الأمور . وحارب المغول سبع مرات ، تفوق في ست منها . غير أنهم تمكنوا في المرة السابعة من هزيمته وإجباره على الفرار من وجههم واللجوء إلى جبال كردستان ، وذلك في عام ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م .

وفي عام ٦٢٨ هـ = ١٢٣١ م [٣] اختفى جلال الدين ، ولا يدري أحد شيئاً عن مصيره . ويقال إنه قتل على يد الكرد [٤] . وباختفائه انقرضت دولة الخوارزمشاهيين .

---

(١) تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٣٢ ، لب التواريخ ، ص ١١٦ ، مجمع الفصحاء ، ص ٥٢ .
(٣) إيران ماضيها وحاضرها ، ص ٦١ .
(٢) د . فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ ، ص ١١٣ .
(٤) لب التواريخ ، ص ١١٧ ، تاريخ أدبيات در ايران ، ص ٣٣ .

الفصل الرّابع

ملوك الغور

ترجع جذور (الغور) البعيدة إلى « الضحاك » الذي يروى عنه أنه حارب « أفريدون » .. فلما هُزم لجأ أولادُه إلى جبال الغور الوعرة الواقعة بين هراة وغزنة ، وهناك أنشأوا لهم قلاعاً تحميهم وتصدّ عنهم بطش أفريدّون . وأخيراً وفّقوا إلى الصلح معه بعد أن قبلوا شروطه .. ومنها أن يدفعوا له خراجاً سنوياً لقاء تركهم في سلام .

وتداول الغور الحكم بينهم حتّى وصل إلى « محمد بن سوري » الذي كان معاصراً للسلطان محمود الغزنوي . وكان محمد بن سوري على درجة من القوة جعلته يعتقد أن في استطاعته الخروج على الغزنويين والخلاص من سيطرتهم . إذ كان الغور آنذاك يؤدون خراجاً سنوياً للغزنويين ويدينون لهم بالطاعة .. فمنع الخراج عن محمود . فجرد السلطان جيشاً هاجم به بلاده بغية تأديبه وردعه ، وتمكّن من قتله [1] .

(١) ورد في حبيب السير (ج ٢ ص ٦٠١ ، ٦٠٢) أن محموداً الغزنوي قد تمكن من قتل « سوري » الأب في الموقعة . غير أن صاحب طبقات ناصري (جلداول ، طبع كابل ١٣٤٢ ش ، الطبعة الثانية ص ٣٢٩) يقول إن المقتول هو محمد بن سوري وأنه قد مات بالسم بعد أسره .

وأسند محمود أمر الولاية إلى « أبي علي بن محمد بن سوري » . وكان رجلاً حسن السيرة والخلق ، مصلحاً يقدر جهود الأئمة ، ويكرم الزهاد والعباد ، ويسعى لرفاهية أتباعه .

وبعد أن انتقل ملك الغزنويين إلى مسعود ، ظهرت قوة جديدة في بلاد الغور هي قوة الأمير عباس بن شيث بن محمد بن سوري . واستطاع هذا الأمير أن يجمع حوله جنداً وأتباعاً ، وأن يخرج على عمه أبي علي وينتزع زمام الأمور من يده ، ويأسره ، ويستولي على جميع خزائنه وكنوزه .

وكان عباس قاسياً يطمع في أموال الرعية . فلما استنجد أتباعه بالسلطان ابراهيم الغزنوي أسرع بمهاجمته ، وتمكّن من أسره وحمله إلى غزنين . وأعطى مقاليد الحكم لابنه الأمير محمد بن عباس [1] .

وقد أحسن السلطان الاختيار ، فقد أثر عن محمد بن عباس أنه كان عادلاً رحيماً مطيعاً لسلاطين غزنة .. مما جعل رعاياه ينعمون بالاستقرار والأمان .

ولما مات محمد بن عباس تسلم مقاليد الحكم في بلاد الغور الملك « قطب الدين حسن عباس » . ويعتبر جد سلاطين الغور العظام [2] . وقد تمكن من نشر العدل وقمع الفتن .

ومات قطب الدين فحكم مكانه ابنه « عز الدين حسين » ، فبسط العدل ونشر الأمان ، ورعى العلماء والزهاد ، وكفل الرفاهية للرعية .

وكان بين عز الدين وبين السلاجقة عامة وسنجر بصفة خاصة رابطة وداد وحب . وكان يرسل لبلاط السلطان سنجر كثيراً من السلاح كل عام ، كما يهديه كلاباً تحاكي الأسود قوة .

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٥٠ ، ٥١ .
(٢) المعروف أن الغور فيما بعد كانوا يطلقون على حاكمهم لقب (سلطان) .

ولما مات عز الدين حسين جلس السلطان « سوري » على العرش ، واتخذ من قلعة (استيه) داراً لملكه . وهو أول من لقب في هذه الأسرة بلقب(سلطان). وقد قسم ولاية « باميان » بين أخوته . غير أن أحد الأخوة وكان يلقب بملك الجبال خاصم إخوته ، فذهب إلى غزنين . وشك بهرامشاه في نواياه — متأثراً بوشايات الحساد والمغرضين — فدس له السم وقضى عليه .

عندئذ ثار السلطان سوري ، فساق جيشه إلى غزنين . وتمكن من الاستيلاء على غزنة ، وانتقم لأخيه بأن أحرقها ونهبها [١] . وكان بهرامشاه — أثناء هذه الحملة — في بلاد الهند فعاد إلى غزنين على رأس جيش جرار ، وقد اصطحب معه عدداً من الفيلة المدربة على القتال . واصطدم بسوري في معركة طاحنة ، تمكّن فيها من أسره . وأراد أن يذيقه طعم الهزيمة فبالغ في السخرية منه بأن أركبه بقرة طافت به غزنين . ولم يكتف بهرامشاه بذلك بل قتله آخر الأمر [٢] .

وبعد مصرع سوري تولى قيادة الغوريين السلطان بهاء الدين سام ، فقرر مهاجمة الغزنويين . لكنه مات في گيلان قبل أن يتم خطته ويشفي غليله بالانتقام من قتلة ملك الجبال وقتلة السلطان سوري .

وكان السلطان بهاء الدين سام — حين توجه على رأس جيش الغور إلى غزنين — قد أودع عرش الغور وقيادة الجبال في يد السلطان علاء الدين حسين [٣] . فلما مات بهاء الدين في گيلان لم يقم له علاء الدين مراسم العزاء بل أقر لنفسه السلطنة على ممالك الغور وفيروزكوه ، وشُغل بالاستعداد لمهاجمة غزنين .

---

(١) طبقات ناصري ، ص ٣٣٦ ، حبيب السير ، ج ٢ ص ٦٠٢ .

(٢) حبيب السير ، ج ٢ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ .

(٣) ورد اسمه على النحو التالي عند ابن الأثير : الحسين بن الحسن (أنظر : الكامل ، حوادث سنة ٥٤٧) .
ثم ورد في موضع آخر على النحو التالي : الحسين بن الحسين الغوري ، ملك الغور . (أنظر : الكامل ، حوادث سنة ٥٥٦)

وبعد الاستعداد ، توجّه علاء الدين حسين على رأس جيشه قاصداً بلاد الغزنويين . وتلاقى مع جيش السلطان يمين الدولة بهرامشاه في أرض داورا عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م . وحاول الأخير تهديده وإرهابه علّه يعود إلى بلاده ، لكنه صمم على الحرب واستطاع أن يهزمه هزيمة منكرة في (كته باز) . وعمد إلى الانتقام فقتل دولتشاه بن بهرامشاه . وقاتله بهرامشاه [١] بعد ذلك مرتين ، غير أنه كان يمنى بالهزيمة في كل مرة . وأخيراً فرَّ من الميدان وترك البلاد تحت رحمة علاء الدين . واستولى علاء الدين على غزنة وأشعل فيها النيران سبعة أيام بلياليها إلى أن احترقت تماماً [٢] . وأمر فقُتِل الرجال وأُسِرت النساء والأطفال ، ونُبشت القبور واستُخرج رفات السلاطين الغزنويين وأُحرقت [٣] .

وبينما كانت المدينة تحترق كان علاء الدين منغمساً في اللهو والشراب . وفي نهاية الأيام السبعة أخذ يمتدح نفسه في أشعار ينظمها . وطلب من المطربين والمغنين أن يوقعوا له الأشعار على أنغام الموسيقى . ثم عفا عن بقية أهل غزنين ، وارتدى ملابس العزاء . وجلس يتلقى العزاء سبعة أيام كاملة لم تنقطع فيها قراءة القرآن وتقديم الصدقات . ثم عاد إلى بلاده .

---

(١) تقاتل بهرامشاه وعلاء الدين وفق ما ذكره براون وذبيح الله صفا . أما حمد الله وصاحب لب التواريخ فقد اكتفيا في كتابيهما بأن قالا إن علاء الدين حسين قد تغلب على الغزنويين واستولى على ملكهم حين ضعف أمرهم . ويرى خواندمير أن السلطان بهرامشاه مات قبل وصول علاء الدين إلى غزنين .

أنظر : تاريخ الادب في ايران من الفردوس إلى السعدي ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٥١ ، تاريخ گزيده ، طبع طهران سنة ١٣٣٩ ، ص ٤٠٤ ، لب التواريخ ، ص ٩٢ ، حبيب السير ، جـ ٢ ص ٦٠٢ ، ٦٠٣ .

(٢) كانت هذه الحرائق سببا في إطلاق لقب جهانسوز (مُحرق العالم) على علاء الدين حسين .

(٣) فيما عدا رفات محمود غازي ومسعود وابراهيم ، (طبقات ناصري ، ص ٣٤٤).

وفي الطريق مرّ بولاية بست وعدد آخر من الولايات فخرّبها جميعاً باعتبارها تدخل في حوزة الغزنويين . وهدم قصور آل محمود وعماراتهم الرائعة وسواها بالأرض . ومنح أخاه « سيف الدين سوري » حكومة غزنة ، وخطب لنفسه ولأخيه بعده .

وعاد بهرامشاه ليستعيد عرشه ، وساعده الأهالي فقبضوا على سيف الدين وأركبوه بغلاً ولطخوا وجهه بالسواد ، وجعلوا يطوفون به انحاء المدينة وهو على هذا الوضع المهين ، ثم صلبوه وتخلصوا منه [1] .

واستعد علاء الدين للانتقام . وفي فترة استعداده توفي بهرامشاه ، وجلس على عرش الغزنويين ابنه خسروشاه .

وفي عام ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م قرّر علاء الدين أن يفتح بعض البلاد قبل أن ينفّذ انتقامه .. فحاصر هراة ، ونهب عسكره ناب وأوبة ومارباد من هراة الرود . وسار إلى بلخ وحاصرها وامتلكها .

فكان في ذلك بداية الصدام بينه وبين السلاجقة .. اذ سار السلطان سنجر لمنعه وردعه . وثبت علاء الدين لسنجر [2] . وتمكن سنجر من هزيمته ، وقتل عدد كبير من جنوده ، وأسره . غير أنه أعجب بشجاعته ولطفه وحلاوة حديثه ، فأطلق سراحه وأعاده لبلاده [3] بعد أن أغدق عليه الهدايا ولقبه

---

(١) قدّم بهرامشاه بن مسعود رأس سيف الدين سوري ضمن ما قدمه من هدايا لسنجر .

(٢) يذكر الجوزجاني أن سبب الحرب التي نشبت بين علاء الدين حسين وسنجر هو امتناع علاء الدين عن إرسال ما كان يرسله للسلطان سنويا من تحف وأسلحة . بينما يذكر حمدالله والراوندي أن علاء الدين قد اتفق مع علي جتري امير هراة من قبل سنجر على مهاجمة سنجر وانتزاع بعض ممتلكاته مما نتج عنه هذه الحرب بينهما .

أنظر : طبقات ناصري ، ص ٣٤٦ ، تاريخ گزيده ، ص ٤٠٠ ، راحة الصدور ، ص ١٧٦ .

(٣) حبيب السير ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ — ٦٠٤ ، تاريخ گزيده ، ص ٤٥٠ ، تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٥١ ، طبقات ناصري ، ص ٣٤٧ .

بأخيه . كما أودعه ذخائر وخيولاً وجمالاً وأغناماً يحفظها لديه في بلاد الغور ، ويردُّها حين يطلبها . ويقال إن السلطان سنجر قد فعل هذا خشية أن تقع هذه الودائع في يد الغز [١] .

وبينما كان علاء الدين غائباً عن بلاده مشغولاً بحرب السلاجقة جلس الملك ناصر الدين حسينيماديني – ابن أخيه – على عرش فيروزكوه ، باتفاقٍ مع كبراء الدولة وسادتها . كما انتهز المتمردون الفرصة فعمدوا إلى النهب والسلب . فلما عاد علاء الدين إلى دياره أحرق منازل مخالفيه وأعدائه . وكانت الجواري – خشية غضب علاء الدين عليهن وانتقامه منهن – قد أهلكن ناصر الدين قبل مجيئه ، فكفينه مؤونة قتاله .

وجلس علاء الدين على العرش من جديد ، وسيطر على باميان وتخارستان وجروم وداور وبست ، وفتح قلعة تولك في جبال هراة ، ووضع يده على غرستان وسبكجي .

وظلت فكرة الانتقام من أهل غزنين تسيطر على علاء الدين لقتلهم سيف الدين سوري .

وحانت ساعة الانتقام في عام ٥٥٦ هـ = ١١٦٠ م . وتوجه علاء الدين نحو غزنين وهاجمها في عهد خسروشاه ، وسلبها ونهبها طوال أيام ثلاثة ، وانتقم حتى من النساء .

وفي الفترة الأخيرة من حياة علاء الدين جاء رسل ملاحدة (الموت) إلى دياره فأكرم وفادتهم . وشجعهم ذلك على السعي لاقناع رجال الغور بدعوتهم ، وأخذوا ينشرون دعوتهم سراً في كل مكان ببلاد الغور [٢] .

وفي شهر ربيع الآخر من عام ٥٥٦ هـ = ١١٦٠ م توفي علاء الدين حسين

---

(١) طبقات ناصري ، ص ٣٤٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٤٩ .

بن الحسين الغوري بعد انصرافه عن غزنة واستقراره ببلاده [1] .

وبعد وفاة علاء الدين أجمع الأمراء والعظماء على تولية ابنه سيف الدين محمد . وكان عادلاً متواضعاً سنياً يتمسك بتعاليم الإسلام . وقد بدأ حكمه بانصاف من أضرَّ بهم ظلمُ أبيه . كما خلص البلاد من جميع دعاة (الموت) . وقد قتلهم لاعتقاده بأنهم ملحدون .

لكنه لم يبق في الحكم طويلاً إذ قتله الغز [2] حين فكّر في قتالهم لدفع فسادهم الذي تجاوز ممالك خراسان إلى ممالك الغور وجبال غزنين وغرستان .

وتولى بعده غياث الدنيا والدين أبو الفتح محمد سام ، وهو ابن أخي السلطان علاء الدين . وقد بدأ حكمه بالتخلص من قتلة سيف الدين ، والقضاء على المتمردين . وقضى على فتنة عمه الملك فخر الدين مسعود باميانى الذي طمع في الحكم ، وتمكن من إعادته إلى حظيرة طاعته . وكان يساعده في حروبه وفتوحاته أخوه شهاب الدين محمد بن سام الذي لقب فيما بعد بعز الدين . واتسعت رقعة مملكة الغور حتى لقد كانت خطبة سلطانهم تسمع في البلاد من

---

(١) أورد ابن الأثير هذا التاريخ في كتابه . أما حمدالله وصاحب لب التواريخ وخواندمير فيجمعون على أن توفي في عام ٥٥١ هـ . وهذا التاريخ خاطىء لأن علاء الدين قد تحارب مع خسروشاه . والمعروف أن الأخير قد تولى الحكم عام ٥٥٢ هـ .

أنظر : الكامل ، حوادث ٥٥٦ هـ ، تاريخ گزيده ص ٤٠٤ ، لب التواريخ ، ص ٩٢ ، حبيب السير ، جـ ٢ ص ٦٠٢ — ٦٠٤ .

(٢) يجمع صاحب تاريخ گزيده وصاحب لب التواريخ وصاحب حبيب السير على أن وفاة سيف الدين محمد كانت في عام ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م بعد حكم دام سبع سنوات . أما ذبيح الله صفا فيغفل فترة حكم سيف الدين ، وإن ذكر أن حرب علاء مع خسروشاه كانت في عام ٥٥٦ هـ = ١١٦٠ م .

وبالرجوع إلى صاحب طبقات ناصري نجده يذكر أن حكم سيف الدين قد استمر عاما وبضع العام . وبذلك يُرجع وفاته إلى عام ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م ، ويرجع وفاة علاء الدين إلى عام ٥٥٦ هـ = ١١٦٠ م .

مشرق هندوستان وحدود الصين وماچين حتى العراق ، ومن نهر جيحون وخراسان حتى ساحل دريا وهرمز .

وفي عام ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م انتصر غياث الدين على الغز انتصاراً مؤزراً وأزهق الكثير من الأرواح . وسقطت مملكة غرنين في يده ، فأجلس أخاه معز الدين على عرش المحموديين ، وعاد لفيروزكوه .

وفي عام ٥٧١ هـ = ١١٧٥ م فتح هراة برضاء أهلها . ثم سار إلى فوشنج فملكها ، ودخل ملوك نيمروز وسجستان وملوك الغز في گرگان في طاعته . وخضعت له أطراف خراسان .

وفي عام ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م استطاع أن يهزم سلطانشاه الخوارزمشاهي ، وأن يقتل بهاء الدين طغرل السنجري .

ثم أدركته المنية في عام ٥٩٩ هـ = ١٢٠٢ م عن عمر يناهز الثالثة والستين ، بعد أن أصبحت خراسان بأسرها تحت سيطرته ، وبعد أن تغلب على ملوك خوارزم .

وبعد موته حلّ مكانه أخوه عز الدين . وقد حدثت بينه وبين الخوارزميين موقعة انتهت بانتصار السلطان محمد خوارزمشاه عليه ، ووقوع خراسان كلها تحت سيطرته .

وأخذ عز الدين يستعد لاستعادة ما فقده والانتقام من الخوارزميين ومن خان سمرقند . لكن الفرصة لم تواته لتحقيق ما اعتزمه ، إذ قتله أحد الفدائيين الهنود [1] في عام ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م ، بعد حكم دام ثلاث سنوات وثلاثة شهور [2] .

---

(١) يرد في تاريخ گزيده (طبع طهران ١٣٣٩ ، ص ٤٠٧) أنه سخّر الكثير من بلاد الهند ، وأنه لقى مصرعه على يد الفدائيين الهنود . بينما يرد في تاريخ أدبيات درايران (جـ ٢ ص ٥٢) أنه قتل بيد أحد الفدائيين الملاحدة .

(٢) بدأ يستقل بالسلطنة في جمادي الأولى سنة ٥٩٩ هـ، وظل في الحكم حتى الثالث=

وبقتله حدث التفكك والانقسام في صفوف الغور ، فاستقل قطب الدين ايبك في دهلي ، واستقل ناصر الدين قباجه في السند . بينما تركزت قدرة سلاطين الغور في ناحية الغور وفي قسم من أفغانستان وخراسان .

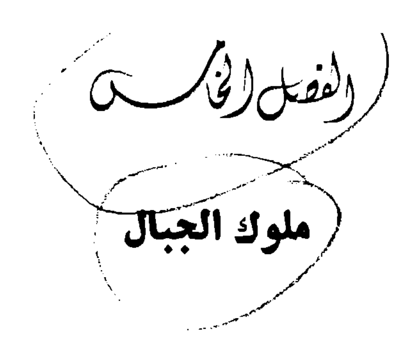
وفي عام ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م استولى الخوارزميون على فيروزكوه ، وعيّنوا أتسز علاء الدين جهان سوز حاكماً من قبلهم مدة أربع سنوات ، فلما قتل لم يصل أحد من الغور إلى الحكم [١] .

=من شعبان سنة ٦٠٢ هـ أي أنه حكم مدة ٣ سنوات وثلاثة شهور . ويؤكد صاحب تاريخ گزيده (ص ٤٠٧) أنه كان أميرا مدة ٤٠ سنة وأنه شغل منصب السلطنة مدة أربع سنوات .

(١) هذا ما ذكره خواندمير فيما يتعلق بنهاية مملكة الغور . أما صاحب طبقات ناصري فيذكر أن علاء الدين محمد قد تولى بعده مدة سنة وبضعة أشهر وبموته انتهت مملكة الغور . فإذا رجعنا إلى لب التواريخ وإلى تاريخ گزيده وجدنا ما يفيد أن حكم الغور قد انتهى بمن يدعى محمود .

أنظر :

حبيب السير ، ج ٢ ص ٦٠٩ ، طبقات ناصري ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، تاريخ گزيده ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، لب التواريخ ، ص ٩٣ .



ينقسم ملوك الجبال إلى ثلاث طبقات حكمت كل منها في مازندران . والطبقة الثانية من بين هذه الطبقات الثلاثة هي التي عاصرت السلاجقة وارتبطت أحداثها باحداث تلك الدولة ، وعدد أفرادها ثمانية . أولهم حسام الدولة شهريار بن قارن بن سرخاب بن شهريار بن دارا . وقد حكم حتى عام ٤٩٦ هـ = ١١٠٢م . وآخرهم شمس الملك رستم بن شاه اردشير الذي مات في عام ست وستمائة .

وقد بدأ صراعهم مع السلاجقة في نهاية عهد السلطان ملكشاه السلجوقي عام ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م ، ومع بداية نشوب النزاع بين أولاده .. فقد زادت قدرة حسام الدولة وعظمت سطوته وقويت شوكته — فلما حكم محمد العراق قام بينهما نزاع تسبب فيه حسام الدولة ، إذ عصى محمداً وخرج عن طاعته .

واضطر محمد إلى إرسال القائد سنقر البخاري إلى مازندران لتأديبه وردعه . فسار سنقر إليها على رأس جيش يضم ٥ آلاف فارس تامي العدة والعتاد .

وتحصن حسام الدولة في ساري ، وظل يناوش « سنقر » مدة طويلة إلى أن سنحت له الفرصة فهاجمه وهزمه واضطره للفرار . فعاد مهزوماً إلى مولاه

السلطان محمد في اصفهان .

وفضّل محمد الصلح ، وراسل حسام الدولة في هذا الشأن . وعرض عليه أن يمنحه الأمان مقابل دخوله في طاعته . وطلب منه أن يرسل إليه ابناً من أبنائه عربوناً على الطاعة . وأرسل حسام الدولة ابنه الأصغر (علاء الدولة علي) إلى بلاط السلطان ، وبرفقته ١٠ آلاف جندي ما بين فرسان ومشاة .

وقام علاء الدولة علي بخدمة السلطان مدة .. ثم عاد إلى أبيه . غير أن نزاعاً وقع بينه وبين أخيه نجم الدولة قارن ، فسارع باللجوء إلى خراسان ، حيث رحّب به سنجر .

وقرر السلطان سنجر أن يمده بالجند لينتزع مازندران من يد أبيه وأخيه .. فتجهز نجم الدولة استعداداً للقاء أخيه .. ولكن سنجر لم ينفذ ما وعد به ، فظل علاء الدولة مقيماً لديه .

ومات حسام الدولة بعد حكم دام ٣٧ سنة ، فاستقل ابنه نجم الدولة بالحكم . وكان ضعيف العقل شريراً ، فقتل خواص أبيه وسلبهم أموالهم . ولم يدم حكمه أكثر من ٨ سنوات .

وتولى ابنه شمس الملوك رستم الحكم من بعده في مازندران ، فاتبع سياسة مغايرة لسياسة أبيه .. سياسة تقوم على العدل والإنصاف .

وحاول علاء الدولة علي بن حسام الدولة – بعد وفاة أبيه وأخيه – أن يحصل على إذن من السلطان سنجر بالانصراف عن دياره ، فلم يأذن له ، فاضطر إلى الفرار قاصداً ديار السلطان محمد . وأكرم السلطان وفادة علاء الدولة ، وأرسل إلى رستم يطلب منه الحضورليقسم الملك الموروث بينه وبين علاء الدولة ودياً . ولم يحضر رستم ، فغضب السلطان محمد واعتبرها إهانة موجهة له . وأرسل إلى مازندران جنوداً لا تعد ولا تحصى . فأسرع رستم إلى بلاط السلطان ومثل بين يديه وألقى معاذيره وطلب عفوه وغفرانه . وقبل

السلطان عذره وتجاوز عن خطئه وتركه يحكم مازندران . لكن مدة حكمه لم تزد عن أربع سنوات لأن زوجة أبيه – وكانت تميل لعلاء الدولة – دست له سما زعافاً أودى بحياته .

وظن علاء الدولة أن باستطاعته – بعد وفاة رستم – أن يتوجه إلى مازندران ويحكم البلاد الموروثة . لكن محمداً لم يصرح له بالذهاب – على خلاف ما كان يتوقع – بل وقيّده بالأغلال والقى به في السجن .

ومات السلطان محمد فاهتم السلطان محمود بقضية علاء الدولة ومنحه رعايته . كما حاول التقرب إليه فتزوج من قريبته التي دست السم لمنافسه رستم . وصرح له بالذهاب إلى مازندران حيث استقل بحكم البلاد ، وسيطر على تلك المملكة في مدة قصيرة . وظل يعتلي مقعد الحكم مدة ٢١ سنة . ولما تجاوز الستين وابتلى بداء النقرس ، سلّم مقاليد الحكم لابنه شاه غازي رستم ، وانقطع هو للعبادة . وكان ابنه عادلاً شجاعاً سخياً ، وقد حكم مدة ٢٤ سنة ، إلى أن مات في عام ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م . وقد نظمت في حقه عدة مرثيات تعكس حب رعيته له .

وانتقلت مقاليد الحكم إلى ابنه علاء الدولة حسن بن رستم الذي أمسك زمام الأمور بقبضة من حديد ، وغالى في سفك الدماء لأقل الهفوات . حتى ليقال إنه كان يملك ٣٠٠ أو ٤٠٠ غلام يمتازون بالحسن وملاحة الوجه . وكان يقتل على الفور من ينظر منهم بطرف عينه إلى الآخر .[١]

وكان دم عمه أول دم سفكه حين أمسك بزمام الأمور ، كما كان يلجأ إلى العصا في تأديب الأشخاص في معظم الأحوال[٢] . وقد حكم حسن بن

---

(١) حبيب السير : جـ ٢ ص ٤٢٠ .

(٢) شاع وقتها في مازندران مثل سائر يقول : عصاة حسن .
أنظر : نفس المرجع والصفحة .

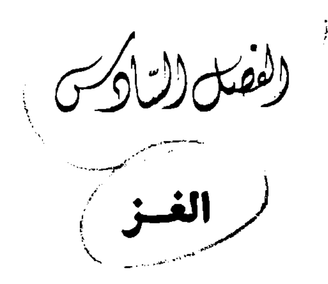
رستم ٩ سنوات إلى أن قتل أثناء نومه مخموراً ، بيد حرّاسه ، وذلك في قلعة برزم .

وتولى بعده ابنه شاه اردشير ، فتخلص من قتلة أبيه بقتلهم . وحكم ٣٤ سنة وثمانية أشهر . وكانت وفاته في عام ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م .

ولما مات ، أطلق الأعيان سراح ابن له كان قد حبسه أثناء حياته .. واسمه شمس الملوك رستم بن شاه اردشير ، وأجلسوه على العرش ، فحكم مدة ٤ سنوات .

وقد عكّر الملاحدة صفاء المازندرانيين ، وقتلوا العديد من السكان . وأخيراً تمكنوا من اغتيال شمس الملوك في شهر شوال سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م واستولوا على مُلك مازندران .





طائفة من التركمان [1] .. كان أفرادها يعيشون في بلاد ما وراء النهر ، ويدينون بدين الإسلام [2] . فلما ملك القرهخطائيون تلك الديار أخرجوهم منها وأقصوهم عنها .. فقصدوا (خراسان) في جموع كبيرة واستقروا في المراعي قرب (ختلان) من أعمال (بلخ) .

وأثناء سلطنة سنجر .. كان للغز أمراء أمثال دينار وبختيار وطوطي وأرسلان وجغز ومحمود . وكانوا مسالمين لا يعتدون على أحد ، ويدينون لسنجر بالطاعة والولاء . وكانوا يدفعون له خراجاً كبيراً يتمثل في ٢٤ ألف رأس من الغنم .. يمدّون بها مطبخ السلطان سنوياً [3] . يضاف إلى ذلك أن (قرغود) و (طوطي بلك) – وهما أميرا هذه الطائفة – كانا يخدمان الحضرة ويحضران الخدمة [4] .

---

(١) معنى كلمة تركمان ليس واضحا تماما . وقد ورد نفس الاسم في اللغة الصينية على هذا النحو : (توكو مونگك To-kü-möng). وكان اسم التركمان يطلق عادة على الغز والخرلخ ، وخاصة الغز . أنظر : تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ٨٤ .

(٢) إبن الأثير : الكامل ، ، ج ١١ ص ٦٦ .

(٣) تاريخ گزيده ، طهران . ص ٤٥٠ .

(٤) تاريخ ال سلجوق (اختصار البنداري) ، طبع مصر سنة ١٩٠٠ ، ص ٢٥٧ .

وقد صبر الغز بادىء الأمر على تعدّي محصلي الخراج وظلمهم ، فلما طفح الكيل وضاقوا بهم ذرعاً .. قتلوا أحدهم لأنه طمع في رشوة من أغنيائهم وتطاول على أمرائهم . ولم يكتفوا بذلك بل امتنعوا عن دفع ما كان مقرراً عليهم [١] .

واستعمل الأمير قماج – مُقطع بلخ وعامل سنجر بها – الشدة في قمعهم والقسوة في ردعهم ، وفرض عليهم غرامة كبيرة ، وقرر طردهم ، وعاونه ابنه في تنفيذ ما اعتزمه [٢] . وحاول الغز استمالته وكسب رضاه فلم يوفقوا ، فقاتلوه وقتلوه هو وابنه [٣] . وأطلقوا أيديهم في ملك سنجر وتطاولوا على رعيته . فطلب منه الأمراء أن يخرج إليهم بنفسه ، وألا يتهاون في تأديبهم أو تأخذه بهم شفقة أو رحمة ، فأخذ يستعد لقتالهم . ووقعت الرهبة في قلوب الغز فأرسلوا يستعطفونه ويطلبون منه الأمان . وقبلوا دفع الدية ، وعرضوا دفع

---

(١) راحة الصدور ، ليدن ، ص ١٧٧ ، تاريخ گزيده ، ص ٤٥٠ .

(٢) كان ابن الأمير قماج يلقب بعلاء ملك المشرق . (راحة الصدور ، ص ١٧٨) .

(٣) هكذا ورد في تاريخ الادب في ايران من الفردوسي إلى السعدي (ترجمة) ، ص ٤٨٧ . غير أننا بالرجوع إلى الكامل (ج ١١ ص ٦٦) نعرف أن قماج قبل رشوتهم وعاد عنهم أول الأمر ، ثم رجع يأمرهم بالابتعاد عن بلده . وبالرجوع إلى مختصر تاريخ آل سلجوق (ص ٢٥٨ ، ٢٥٩) نعرف أنهم قتلوا ابن قماج أولا ... ثم حاولوا استرضاء أبيه بتسليم القتلة فرفض وأصرّ على الحرب ، فهزموه ... ففر لاجئا إلى سنجر وحرّضه على قتالهم . وفي حربهم مع سنجر قتلوا قماج وابنا آخر له .

وبالرجوع إلى تاريخ أدبيات درايران (ج ٢ ص ٨٧ ، ٨٨) نعرف أنهم رفضوا الخروج كطلب قماج ، واتحدوا مع عدد من الطوائف التركية ، وتمكنوا من هزيمتههزيمة ساحقة ، وشرعوا في السلب والنهب والقتل والسبي والتخريب . فلجأ قماج إلى مرو شاهجان وقدّم شكواه لسنجر . ولما دارت الحرب بين الغز وسنجر تمكنوا من قتل قماج . وبالرجوع إلى تاريخ گزيده (ص ٤٥١) نعرف أن قماج تعهد بخراج الغز ، وأرسل ابنه إليهم لهذا الغرض . ثم ذهب بنفسه إلى الحدود للصيد ... فلما وجد الغز الأب والابن منفردين ... قتلوهما .

خمسين ألف رأس من الخيل والجمال ، ومائتي ألف دينار ركنية ، ومائتي ألف رأس من الغنم التركية . كما عرضوا تسليم قتلة قماج وولده ، والالتزام في كل عام بخرج وخراج .

ورق قلب السلطان لهم ، لكن الأمراء ضغطوا عليه ، فأغلق باب القبول وقرر محاربتهم واستئصال شأفتهم . فتكتل الغز واستبسلوا ، واستغلوا فرصة تقاعس الأمراء وأمعنوا في أفراد جيشه الجرار قتلاً وأسراً حتى صار القتلى كالتلال . وهلك الكثيرون في طريق سيفجاب [1] . ووقع سنجر أسيراً في أيديهم [2] ، كما تمكنوا من أسر زوجته . ولم يكتف الغز بأسر الأمراء بل قتلوهم جملة وتخلصوا منهم . وعاملوا سنجر معاملة غريبة .. إذ كانوا يقبلون الأرض بين يديه ، ويعترفون بعبوديتهم له . وكانوا يحبسونه بالليل في قفص ويجلسونه في النهار على عرش السلطنة ، ويصدرون المنشورات وفق هواهم ويمهرونها بخاتمه [3] . وكانوا يرضونه بالنذر اليسير من الطعام ، ويقفون في خدمته .. باستثناء قرغود وطوطي بك [4] .

وعقب هزيمة سنجر .. أغار الغز على مرو ثلاثة أيام كاملة ، واستولوا على مدخرات العظماء ، وأذاقوا الأهالي صنوف العذاب . وفعلوا نفس الشيء في كرمان ونيشابور وطوس وبلاد خراسان بأسرها . وذهب ضحيتهم الكثير من العلماء والمشايخ ، وارتكبوا من الفظاعات والمظالم ما لم يسمع به أحد .

---

(١) تاريخ گزيده ، طهران ، ص ٤٥١ .

(٢) يقال إنهم قبضوا أول الأمير على شبيه لسنجر يدعى مودود بن يوسف ، وأجلسوه على العرش ، وقدموا له فروض الولاء . ولما أيقنوا أنه أجير يعمل في مطبخ سنجر أهانوه ، وبحثوا عن سنجر في مرو وأسروه .

أنظر : تاريخ گزيده . ص ٤٥١ ، حبيب السير ، ج ٢ ص ٥١١ .

(٣) حبيب السير ، ج ٢ ص ٥١١ ، ٥١٢ .

(٤) تاريخ آل سلجوق – اختصار البنداري – ص ٢٥٩ .

فإلى جانب القتل والسلب وهدم المساجد والمساكن .. أحرقوا الكثير من المكتبات وأزالوها من الوجود [1] .

وقد سجّل أصحاب كتب التاريخ ما حدث من أحداث وما ارتكب من فظاعات . فقال ابن الأثير :

« فركب الغز ودخلوا نيسابور ، ونهبوها نهباً مجحفاً وجعلوها قاعاً صفصفاً ، وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها ، وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها » . [2]

وأسهب الراوندي في وصف ما حدث [3] ، وأورد بعض الأشعار التي قيلت في تلك المناسبة .

ولا شك أن المصيبة قد هزت الشعراء فأخذوا يصورونها ويسجّلونها في أبياتهم في صدق وحرارة .

يقول الخاقاني في خراب خراسان وهزيمة سنجر ونكبة أحد العلماء :

— يا خاقاني .. إلبس السواد حداداً على خراسان ، فإن أيام الفتنة قد جللت سوادها بالسواد .

— لقد حزن عيسى لمصيبتها ، فصبغ ملابسه بالسواد حتى حجبت الشمس بلونها الأسود .

— لقد أحزنه ان انتهك الفلكُ حرمةَ العالِم محمد بن يحيى ، وخلع الدهرُ التاج من فوق رأس سنجر المبارك [4] .

---

(١) الكامل ، حوادث ٥٤٨ هـ ، راحة الصدور ، ص ١٧٧ — ١٨١ .

(٢) الكامل ، حوادث سنة ٥٤٨ هـ .

(٣) انظر : راحة الصدور (الترجمة العربية) ص ٢٧٢ — ٢٧٦ ، حيث يورد صورة حية للفظاعات التي ارتكبها الغز .

(٤) راحة الصدور (ليدن) ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

ويقول الشاعر نفسه مصوراً جانباً بشعاً مما ارتكب في حق العلماء :

— في أمة محمد .. لم يبعث من التراب من يفضل محمد بن يحيى ..
— فقد افتدى في يوم مصرعه الأحجار بأسنانه والتراب بفمه [١]

أما الأنوري الشاعر فقد كان أكثر انفعالاً وصدقاً في قصيدته التي نظمها بناء على طلب أهالي خراسان . ووجهها إلى أمير سمرقند محمود بن ارسلان خان محمد بن سليمان ابن داود بغراخان الذي كان يتولى حكم سمرقند وقت فتنة الغز [٢] .

ويستهل الأنوري قصيدته بحديث مؤثر يبين طبيعة الرسالة وسبب ما يسودها من كآبة ، فيقول :

— إذا مررت يا ريح السحر على مدينة سمرقند ..
فاحملي رسالة الخراسانيين إلى حضرة الخاقان .
— فهي رسالة مطلعها عناء للجسد وآفة للروح ،
ومقطعها ألم للقلب وضنى للكبد .
— رسالة تبدو في سطورها تأوهات الغرباء ،
وتحوي في ثناياها دعاء الشهداء .
— وقد جفت صفحاتها بفعل حرارة صدر المظلومين ..
وابتل عنوانها من دمع أعين المحرومين .
— لقد احترق سمعي عند سماعها ، ودمي إنسان عيني وقت النظر إليها [٣] .

---

(١) نفس المصدر والصفحتين ، كليات خاقاني ، طبع لكنو ، ص ٥٨٧ — ٥٩٠ .
(٢) يرى كركباتريك أن الأنوري قدم قصيدته هذه لمحمد بن سليمان أمير سمرقند ، وهذا خطأ .
أنظر : تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي إلى السعدي ، ص ٤٨٩ .
(٣) النص الفارسي :
برسمرقند اگربگذری ، ای‌بادسحر نامهٔ أهل خراسان ببرخاقان بر =

وبعد أن يمتدح الانوريُ الخاقانَ ، ويذكِّره بأبوة سنجر الروحية له ، يطلب منه الانتقام من الغز ، ويبرِّر مطلبه بقوله :

— سوف ينتقم من الغز ، فالواجب على الابن البار ..
أن ينتقم لأبيه ويثأر له .

— وما دامت البقاع حتّى حدود توران قد عمرت بفضل عدله ..
فكيف يسمح بأن تكون إيران بأسرها خراباً ؟ (١)

ثم يروي الأنوري قصة أهل خراسان كما شهدها ، ويصف الخراب الذي لحق بها ، فيقول :

— استمع متفضلاً إلى قصة أهل خراسان ، وحين تسمعها اشملهم بنظرة عطف منك .

= نامه ای مطلع آن رنج تن وآفت جان
نامه ای مقطع آن درد دل وسوزجگـــر
نامه ای بر رقمش آه غريبـــان پيدا
نامه ای در شكنش خون شهيدان مضمر
نقش تقرير ش ازسينهٔ مظلومـــان خشك
سطر عنوانش از ديدهٔ محرومـــان تـــر
ريش گردد ممر صوت ازوگـــاه سماع
خون شود مردملك ديده ازو وقت نظر
ديوان أنوري ، طبع طهران، ص ١٠٥، ١٠٦

(١) النص الفارسي :
باز خواهد زغزان كينه ، كه واجب باشد
خواستن كين پدر برپسر خوب سير
چون شداز عدلش تاسر حدتوران آبـــاد
كي روا دارد ايران را ويران يكسر ؟
ديوان أنوري ، طهران ، ص١٠٦

— هذه قلوب المعذبين وأكبادهم تقول :
يا من ينال قلب الدولة والدين على يديك السرور والظفر .
— أتعلم أنه بسبب ما أحدثه الغز من تغيير مشئوم ،
لم يعد هناك أثر واحد في خراسان لم يقلب رأساً على عقب ؟
— أتعلم أن الخير كله قد زال ، ولم يعد له في إيران بأسرها من أثر ؟
— وأن الصغار باتوا يرأسون العظماء ، وأصبح اللئام يَفْضُلون كرامَ عهدهم .
— وبات الأحرار يقفون بباب السفلة محزونين حيارى ،
وأصبح الأبرار أسرى عاجزين في يد الفجار الأراذل .
— ولم تعُد ترى شخصاً مبتهجاً إلا اذا كان على عتبة الموت ..
ولم تعد ترى بكراً إلا من هي في بطن أمها .
— لقد أصبح المسجد الجامع في كل مدينة مربطاً لدوابِّهم
ولم يعد يبدو منه سقف أو باب .
— ولا يوجد من يخطب باسم الغز في أي بلد ،
لأنه لم يعد الآن في خراسان خطيب أو منبر [1] .

---

(١) النص الفارسي :
قصهٔ أهل خراسان بشنو ازسر لطف
چون شنيدى زره لطف بريشان بنگـــر
اين دل افكار جگرسو ختگــان مى گويند
كاى دل دولت ودين را زتوشادى وظفر
خبرت هست كزين زير وزبر شوم غزان
نيست يك پى زخراسان كه‌نشدزير وزبر ؟
خبرت هست كه ازهرچه دروخيرى بود
درهمه ايران امروز نماندست اثر ؟=

ثم يناشد الخاقان أن يبادر بتخليص أهل إيران من مخالب الغز ، مبيناً له الحالة التي آلت اليها البلاد ، عاقداً مقارنة بين ماضيها وحاضرها ، فيقول :

— أدرك الخلق ونجهم من ذلك الغم يا صاحب الأصل الملكي ..
حرر الملك من هذا الظلم يا طاهر الجوهر .

— استحلفك بالله الذي زين باسماك الدينار ..
استحلفك بالله الذي وضع على مفرقك التاج ..

— أن تريح قلوب العباد من هؤلاء الغز السفلة المشؤمين المغيرين .

— حان الوقت لأن يلقوا من رمحك الجزاء ، حان الوقت لأن ينالوا من سيفك العقاب .

— لقد حملت في الماضي على نسائهم وأولادهم وأموالهم ..
فاحمل هذا العام على أرواحهم مرة أخرى .

— هل كتب أخيراً على ايران — التي كانت الجنة تحسدها — أن تكون وقفا على هذه الحشرات المشئومة إلى يوم الحشر ؟

— بالنسبة لمن لجأوا إلى بلاط مولاي الذي صار بفضل عدلك كالخلد .
ومن بُعد عنه إلى مكان صار بظلم الغز مثل سقر ..

— كل من يمتلك دابة وحماراً سقط بحيلة من حيلهم ،
فماذا يصنع المسكين الذي لا يجد ما يحمله .

= بر بزرگان زمانه شده خردان ســالار
برکريمان جهان گشته لئيمان مهــتر
بر در دونان احرار حزيــن وحــيران
در کف رندان ابرار اسير ومضطــر
شاد ، الا بدر مرگ نبيــنى مـــــردم
بکر ، جز درشکم مام ، نيابى دختر
مسجد جامع هر شهر ستورانشـــــان را
پا يگاهى شده ، نه سقفش پيداونــه در
نکنند خطبه بهر خطه ، بنام غز ، آزانك
در خراسان نه خطيبست کنون ، نه منبر

– ارحم القوم الذين يبحثون عن خبز الشعير ، بعد أن كانوا لا يأكلون السكر تدللا .

– ارحم القوم الذين لا يجدون اللباد ، بعد أن كان الأطلس فراشهم

– ارحم القوم الذين افتضحوا بعد أن اشتهروا بالاستتار [1] .

---

(١) النص الفارسي :

خلق را زين غم ، فريادرس ، اى شاه نژاد
ملك را ازين ستم ، ازاد كن ، اى پاك گهر
بخدايى كه بياراست بنامت دينار
بخدايى كه بر افراخت بفرقت افسر
كه كنى فارغ وآسوده ، دل خلق خداى
زين فرومايه غز شوم پى غارتگر
وقت آنست كه يابند زرمحت پاداشى
گاه آنست كه گيرند زتيغت كيفر
زن وفرزند وزرجمله بيك حمله چوپار
بردى ، امسال روانشان بدگر حمله ببر
آخر ايران ، كه ازو بودى فردوس برشك
وقف خواهد بد تا حشر برين شوم حشر ؟
سوى آن حضرت كز عدل تو گشتست چوخلد
دور ازين جاى كه از ظلم غزان شدچو سقر
هر كه پايى وخرى داشت بحيله افگند
چه كند مسكين آنرا كه نه پايست ونه خر ؟
رحم كن رحم بران قوم كه جويند جوين
از پس آنكه نخوردندى از ناز شكر
رحم كن رحم بر آنها كه نيابند نمد
از پس آنكه ز اطلسشان بودى بستر
رحم كن رحم بر ان قوم كه نبود شب وروز
در مصيبتشان جز نوحه گرى كار دگر =

ثم يعود الأنوري إلى التركيز على وضع خراسان ، فيقول :

— انك الشمس المشرقة وخراسان أطلال
ألا تشرق الشمس على الأطلال كما تشرق على العامر من الديار ؟ (١)

وأخيراً يتحدث الشاعر عن نكبه إيران بأسرها ، وعن قدرة الخاقان على رد الحياة إليها بالجهاد والجلاد ، فيقول :

— ان ايران تشبه الأرض البور الملحة ، وأنت السحاب ..
وكما ينثر السحابُ المطرَ على الحديقة ينثرها على الأرض البور الملحة .

— إذا لم تزين قدمك الركاب لهذه الغاية ،
فلن يعطف الغز العنان إلى المشرق ولن يولوا الأدبار (٢) .

وبتدمير الغز لإقليم خراسان انتقل بريقه إلى العراق . وتغيرت نيسابور في مدى سنتين أو ثلاث تغيّراً كبيراً ، وفقدت عظمتها وزينتها بحيث لم يعد أحد يعرف محلته التي كان يقيم فيها . وانقلبت الأماكن التي كانت مجامع الأنس ومدارس العلم ومحافل الصدور في نيسابور فأصبحت مراعي للأغنام ومكامن للوحوش والهوام (٣) .

= رحم كن رحم بر آن قوم كه رسوا گشتند
از پس آنكه بمستورى بودند سمر
ديوان الانوري ، طهران ، ص ١٠٦ ، ١٠٧

(١) النص الفارسي :
توخور روشنى وهست خراسان أطلال
نه بر أطلال بتابد ، چوبر آبادان خور ؟
ديوان أنوري ، طهران ، ص ١٠٧

(٢) النص الفارسي :
هست ايران بمثل شوره وتو ابرى وابر
هم بيفشاند برشوره ، چو برباغ ، مطر
گرنيارايد پاى توبدين عزم ركاب
غز مدبر نكشد باز عنان تا خاور
ديوان أنوري ، طهران ، ص ١٠٧ .

(٣) راحة الصدور (الترجمة) ، ص ٢٧٢ — ٢٧٦ .

ونجت هراة بفضل سورها المحكم الذي لم يستطع الغز اقتحامه ، ونجت دهستان لصمود أهلها وجلدهم .

وترك الغز البلاد لترتع فيها الاختلافات المذهبية وتقضي على البقية الباقية من آثار الخير فيها . فكانت كل فرقة تشعل النار في محلات الفرق المخالفة .. حتى لقد استحالت الخرابات التي خلّفها الغز أطلالا ، وحل بالناس القحط والوباء ، فمات جوعاً كل من هرب من السيف والتعذيب . واحتمى البعض بقوم من العلويين كانوا قد حصّنوا اقليم كهندز وتحصّنوا به . كما أن مؤيد آي آبه قد حاول جاهداً ان يعمّر الشادياخ التي يقع بها قصر السلطان وقصور الأمراء ، فلجأ إليها من العلماء والعامة من يبغي الحماية وينشد الأمان .

ولم يستطع الغز — رغم كفتهم الراجحة — أن يكوّنوا لهم حكومة خاصة من الجنس الأصفر .. لأن سليمانشاه ومحمود شاه ومؤيد آي آبه منعوهم من ذلك . كما أن سيطرة الخوارزمشاهيين على خراسان عقب هذه الأحداث بمدة قصيرة لم تعطهم فرصة لتكوين مثل هذه الحكومة . فبعد أن كرّ أميرهم دينار في خراسان وفرّ .. لجأ إلى طغان شاه بن مؤيد آي آبه .. إثر حملة السلطان شاه ابن ايل ارسلان ، والهزيمة التي أوقعها به في سرخس .

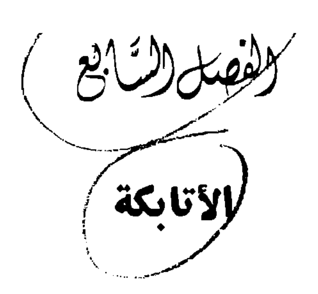
وقد عاش دينار فترة في بسطام. وبعد الهزائم التي مني بها طغانشاه ، ووفاته عام ٥٨١ هـ ، واستيلاء سلطانشاه على ممالكه .. لم يجد دينار بدأ من اللجوء إلى كرمان .. ولحق به الغز على دفعات . وهناك في كرمان .. أثاروا الفتن ، وشغلوا بالكر والفر .. ولم يدفع أذاهم عن تلك الجهات سوى سيطرة الخوارزمشاهيين عليها في عام ٦١٢ هـ [1] = ١٢١٥م .

وقد طالت فترة أسر سنجر إلى ثلاث سنوات ، ولم يفكر في الفرار لوجود

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٨٩ .

زوجته بين أيدي الغز . فلما ماتت دبّر خطة الفرار ، ونفـّذها بمساعدة الأمير عماد الدين أحمد بن أحمد بن أبي بكر قماج . وذهب إلى ترمذ ومنها إلى مرو ، في محاولة لجمع شتات جنده ، لكنّ ما شهده من دمار وخراب عجل بوفاته .. فتوفي في عام ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م .. بعد أن تسبب في خراب البلاد وهلاك العباد بمعاداته للغز



الأتابكة أو الأتابيك .. لقب كان يطلق في أوائل العهد السلجوقي على من يعهد إليهم بتربية الأمراء ومراقبتهم وتصريف أمورهم وحمايتهم . وكانت طبيعة عملهم تستوجب تدخلهم في أخص شئون سادتهم . وقد وصل الأمر ببعضهم حد القدرة على تنصيب الأمراء وعزلهم تحت ستار هذه الحماية . مثال ذلك ما فعله گمشتكين جاندار الذي عمل أتابكا لبركيارق فترة في عهد ملكشاه . فقد استطاع أن يحميه من الأمير كربوغا رسول تركان خاتون ، وأن يعيده من أصفهان — وكان قد فر اليها — ويستقبله في ساوه . ثم يرتب الأمور بحيث يجلسه على عرش السلطنة في الري[1] .

وتحت ستار هذه الحماية أيضاً تمكن عدد من الأتابكة الأكفاء ذوي الحزم والتدبير من الوصول إلى مناصب الحكم ونيل أرفع الدرجات والسيطرة على ممالك الإسلام[2] خاصة بعد وفاة ملكشاه ، وتعرض الممالك السلجوقية للهزائم .

(١) راحة الصدور ، ليدن ، ص ١٤٠ .

(٢) حبيب السير ، ج ٢ ص ٥٥١ ، كتاب النقض ، طهران ١٣٣١ هـ ، ص ٢٣.

من هؤلاء ظهير الدين طغتكين الذي كان أتابكاً لدقاق بن تتش بن الپ أرسلان . فقد سيطر ظهير الدين على الملك بعد موت دقاق ، وكوّن سلسلة أتابكة دمشق أو أتابكة بوري ، الذين بدأ حكمهم وسلطانهم في عام ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م وانتهى في عام ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م .

ومنهم أيضاً عماد الدين زنكي بن آق سنقر أحد عبيد ملكشاه . وقد تم تعيينه على حكومة العراق وبغداد في عام ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م ، بعد أن استولى على الموصل وسنجار والجزيرة وحران وحلب وبلاد الشام . وقد سميت السلسلة التي كوّنها بأتابكة زنكي أو أتابكة الجزيرة والشام .

وقد تشعبت هذه السلسلة إلى :

أتابكة الموصل ، (٥٢١ – ٦٦٠ هـ = ١١٢٧ – ١٢٦١ م) .
أتابكة الشام ، (٥٤١ – ٥٧٧ هـ = ١١٤٦ – ١١٨١ م) .
أتابكة سنجار ، (٥٦٦ – ٦١٧ هـ = ١١٧٠ – ١٢٢٠ م) .
أتابكة الجزيرة ، (٥٧٦ – ٦٤٨ هـ = ١١٨٠ – ١٢٥٠ م) .

وعلى يد زين الدين علي كوچك بن بكتگين – أحد أمراء الترك التابعين لعماد الدين زنكي – وجدت سلسلة أتابكة إربل (٥٣٩ – ٦٣٠ هـ = ١١٤٤ – ١٢٣٢ م) .

ومن أشهر سلسلات الأتابكة التي ذاع اسمها في أرجاء ايران ثلاث :
أتابكة آذربيجان والعراق ، الأتابكة السلغرية أو أتابكة فارس .
أتابكة الموصل والشام وديار بكر .

وقد وجدت كل سلسلة منها من يمتدحها من الشعراء ، كما استطاعت أن تؤثر في سير الأحداث من النواحي السياسية والدينية والاجتماعية بصورة فعّالة .

لذا سوف نتحدث عن كل منها بشيء من التفصيل :

(أ) أتابكة آذربيجان والعراق :

أنشأ هذه الأسرة الأتابك « شمس الدين ايلدگز » غلام السلطان مسعود السلجوقي ، الذي أظهر من المهارة ورجاحة العقل والجلد ما جعل مسعود يزوِّجه من أرملة أخيه طغرل بن محمد (أي أم السلطان أرسلان) رغم أنه كان كريه المنظر . كما عيّنه على حكومة آذربيجان ، وأسند إليه ولاية أران ، فاستقل بشئونها [(١)] ، وأسس دولة الأتابكة عام ٥٣١ هـ = ١١٣٦ م .

وفي عام ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م استطاع هذا الأتابك أن يخلِّص السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه وأن يخرجه من قلعة همدان بعد أن حبسه أمراء العراق فيها .

كما استطـــاع أن يجلس « أرسلان بن طغرل » على العرش ، وأصبح هو المتصرف في كل الشئون دونه . وقد أمّره أرسلان على العراق ، فاستقل بها إلى أن أدركته الوفاة عام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م [(٢)] .

وكان شمس الدين ايلدگز مطيعاً لسلاطين السلاجقة في الظاهر . وقد مكّنه ذلك الموقف من التدخل في كل الشئون ، وإسداء النصح حين يطلب منـــه .

وقد انجب ولدين : جهان پهلوان أتابك محمد ، وقزل أرسلان .

وقد أخذ « جهان پهلوان محمد » مكان أبيه بعد وفاته . وأجلس « طغرل ابن أرسلان » على العرش بعد أبيه . وكان طفلاً في السابعة من عمره ، فكان طبيعياً أن يصرِّف شئون الحكم بدلاً منه .

---

(١) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص ٨١ .
(٢) تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٢٧ ، لب التواريخ ، ص ١٢٣ ، حبيب السير ، جـ ٢ ص ٥٥٧ .

واستطاع جهان پهلوان أن يوسّع رقعة نفوذه بالسيطرة على العراق وآذربيجان . وأصبح الحكام الآخرون يرهبونه ويخشون جانبه ، ويرسلون السفراء إلى بلاطه [1] .

وقد تبدت قوته وعظم نفوذه في إصراره على حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة مدة سنة . ولم يرض بإعادة إسمه للخطبة إلا بعد أن أرسل له الخليفة أموالاً كثيرة . وظل في أوج قوته وعظمته إلى أن مات في عام ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م .

وما أن توفي جهان پهلوان حتى حضر أخوه « قزل أرسلان عثمان ايلدگز » من آذربيجان وكان يحكمها من قِبَل أخيه محمد . وفي العراق تسلم مقاليد السلطنة دون قتلغ اينانج ابن محمد [2] . كما تزوج أم قتلغ وكانت تدعى (فتنه خاتون) [3] .

ونظراً لقوة قزل ارسلان وسيطرته لم يعد للسلطان طغرل بن أرسلان سوى الإسم .

ولما دبَّ الخلاف بين الأمراء وأبناء الأعمام فر طغرل من العراق إلى آذربيجان . وانتهز الأتابك الفرصة فأغار على ممتلكاته وسلبها . وشغل السلطان بجمع المدد تمهيداً لاستعادة ممتلكاته السليبة . وانحاز الخليفة العباسي إلى الجانب الأقوى ، فعين الأتابك سلطاناً . فقام بالقبض على طغرل وسجنه في إحدى القلاع .

غير أن القدر لم يمهله ليجني ثمرة انتصاره فقد اغتاله الفدائيون أو الأمراء في نفس الليلة التي قبض فيها على السلطان ، فوجدت جثته في خيمته وقد نفذت

---

(١) صدر الدين الحسيني : أخبارالدولة السلجوقية ، ص ١٧٢ .
(٢) حبيب السير ، ج ٢ ص ٥٥٨ .
(٣) هذه التسمية مطابقة لما جاء في لب التواريخ ، أما خواندمير فيدعوها (قتيبة خاتون)

فيها خمسون طعنة خنجر [1] . وهكذا قضى نحبه في عنفوان شبابه وقوته ، عام ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م . ويقال إنه قتل بتحريض من زوجته التي كان يهملها تماماً بسبب حبه للغلمان [2] .

وبموت قزل ارسلان انحصرت حكومة أعقابه في آذربيجان .

وتولى الحكم من بعده الأتابك « أبو بكر بن محمد » . وحكم ولاية العراق بمُعاونة فتنه خاتون وابنها قتلغ اينانج .

أما طغرل فقد نجا من أسره على يد قائد القلعة التي كان حبيساً بها ، كما ساعده هذا القائد في الجلوس على العرش في العراق . وتزوج طغرل من فتنه خاتون .

وبعد فترة دبَّ النزاع بين الأخوين : أبي بكر وقتلغ اينانج .. حول آذربيجان . وتحاربا أربع مرات في شهر واحد ، انتصر فيها أبو بكر .

وقد ابتلى ابو بكر في فترة حكمه بغارات الكرج ، مما اضطره إلى الزواج من إبنة ملك الكرج .. فكفاه ذلك شر هؤلاء القوم [3] .

أما طغرل فقد قتل زوجته بالسم حين علم أنها تآمرت مع ولدها على قتله بنفس الطريقة . وأراد أن يقبض على قتلغ اينانج لكنه فر لاجئاً إلى ديار الخوارزمشاهيين . واستدعى تكش لمهاجمة العراق ، فهاجمها وقتل طغرل في المعركة ، ثم أعطى اصفهان لقتلغ .

وفي شهور عام ٥٩٤ هـ = ١١٥٤ م قُتِل على يد أحد أمراء تكش خان لأنه حاول الخروج عليه . وتوفي الأتابك أبو بكر في عام ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م بعد حكم دام عشرين سنة .

---

(١) لب التواريخ ، ص ١٢٤ .

(٢) تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٢٨ ، حبيب السير ، جـ ٢ ص ٥٥٨ .

(٣) الكامل ، جـ ١٢ ص ١٥٦ .

وتولى الحكم في آذربيجان أخوه الأتابك « مظفر الدين اوزبك » . واستمر في الحكم مدة ١٥ عاماً قبل أن يحاربه خوارزمشاه جلال الدين منكبرتي ، ويضطره للفرار . ولم يكتف جلال الدين بما فعله باوزبك بل أسر زوجته كذلك . ولما سمع نبأ أسرها مات كمداً ، وذلك في عام ٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م .

وهكذا انتقل الملك إلى الخوارزمشاهيين ، وانتهى عهد أتابكة آذربيجان . وكان اتابكة آذربيجان يقربون الشعراء منهم . ومن بين كبار شعرائهم يبزغ اسم ظهير الدين الفاريابي ، الذي كان يختص بمدحه قزل ارسلان ونصرة الدين أبوبكر محمد .

(ب) الأتابكة السلغرية أو أتابكة فارس :

من نسل « سلغر » الذي كان رئيساً لطائفة من تراكمة الغز ، كانت تثير الفتن في خراسان . فلما توجه السلاجقة لخراسان عمل حاجباً لطغرل ، وصار لأعقابه قدرهم ومكانتهم لدى السلاجقة . وقد استقر أولاده وأتباعه في فارس وخوزستان ولرستان وجبل كيلويه .

وقد حكم ولاية فارس بعد أن أخرجها ألب أرسلان من يد الديالمة سنة ٤٥٨ هـ = ١٠٦٥ م ستة اشخاص من قِبَلِ السلاجقة ، واستمر حكمهم ٨٥ عاماً . وهم : فضلويه شبانكاره ، ركن الدين خمارتكين ، الأتابك جاولي ، الأتابك قراچه ، الأتابك منكوترس ، الأتابك بوزابه .

وفي عهد ملكشاه ، خرج عليه الأتابك سنقر بن مودود السلغري . ويسمى المؤرخون أولادَه الذين حكموا في شيراز بأتابكة فارس . وعدد هؤلاء الأتابكة ١١ أتابكا ، امتد حكمهم ١٢٠ سنة .

وبعد هزيمة ملكشاه بن محمد بن محمود السلجوقي نصب سنقر نفسه سلطاناً في شيراز . واستولى على فارس في عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م . وعنه نشأ أتابكة

فارس . وقد سيطر هؤلاء الأتابكة على فارس وسواحل الخليج وخوزستان ولرستان[1] . وكان عددهم ١١ أتابكاً .

وقد دام حكم سنقر ١٣ عاماً ، وتوفي في عام ٥٥٧ هـ = ١١٦١ م[2] .

ووزر له تاج الدين الشيرازي . وكان سنقر عطوفاً على رعيّته ، ينشيء الكثير من المساجد والخانقات .

وقد حكم بعده أخوه الأتابك مظفر الدين زنگي بن مودود مدة ١٤ سنة ، وتوفي في عام ٥٧١ هـ = ١١٧٥ م بعد أن أخضع الفتن .

وحكم بعده ابنه الأتابك مظفر الدين تكله بن زنگي . وظل في الحكم ٢٠ سنة إلى أن مات في عام ٥٩١ هـ = ١١٩٥م .

وتوالى الحكام :

قطب الدين بن سنقر ، مظفر الدين أبو شجاع سعد بن زنگي (الذي اتخذ مصلح الدين سعدي الشيرازي الشاعر من اسمه تخلصاً له) ، مظفر الدين ابو بكر بن سعد ، محمد بن سعد بن أبي بكر ، ومحمد شاه بن سلغرشاه بن الأتابك سعد بن زنگي بن مودود السلغري .

وأخيراً تولى الحكم « سلجوقشاه بن سلغرشاه » الذي يصله نسبه من جهة أمه بسلاطين السلاجقة . فقضى على بعض الفتن والثورات ، وتزوج « تركان » ثم قتلها بطريقة بشعة وقتل أتباعها . ورغم ميله للهو والشرب إلا أنه كان شجاعاً مهاباً . وقد حارب المغول ببسالة ، فلما تمكّنوا منه قتلوه ، وذلك في عام ٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ م .

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٢٨ .

(٢) وفق ما جاء في حبيب السير (جـ ٢ ص ٥٦٠) . غير أننا بالرجوع إلى لب التواريخ نجده يؤكد أنه توفي في عام ٥٥٦ هـ ، ويؤيده في ذلك تاريخ گزيده (ص ٥٠٣) .

ولما لم يبق بعده من يصلح لحكم شيراز من بين أفراد أسرة الأتابكة . فقد وقع اختيار هولاكو خان على ابنة الأتابك سعد بن أبي بكر ، وزوجة منكو تيمور بن هولاكو خان في نفس الوقت لتتولى حكم ولاية فارس . وحكمت (ابش) — وهذا اسمها — مدة ٢٤ سنة [١] ، فلما ماتت في عام ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م لم يجلس على مقعد الحكم أحد من السلغرية .

وهكذا استطاع اتابكة فارس أن يجلسوا على كراسي الحكم مدة تقرب من القرن ونصف القرن ، واستطاعوا بانسجامهم مع الخوارزمشاهيين في عهد الأتابك سعد بن زنگي ، والمغول في عهد أبي بكر بن سعد بن زنگي .. أن يطيلوا مدة حكمهم إلى العام المذكور .

وقد شاد حكام هذه السلسلة أبنية كثيرة ، ومنحوا الأمان لفارس ، فعاشت بعيدة عن حملات الخوارزميين والمغول .. بحيث كان يلجأ إليها فضلاء خراسان والعراق عندما تشتد الأزمات . كما احتضن هؤلاء الاتابكة الكثير من فضلاء فارس وشعرائها ، وبسطوا حمايتهم عليهم وعاونوهم على إبراز مواهبهم الفكرية والأدبية [٢] .

(جـ) أتابكة الموصل والشام وديار بكر :

يبلغ عدد من وصل منهم إلى الحكم تسعة . وقد بدأ حكمهم الفعلي عام ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م [٣] . ودام حكمهم مدة ١٧٧ عاماً [٤] .

---

(١) وفق ما جاء في حبيب السير (جـ ٢ ص ٥٦٦) ، ويرد في لب التواريخ أنها حكمت ٢٠ سنة فقط .

(٢) تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) حبيب السير ، جـ ٢ ص ٥٥١ .

(٤) لب التواريخ ، ص ١٢٠ .

وقد تأمّر الأتابك آقسنقر والد حكام هذه الأسرة في عهد السلطان محمود السلجوقي[1] .. وكانت بغداد مقرّ حكمه . ولما هاجم الفرنج الشام وحاصروا حلب تصدى لهم بأمر من السلطان محمود واستطاع طرد المحاصرين ورفع الحصار ، ثم عاد للموصل . وقد انتهت حياته في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م على يد فدائي من الملاحدة . وكان مصرعه أثناء تأديته للصلاة [2] .

وجلس مكانه ابنه عماد الدين زنكي الذي لُقّب بالسلطان .. وكان مهيباً شجاعاً . وقد تولى هذا السلطان حكم الموصل بناءً على أمر المسترشد بالله العباسي وموافقة السلطان مغيث الدين محمود السلجوقي .

واستطاع في عام ٥٢٣ هـ = ١١٢٨ م أن يضم حماه وحمص إلى ممتلكاته ، كما استطاع في عام ٥٢٤ هـ = ١١٢٩م أن يفتح حلب . وما أن جاء عام ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م حتى كان قد استولى على ديار بكر وكردستان .

وفي عام ٥٤١ هـ = ١١٤٦ م قتله غلمانه ، بعد أن ظل في الحكم ٢١ عاماً .

فقبض على زمام الأمور في الموصل .. ابنهُ سيف الدين الغازي بن عماد الدين زنكي . وأعاد لأخيه نور الدين محمودُ حكم حلب وحمص وحماه . وأنشأ مدرسة وأكرم العلماء .

وحارب الفرنجة عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م وهزمهم بصعوبة بالغة . ومات في عام ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م .

أما نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي فيعدُّ من أعظم سلاطين الإسلام.

وقد حكم بعد أبيه في حلب وحمص وحماه ، وفتح دمشق وبعابك

---

(١) هذا وفقا لما جاء في حبيب السير ، ج ٢ ص ٥٥١ . أما المعلومات الواردة لب في التواريخ فتفيد أن ذلك كان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي .

(٢) هذه المعلومات الواردة في حبيب السير ، يذكرها صاحب لب التواريخ بالنسبة لعماد الدين زنكي ، ويؤكد أن آقسنقر قد مات في عام ٤٩١ هـ .

ومنبج ، وسخّر الكثير من قلاع الكفّار .

وهاجم مصر ثلاث مرّات . وكان قائد جيوشه هو نائبه أسد الدين شيركوه . وقد استهدف من ذلك انقاذها من شر الفرنجة . ومما يذكر أنه كان دائم الانتصار عليهم ، مما جعل الخليفة الفاطمي « العاضد » ينصبه وزيراً . وقد اتخذ من دمشق داراً لملكه ، وبنى المدارس والمساجد والمستشفيات . ومات في عام ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م بعد حكم دام ١٩ سنة .

ولما مات خلفه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، فأسقط اسم العاضد الاسماعيلي من الخطبة في مصر — بناء على رأي نور الدين محمود — وخطب باسم المستضيء بنور الله العباسي .. وبذا أعاد للعباسيين مكانتهم .

ومات العاضد في نفس الأسبوع ، فاستقل صلاح الدين بمصر ، ولُقّب بالملك الناصر .

ومات نور الدين محمود عام ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م فخُطب لابنه الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الذي يبلغ الحادية عشر من عمره ، وأطاعه صلاح الدين حاكم مصر . ولم يحكم اسماعيل أكثر من ٨ سنوات مات بعدها في عام ٥٧٧ هـ = ١١٨١ م [(١)] .

وقد مات « قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي » في عام ٥٦٥ هـ = ١١٦٩ م ، بعد أن حكم الموصل إثر وفاة أخيه الأكبر « سيف الدين » . وتولى « سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود » حكم الموصل بعد وفاة أبيه وتنازع ونور الدين محمود ثم تصالحا .

وقد استطاع صلاح الدين هزيمة سيف الدين غازي . وكانت وفاة غازي في الموصل عام ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م . وخلفه أخوه عز الدين مسعود بن قطب

---

(١) حبيب السير ، جـ ٢ ص ٥٥٤ .

الدين مودود في حكم الموصل ، وخُطب له في حلب .

وفي عام ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م سيطر صلاح الدين على حران وسروج وسنجار ونصيبين والرقة . وزحف إلى ظاهر الموصل وحاصرها عدة أيام ، فلما استعصت عليه صالح عز الدين ، وأخذ منه حلب وترك له سنجار .

وأكثر صلاح الدين من مهاجمة الموصل دون طائل ، فسعى إلى الصلح بشرط أن يَذكُر عزُ الدين اسمه في الخطبة بالموصل . وأعاد له شهرزور .

ومات عز الدين في عام ٥٨٩ هـ=١١٩٣ م ، فتولى نور الدين أرسلانشاه ابن مسعود بن مودود بن زنكي مكانه . وظل في الحكم مدة ١٨ سنة إلى أن فارق الحياة عام ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م . فخلفه ولده عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلانشاه .. فسيطر عليه بدر الدين لؤلؤ وأخذ يدير شئون ملكه . فلما توفي – بعد مدة قصيرة – انتقل حكم ولاية الموصل إلى بدر الدين لؤلؤ .

وقد توفي لؤلؤ عن ٩٦ عاما ، وكانت وفاته في عام ٦٥٩هـ = ١٢٦٠ م[1] فانتقل الحكم إلى ابنه الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ .

وحين تمرد الملك الصالح على هولاكو خان ، حاصره أمراء المغول داخل أسوار الموصل عدة أشهر . فلما عمّ القحط وتفشى الوباء خرج إليهم مضطرا . فعذبوه طويلا ثم قتلوه شر قتلة . وسيطر المغول نهائيا .

---

(١) يذكر صاحب لب التواريخ في كتابه (ص ١٢٢) هذا التاريخ ، أما صاحب حبيب السير فيذكر في كتابه (جـ ٢ ص ٥٥٦) ان الوفاة تمت في عام ٦٥٧ هـ .

الفصل الثامن



الخلافة العباسية

كانت الأحداث في عهد السلاجقة تستوجب الالتحام بينهم وبين الخلفاء العباسيين فقد وجد السلاجقة في الخليفة المقام الروحي الذي يستمدون منه أحقيتهم وشرعيتهم في الولاية والحكم .إذ كان الخلفاء في بغداد أئمة أكثر المسلمين .. فكان اعترافهم بالسلطان يقربه إلى المسلمين ، ويمكنه من التوسع والفتح .

والحق أنه إذا كان اعتراف الخلفاء بأحقية سلاطين السلاجقة في الحكم قد أفاد السلاطين ، فأنه قد أفاد الخلفاء أيضا ، فقد وقف السلاطين إلى جانبهم وأوقفوا اندفاع الخلافة العباسية في طريق الانقراض والزوال . فلولا حملة طغرل على بغداد ، وهزيمة اليسا سيري ، وعزل أعوان الخليفة الفاطمي لانقرضت الخلافة العباسية وزالت من الوجود .

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن نفوذ السلاجقة كان من القوة بحيث أدى الى تلاشي هيبة الخلافة [1] ، وجعل الخليفة صورة باهتة الشخص لا يملك حرية

(١) Lane poole : Mohammadan Dynasties, p. 139.

التصرف حتى في شئونه الخاصة .. إلا أنه مع ذلك كان مدعاة لاستمرار الخلافة وبقائها ، ومبررا لبقاء الخليفة .

ورغم سيطرة سلاطين السلاجقة على الخلافة فإن التاريخ لم يذكر أن سلطانا أقام في بغداد. بل كانوا يتركون حاكما من قبلهم في العراق ، يدعى (العميد) ، ومسئولا عن النظام والأمن في بغداد يدعى (الشحنة) . ويعاون العميد والشحنة عدد كبير من العسكر . وبهذه الطريقة كانت أموال العراق تصل السلطان ، ويرتب هو للخليفة ما يكفي لسد جميع نفقاته [1] .

وقد حدث أول خلاف بين السلاجقة والخلافة حين قبض طغرلبك على الملك الرحيم البويهي عقب دخوله بغداد ، وأطلق جند السلاجقة أيديهم بالسلب والنهب في عاصمة الخلافة . فقد أغضب ذلك الخليفة القائم بأمر الله ، ابو جعفر عبد الله [2] . غير أنه لم يستطع الوقوف في وجه طغرل لأن الخلافة آنذاك كانت متناهية في الضعف عسكريا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا [3] . وقد ذاب الخلاف إثر زواج الخليفة القائم بأمر الله من أرسلان خاتون إبنة داود أخي طغرل ، رغبة في كسب ود السلاجقة .

وإعتلى مسند الخلافة بعد وفاة القائم بأمر الله .. المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله . وذلك في عام ٤٦٧ هـ = ١٠٧٥ م ، وهو ابن محمد بن القائم . فاتخذ التدخل في شئون الخلافة من جانب السلاجقة وعملهم على ازالة هيبتها شكلا سافرا . ففي عام ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م حدثت جفوة بين ملكشاه والخليفة . إذ طرد الخليفة ولم يمهله ليتدبر أمره . وكاد الأمر يستفحل لولا وفاة السلطان

(١) كان هذا هو المتبع في عهد طغرل ، ويقال إنه أصبح بعد ذلك يعيش من دخل يأخذه من اقطاعات مقررة له .
أنظر : تاريخ گزيده ، ص ٤٣٨ .

(٢) بدأ حكمه في عام ٤٢٢ هـ = ١٠٣١ م وانتهى في عام ٤٦٧ هـ = ١٠٨٥ م .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، حوادث عام ٤٧٧ هـ .

المفاجئة في عام ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م .

وبعد وفاة المقتدي اعتلى العرش ابنه المستظهر بالله ، أبو العباس أحمد . وقد عاصر هذا الخليفة أحداثا خطيرة في تاريخ السلاجقة . وتأرجح في تيارات الانقسامات السياسية . فكان يرقب الموقف ، وينضم لمن ترجح كفته ويبادر إلى الاعتراف به . ومع أنه كان يرى النزاع بين عظماء السلاجقة : بركيارق ، محمد ، وتتش ، إلا أنه لم يحاول الاستفادة من ذلك في التخلص من نفوذهم . ومات المستظهر بالله في عام ٥١٢ هـ = ١١١٨ م .

واعتلى مسند الخلافة ابنه المسترشد بالله ، ابو منصور الفضلي . وفي عهده بدأ الكفاح لاسترداد هيبة الخلافة ، والاطاحة بالنفوذ السلجوقي . وقد صرح بعدم رضاه عن السلاجقة وعاب سوء فعالهم حين قال :

« فوّضنا أمورنا إلى آل سلجوق فبغوا علينا ، فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » [1] .

وحاول طغرل السلجوقي — بمعاونة دبيس — الاستيلاء على بغداد . غير أن مسعاه باء بالفشل ، فقد انتصر الخليفة على دبيس ، وأقعد المرض سلطان السلاجقة عن الخروج للقتال .

وبذل الخليفة بعض الجهود ليستميل السلطان محمود إلى صفّه ضد سنجر . فحذّره سنجر وبرنقش شحنة بغداد من سوء العاقبة . واستطاع برنقش أن يوقع بينه وبين محمود فاصطدما في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م ، وانتهى الأمر بينهما بالصلح ، ورجع محمود عن بغداد [2] .

---

(١) نظامي عروضي سمرقندي : چهار مقاله — ترجمة د . عبد الوهاب عزام ، د . يحيى الخشاب ، طبع القاهرة سنة ١٩٤٨ م ، ص ٣١ .

(٢) للاطلاع على التفاصيل ارجع إلى :
الكامل ، حوادث ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، جهانگشاي جويني ، طهران ، ج ٣ ص ١١٧ ، اخبار الدولة ، السلجوقية ، ص ٩٧ ، النقض (بعض ثوالب النواصب) ، طهران ١٣٣١ هـ ، ص ٩٧ .

وتوفى محمود في عام ٥٢٥ هـ = ١١٣١ م . وتمكن مسعود من السيطرة على العراق والاستقرار بها .. وتحارب مع سنجر .

وحاول دبيس بن صدقة وعماد الدين زنكي احتلال بغداد ، فتصدى لهما الخليفة . وكانت النتيجة أن هُزم دبيس وفر عماد الدين .

وأخذ الخليفة يتدخل في الأمور بصورة فعالة . وبلغت به الشجاعة والثقة بالنفس حد الهجوم على الموصل ومحاصرتها في عام ٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م لمدة ثلاثة أشهر ، عاد بعدها إلى بغداد .

وخانه الحظ آخر الأمر حين اصطدم بمسعود إثر جفوة بينهما ، فهُزم على يديه في عام ٥٢٩ هـ = ١١٣٤ م . وقد تمكن مسعود من أسر الخليفة ، ووضعه في خيمة منعزلة ، فأتاح للباطنية فرصة قتله [1] .

وتولى ابنه الراشد بالله، أبو جعفر المنصور عام ٥٢٩ هـ= ١١٣٤ م [2]. وأراد الثأر لأبيه فلجأ إلى التحالف مع داود وغيره .ولما طالبه مسعود بضريبة كبيرة امتنع عن دفعها ، وقطع الخطبة له [3] . فحاصر مسعود بغداد وتمكن من هزيمة داود .. وفر الخليفة .

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، طبع عام ١٨٩٠ م ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٧٤ – ١٧٨ ، مجمل القصص والتواريخ (مجهول المؤلف) ، طبع طهران عام ١٣١٨ هـ . ش ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، تاريخ گزيده ، ص ٤٦٥ .

(٢) تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، الفخري ، طبع سنة ١٩٢١ ، ص ٢٢٣ ، چهار مقالة ، ص ١٠٧ ، الديار بكري : تاريخ الخميس ، طبع القاهرة ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦ م ، جـ ٢ ص ٢٦٢ .

(٣) لمعرفة أسباب المعركة .. أنظر : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٠٨ ، راحة الصدور – ليدن – ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ابن النظام الحسيني : العراضة ، طبع ليدن ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م ، ص ١١٩ – ١٢١ ، الكامل ، جـ ١١ .

ولجأ مسعود إلى الحيلة لاقصائه عن منصبه ، فتودد إلى العلماء والفقهاء والعظماء ، وزوّر خطابا على الخليفة ، واستطاع أن يأخذ موافقة الجميع على خلعه وقطع خطبته .

وبويع المقتفي لأمر الله ، محمد بن المستظهر بالخلافة عام ٥٣٢ هـ = ١١٣٧م.

وحاول الراشد أن يتحالف مع حكام آخرين لمحاربة مسعود ، لكن الأمر انتهى بهزيمته وقتله على يد خدمه أو على يد الباطنية كما يقال ، وذلك في عام ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م [١] .

وقد أيقظ مقتلُ الراشد الحماسَ الوطني والديني في صدر الخليفة العباسي وصدور الأمراء والعامة . فسعى المقتفي إلى الإيقاع بين السلاجقة علّه يخلّص الخلافة من تحكّمهم وسيطرتهم . وكان يحقد عليهم حقدا بالغا لأنهم جردوه من كل ما يملك من الخيول والمقتنيات ، لكي يجعلوه تحت رحمتهم [٢] لهذا لم يدّخر وسعا في سبيل الوصول إلى هدفه .

وقد خدمته الظروف . ففي عام ٥٣٢ هـ = ١١٢٧ م دارت الحرب بين داود ومسعود .

وفي عام ٥٣٦ هـ = ١١٣١ م هزم سنجر على يد الخطا وأسرت زوجته وفقد الكثير من نفوذه . كما خرج بوزايه (صاحب فارس) ، وعباس (أمير الري) على السلطان مسعود . وكذلك فعل كل من الملكين : محمد بن السلطان محمود ، وسليمان شاه بن السلطان محمد .

ورفض الخليفة أن يرسل مائة الف دينار معونة للسلطان حين طلب منه ذلك . كما انتهز فرصة استياء العامة فأمر بحفر الخنادق ، ونادى بحمل السلاح للدفاع عن الأنفس والأموال ، وأصلح ما أصاب السور من خلل .

---

(١) يرد في تاريخ أدبيات در ايران ، (جـ ٢ ص ٢١٠) أنه توفي عام ٥٣١ هـ = ١١٣٦ م .

(٢) المنتظم ، جـ ١٠ ص ٦٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، طبع سنة ١٣٧١ هـ ، ص ٤٣٧

واستطاع الخليفة أن يوقع بين ملكشاه بن محمود وحلفائه وبين مسعود ، حين توجه ملكشاه للسيطرة على بغداد . فقد أفهم مسعودا أنه أولى من ملكشاه بالخطبة والحكم . فقدم مسعود لمحاربة ملكشاه ومن معه ، ففروا بعد أن كادوا يدخلون بغداد . وهكذا تخلص الخليفة من أعدائه دون قتال ، وضربهم ببعضهم.

واستعاد الخليفة كثيرا من الامتيازات التي حُرِمها الخلفاء السابقون [1] ، وأصبح لا يرضى عن الانتقاص من حقوق الخلافة .

وبوفاة مسعود في عام ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م زادت هيبة الخلافة . كما أن تولية ابن هبيرة عون الله أمر الوزارة للخليفة — مع مقدرته وكفاءته — عاد على الدولة بالخير والقوة [2] .

وتبعت وفاة مسعود فُرقة في كلمة السلاجقة . فانتهز الخليفة الفرصة واقتحم دار الشحنة ، ففر هذا إلى تكريت . وهاجم دور اصحاب السلطان واراق ما فيها من خمور ، وصادر مالهم وقبض على العديد منهم . وسيطر على إقطاعات الأمراء السلجوقيين ، فقدموا شكواهم إلى السلطان محمد ، فبيّن لهم أنه لافائدة ترجى من مخالفة الخليفة ، وطلب منهم التأني . وفي هذا ما يؤكد تغيُّر الأوضاع وازدياد قوة الخلافة العباسية .

---

(١) يمكن معرفة هذه الامتيازات بالرجوع إلى :
المنتظم ، جـ ١٠ ص ١٤٢ ، ابن خلكان ، جـ ٢ ص ٣٧٣ ، السبكي : طبقات الشافعية ، طبع القاهرة عام ١١٢٩ هـ ، جـ ٤ ص ٢٥٦ .

(٢) وزر ابن هبيرة للخليفة عام ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م ، ووزر لولده المستنجد بالله ، إلى أن توفي في بغداد عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٥ م .
أنظر : المنتظم جـ ١٠ ص ١٣٧ ، وفيات الأعيان جـ ٥ ص ١٧٤ ، الشذرات جـ ٤ ص ١٩١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، طبع القاهرة سنة ١٣٤٨ ،
ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، طبعة الفقي عام ١٩٥٢ ، جـ ١ ص ٢٥١ .
أبو شامة : الروضتين ، طبع مصر سنة ١٢٨٧ هـ ، جـ ١ ص ١٤١ .

وفي عام ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م انهزم سنجر أمام الغز ، ووقع في أسرهم ، ثم مات في عام ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م .. ففقد السلاجقة قوة جبارة هائلة .

وشعر الخليفة بقوته وقدرته على مناوءة السلاجقة ، فحاصر تكريت ، وهزم السلاجقة ، ورفض أن يدرج اسم محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه في الخطبة [1] .

وأوقع بين السلاجقة بأن خطب في بغداد لسليمانشاه بن محمد (عم السلطان محمد بن محمود بن محمد) . واعترف بملكشاه بن محمود وليا للعهد . مما جعل سليمانشاه وملكشاه يحاربان محمدا . وقد انتهت المعركة بأسر سليمان .

ثم تخلص الخليفة من محمد نهائيا عندما أسلم الروح فجأة في عام ٥٥٤ هـ = ١١٥٩ م ، وكان وقتها يكاد يدخل بغداد غازيا .

وتنازع على الحكم كل من : ملكشاه ، سليمانشاه ، وأرسلان بن طغرل . ومات ملكشاه عام ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م مسموما ، كما توفي سليمانشاه في العام التالي .

وبعد هذا الجهاد المرير وما حدث بفضله من تغيير ، مات المقتفي عام ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م . وتولى شئون الخلافة ابنه المستنجد بالله ، أبو المظفر يوسف وفي عهده برزت شخصية ايلدكز السلجوقي .

وفي عام ٥٥٧ هـ = ١١٦١ م استولى المستنجد بالله على إحدى القلاع ، وحارب أهل الحلة . وتوفي في عام ٥٦٦ هـ = ١١٧٠ م خنقا بتدبير بعض الأمراء [2]

---

(١) ابن الأثير ، حوادث سنة ٥٥٢ هـ .

(٢) الكامل ، حوادث ٥٦٦ ، قز اوغلى : مرآة الزمان ، طبع شيكاغو عام ١٩٠٧ ، جـ ٨ ص ٢٨٤ ، اليافعي : مرآة الجنان ، طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٧ ، جـ ٣ ص ٥٣ ، تاريخ الخميس — طبع القاهرة سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م ، جـ ٢ ص ٣٦٣ .

وهكذا أثمرت محاولات المسترشد والراشد والمقتفي والمستنجد في خلق مهابة للخلافة . وقلّت الأحداث الإجرامية والمنازعات الدينية في عهودهم .

وبويع المستضيء بأمر الله ، أبو محمد الحسن بن المستنجد عام ٥٦٦ هـ = ١١٧٠ م ، بعد وفاة أبيه ، فجلس على مسند الخلافة في بغداد .

وفي عصره سيطر صلاح الدين الأيوبي على الأمور في مصر ، وقطع الخطبة للفاطميين وجعلها للعباسيين ، وذلك في عام ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م .

وكان المستضيء يميل الى الدعة والهدوء ، ولا يناهض السلاجقة ، إلا أنه كان يبدي عنفا وقسوة تجاه من يغضب عليهم . فقد قتل وزيره ابن البلدي [1] حين تغيَّر عليه ، كما أمر بقتل قائد من قواد جيشه يدعى قطب الدين قايماز ، وحرَّض العامة على نهب داره ، لأنه خرج عليه [2] .

وازداد نفوذ جهان پهلوان بعد وفاة أبيه ايلدگز ، واستبد بالحكم دون السلطان أرسلان. ولما توفي أرسلان أخذ الطفل طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد مكانه ، فسيطر جهان پهلوان على الأمور دونه ، وعاونه أخوه قزل ارسلان . وحققا كثيرا من الانتصارات [3] . وكان ذلك في فترة حكم المستضيء بأمر الله.

وقد توفى جهان پهلوان عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م أي بعد وفاة الخليفة المذكور بسبع سنوات .

وقد تولى الناصر لدين الله ، أبو العباس أحمد في نفس العام الذي توفي فيه والده ، أي في عام ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م . واستمر في الحكم مدة سبع

---

(١) كان ابن البلدي ناظرا في واسط . وقد أظهر كفاية عظيمة فاستوزره الخليفة المستنجد بالله . وفي عام ٥٦٦ هـ أمر المستضيء بقتله .
أنظر : أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ص ٥٣ ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٣٣ .

(٢) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) أمير خواند : روضة الصفا – طبع طهران سنة ١٢٧٠ هـ ، ج ٤ ص ٢٥ .

وأربعين سنة قضاها في تدبير المؤامرات واثارة الفتن بين الأمراء والسلاطين ، وبين السلاجقة والأتابكة ، وبين السلاجقة والخوارزمشاهيين . وكان يشارك أيضا في الحرب لنصرة فرد على آخر . وقد دعي الترك والتتار للتدخل في شئون البلاد بغية إطالة مدة حكمه .

وقد تمكن – بعد طي بساط سلاجقة العراق – من أن يتساوى في القوة مع ملوك خوارزم ، وبلغت الخلافة في عهده قمة مجدها نفوذا وقوة .

ويقال إنه كان أحد محركي المغول في غاراتهم الوحشية على ممالك الخوارزمشاهيين وقد عاش حتى عام ٦٢١ هـ = ١٢٢٤ م (أو ٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م) [١] وشهد سقوط الأتابكة وبداية هجوم المغول .

وبعد مصرع طغرل الثالث صارت الخلافة في حل من أي ارتباط مع السلاجقة ، وباتت تتمتع باستقلال تام . وانصرف الخليفة للأعمال الحضارية ، وحاول أن ينهض بالبلاد ثقافيا واقتصاديا وعمرانيا وعسكريا .

وأحيا الناصر لدين الله سنن الفتوة ونظمها وأحكامها ، يعاونـــه الخاصة والعامة [٢] . وعظم نفوذه وأصبح يخطب له في بلاد الأندلس وبلاد الصين [٣] .

وفي عهد « المستعصم بالله » هاجم المغول بغداد ، وسلّم الخليفة نفسه لهم. فأمر هولاكو خان بإعدامه وإعدام من أسروا معه .. دون شفقة أو رحمة .

وهكذا زالت الخلافة العباسية من الوجود على يد المغول في عام ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م .

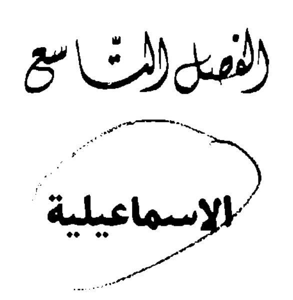
---

(١) الكامل ، جـ ١ ص ٢٧٦ .

(٢) أنظر : ابن المعمار البغدادي : الفتوة (تحقيق فؤاد حسنين ، مطبعة شفيق ١٩٥٨ – ١٩٦٠م)ص٢٠، ابن الساعي: الجامع المختصر ، طبع بغداد سنة ١٩٣٤م،جـ٩ص ٣٦٠ .
(بالرجوع إلى هذين الكتابين يمكن معرفة الجهود التي بذلها الخليفة في هذا الصدد ، والوقوف على سنن الفتوة ونظمها وأحكامها) .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، طبع سنة ١٣٧١ هـ ، ص ٤٥٠ .

الفصل التاسع



الإسماعيلية

« الإسماعيلية » اسم لفرقة ظهرت في القرن الثامن الهجري من مزيج من فرق غالية معظمها من الشيعة . وقد اتخذت هذه الفرقة – مع مرور الوقت ، ومع نموها واضمحلالها – أشكالا وأسماء عديدة ، واتبعت نظما مختلفة ، وتفرعت فروعا كثيرة .

ويرى « نظام الملك » أن رجلا يدعى « عبد الله بن ميمون القداح » ، من مدينة الأهواز ، هو الذي بدأ حركة الإسماعيلية . ويرى غيره أن المؤسس الأول للدعوة الباطنية (الإسماعيلية) هو « ميمون بن ديصان » [1] . ويخالفهما البعض فيقولون إن « دندان » هو مؤسسها ، وأن الفرقة التي أسسها ميمون كان اسمها (الميمونية) .

هذا ويقسم « يحي القزويني » »الاسماعيلية إلى شعبتين :

الشعبة الأولى : وهي طبقة أولاد اسماعيل بن الامام جعفر الصادق . وقد حكموا في المغرب ومصر . ويبلغ عددهم ١١ ، ومدة حكمهم ٢٦٦ .

---

(١) عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ، طبع سنة ١٩٥٩ م ، ص ٢٣٦ .

والشعبة الثانية : هي التي تشمل ملوك قهستان . وعددهم ثمانية ، ومدة حكمهم ١٧١ عاما [١] .

وقد اختلفت الأسماء التي أطلقت على تلك الطائفة باختلاف الزمان والمكان وحسب إقرارهم بامام معيّن وإيمانهم بمبدأ دون غيره . فالفرقة الاسماعيلية الخالصة هي التي أقرّت إمامة « اسماعيل بن جعفر الصادق » ، وأنكرت وفاته في عهد أبيه ..

وقالت إن ذلك كان تلبيسا من أبيه على الناس لأنه خاف فغيّبه عنهم . وأنه هو القائم [٢] . وقد عاشت هذه الفرقة في مصر وحلب .

وهناك فرقة المباركيّة ، ومنها تشعبت فرقة القرامطة . وكان المباركية يعيشون في الكوفة ، أما القرامطة فكانوا في غزنة وما وراء النهر [٣]

وهناك فرقة أقرّت إمامة « محمد بن اسماعيل » [٤] .

وقد أُطلق عليها جميعا : « الباطنية » لأنها جعلت لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا [٥] .

---

(١) يحيي القزويني : لب التواريخ ، ص ١٢٥ — ١٣٣ . ويرى هذا المؤرخ أن أول شخصية في الفرقة الثانية هو حسن الصباح . وبذلك فهو يعني بالفرقة الأولى الأئمة وبالثانية كبار دعاة الاسماعيلية. ويمكن معرفة نسب الباطنية في الموت والوقوف على تواريخ توليتهم الحكم وتواريخ وفاتهم ... بالرجوع إلى معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي — طبع مصر ١٩٥٢ (ترجمة) — ج ٢ ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٢) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، طبع بغداد سنة ١٩٤٥ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) تراث فارس (ترجمة) ، ص ١١٩ ، النوبختي : فرق الشيعة ، طبع النجف سنة ١٩٣٦ م ، ص ٧٢ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ، طبع طهران ١٣٣٢ هـ ، ج ٩ ص ١٧٥ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ، طبع القاهرة عام ١٣١٧ هـ ، ج ٢ ص ٢٩ .

وجعلوا الظاهر بمنزلة القشور ، والباطن بمنزلة اللب [1] .

وبعد وفاة المستنصر الفاطمي اختلف ولداه : المصطفى لدين الله ، المشهور بنزار ، والمستعلي بالله أبو القاسم أحمد . وادعى كل منهما الخلافة ، فانقسم أتباعهما إلى نزارية ومستعلية . وسكنت النزارية العراق والشـام وقومس وخراسان ولرستان . وسكنت الثانية مصر وبلاد المغرب . غير أن مصر كان بها موالون لنزار ، وقد أهلك هؤلاء أبا علي منصور بن المستعلي في عام ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م .

كما كان من تسمياتهم : اخوان الصفا والحشاشين والرفاق والتعليمية .

وقد نبّه بعض العلماء إلى أن الاسماعيلية والمزدكية والخرمية حركة واحدة[2] .

على أن كل هذه الفرق كان لها مبدأ أساسي واحد هو نفس المبدأ الأساسي للتشيُّع المعترف به (مذهب الشيعة الإثني عشرية) ، ألا وهو الحق الإلهي في أن يلوا الخلافة . وهذا المبدأ يناقض ما ذهب إليه أهل السنة من أنه يجب اختيار الخليفة بطريق الانتخاب .وقد نشأ الخلاف بين الاسماعيلية والشيعة حول عدد الائمة المحصورين بين « المهدي » (آخر خلفاء النبي على الأرض) وبين الخليفة « علي » (أول هؤلاء الأئمة) .

ورغم أن الإسماعيلية قد اقترنت في أذهان الناس بالقتل والإرهاب ، فقد وُجد من يدافع عنها ويراها – في نموها وتطورها – صورة تقية نقية لفرع محافظ من فروع الشيعة . ويرى أن ما قامت به كان بمثابة إجراء دفاعي ، باعتبارها أقلية مضطهدة . بل ووُجد من يهاجم كتّاب السنّة ، ويتهمهم بالتعصب الشديد الذي لا يتيح لهم الفرصة لتفهُّم وجهة نظر الآخرين .

---

(١) الديلمي : بيان مذاهب الباطنية ، طبع استانبول ١٩٣٨ م ، ص ٢٢ .

(٢) الديلمي : بيان مذاهب الباطنية ، طبع استانبول ١٩٣٨ ، ص ٥ ،

نظام الملك : سياستنامه ، نشر عباس اقبال ، طهران سنة ١٣٢٠ هـ . ش ، الفصل الخامس والأربعون ، ص ٢٥٩ .

، وهناك من دافع عنها وقال إن هدفها معرفة الباري تعالى والتفاني في حبه وطاعته . ومن امتدحها وامتدح أتباعها ، واعتبرهم جديرين بأن يكونوا حفدة للأبطال الذين سطّروا في صفحات تاريخ الكفاح والمدنيّة والعلم آيات ناصعة زاخرة بالبذل والعطاء وكرم الخلق والحب والطاعة العمياء لإمام زمانهم وناموس وجودهم المعصوم [1] ...

ويرى المستشرقون المحدثون في الاسماعيلية ثورة اجتماعية هدفها الاصلاح وتطبيق العدل الاجتماعي على أساس المساواة . أو يرون فيها طائفة أرادت — عن طريق الدين — إنشاء دولة أو شبه دولة عاصمتها (الموت) .. وأنه كان من الممكن أن تكون هذه الطائفة امتداداً للدولة الفاطمية ، لولا ظروف دينية وسياسية خاصة .

أما أهل السنة فيهاجمون هذه الطائفة ويهاجمون مؤلفاتها .. باعتبارهم (أي أهل السنة) مخالفين لها في العقيدة والمذهب ، ويهمّهم تشويه عقيدتها ومذهبها [2] .

كما أن من والاهم من المستشرقين ينظرون إلى الاسماعيلية على أنها جهود لعناصر آرية مغلوبة تستهدف الدسّ للعرب والكيد للإسلام حتى تتحقق مآربها .

---

(١) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، طبع دمشق عام ١٩٥٣ م ، ص ١ ، ٨ ، جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام ، طبع دار الكاتب المصري عام ١٩٤٦ م ، ص ٢١٨ .

(٢) إرجع إلى : ابن الجوزي : المنتظم ، طبع حيدر اباد الدكن سنة ١٣٥٧ — ١٣٥٩ ، ج ٥ ص ١١٠ ،

المسعودي : التنبيه والإشراف (طبع ليدن ١٨٩٣ م) ، ص ٣٨٩ ،

السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٣ ص ٢٣٨ .

جلال همائي : غزالي نامه ، طهران ١٣١٥ — ١٣١٨ هـ . ش ، ص ٢٣١ .

وذلك لمعرفة أسماء المهاجمين من أهل السنة ، والكتب والرسائل التي وضعوها في ذلك .

ويمثل نظام الملك السنّة المتشددين . فقد كان يرى فيها عدواً للإسلام والمسلمين وآل البيت . ويؤكد أن غايتها هدم الإسلام ، وأساس مذهبها تجنب كل ما من شأنه أن يجهد البدن ، وإسقاط الشريعة والتكاليف كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، وتحليل شرب الخمر ، واستباحة الأموال والنساء [١] .

وهناك كتّاب كتبوا عن الاسماعيلية بعد أن رجعوا إلى كتبها ، وحاولوا أن يكونوا موضوعيين في مؤلفاتهم منصفين في آرائهم . واعترفوا باتجاههم هذا في ثنايا كتبهم [٢]

أما الاسماعيلية فقد كتبوا عن أنفسهم وركّزوا على نقط الخلاف المذهبي ، وهاجموا من هاجمهم [٣] .

وقد كان القرنان الخامس والسادس الهجريان عصر قوة تلك الطائفة واتساع نشاطها في تبليغ معتقداتها ، وايجاد مراكز للمقاومة والكفاح ضد الفرق الإسلامية الأخرى ، وضد السلاطين والخلفاء الذين يناصبونها العداء .

والدعوة الإسماعيلية في إيران قديمة العهد . وقد شملت أماكن كثيرة ، ودخلها بعض الأمراء سراً [٤] . وقد اختار الاسماعيلية ركنا هادئا بعيدا عن

---

(١) يشيع أهل السنة أنهم كانوا يستبيحون الفروج والنساء ، ويرى غيرهم عكس ذلك ، ويشيعون أنهم منحوا المرأة مركزا ساميا لم يمنحه أهل السنة لها .
أنظر : لويس : أصول الاسماعيلية (ترجمة) ، حاشية ص ٢٠٣ .
(٢) المقريزي : الخطط ، طبع القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ ، جـ١ ص ٢٣٣ .
(٣) لمعرفة تاريخ الاسماعيلية وعقائدهم وأحوالهم وآرائهم وآثارهم ...
أنظر : نصير الدين أبو الرشيد عبد الجليل : النقض (بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضايح الروافض) ، طبع طران ١٣٣١ ، صفحات متفرقة ،
براون : تاريخ الأدب في ايران من الفردوس إلى السعدي ، طبع القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ٢٣٩ — ٢٥٨ .
عطاملك جويني : تاريخ جهانگشا : طبع طهران ، جلد سوم ، ص ٨٢ — ١٥١ .
(٤) البغدادي : الفرق ، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ .

الخلافة العباسية ليقيموا فيه دولتهم ويبدأوا انتشارهم منه .. ووقع اختيارهم على اليمن لذلك الغرض (١) . ومنها انتشرت الدعوة في السند والهند ومولتان وكجرات والبنجاب ومكران (٢) .

ونتيجة لضعف الخلافة العباسية قامت الدعوة فيما وراء النهر وحول بحر قزوين في أواسط القرن الثالث الهجري ، ثم انتشرت في البحرين والأحساء . ولكي يكسبوا الفرق إلى جانبهم كانوا يدخلون مع كل فرقة من فرق الأمة المسلمة وغيرها من جهتهم (٣) . ويظهرون الصدق أول الأمر ويبدون التقوى ومحبة الرسول حتى يتصيدوا بذلك الناس (٤) . وكان الداعي يساير كل شخص وفق ما يحب ويهوى حتى يطمئن إليه . وكان الأمر يصل بالداعي إلى تعظيم الثالوث أمام المسيحيين ، والكواكب أمام الصابئة ، والنار والنور أمام المجوس ، ويصل به إلى تسخيف العبادة أمام أهل المجون (٥) .

ولما كان هذا التأقلم يحتاج إلى دربة وخبرة ، فإنه لم يكن يتصدى للدعوة إلا كل قادر على مقابلة كل ظاهر من الأحكام بباطن . كما كان يشترط في الداعي معرفته باللغات وطباع الناس ، والصبر . كما كان عليه أن يعرف حال من يدعوه وأقرب الوسائل للوصول إليه والتأثير عليه (٦) .

وكان الدعاة يركّزون على أمرين :

أولهما : مهاجمة الخلافة العباسية المغتصبة لحقوق الإمام ، العاجزة عن

---

(١) الهمداني : حسيني ، الصلحيون ، طبع القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٣٠ ، ٣١ ، لويس برنارد : أصول الإسماعيلية (الترجمة العربية) ، القاهرة ١٩٤٧ م ، ص ١٦٦ .
(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ، طبع ليدن ١٩٠٦ م ، ج ١ ص ٤٨١ .
(٣) الديلمي : بيان مذاهب الباطنية ، طبعة استانبول ١٩٣٨ ، ص ١٥ ، ١٦ .
(٤) سياستنامه ، طهران ، ص ٢٨٨ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٥ ص ١١٤ .
(٦) حسن ابراهيم حسن : المعز لدين الله الفاطمي ، طبع القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣

تحقيق العدل الاجتماعي ورفع مستوى المعيشة وتوفير الأمن وإزالة الفساد .

وثانيهما : مدح الامام وإظهار أنه أولى بالخلافة وأنه من نسل الرسول ، وسوف يملأ الأرض عدلا ويوحّد كلمة المسلمين ، ويفتح ديار الكفر وينشر الإسلام .

وقد نجح الدعاة في الريف بصورة أسهل حيث الفقر والجهل والتذمر [1] . وكان معظم الباطنية من الأكرة والفلاحين والرعاة والعمال وأصحاب الحرف[2] .

كما بذل دعاة الاسماعيلية جهدا في ضم المسيحيين إليهم . وكانت علاقتهم باليهود قوية ، ولذا طعن المؤرخون والفقهاء والمتكلمون والخلفاء العباسيون في نسب الفاطميين . وقد كان هناك في ايران بالفعل مجتمع يهودي يعيش تحت سيطرة النزارية (طائفة من الاسماعيلية) ، ويصحبونهم في الحروب [3] .

وقد عمد الخلفاء العباسيون إلى مهاجمة عقائد الاسماعيلية ، وإبطال تقدمهم بالقتل والشدّة ، وتأليف الكتب . كما استفادوا من المنابر في هجومهم . وسعوا جاهدين لإنكار نسب الفاطميين ، وأسندوا لهم التهم العديدة [4] .

وكان العامة يطلقون ألسنتهم بذم الاسماعيلية ويصفونهم بألقاب عديدة مثل : إباحيو المذهب ، منكرو الدين ، الضّالون ، أعداء الإسلام والمسلمين ، الملحدون ، والزنادقة . وأخذوا يطلقون الشائعات في حقهم في القرن الخامس والقرن السادس وأوائل السابع . وأبدوا خوفهم منهم وبغضهم لهم .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ ٤ ص ١١٦ .
(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، طبع ليدن ١٩٠٦ م ، ج ١ ص ٣٥٣ .
(٤) جهانگشا ، جـ ٣ ص ٩٨ — ١٠٠ .

وقد كان لتأليف الكتب والمقالات والأشعار في إثبات عقائد الاسماعيلية أو ضحدها أثره في الأدب الفارسي . بحيث يمكن القول بأن تلك الفرقة كان لها تأثيرها في الأدب السلجوقي .

وأول داع كبير من دعاة الاسماعيلية الذين بدأوا نشاطهم في عهد السلاجقة هو الشاعر الكاتب الحكيم المتكلم ناصر بن خسرو القباديانى ، الملقب بحجة خراسان .

بدأ ناصر نشاطه في حدود عام ٤٤١ هـ = ١٠٤٩ م ، كما اشتغل فترة بنشر عقائد الشيعة ، ودعوة الناس في بلخ إلى الاعتقاد في شفيع زمانه المستنصر بالله [1] .

ومن مشاهير دعاة الاسماعيلية أحمد بن عبد الملك عطاش الذي كان يدعو للباطنية في العراق .. فلما استولى على قلعة (شاه دز) في اصفهان ملأها بالأسلحة ، وجعلها مركزا للدعاية . وأدخل في مذهبه ٣٠ ألف اصفهاني تقريبا. واغتال الكثيرين .

أما الحسن الصباح فكان من دعاة النزارية . وهو مؤسس الفرقة الصباحية في إيران . ولما استولى هذا الداعية على قلعة (الموت) في عام ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠م واستقر بها ، واستولى على غيرها .. نشر الدعوة على نطاق واسع .

وقد كان ظهوره وتشكيل دولة مركزية لإسماعيلية ايران .. موجباً لردود فعل عسكرية عنيفة من جانب الحكام المخالفين .. ولذا قتلوا العديد من الإسماعيلية . ودفع ذلك الاسماعيلية إلى التوسع بصورة أكبر ، وإلى مضاعفة نشاطهم العسكري ، والإفراط في إيذاء المسلمين ، وقطع الطرق ، واستخدام الخنجر في القتل والاغتيال .

---

(١) زاد المسافرين ، طبع برلين ، ص ٤ .

وهكذا أصبحت فرقة الفدائيين – نوّاب الأئمة في التنفيذ ومكافحة المخالفين – من أبرز مراتب طائفة الاسماعيلية في القرنين السادس والسابع الهجريين [1] .

٦ ولم يلجأ الاسماعيلية للعنف إلا بعد مجابهتهم بالعنف . وقد قضوا على العديد من الخلفاء والسلاطين الوزراء والفقهاء والأدباء [2] . كما هلك الكثيرون منهم . وكان ذلك أمرا طبيعيا في ذلك العهد . لأن كل الفرق كانت تعاديهم ، وتعدّ قتلهم وايذاءهم من المثوبات وتراه وسيلة لنصرة الإسلام .

وقد عمد الاسماعيلية إلى التـقـيّة وهي مبدأ شيعي يوجب الحذر والحرص ، تدفع إليه قسوة الظروف . وعن طريق التقية امكنهم الاستخفاء واخفاء أفكارهم وأهدافهم . إلا أن أعداءهم كانوا يفتكون بهم لمجرد الشك في أمرهم .

وقد بدأ الاسماعيلية حركتهم وهم يحملون كل مقومات النجاح .. حتى أن التشكيل الهرمي الذي كانت تسير عليه طائفتهم ليعطينا صورة قريبة من صورة الدولة المتكاملة العناصر والأركان . فهذا التشكيل الهرمي تتدرج فيه المسئوليات والواجبات كما يحدث في أي دولة . ويبدأ التشكيل بالإمام كرئيس أعلى ، وهو صاحب الأمر والتوجيه [3] ..

ثم الباب وهو الذي يتلقى تعاليم الامام لقربه . ثم يأتي في الترتيب إثنا عشر حجة (أو أربعة وعشرون) ، وهم الذين ينشرون الدعوة . ويليهم الدعاة . واخيرا في أسفل التشكيل الهرمي .. يأتي المستجيب ، وهو الذي قبل اعتناق المذهب .

---

(١) لمعرفة كيفية ترغيبهم في القتل ، والوعود التي كانت تبذل لهم ... ارجع إلى :
Aldo R. Travels of Marcopolo (London 1931) No. 49 and 53.

(٢) حواشي لباب الألباب ، جـ ١ ص ٣٥٤ . حيث يرد ذكرٌ لعدد كبير ممن صرعهم الإسماعيلية .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٣٧ ، ج ١٠ ص ٤٣٦

(وقد أدى الاسماعيلية دورهم ، وسارت الحوادث في أواسط القرن القرن الخامس الهجري على نحو ينبىء بزوال الحكومة العباسية وغلبة الإسماعيلية والشيعة عموما ، وسيطرتها على اكثر الممالك الإسلامية . وكاد ذلك يتحقق لولا تغلب التركمان السلاجقة وسيطرتهم على إيران . فقد وجد هؤلاء في نصرة آل عباس وسيلة لتدعيم نفوذهم في خراسان وما وراء النهر. وقد أفلحوا فعلا في كسب رضاء أهل البلاد، وبلوغ مأربهم . وفوتوا على الإسماعيلية فرصة تحقيق حلمهم الكبير الذي يتمثل في السيطرة على العالم الإسلامي باسم الإمام الإسماعيلي .)

وكان الإسماعيلية بعيدي النظر ، وكانوا يتوقعون ذلك ، فعجّلوا بتوجيه الضربات القاضية للخلافة العباسية قبل أن ينضم إليها السلاجقة فيختل ميزان القوى . وأفلح دعاتهم في استمالة البساسيري وابراهيم ينال أخي طغرلبك السلجوقي . فانتصر البساسيري ، ودخل بغداد وخطب للفاطميين ، وزيّنت مصر لذلك [1] .

غير أنه لم تكد تمضي سنة حتى قتل ابراهيم على يد طغرل لذلك السبب نفسه .. كما قتل البساسيري ، وعادت الخطبة للعباسيين ، فأدبر أمر الفاطميين ، ولجأوا للدفاع عن الدولة والدعوة للمذهب بدلاً من الهجوم .

وساءت الأحوال لأن ناصر الدولة بن حمدان – كبير قواد المستنصر – خطب للعباسيين في الاسكندرية ودمياط والريف والوجه البحري مدة ثلاث سنوات ، واتصل بألب أرسلان يدعوه للحضور إلى مصر وامتلاكها ، وإقامة الدعوة العباسيّة بها .. فشغل المستنصر طوال هذه السنوات بمحاربة قائده ، حتى تمكن من قتله في عام ٤٦٥ هـ = ١٠٦٨ م .

وقدم بدر الجمالي – قائد المستنصر بالشام – فأصلح الأمور . غير أنه

---

(١) ابن ميسَّر : أخبار مصر ، نشر هنري ماسيه ، طبع القاهرة ١٩٢٠ م ، ص ١٠ .

تحكّم في شئون الدولة تحكُّم الملوك . وكان كبر سن المستنصر وضعفه معينين له على ذلك .

ولم يتوان السلاجقة عن مجاهدة الإسماعيلية ، فقد حاول الب أرسلان فتح الشام وانتزاعها من يد الفاطميين . وتمكن أحد أمرائه – ويدعى أتسز التركماني– من الاستيلاء على بيت المقدس وعلى الرملة وما جاورها عام ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م. كما كان هذا السلطان يقسو على الباطنية بصورة ظاهرة . مثال ذلك أنه استدعى دهخداى يحي ، وعنّفه لكونه باطنيا لا يرى حقا للخليفة في الخلافة ، وسب مذهب الرافضة ؛ وأمر بصفعه حتّى خرج ميتًا من القصر ، وأمر أتباعه وجنده باتخاذ الشدة مع الباطنية [١] . وقد أيّده الفقهاء الحاضرون في المجلس وأقروه على ما فعل ، وأورودوا الأحاديث وأفتوا بقتل الشيعة . وكان وزيره نظام الملك ينشر تلك الأحاديث ويروِّجها ، ويعامل الاسماعيلية باحتقار وشدة وخاصة في عهد ملكشاه .

وفي عام ٤٦٨ هـ = ١٠٧٥ م – في عهد ملكشاه – استولى أتسز على دمشق . ولم يعد يخطب للفاطميين بها [٢] .

وفي عام ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م استولى تتش على دمشق وصار أمير الشام بلا منازع . كما استولى على حمص وعدة قلاع تعتبر من مراكز الإسماعيلية الهامة .

وقد استطاع المستنصر بهداياه أن يخطب له في مكة بعد موت السلطان السلجوقي والخليفة العباسي في عام ٤٦٧ هـ = ١٠٧٤ م . ولما كانت هناك نظرية تقول بأن المستولي على مكة والمدينة هو الخليفة الشرعي [٣] .. فقد اعتبر ما توصل إليه المستنصر نصرا .

---

(١) أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٨٢ .
(٢)ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٢٤ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٣٦٢ طبع باريس عام ١٨٦١ – ١٨٧٧ م .

ثم بانتصار السلاجقة على الشام أعيدت الخطبة للعباسيين ثانية . وهكذا كان توسع السلاجقة يخدم مصلحة الخلافة العباسية ويبسط نفوذ الخليفة إلى جانب نفوذ السلطان السلجوقي .

ونتيجة لالتقاء عبد الملك بن عطاش – رئيس الدعوة الإسماعيلية في اصفهان – بالحسن الصباح [1] بالري عام ٤٦٤ هـ = ١٠٧١ م بدأ النشاط الاسماعيلي ينتقل من السر إلى الجهر . وبدأ الاسماعيلية في شناعاتهم مما سوّء سمعتهم وسمعة الصباح لدى نظام الملك . ويقال إن ملكشاه كان يقرّب الصباح إليه أول الأمر ، وأن الأخير كان يحاول استمالته إلى جانب الإسماعيلية ، ولكن نظام الملك الذي كان يتنبأ بشرّهم ويكثر من تحذير السلطان منهم وتنبيهه إلى وجوب إعادة ديوان البريد لتبلغه أخبارهم أولا بأول [2] .. أفسد على الصباح خطته ، وألجأه إلى الفرار إلى اصفهان ومنها إلى مصر ، حيث تلاقى مع المستنصر بالله واصطدم بعداوة بدر الجمالي رئيس الدعوة في مصر [3] . ثم انتقل إلى الشام فاصفهان .. ووصلها حوالي سنة ٤٧٣ هـ = ١٠٨٠ م ، وهناك روّج تعاليمه ومبادئه ، واستولى على « الموت » عام ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م مستخدما المكر والحيلة والمال . وتقع (الموت) على الطريق الرئيسي الذي يصل بين قزوين وبحر الخزر ، وتعتبر مفتاح بلاد الديلم ، ومنها بدأ الصباح دعايته الكبيرة .

وانتدب ملكشاه الأمير ارسلان تاش فحاصر الموت وضيق عليها الخناق ،

---

(١) يمكن معرفة الكثير من المعلومات حول هذه النقطة بالرجوع إلى : مجمع الوصايا لنظام الملك ، طبع بمباي سنة ١٣٠٥ هـ . ش ، ص ٣٠ ، الجويني : تاريخ جهانگشا ، طبع ليدن ج ٣ عام ١٩٣٧ م .

(٢) نظام الملك : سياست نامه ، طبع طهران ١٣٢٠ هـ ، ص ٧٥ – ٨٥ .

(٣) ابن منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ، طبع القاهرة عام ١٩٢٥ م ، ص ٥٧ .

فاستنجد الصباح بداعية قزوين فقدم لنجدته ، وتمكن من هزيمة السلاجقة والاستيلاء على الكثير من الغنائم . ونشط الفدائيون فاغتالوا نظام الملك ثم اغتالوا السلطان ملكشاه الذي كان قد أوفد « قزل سارغ » ليحارب في قوهستان. فلما علم الأخير بالخبر فضّ الحصار المضروب [1] .

وبموت ملكشاه انفرط عقد السلاجقة وظهر التنافس بين أبنائه وبعضهم وبينهم وبين أقاربهم . وظهرت في أفق النزاع أسماء : بركيارق ، محمد ، محمود ، سنجر ، وتتش (عم هؤلاء الإخوة الأربعة) .

وتحرك تتش من الشام مرتين مطالبا بعرش السلاجقة ، وكانت حجته في ذلك أنه أكبر أفراد البيت المالك سناً .

وهنا استغل الاسماعيلية الوضع كعادتهم فاستمالوا (تتش) ، فلما قُتِل استمالوا (فيما بعد) ابنه (رضوان) صاحب حلب [2] . وتمكنوا من الاستيلاء على دامغان واندجرود ، وقتلوا بعض خصومهم . وهزموا مفتي الري عام ٤٨٦ هـ = ١٠٩٢ م ، وانتصروا على أحد أمراء السلاجقة ، وفتحوا قلعة استناوندبين آمل والري وقلعة منصور كوه . وانتشرت مقالتهم في خراسان وخوزستان وفارس . وملكوا قلعتي الناظر والطنبور ثم خلا وخان . واعتدوا على مدينتي ارجان وزير ودمّروهما [3] .

وتجلّت ظاهرة الفدائية ورأوا فيها أرفع أنواع التضحية خدمة للدعوة . وانقسم الناس إزاء خطرهم إلى فريقين : فريق يجاهر بالعداوة وفريق يعاهد على المسالمة ، فمن عاداهم خاف من فتكهم ومن سالمهم نسب إلى شركهم ..

---

(١) تاريخ سيستان (نشر ملك الشعراء بهار) ، طبع طهران ١٩٣٥ م تمت حوادث ٤٨٥ هـ

(٢) قبل رضوان الدعوة الفاطمية ثم تركها إلى الإسماعيلية (النزارية) ، وبذا استقلوا في حلب بعددهم وسلاحهم ، ومنها ساعدوا إخوانهم في بقاع الشام .

(٣) ابن البلخي : فارسنامه ، طبع لندن سنة ١٩٢١ م ، ص ٥٩ ، ٦١ .

والكل في خطر على أية حال [1] .

وحاول الاسماعيلية التدخل بين بركيارق ومحمد .. فنصروا أولهما على ثانيهما ، وأصبحوا يكونون ربع جيشه تقريبا .

ورغم أن « النظامية » هم أنصار بركيارق الحقيقيون الذين خلّصوه من أسر تركان خاتون وساعدوه في الوصول إلى العرش .. إلا أنه لم يجد بأسا من الاستعانة بأعدائهم من الإسماعيلية لتحقيق النصر على خصومه . وقد أساء إلى نفسه بذلك ، إذ استغل محمد الوضع في الدعاية ضده ، فكان جنده يكبِّرون على جند بركيارق في المعارك بقولهم : (ياباطنية) . كما أن وزيره النظامي قد وزر لمحمد بعد أن طرده .. وتمكّن من تأليب محمد عليه وشجّعه على محاربته . وانضم الكثير من الجند إلى جيش محمد . أما الأمراء فقد انضم بعضهم لمحمد وأخذ بعضهم يعمل لحسابه الخاص [2] . كما أن الأهالي قد ناصبوا الاسماعيلية العداء وعمدوا إلى قتالهم وقتلهم [3] .

ومع هذا ، ورغم القول بأن (بركيارق) كان يدين بمعتقدات الإسماعيلية فقد قاتلهم – فيما بعد – في اصفهان بعنف وشراسة ، وطهّر جيشه منهم بأن قتل من ثبت عليه الاتهام أو حامت حوله الشبهة . وأطلق العنان للناس ليقتلوهم.. حتى أن أحد الفقهاء الشافعية واسمه أبو القاسم الخجندي – كان يحفر أخاديد

---

(١) البنداري : دولة آل سلجوق ، طبعة مصر ١٩٠٠ م ، ص ٦٣ .

(٢) من هؤلاء الأمراء (انر) الذي حاربهم فقتلوه في ظروف غامضة ، ومنهم ينال ابن انوشتگين الحسامي وجاولي سقاووا .

(٣) حاربهم الأهالي كأهل نيسابور ، وذلك في عام ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ أو ١٠٩٧ م ، وثار أهل كرمان على أميرهم (تيرانشاه السلجوقي) لاستجابته لأحد دعاة الإسماعيلية ، فأخرجوه وطاردوه وقتلوه ، وقتلوا الداعي النزاري .

براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي ، ص ٣٩٠ .

يحرقهم فيها فرادى وجماعات [1] .

ويقال إن بركيارق قد لجأ إلى ذلك لأنه أحس بضرر الاستعانة بهم .. إلى جانب رغبته في إزالة الفكرة التي سيطرت على عقول الناس فيما يتعلق باعتناقه معتقداتهم حتى لا يتعرض لأذاهم .

ويذكر ابن الأثير أن انتقام بركيارق من الإسماعيلية بلغ حد أنه عندما أسر مؤيد الملك بن نظام الملك سبّه لانتسابه إلى مذهب الباطنية وعيّره بذلك ، ثم قتله بيديه [2] .

وقد هال محمد أمرهم وأحس بالخطر الذي يهدده ، فنظم الإجراءات لاجتثاث أصولهم والاستيلاء على قلاعهم الجبلية الحصينة . وكان أول ما فعله أن أرسل أميرا للاستيلاء على قلعة تكريت ، فسلمها النزارية لصدقة بن مزيد الشيعي الإمامي ليضمنوا عدم وقوعها في يد السلاجقة ، وكانت النتيجة أن خسروها [3] .

ولما يئس الاسماعيلية من كسب محمد إلى صفهم استمالوا وزيره سعد الملك الآبي وطائفة من العاملين في بلاط السلطان .

وكان من عادة محمد أن يرسل فقيها إلى كل قلعة يحاصرها ليناظر نزارية القلعة [4] ، فاذا نجح في إبطال دعوتهم ودحض دعواهم ونزلوا عند رأيه .. حقن دماءهم وتسلم القلعة دون قتال .

---

(١) يطلق براون على هذه الحادثة (مذبحة الباطنية) ، ويقول إنها تمت في عام ٤٩٥ هـ = ١١٠١ م .
أنظر : المرجع السابق والصفحة السابقة .
(٢) الكامل ، حوادث سنة ٤٩٤ هـ = ١١٠٠ م .
(٣) نفس المرجع ، حوادث سنة ٥٠٠ هـ .
(٤) كانت المناظرة إحدى أساليب النزارية في دعوتها ، وكانت تتمشى مع روح =

وقد حقق أفضل انتصاراته عليهم حين استولى بنفسه على قلعة (دژ كوه) وأسر الزعيم أحمد بن عبد الملك بن عطاش، وأركبه جملا، وجعل أتباعه يطوفون به شوارع اصفهان .. وهكذا شُهِّر به بين آلاف المتفرجين الذين كانوا يقذفونه بالوحل والقاذورات، ويجابهونه بالساخر من الأغنيات. وانتهى أمره إلى أن عُلِّق مصلوبا سبعة أيام كاملة، وأخذ الناس يرشقونه بالسهام والحجارة وهو لا يستطيع دفاعا أو حركة، ثم أُحرق.

ويُقال إنه كان يدّعي علم النجوم والدراية بأحكامها. فسأله أحدهم ما إذا كان قد تنبأ بمصيره هذا، فقال: لقد عرفت من طالعي أنني سأطوف شوارع اصفهان في أبهة تفوق مواكب الملوك. ولكني لم أتخيل أنها ستكون على هذه الحال.

وقد قتل محمد في هذه الحادثة – التي وقعت في عام ٥٠١ هـ = ١١٠٧ م – الكثير من أتباع ابن العطاش [١].

وتوالت خسائر الإسماعيلية وفقدوا الكثير من القلاع في تلك الفترة وطردوا منها [٢]. وعاد أعداء الاسماعيلية إلى تشديد الهجوم على قلعة الموت، فحاصرها أحمد بن نظام الملك عام ٥٠١ هـ = ١١٠٧ م ثم تركها لهطول المطر والثلج [٣]. كما أرسل محمد جيشا بقيادة الأمير شيركير عام ٥٠٥ هـ = ١١١١ م وحاصر هذا الجيش الاسماعيلية ستة أعوام في قلعة الموت، وكاد يستولي عليها لولا موت محمد عام ٥١١ هـ = ١١١٨ م.

= العصر. وكان كل مجتمع نزاري يزخر بالعلماء المثقّفين الذين يمكنهم التصدّي للمناظرات أنظر: الفلك الدوار في سماء الأطهار، طبع حلب ١٩٣٣ م ص ١٧٠، ١٧٧.

(١) براون: تاريخ الأدب في ايران من الفردوس إلى السعدي، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

(٢) ابن البلخي: فارسنامه، طبع سنة ١٩٢١ (أثناء الحديث عن ارجان وجيلويه).

(٣) عاقبه النزارية بأن جرحوه جرحا بليغا وإن كان قد شفي منه.

وبموت محمد توقف تنفيذ مشروعاته [1] . ووجد الاسماعيلية الفرصة من جديد لتقوية حالهم ، فاستولوا على قلاع كثيرة أضافوها إلى ما تحت يدهم [2] .

أما سنجر فقد حاربهم في بداية حياته أيام أن كان ملكا على خراسان من قبل أخيه بركيارق ثم محمد . ففي عام ٤٩٤ هـ = ١١٠١ م قاتلهم في قوهستان بمعاونة (بزغش) أكبر أمرائه ، ونهب ديارهم وخرّبها ، وقتل الكثيرين . وحاصر (بزغش) قلعة طبس وضيّق عليها وخرّب كثيرا من سورها . وكاد يستولي عليها .. لولا أن فضل الرشوة على الانتصار .

وبعد ثلاث سنوات (٤٩٧ هـ = ١١٠٤ م) عاد (بزغش) مع عسكر خراساني لا حصر له وبرفقته كثير من المتطوعين ، فخرّب طبس وما جاورها من قلاع وقرى ، وأكثر من القتل والنهب والسبي ، ومثّل بالأهالي ونكّل بهم [3] .

ويرى بعض المؤرخين أن هذه الطائفة قد أفلحت في استمالة سنجر إلى جانبها ، وكسبته حليفا لها رغم ميوله السنيّة الواضحة [4] . وأن أفرادها قد

---

(١) تمت في عهده كذلك بعض المحاولات التي لم يكتب لها النجاح . فقد كلف أمير طبرستان بحربهم في (روذبار) لكنه هزم . فجهز الأتابك انوشتگين تماما لهذا الغرض . ونزل الأتابك في عام ٥٠٣ هـ = ١١١٠ م بباب قزوين ، واتفق مع الجند على التفرق والالتقاء بسطح لمسر لفتح الموت ، ولكن ذلك لم يتم . ثم استولى بمعونة أتباعه على عدد من القلاع . كما أنه طلب من الب ارسلان بن رضوان بن تتش أن يقتل النزارية جميعا ، فأباح ذلك ، فاشتد القتل والأسر فيهم بعد أن كانوا قد احتموا بأبيه وبنوا في ظله داراً للدعوة في حلب . (ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، حوادث سنة ٥٠٧) .

(٢) ارجع إلى تاريخ الأدب لبراون ج ٢ ص ٣٩٤ لمعرفة هذه القلاع .

(٣) ميرخواند ، ص ١٦٠ .

(٤) يؤكد عطا ملك الجويني المؤرخ أنه رأى بعينيه في خزائن الموت لدى سقوطها رسالات ودية أرسلها سنجر إلى النزارية يطلب اليهم فيها التدليل على صدق دعواهم ، ومناشير يستميلهم فيها إلى جانبه .

الجويني : جهانگشا ، الجزء الثالث، نشر محمد قزويني ، طبع لندن ١٩٢١ م .

توصلوا إلى ذلك بعد أن عمدوا إلى ارهابه وتهديده بغرس خنجر في الأرض أمام سريره وهو نائم مخمور .ويرون أن السلطان حالفهم بشرط أن يكفوا عن بناء الحصون وشراء الأسلحة والدعوة لمذهبهم . غير أن هذه الشروط لم ترق في أعين الفقهاء .. فاتهموه بصداقته لهم .

وعلى أي حال ، فقد ازدادت قوة الاسماعيلية فانطلقوا في العـــام التالي (٤٩٨ هـ = ١١٠٥ م) من (طريثيث) غربي (ترشيز) إلى ولاية (بيهق) فقتلوا رئيسها ونهبوا الولاية ، وهاجموا القوافل قرب (الرى) ، واغتالوا أبا جعفر بن المشاط واعظ الرى .

وفي الفترة الأخيرة من حياة الصباح بدأ نشاط الاسماعيلية الثوري يتحول إلى نوع من الاستقرار فيما عدا بعض الحوادث الفردية . ولما مات الصباح عام ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م ثار أهل (آمد) ، وقتلوا ٧٠٠ من النزارية . فتحرك خليفته (كيا بزرگ اميد) واستولى على ولاية (اسكود) ، وهزم من كان فيها من المقاتلين وعددهم ١٢ ألف مقاتل . ثم استولى على (طالقان) وغنم الكثير فاعتبر سنجر ذلك نقضا للهدنة – كما يقول ابن الأثير – فأمر وزيره معين الدولة مختص الملك أبا نصر بمهاجمة (قوهستان) وقتل النزارية أينما كانوا ، واستباحة أموالهم ونسائهم .

وأعلن الوزير التعبئة العامة ضدهم ، وبعث الجيوش الى طرثيث وبيهق وطرز ، فقتلوا كل نزارية طرز والكثير من أهل طرثيث . غير أن النزارية استطاعوا الانتصار على جند شيركير الذين هاجموا الديلم . كما تمكنوا من الانتصار على تيمور طغان وأسره ، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن تشفّع له سنجر . وفي عام ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م وانتهم الفرصة فقتلوا معين الدولـــة فتأكدت العداوة بينهم وبين سنجر ، فقاد بنفسه حملة ضدهم في (الموت) ، ودارت مذبحة رهيبة قتل فيها ما يقدر بعشرة آلاف شخص من أتباع الاسماعيلية.

وأمر سنجر الأمير (أرغش) بالاستيلاء على قلعة (كردكوه) ، وكادت

القلعة تستسلم لولا أنه تركها بتأثير الرشوة [1] .

ويؤكد البعض أن العهود تجددت بينهم وبين سنجر بعد هذه المعارك ، بدليل أن النزارية قتلوا (المقرب جوهر) أعظم أمراء سنجر في عام ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م ، فلم يحرك السلطان ساكنا . وقد أدى هذا الوضع إلى غضب عباس (شحنة السلطان على الري ووكيله فيها) ، وتطور الغضب الى عصيان هدفه تحريض سنجر على قتالهم . وغالى عباس في الانتقام منهم والحق بهم أذى كبيرا ، حتى ليقال إنه بنى من جماجمهم منارة بالري [2] .

وأوفد محمد بن كيابزرگ اميد رسولا إلى سنجر يطالبه بدفع شر عباس. فأوعز السلطان سنجر إلى السلطان مسعود السلجوقي فقتل (عباساً) عند زيارته له في بغداد ، وأرسل إليه رأسه .

واستطاع النزارية – رغم الضربات التي كانت تكال لهم – أن يبنوا قلاعا وأن يفتحوا أخرى .

ومن الثابت أن السلطان محمود بن ملكشاه كان يكنُّ للشيعة والباطنية عداوة شديدة [3] ، لهذا حرمهم من حقوقهم كامتلاك المدارس والخانقات وحضور مجالس البحث والمناظرة . غير أن ميله للمتعة قلل من قيمة دوره في الصراع ضد الاسماعيلية . ومما يذكر أنه أرسل جيشا إلى (روذبار) غير أن قائده عجز أمام النزارية وسعى في طلب الصلح .

ولما قاتلهم (برنقش البازدار) صاحب إقطاعية قزوين هزموه وأجبروه على طلب الصلح . فلما عاود الكرة وقتل الرسول الموفد من الموت للصلح – بمساعدة الأهالي – أغار النزارية على قزوين وقتلوا ٤٠٠ شخص ، وغنموا

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م .

(٢) البنداري ، ص ١٧٤ .

(٣) أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٨٢ .

الكثير ، وفر جند العراق لدى سماعهم الخبر ، وكانوا في طريقهم إلى روذبار .

ويقال إن محمودا حاربهم بشدة ، وأنه استولى على الموت عام ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م ، وأنهم استرجعوها بعد وفاته في عام ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م .. ويقال إنه فشل في الاستيلاء عليها .

ولم يكف النزارية عن ارتكاب فظاعاتهم على أمل إنهاء الأمور لصالحهم. ففي عام ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م ساءت العلاقات بين مسعود بن محمود بن ملكشاه وبين الخليفة العباسي (المسترشد) وتحاربا في حدود (همدان) . ووقع الخليفة في أسر السلطان فاصطحبه إلى (مراغة) ووضعه في خيمة منفردة ، فأتاح الفرصة لفدائية النزارية لاغتياله والتمثيل به (١) . وقد فرحت الدوائر النزارية كثيرا لهذا الحدث ، وأمر كيابزرگ اميد باقامة الاحتفالات أسبوعيا .

ثم مات كيابزرگ اميد عام ٥٣٢ هـ = ١١٣٨ م ، وأوصى بالخلافة لابنه محمد ، فأصبح استخلاف الدعاة وراثيا كالإمامة . وفي عهده اغتيل الراشد لمحاولته الانتقام لأبيه ، مما أغضب أهل اصفهان وجعلهم يقتلون كل من يشتبهون في انتمائه للنزارية .

وبعد ان اغتال النزارية جوهراً عام ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م، قتلوا ابن صاحب مازندران (شاه غازي رستم) في عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م . وكان شاه غازي على علاقة طيبة معهم ، فانقلب عليهم وأوقع بهم هزائم نكراء ، وانتقم لابنه انتقاما رهيبا حتى أنه بنى من جماجمهم عدة منارات ، وأذاق بقيتهم سيف الهوان (٢) .

واستمر الاسماعيلية في تحديهم لمجتمعهم ، وتمهيدهم السبيل للإمام النزاري وأصبح أملهم يتركز في خروجه بنفسه ليقودهم إلى النصر النهائي .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، حوادث سنة ٥٢٩ هـ .

(٢) ظهير الدين المرعشي : تاريخ طبرستان ج ١٠ ، طبع سانت بطرسبرج ، ص ٥٧ .

وفي سنة ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م هاجموا خراسان ، لكن الأمير فرخشاه ومحمد بن أنز – وكانا من أكابر خراسان – أوقعا بهم الهزيمة وقتلا أكثرهم .

ورجحت كفة السنة حين خرج بعض الإسماعيلية على مذهبهم وانضموا للمذهب السني ، وحين انتزع صلاح الدين الأيوبي معظم الشام وفلسطين من يد الصليبيين وانتزع مصر من يد الفاطميين ، ونقل هذه البلاد إلى أحضان المذهب السني .

يضاف إلى ذلك أن الحسن بن محمد – الذي تولى بعد أبيه داعية للإمام في الموت – أعلن ما أسماه بالقيامة ، وذلك في عام ٥٥٩ هـ = ١١٦٤ م .. وأسقط عن أتباعه التكاليف الشرعية ونصب نفسه خليفة وداعية وحجة . ومن يومها ترك الاسماعيلية الطاعة والعبادة ، واحتل الحسن منصب الإمامية والقائمية . ونتيجة للقيامة ساد (حسن الجوار) وتغيرت نظرة المجتمع النزاري نحو المجتمع الإسلامي . فقد تضمن إعلان القيامة اعتبار المجتمع غير النزاري عدما ، فسمحوا للعدم بأن يعيش حياته المادية كيفما شاء . ولم يعد أهل السنة بدورهم يهتمون بما يفعل الملاحدة بعد أن انسحبوا إلى ملكوتهم الخاص .

وأخيرا وجّه المغول ضربتهم للمجتمعات الإسلامية بنسبة واحدة ، فأبادوا المجتمع النزاري ضمن من أبادوا ، وخسرت الإسماعيلية كل شيء : الدعوة والمنظمة والإمام والفلسفة والمجتمع المتماسك والقلاع والحصون .

وهكذا قضى المغول عام ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م على الإسماعيلية .. فأزالوا هذه الطائفة العنيفة من مجرى الأحداث .

الفصل العاشر



الفرنج

بالإضافة إلى العوامل الداخلية التي كانت تهدّ كيان الدولة السلجوقية وتسرع بها نحو الفناء، كان الصليبيون عاملا هدّاما آخر لا يقل خطرا عن سواه.

كان هؤلاء الصليبيون يهاجمون البلاد من جهة الغرب، وينتهزون فرصة الصراع الداخلي بين أبناء ملكشاه ليغيروا على بلاد الشام وفلسطين. وكان جلّ همهم انتزاع الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين.

وقد تسبب في هذا الصدام هجوم السلاجقة على أملاك الروم في آسيا الصغرى في القرن الخامس الهجري وتهديدهم القسطنطينية .. مما دعا البابا أربانوس الى دعوة أتباعه إلى حمل السلاح. وقد لبى الآلاف نداءه، فتوافد الفرنجة والنورمنديون إلى القسطنطينية مدججين بالسلاح، وبدأوا حملتهم التي عرفت بالحملة الصليبية الأولى. وكان الصدام الأول مع سلاجقة الروم بقيادة قلج أرسلان. وقد تمكنوا من الانتصار على المسلمين، والاستيلاء على الجزء الغربي من شبه جزيرة الأناضول.

وفي عام ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م انتزعوا انطاكية عاصمة سوريا الشمالية من

أيديهم ففقدوها إلى الأبد [1] .

ثم تمكنوا – بقيادة بلدوين – من الاستيلاء على الرها ، وذلك في عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٨ م ، ووضع يدهم على طرسوس بعد ذلك .

وكان الصراع الناشب بين السلاجقة – حماة المذهب السني – وبين الفاطميين – معتنقي المذهب الشيعي – حول الشام ، سببا في تفرّق صفوف المسلمين وتشتيت وحدتهم وعدم اتفاق كلمتهم . مما اعطى الفرصة للفرنج لمهاجمة تلك المنطقة والاستيلاء على معظم أجزائها وحصونها ، وقتل العديد من سكانها وبلوغ هدفهم الرئيسي ونعني به الاستيلاء على القدس [2] .

ثم نقل الفرنج اهتمامهم إلى الثغور والسواحل فامتلكوا الكثير منها .. بحيث يمكن القول بأنهم سيطروا على سواحل الشام . وبفتحهم لمعظم بلدان الشرق الاسلامي باتوا قوة بالغة الخطورة .. تضرب الكيان السلجوقي خاصة والإسلامي عامة بقوة وعنف .

وإلى جوار السلاجقة المتشاحنين والفاطميين المتقاعسين ، كان هناك الخليفة العباسي أمل السنة ومناط رجائهم .. وقد كان بدوره ضعيفا قليل الحيلة ، مما أطمع الفرنجة وأكدّ سيادتهم على ما امتلكوه .

وقد سجلت كتب التاريخ أخباراً تفيد أن بعض ذوي الخطر من المسلمين كانوا يتصلون بالفرنج ويسهلون لهم أمر الهجوم على ديار المسلمين . ومن هؤلاء دبيس بن صدقة صاحب الحلة [3] .

---

(١) الكامل ، حوادث سنة ٤٩١ هـ .

(٢) حتي وجرجي وجبور ، تاريخ العرب ، جـ٣ ص ٧٥٦ ،
ابن الاثير : الكامل ، حوادث السنوات ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

(٣) الكامل ، جـ ١٠ حوادث سنة ٥١٨ هـ .

يضاف إلى هذا أن المنازعات المتوالية بين سلاطين الدولة الواحدة ، وبينهم وبين غيرهم من حكام الدول الأخرى .. قد أدّت إلى فتور روح الجهاد والجلاد وضعف الشعور الديني والقومي لدى كل من السلاجقة وأهل بغداد .

فالتاريخ الخاص بهذه الفترة يشهد بأن جماعة من البغاددة – يمثلون الفقهاء وغير الفقهاء – ومنهم ابن الزاغواني الواعظ المحدث العالم بالقراءات [1] .. قد تجهّزوا للخروج إلى الشام بغية الجهاد ضد الفرنج والقتال معهم ، بعد أن بلغهم أنهم فتحوا العديد من المدن ، ومن بينها صيدا . غير أن الكثيرين منهم قد كروا عائدين وتركوا أمر الجهاد حين بلغهم ما يؤكد كثرة عدد الفرنج [2]

وهكذا بلغ الشعور الوطني حداً من الضعف والانهيار جعل عدداً من الرجال – منهم الفقهاء – يعودون عن الجهاد لمجرد سماعهم بتفوق الفرنج أعداء الاسلام في العدد عليهم .

ولم يكن أولو الأمر يغذّون الروح الوطنية لدى الأهالي . فها هو التاريخ يحكي لنا عن وفد قَدِم من الشام عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م يستنجد بالمسئولين ويستغيث بأولي الأمر . وشرح الوفد سر قدومهم ، وتحدثوا عن الخطر الذي دهم المسلمين في بلاد الشام ، وصوّروا ما حل بالبيت المقدس ، ولكنهم لم يجدوا أذنا صاغية وعادوا إلى أوطانهم بخفي حنين [3]

وفي نفس العام قصد بغداد وفد آخر من الشام وطلب أعضاؤه مقابلة الخليفة والسلطان السلجوقي . وكان برفقتهم القاضي أبو سعد الهروي .وحين تمكنوا من مقابلة الخليفة استصرخوه ضد الفرنجة وطلبوا العون والمدد .

---

(١) توفي ابن الزاغواني في بغداد عام ٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م .
أنظر : المنتظم ، جـ ١٠ ص ٣٢ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، طبع القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ، جـ ١٢ ص ١٧٢ .
(٣) الكامل ، حوادث ٤٩٢ هـ .

وبكى أهل بغداد لسماعهم تلك الأخبار المفجعة التي تؤكد انتصار الفرنجة على المسلمين وندب الخليفة الفقهاء للسير في البلاد وتحريض الملوك على الجهاد ، ففعلوا وساروا بين الناس ، فلم يفد ذلك شيئاً [1] .

وإن كان هناك من يستحق الثناء والتمجيد ويذكر اسمه بالفخر والإكبار فهو عماد الدين زنكي حاكم الموصل والجزيرة ونصيبين .

لقد كانت لهذا الحاكم الغيور المناضل مواقف رائعة ضد الصليبيين الذين استفحل أمرهم في عهده بصورة جعلت الناس تضع أملها فيه دون سواه لانقاذ ديار المسلمين والوقوف في وجه الفرنجة المعتدين .

وقد تمكن عماد الدين زنكي في عام ٥٢٢ هـ = ١١٢٨ م من المحافظة على حلب ، وصدّ الصليبيين ، ومنعهم من السيطرة عليها [2] .

كما تمكن في عام ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م من انقاذ مدينة الرها . وبذا وجد من بين المسلمين شخص يقف في وجه الفرنج ويجاهدهم ويجادلهم ، حتى عام ٥٤١ هـ = ١١٤٦ م . ثم واصل أولاده ما بدأه من جهود .

وقيض الله للإسلام شخصية عظيمة ذات خطر استطاعت أن ترد للإسلام اعتباره وترفع رؤوس المسلمين . فقد برزت شخصية صلاح الدين الأيوبي الذي انتزع مصر من يد الفاطميين الضعفاء ، ووحّد القوى الإسلامية في الشرق الأدنى ووجهها ضد الصليبيين ، وأفلح في هزيمتهم ووقف نشاطهم .

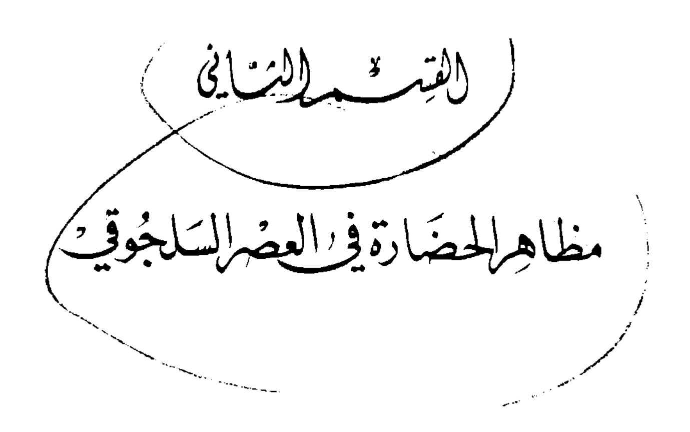
وهكذا يمكننا القول بأن عماد الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي كانا بمثابة صخرتين تحطمت عليهما آمال الصليبيين ، ففشلوا في احتلال البلاد الإسلامية بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من ذلك .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ١٥٦ .

(٢) الكامل ، حوادث سنة ٥٢٢ هـ .




القسم الثاني
مظاهر الحضارة في العصر السلجوقي

الفصل الأول

الناحية الاجتماعية في العصر السلجوقي

يتسم العصر السلجوقي بصفة إجتماعية بارزة هي عدم الاستقرار وندرة ثبات الأوضاع على حال . ولا يعني هذا أن الفترة السابقة على فترة سيطرة السلاجقة على ايران كانت تتسم بالهدوء واستقرار البلاد .. بل الحق أن البلاد كانت ترزح تحت وطأة أمراء محليين لا يكفّون عن التشاحن وظلم الشعب .. إلا أن الذي لا شك فيه أن الوضع قد ازداد سوءا في عهد السلاجقة .

ولم يكن الوضع على هذه الدرجة من السوء في بداية تكوين السلاجقة لامبراطوريتهم المترامية الأطراف .. فقد استقرت الأوضاع – إلى حد ما – في عهد السلاطين المؤسسين للدولة .. إلا أن كلاً من « قاورد » و « ملكشاه » والأميرين سليمان بن قتلمش وتتش قد ألقى بحجر عكّر هذا السكون .

ثم ساد الهدوء فترة ليمهد لاضطراب كبير وحروب طاحنة بين أخوين من أبناء ملكشاه هما بركيارق ومحمد نزاعا على العرش والسلطان .

وحلّ عهد سنجر ليحمل معه بعض الاستقرار – ثم اختفى هذا الاستقرار – على قلّته – وحلّ مكانه الكثير من المحن والاضطرابات والكوارث . فقد تعرضت خراسان وغيرها من البلاد لشرٍ مستطير حوّل دورها العامرة أنقاضاً

وبدّل أمن أبنائها خوفا ، وذلك نتيجة لهزيمة سنجر على يد الترك الخطائيين في عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م .

وازدادت النكبات عنفا بسبب دحر سنجر على يد الغز ووقوعه أسيرا في أيديهم عام ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م .

واستمر الخراب وعد الاستقرار حتى أرست دولة الخوارزمشاهيين قواعدها . وفي هذه المرحلة لم يكن لبعض غلمان سنجر الذين تأمّروا شغلا غير إراقة الدماء والإغراق في المظالم [1] .

كما زاد الطين بلة تدخُّل النساء في شئون الدولة ، وتسيير الكثير من أمورها واضرام نار الخلاف بين الحكام وأصحاب المناصب القيادية .

ونتيجة لعدم الاستقرار دب اليأس وسيطر التشاؤم على نفوس العامة ونفوس الشعراء خاصة ، وانعكس جليا فيما نظموه من أشعار . وقلَّ من بين الأدباء من لم يشكُ من زمانه .. وكانت شكواهم تدور حول سيطرة الغلمان وسيادة القبائل الوحشية الصفراء ، وبزوغ نجم العوام وأدعياء الدين ، ورواج الفساد والكذب والتزوير ، وتفشى القتل والسلب ، وتجويز الظلم والعدوان .

---

(١) لم يكن غريبا مع وجود هذا الوضع غير المستقر الذي أحدثته التصرفات الوحشية من جانب الترك وعبيدهم أن نرى في آثار أدباء ذلك العهد — حتى الذين مدحوا الأمراء الذين من جنس أصفر — شكاوي مختلفة حول فساد الأوضاع . ومن هؤلاء الأدباء خاقاني وسنائي وناصر شمس . وكان بعض الشعراء يرى في تلك البلايا بلاء من الله ... سببه عدم التمسك بحبل الدين. وتروى عشرات القصص حول ظلم الخوارزمشاهين من آل أتسز . وتدور حول نساء جسورات سفاكات للدماء . من بينهن تركان خاتون — أم السلطان محمد خوارزمشاه — التي كانت تمارس الرذائل ... وتتعاون مع طائفة الترك القنقلية في نشر الظلم ، وتغرق الحكام في جيحون . وكان إغراق الأبرياء أمرا متبعا آنذاك .
أنظر : تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ١١٤ ، ١١٥ ، جهانگشا ، جـ ٢ ص ٨ ، ١٩٨ .

فالأنوري يقول مبديا تشاؤمه :

ليس في السماوات كلها غصن يثمر غير الشر والفتنة [1] ..

ويقول ناقدا مجتمعه في رمزيّة واعية :

كان ثعلب يجري خوفا على حياته .. فرآه ثعلب آخر على هذا الحال .

فقال : خيرا ، ما الخبر ؟ أعده على مسمعي .. قال : أن السلطان يقبض على الحمير .

قال : لستَ حمارا فماذا يخيفك ؟ .. قال : الصدق ماتقول ، ولكن الآدميين ...

لا يعرفون ، ولا يفرقون ، فالحمار والثعلب لديهم سواء .

لهذا فإنني اخشى يا أخي أن يضعوا فوق ظهري سرجا (بردعة) كالحمار ..

فهم لايميزون بين الحمار والثعلب .. إنه عالم الحمير الجهــلاء [2] .

ويقول مصورًا تخبُّط الجميع في هذا العصر المضطرب :

إن الحقير والعظيم والشريف والوضيع كلهم حيارى متألمون ..

---

(١) النص الفارسي :

نيست در جملهٔ آسمان شاخي ... كه نه جز شر وفتنه بارآرد

ديوان انوري ، طبع طهران ص ٣٧٥

(٢) روبهى ميد ويد درغم جان ... روبهى ديگرش بد يد چنان

گفت خيراست ، بازگوى خبر ... گفت خر گير ميكند سلطان

گفت توخر نه اى چه ميترسى ... گفت آرى وليك آدميان

مى ندانند وفرق نكنند ... خرو وروباهشان بود يكسان

زان همى ترسم اى برادر من ... كه چو خر برنهند مان بالان

خر وروباه مى نبشناسند ... اينت كون خران بي خبران

ديوان انوري ، طهران ، ص ٤٤٠ .

إذا لم يأخذ الأصدقاء بيد أصدقائهم في زماننا فهم معذورون [1] .

ويقول جمال الدين محمد بن عبد الرزاق

الحذار أيها العقلاء من القفار المخيفة .. الحذار .

الفرار أيها الغافلون من أناس كالشياطين .. الفرار .

عجبا ، أما زالت قلوبكم تهوى وأرواحكم لم يصبها السأم ..

من هذا الجو العفن وهذه المياه الآسنة ؟ [2]

ونتيجة لهذا التشاؤم وعدم توقع الخير لجأ الكثيرون إلى الانقطاع عن العالم بصورة لم تكن تحدث على هذا النحو في العصور السابقة على هذا العصر .

وإذا رجعنا إلى شرح أحوال كل من سنائي وأثير الدين أخسيكتي وظهير الدين الفاريابي وأفضل الدين الخاقاني وأوحد الدين الأنوري وغيرهم من مشاهير هذا العصر نجد أن كل واحد منهم قد اعتزل واعتكف في فترة من فترات حياته . فالتصوف نتيجة لهذه الأوضاع المضطربة قد وجد مرتعا خصبا بين الساخطين على تلك الحياة .

ولما كان الحكّام من جنس تركي يختلف عن جنس الإيرانيين المحكومين.. ونظراً لكونهم كانوا من الغالب قساة القلوب ظالمين.. فقد كان من الطبيعي أن يسود النفور بين الجنسين. وقد تسبب هذا الوضع في وجود ظاهرة اجتماعية لها خطرها ألا وهي العصبية العنصرية التي جرّت الى الصراع والتجاذب بين العنصرين الأبيض والأصفر . ومع أن العصبيات كانت موجودة قبل ذلك بين

---

(١) كهتر ومهتر و وضيع‌وشريف همه سرگشته اند ورنجورند
دوستان گر بدوستان نرسند اندرين روزگار معذورند
ديوان انوري ، طهران ، ص ٣٨٧

(٢) الحذارى عاقلان زين وحشت آباد الحذار
الفرارى غافلان زين ديو مردم الفرار
اي عجب دلتان بنگرفت ونشد جانتان ملول
زين هواهاي عفن زين آبهاي ناگوار
انظر : ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات درايران ، حـ٢ ص ٣٦٦،٣٦٧

الفرس والترك ، وبينهم وبين العرب .. إلا أنها اتخذت في هذه الفترة شكلا آخر هو التحقير وعدم الثقة من جانب الترك ، ومزيج من النفور والاشمئزاز والخوف والرهبة من جانب الإيرانيين.

وقد تبدّى نفور الإيرانيين واشمئزازهم فيما كانوا يتناقلونه فيما بينهم من أحاديث ينسبونها للرسول عليه السلام .. يؤكدون فيها أن الأتراك أتباع دجالٍ ظهر في خراسان [1] .

وتبدو العصبية العنصرية واضحة جلية في قول الشاعر :

إن الوفاء لا يصدر عن تركي قط بينما لاترى من الايرانيين غير الوفاء [2] .

ومن الظواهر الاجتماعية الخطرة في هذا العصر ظاهرة تفشي المجون والاستهتار بالخلقيات . ويتمثل ذلك في شرب الخمر جهارا ، وفي عشق الغلمان. فمما يؤثر أنه كان لكل سلطان وأمير ووزير في حكومة السلاجقة غلمان وعبيد مليحو الوجوه ، يحلّون محل النساء في حياتهم [3] . وكان عدد غلمان بعض السلاطين يصل إلى عدة آلاف.

وقد نتج عن ذلك طبقة من طبقات الشعب التي تستحق الذكر والاهتمام وهي طبقة الرقيق ورغم أن البعض كان يتخلص من غلمانه ذوي الحظوة لديه

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، طبع ليبزگ ، ج ٢ ص ٤١٤ .

(٢) النص الفارسي :

وفا نآيد از ترك هرگز پديد وز ايرانيان جزوفاكس نديد

تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ١٣٢

(٣) يروى عن « قزل أرسلان » أنه لتفضيله الغلمان لم يضاجع زوجته « قتيبة خاتون » أكثر من ليلة واحدة . ويروى عن بعض ذوي الحيثيات أنهم كانوا يفكرون في طرق جديدة مخجلة للفسق بالغلمان .

ارجع إلى : ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان ، ج ٢ ص ١١٠ ، ١١١ .

بأبشع الوسائل بعد أن يسأمهم[1] إلا أن البعض أيضاً قد أوصل عبيده إلى أعلى المناصب كالإمارة والقيادة والحجابة .. فاستطاع بعضهم أن يستغل سلطته حتى في خلع السلاطين أو حبسهم أو قتلهم أو حمايتهم[2].

وكما تفشّى عشق الغلمان بين علية القوم فقد راج بين الأفراد العاديين وخاصة بعد أن أفتى بعض الفقهاء بجواز ذلك[3] إرضاء للحكّام وخوفا من بطشهم .

ولا يُظنن ّ أن الفساد والجهر بالفسق قد برزا كظاهرة اجتماعية في فترة من فترات العصر السلجوقي دون أخرى ، أو أنه زاد في أواخر هذا العصر فقط ؛ فالناظر في الكتب التي أرخت لتلك الفترة يحسُّ أن هذه الظاهرة موجودة في كل مراحل العصر بنسب متقاربة . ففي المرحلة الوسطى من عهد السلاجقة مثلا – أي بعد وفاة ملكشاه ونظام الملك – كانت الوزارة في عهد السلطان بركيارق في يد عز الملك أبي عبد الله حسين بن نظام الملك . وتذكر كتب التاريخ أن هذا الرجل كان سكيرا يسلك سبيل الضلال والغواية ويعاشر السفلة[4] . كما اجتمع إليه رئيس ديوان الاستيفاء علي بن أبي علي القمي ، فحدثت في أيامهما أمور قبيحة . أما بركيارق نفسه فكان يعيش مع عدد من الصبيان عيشة اللهو والمتعة . وكانت أمه بدورها تفعل ما يحلو لها ، وتزامل « گمشتگين جاندار » في سكره وتشاركه ما يرتكبه من منكرات .

وإلى جانب الصراع الذي كان يدور بين العبيد وبعضهم ، وما ينتج عنه

---

(١) يمكن الوقوف على مسلك سنجر الوحشي كمثال بالرجوع إلى :
حبيب السير ، ج ٤ ، المجلد الثاني ، ص ١٢٦ ، تاريخ طبرستان ج ٢ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) راحة الصدور ، ليدن ١٩٢١ ، ص ١٤٠ ، تاريخ دولة آل سلجوق ، طبع مصر ١٩٠٠ م ، ص ٧٦ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، طبع القاهرة سنة ١١٢٩ هـ ، ج ٣ ص ١٨ .

(٤) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧٧ .

من فتن واضطرابات .. كان العبيد ـ حين الحظوة يركبون أعناق الرجال ، ويلقى الكثير من العلماء على يدهم التحقير والإذلال (١) .

وقد وجد بين الشعراء في هذا العصر من يهاجمون الغلمان الأتراك . إلا أن أكثر الشعراء كانوا يصفونهم أوصافا مقبولة ، ويجعلون منهم مادة لشعرهم وغزلياتهم كما هو الحال عند المعزي وسنائي والخاقاني والأنوري .

كما وجد من بين الأدباء من يكتب عن الشروط الواجب توافرها في الغلام ليكون صالحا للشراء (٢) . واذا كان البعض قد أحجم عن ذكر الغلمان في شعره فمرجع ذلك إما تمسكه بالشعائر الدينية أو خوفه الجهر بما يعرّضه للعقاب.

وكان النظام الإقطاعي هو الأساس الذي تقوم عليه الملكية في العصر السلجوقي . وقد اعتبر السلاجقة المملكة ضيعة للسلطان يمتلكها نيابة عن قومه ، وله أن يقطع أراضيها لأقاربه وأنصاره وجنوده وعبيده . ولم يكن هذا التنظيم الإقطاعي يتعارض مع الملكية الفردية أو يمسّها لأنه كان يتعلق بخراج الأرض دون الأرض . غير أن الذين ملكوا الاقطاعيات كانوا يميلون إلى استغلال الفلاح والإساءة إليه والاستيلاء على ما بيده .. اذ كانوا يعتبرون إقطاعهم ملكا وراثيا لهم .

وكان الوزير بدوره يهمّه أن تزداد ايرادات الإقطاعات ليزداد راتبه تبعا لذلك .. فقد كان راتبه في هبوط وصعود طبقا لإيراد الدولة من الإقطاعات(٣) وكان نظام الإقطاع في البداية ناجحا بفضل قوة السلاطين ورقابتهم الدائمة ثم ـ بمرور الوقت ـ أصبح المشجع على انسلاخ الأجزاء الكبيرة عن الدولة ،

(١) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ، طبع ١٣٢٠ هـ ، ج ٢ ص ١١٠ ، ١١١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ليدن ١٩٢١ م ، ص ١٤٠ ،
تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧٦ ، ٢٤٩ .
(٢) أفرد صاحب (قابو سنامه) فصلاً في كتابه لهذا الغرض .
(٣) Lambton : pp: 66-67

وزيادة الأطماع والتنافس والتنازع على امتلاك الاقطاعيات ، وإفلاس الدولة، واستقلال المقاطعات وقوتها بصورة خنقت الدولة المركزية .

ومن الظواهر الاجتماعية التي أوجدتها الظروف في هذا العصر ظاهرة قلة السكان في البلاد عامة والمدن الكبرى خاصة ، فقد شاع فرار الأهالي من المدن الكبرى نتيجة جور عمال السلاجقة وعسفهم الذي كان يصل إلى حد القتل وهتك الأعراض . كما أن قلة السكان بصفة عامة كان مرجعها أحيانا الخراب وسفك الدماء والعفن والقذارات وما كان يتبعها من جدب ومجاعات تسبب هلاك القوم .. كما حدث في عام ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م . وقد كانت قلة السكان تبلغ أحيانا درجة كبيرة ؛ فالكتب تروي لنا أن قرية مثل (راز) كان تعدادها ألف نسمة .. فلم يبق بها أكثر من ٧٠ رجلا . ومن المؤسف أن أصحاب المناصب كالقضاة وأهل الدين كانوا يعاونون عمال السلاجقة في ظلمهم للشعب [١] .

ولا شك أن هذا النقص في عدد السكان قد تسبب في نقص الأيدي العاملة وكان له ضرره الاقتصادي .

ومن الظواهر الاجتماعية أيضا سيادة الفقر بين الرعية والغنى بين الحكام .

فقد انتقلت أموال الأهالي قسراً إلى خزائن السلاطين فكانت لاتفرغ رغم إسرافهم وتبذيرهم ، فيقال على سبيل المثال [٢] أن السلطان محمد بن ملكشاه ـ بالرغم من تعدد حروبه وتكاليفها ـ كان يمتلك ١٨ مليون دينارا نقدا ، عدا الجواهر والآنية وغيرها . وكان لكل أتابك وأمير ثروة وخزانة خاصة به ينفق منها على هداياه ومنحه وضيوفه . وكان على الأهالي أن يودعوا أموالهم باطن الثرى لحفظها .

---

(١) راحة الصدور ، ص ٣٩٢ .

(٢) أنظر : صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، طبع لاهور ١٩٣٣ ، ص ٩٨

والعجيب أن الترك – رغم مظالمهم ومفاسدهم كانوا يعدّون أنفسهم مكلّفين من قبل الحق تعالى بنصرة الدين ، ويرون أن السلطنة قد وصلتهم ليقوموا بصدّ الخارجين على أحكام الدين وردع اصحاب البدع . ولم يرق هذا الأمر للإيرانيين فاخذوا يروّجون أقوالا في تفضيل الإيرانيين على الأتراك أخذوها من آثار منثورة وضعت في القرن الرابع الهجري ، ونقلوها عن قصص شعبية لها جذور قديمة في تاريخ ايران .

غير أن اسلام الترك وغلمانهم – على أي حال – قد سهّل على الايرانيين الاختلاط بهم . وسيطر الفقهاء والمشرّعون وأثّروا في الحضارة الإسلامية والعلوم العقلية .

وقد أدى رواج السياسة الدينية إلى ظهور ظاهرة اجتماعية أخرى هي ضعف الفكرة الايرانية القديمة المتعلّقة بوجوب الطبقية ، ولزوم انتساب كل أمير وملك لأسرات السلطنة . وأصبح الإيمان والاعتقاد أساسا لتفضيل الناس على بعضهم .. فالتفاخر بالأنساب مكروه في الإسلام .

وأدت هذه الظاهرة الاجتماعية إلى عدم الاعتقاد في أصول القومية القديمة. كما تطاول البعض على أبطال التاريخ الإيراني القديم ، واعتبروا القصص القديمة التي كانت بمنزلة التاريخ القومي لإيران محض خرافات .

فالأنوري مثلا يفضّل ممدوحه على بعض العظماء القدامى حين يقول :

زيّن كسرى الدنيا بعدله ، وحلّ حاتم بجوده عقدا وصعابا .
وجعل رستم رمحه ينفذ من الدرع .. ومع ذلك ..
فإن پيروزشاه يفضل كل واحد منهم ويفضل الثلاثة مجتمعين [١] .

---

(١) النص الفارسي :

كسرى كه جهان زعدل اوكردى: زه — حاتم ، كه زكان‌جودبگشاد گره
رستم كه يگرز خود كردى ز زره — پيروزشه ازهرسه وزين هريك به

الديوان، طهران ، ص ٦٢٤

ومن أبرز المشكلات الاجتماعية في ذلك العهد ضياع النظم والرسوم الاجتماعية . فبالرغم من جهود الوزيرين : الكندري ونظام الملك في بداية الدولة السلجوقية .. تلك الجهود الرامية لوضع رسوم اجتماعية تسود الدولة السلجوقية – نظراً لبداوة السلاجقة وانعدام ثقافتهم – فإن بعض الرسوم الاجتماعية (والادارية) قد أهملت في زمانهما. والمعروف أن نظام الملك قد وُفِّق في حفظ النظم والرسوم التي كانت موجودة لدى الغزنويين ، وأفلح في تطبيق معظمها لدى السلاجقة ، وتدوين الكثير منها في كتابة (سيا ستنامه) ، وأن ذلك التطبيق قد استمر حتى نهاية القرن الخامس الهجري . إلاّ ان نظام الملك قد اشتكى بنفسه في كتابه من ضياع بعض هذه الرسوم الاجتماعية (والإدارية) وإهمالها في زمانه ، وعدم ترحيب الحكام من السلاجقة بها.

ونتيجة لاحتياج السلاجقة إلى الموظفين ، وتشجيعهم للصناع ، وسماحهم لعدد من القبائل السلجوقية بالوفود إلى إيران ، وتوقيرهم الصوفية ، واقتنائهم العبيد حفلت كل مدينة بعدد من الطبقات ، كطبقة العظماء ، وطبقة الصناع ، وطبقة الموظفين ، وطبقة التجّار ، وطبقة الفقهاء ، وطبقة الجنود ، وطبقة الصوفية وطبقة الفقراء ، وطبقة الرقيق ، وطبقة أبناء القبائل السلجوقية .

وكانت بعض هذه الطبقات مصدراً للقلاقل . فقد كانت إحدى فرق الصوفية على سبيل المثال تستعمل السلاح للحصول على حقها ، وتستخدم القوة في إصلاح المجتمع ، وتلجأ إلى القتل انتقاما من الظالمين ... وهي فرقة الأخية الفتيان .

وقد اضطر بعض السلاطين إلى إعطاء مرتبات لأفراد القبائل السلجوقية الوافدة إلى إيران أسوة بالجنود ، إلا انهم كانوا بدورهم مصدر فتنة وقلق ، خصوصاً وقت أن كان السلاطين يحرمونهم من مرتباتهم[1] .

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين : نظامي الكنجوي ، شاعر الفضيلة ، عصره وبيئته وشعره ، الطبعة الأولى ، طبع القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

ومن الظواهر الاجتماعية الواضحة أيضا ظهور أهمية بعض المدن ، وتكوينها شخصية واضحة مستقلة تنفرد بها . وظهور أهمية بعض الثغور التي كانت تؤدي في ذلك العصر واجبا مقدساً يتمثل في صد أعداء الإسلام من الكرج والروم .

وكان لبروز أهمية بعض المدن ووجود الطوائف في كل مدينة أثره في ازدياد حدة العصبيّات المحليّة القديمة ... تلك العصبيات التي توجب المناقشات والخلافات وتفسح المجال للسلب والنهب والحرق والقتل .

ولم يكن غريبا في ظل هذه العصبيّات المحليّة أن يلجأ بعض الشعراء إلى هجاء المدن الأخرى وأهلها ، وأن يردّ الشعراء – الذين تعرضت مدنهم وأهلوهم للهجاء – على من هجاهم بقسوة . وتذكر لنا كتب التراجم أن مجير الدين الاصفهاني نظم أبياتا في هجاء أصفهان ، فهاجمه شعراؤها بعنف . وأجزل كبار المدينة للشاعر شرف الدين شفروه العطاء فنظم أبياتا في هجاء مجير الدين استخدم فيها كلمات نابية جعلت دولتشاه يرفض تسجيل الهجاء في كتابه (١) .

وقد هجا جمال الدين الاصفهاني بدوره بيلقان وكنجه وتفليس وشروان انتقاما لاصفهان . ويشير البعض إلى أن موت مجيرالدين كان على يد أوباش أصفهان .

هذا وقد تعرض الخاقاني لمثل هذه الظروف ، مما اضطره إلى مدح اصفهان ليسلم من لسان شعرائها وأذى أبنائها (٢) . إذ كان أهالي البلاد لا يتورعون عن إنزال أقسى ألوان العقوبة بمن يسب بلادهم إذا أتيحت لهم الفرصة . كما حدث بالنسبة للشاعر أوحد الدين الأنوري حين نُسب إليه هجاء بلخ ... فقد كاد

---

(١) ارجع إلى دولتشاه : تذكرة الشعراء ، طبع الهند ، ص ٧١ ، ٧٢ .
(٢) تاريخ ادبيات در ايران ، ج ٢ ص ١٣٥ .

أهلها يقتلونه ... لولا تدخل بعض ذوي النفوذ ، ومبادرته هو إلى نفي التهمة ومدح بلخ [1] .

وبديهي أن هذه الفُرقة وذلك البعد المعنوي بين بلاد المسلمين وبعضها ... كانا سببا في ازدياد شدة القلق والاضطراب ، وعاملا مشجعا لأمراء بعض المدن على مهاجمة المدن الأخرى ونهبها .

ولانغماس السلاطين والأمراء والعظماء في الترف كانت قصورهم تمتاز بالفخامة والاتساع وبوقوعها وسط الخمائل . وكانت تعقد فيها مجالس الترف والغناء والشراب ... ويسرف المضيف في تقديم الطعام والتفنن في ألوانه ، والإكثار من الورود والرياحين لتضفي جواً من البهجة على المكان . وصارت المنادمة مهنة ، وازدهرت بعض الصناعات لتوفير ما يرغب العظماء في اقتنائه .

أما حياة الجد فقد انعكست في لون الألعاب التي تمارس خارج المنازل ، ومنها الرماية ولعب السيف والترس وسباق الخيل والصيد والشطرنج [2] .

هذا وقد أدى الامتزاج الحضاري الناتج عن اختلاط العراقيّين بالإيرانيين إلى تبادل كثير من التقاليد والعادات الاجتماعية بين الطرفين.

ومع كل ما ذكرناه كانت توجد فترات سكون واستقرار نسبي في بعض الأحيان في أجزاء من ايران كفارس والنواحي الشمالية من آذربيجان وأرّان ومازندران . وكان هذا عاملا من عوامل تجمع أرباب الفنون والآداب في تلك النواحي ... وسببا في الحركات الفنية والأدبية التي شهدناها في ذلك العصر .

---

(١) هدايت ، رياض العارفين ، ص ٢٨٦ ، الفرهاني : شرح مشكلات ديوان أنوري ، ص ١٩١ ، ١٩٢ . وما زال الهجاء موجودا بديوان الأنوري ص ٣٥٩ ، وهو يتعلق بتمجيد نيسابور وبعض مدن خراسان وذم بلخ . ويسمى (بلخنامه) أي رسالة بلخ .

(٢) راحة الصدور ، ليدن ، ص ٤٠٥ — ٤٣٧ .

والحق ان وجود عدد كبير من رجال السياسة المحنّكين والوزراء المشهورين الذين ينحدرون من أسر كبيرة ، ووجود أسر رياسية – مثل آل مازه وآل خجند وغيرهما – في كثير من البلاد ... كان عاملا ملطِّفا مهدئا للأوضاع ، مشجعا على الرواج الفني والأدبي . كما أن هذه الأسر هي التي استطاعت المحافظة نسبيا على بقايا النظام الاجتماعي في أواخر القرنين السادس والسابع الهجريين .



الفصل الثاني

الناحية الادارية

بفضل شجاعة السلاجقة ومهارتهم في فنون القتال وكثرتهم العددية انتصروا على أعدائهم وأزالوا المعارضين من طريقهم . وأصبح للدولة السلجوقية كيانها وباتت تنعم بتأييد الخلافة العباسية . وصارت قوة إسلامية كبيرة لها وزنها في مشرق العالم الإسلامي ومغربه .

وهنا أدرك السلاجقة ان الواجب يحتم عليهم أن يبذلوا جهدهم للمحافظة على مكاسبهم ، والإبقاء على الصرح الذي شيّدوه . ورأوا أنهم في حاجة إلى إقرار نظم إدارية ، وإلى تعيين موظفين وعمال ينجزون حوائجهم ويسدّون متطلباتهم ويساعدونهم في الاحتفاظ بممالكهم الفسيحة.

ونحن لا نغالي إذا قلنا إن السلاجقة كانوا مجرد جماعة من التركمانيين لا خبرة لديهم ولا مدنيّة ولا ثقافة . فسنجر على سبيل المثال كان أميّاً ، ورغم أنه أمضى حياته في ايران وفي بلاد الإسلام ... ورغم انه كان واحدا من أعظم سلاطين السلاجقة ، فانه لم يتعلم شيئا من فنون القراءة والكتابة .

ولما كان السلاجقة يحسّون بعدم كفايتهم وبجهلهم بالشئون السياسية والأعمال الإدارية ... فقد وقع اختيارهم على الإيرانيين من أهل البلاد

باعتبارهم خير من يسند إليهم هذا العمل ... بعد أن أمضوا عمرهم في خدمة الدولة السامانية والدولة الغزنوية وفي خدمة الديالمة والخلفاء العباسيين، وتمرّسوا في الأعمال الإدارية واكتسبوا خبرة ودراية .

وهكذا كان الاحتفاظ بهذه الطبقة من العمال بنفس تشكيلاتها ونظمها الإدارية التي كانت عليها في العهود السابقة سببا في أن كان ديوان السلاجقة هو عين ديوان الغزنويين والسامانيين من قبلهم .. باستثناء بعض التغييرات البسيطة التي اقتضاها الوقت ، وبعض التعديلات الإصطلاحية .

وكان رئيس الدولة في النظام الإداري الجديد يحمل لقب (سلطان) ، ويكتسب صفته الشرعية من اعتراف الخليفة العباسي به ، وله عاصمة يتخذها دارا لملكه . وهو المسئول عن السياسة العامة ، وإعلان الحرب ، وقيادة الجيوش ، وتعيين الحكّام والقوّاد ، وإقطاع الأرض وفرض الضرائب ورفعها .

ولم تكن ولاية العرش وراثية ... بل كان أكبر السلاجقة قوة وأبرزهم شخصية وأقدرهم على الدفاع عن عرشه هو الذي يتولى العرش دون سواه .

وكان على هذا السلطان أن يعيّن عمّالا له في أنحاء المملكة ... يقرّون بالولاء له ويخضعون لسلطانه . وهؤلاء الحكّام يلقبون بالملوك ، وينعمون بالاستقلال الذاتي داخل ولاياتهم ، ولهم حق التوسّع وامتلاك ما يفتحونه من بلاد ... على أن يبادرو إلى إمداد السلطان بالجند التابعين لهم حين الحاجة .

وكان السلاطين – شأنهم شأن الخلفاء – يرون أنهم ظل الله في الأرض ، وأن على الناس الطاعة والاحترام . وكانوا يُصدرون الأحكام بلا معقّب ، وإن كانوا يأتنسون برأي وزرائهم ويستشيرونهم في بعض المسائل دون أن يكون رأيهم أو مشورتهم أمرا ملزِماً .

وكانت المناصب الإدارية في يد خمسة أشخاص لكل منهم رئاسة على

ديوان [1] ، ويُعين رئيس كل ديوان وفق مرسوم يصدره السلطان . وهذه الدواوين وفق أهميتها هي :

١ ـ الوزارة أو الصدارة :

يعرف القائم بشئونها باسم « الوزير » أو « الصدر » أو « السيد الأكبر » أو « الدستور » ، وهو المشرف على جميع مرافق الدولة ... يأتنس السلطان برأيه ويصحبه دائما ويتعامل معه مباشرة دون سائر رؤساء الدواوين . وكان كرسي الوزارة ـ لأهميته وخطورته ـ محل نزاع وتنافس [2] . ويشغل الوزير أرفع منصب في الدولة بعد السلطان .

٢ ـ ديوان الاستيفاء :

يعرف رئيس هذا الديوان والقائم بشئونه باسم « المستوفي » ، وتلي منزلته منزلة الوزير في الدولة . ويرتبط عمله بالشئون المالية والحسابات ، فهو الذي يقوم بضبط أموال الجيش والدولة . ويشترط في المستوفي أن يجمع بين العدل وحُسن السيرة والخبرة الواسعة بأسرار المعاملات وفن الحسابات .

٣ ـ ديوان الطغراء :

يعرف القائم بشئون هذا الديوان باسم « الطغرائي » ، وهو يتعامل مع السلطان والوزير . فهو المختص بتوصيل الرسائل إلى السلطان ، وهو الذي يُصدر عنه الأوامر الموقّعة بتوقيعه والممهورة بخاتمه والمذيّلة بشعاره . وهو

---

(١) عباس إقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي ، تهران ١٣٣٨ شمسي ، ص ١٨ .

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٣ ص ٢٥٥ .

الذي يتسلم مهام الوزير ويسدّ مسدّه إذا ما خرج برفقة السلطان في الحرب أو الصيد .

ويتبع ديوانَ الطغراء ديوانٌ آخر يُسمى (ديوان الرسائل والإنشاء) ، يديره شخص يطلقون عليه لقب (الوزير) أو (صاحب الرسائل) . ويشرف ديوان الرسائل والإنشاء على جميع المكاتبات الرسمية ، وينظم علاقة الدولة في الداخل والخارج . ويعمل فيه جماعة يطلق عليهم « المنشئون » أو « كُتّاب الرسائل » وهم يتولون تحرير المكاتبات الرسمية والفرامين والرسائل ، ويشترط فيهم السريّة والكفاءة .

٤ ــ ديوان الإشراف :

يسمى رئيسه « المشرف » ، وهو يختص بضبط الحسابات والإشراف عليها ، والموازنة بين الصادر والوارد . وينتشر نواب المشرف في كل ولاية . وديوان الإشراف بوضعه هذا متمم لديوان الاستيفاء .

٥ ــ ديوان عرض الجيوش :

يسمى رئيسه « العارض » . ويؤدي الديوان وظيفة هامة ... إذ يشرف على تنظيم سجلاّت الجنود وصرف مرتباتهم ، وعلى تسليح الجيش وإعداده وتموينه .

وكان لكل صاحب ديوان من الدواوين الخمسة التي ذكرناها نائب يتولى مهام منصبه أثناء غيابه . كما كان يعمل بكل ديوان عدد من الكتاب يشترط فيهم حُسن السمعة والنزاهة والكتمان وسعة الثقافة وجمال الخط .

وإلى جانب الدواوين الخمسة كانت هناك عدة مناصب إدارية لها وزنها وخطورتها ... يُعيّن أصحابها من قِبَل السلطان ، وهي :

(أ) الأمير الحاجب الكبير [1] :

صاحب هذا المنصب هو المشرف على سير الأمور في بلاط السلطان وهو حلقة الاتصال بينه وبين الرعية [2] ، وله نائب يعاونه .

وإلى جانب هذه الوظيفة الأساسية ... عليه أن يقود الجيوش ويوجهها ضد المارقين وأعداء السلطان . ومن سلطته سماع أوامر السلطان مشافهة وإبلاغها للوزير . وكان هذا المنصب محطّ أنظار الكثيرين ... إذ كان وسيلة سريعة للإثراء والشهرة . وكان أصحاب الدواوين يدركون ما للأمير الحاجب الكبير من نفوذ فيتقربون إليه ، ويستشيرونه في المسائل المتعلقة بدواوينهم ولو أدى ذلك إلى إغضاب الوزير .

وقد بلغ بعض الحجاب درجة من السطوة والنفوذ جعلتهم يتدخلون في شئون الدولة وفي تعيين حكّام الأقاليم . كما وصل الأمر ببعضهم حد مناهضة السلاطين ومحاولة القضاء عليهم [3] .

(ب) منصب وكيلدر السلطان :

ومنزلة صاحب هذا المنصب أخصُّ من منزلة الحاجب . ويقتضي المنصب من صاحبه أن يكون ملتصقاً بالسلطان ليعرف أخلاقه ومزاجه ، ويقف على ما يرضيه وما يغضبه ، حتى لا يحدّثه في أمر دون اختيار الوقت المناسب للحديث . ولكي يُقنع السلطان ... كان يشترط فيه أن يكون قوي الحجة بليغا بعيد النظر .

(١) الأمير الحاجب الكبير هو نفسه (حاجب سالار) الذي كان في عهد الغزنويين . أنظر : عباس اقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي ، ص ٢٣ .
(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، طبع بيروت ١٨٨٦ م ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .
(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ليدن ، ص ٣٣٧ .

(ج) منصب الشحنة :

منصب استحدثه السلاجقة ، وهو يشبه منصب المحافظ حاليا أو المتصرِّف . وكانت للشحنة مهمة رئاسة البوليس [1] ، وإليه توكل مسئولية ادارة المدينة والمحافظة على الأمن فيها .

(د) منصب العميد :

يعاون العميدُ الشحنةَ في إدارة الولاية ، وتوجيه القوات في حالة الشغب .

(ه) منصب الاسفهسالار :

كان الجيش يتكون من خليط من الأجناس ، وكان العنصر الهام فيه هو التركمان يليه الأكراد فالمماليك المتمرسون على القتال . وكان الاسفهسالار هو الذي يتقدم جيش السلاجقة في القتال . وكان السلطان يعيّنه من بين الأشخاص الذين يشتهرون بالصراحة والقوة والكفاءة العسكرية الناتجة عن وفرة التجارب .

(و) منصب الأتابك :

قام ذلك المنصب على أكتاف النظام الإقطاعي الذي يعدّ أساس الملكية

---

(١) يقول الدكتور عبد النعيم محمد حسنين في كتابه (سلاجقة ايران والعراق) أن كل أمير سلجوقي كان له حرس وأتباع يرأسهم شخص يدعى (أمير الحرس) . ثم يقول « إن حكم المدن الرئيسية في الدولة كان يوكل إلى شخص يدعونه (صاحب الشرطة) ، وهو رئيس قوة الأمن والنظام . وكانت الدولة تنفق على رجال الشرطة عن سعة وتمنحهم الرواتب الكبيرة » . ولعل هذه التسمية كانت سابقة على تسمية (الشحنة) الذي استحدثه السلاجقة .

أنظر : سلاجقة ايران والعراق ، طبع مصر ١٩٥٩ م .

في عهد السلاجقة ، والذي كان من نتائجه ظهور نظام الأتابكيات .

والإتابكية إمارة يقطعها السلطان السلجوقي لأحد خواصه المقرّبين ومعظمهم من مماليك السلاجقة الذين جيء بهم من بلاد القفچاق . وكان السلاجقة يربّون هؤلاء المماليك في قصورهم ويقلّدونهم المناصب ، ويلحقونهم بالجيش ويمنحونهم أرفع الرتب ... ويجعلون لهم الرياسة في البلاط [1] .

ومن أشهر الأتابكيات وأخطرها في العصر السلجوقي :

أتابكية الموصل ، أتابكية دمشق ، أتابكية سنجار ، أتابكية آذربيجان ، أتابكية لورستان ، أتابكية اربل ، أتابكية أرمينية ، أتابكية الجزيرة ، أتابكية فارس ، أتابكية كرمان [2] .

وبمرور الوقت قوي نفوذ الأتابكة وابتعدوا عن الإدارة السلجوقية المركزيّة ، وتوسّعوا على حساب الإمارات المجاورة لهم ، وتدخّلوا في النزاع بين الملوك والسلاطين ، وكانوا بمثابة أوصياء على العرش ... واتخذوا لأنفسهم ألقابا خاصة [3] .

---

(١) أنظر : Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, pp. 159, 171

Curtin : The Mongols History, p. 93.

(٢) Malcolm : The History of Persia, Vol., I, p. 232.

Lane Poole : The Mohammadan Daynasties p. 159, 1.

(٣) للوقوف على كثير من أخبار الأتابكة وأهمية هذا المنصب ارجع إلى :

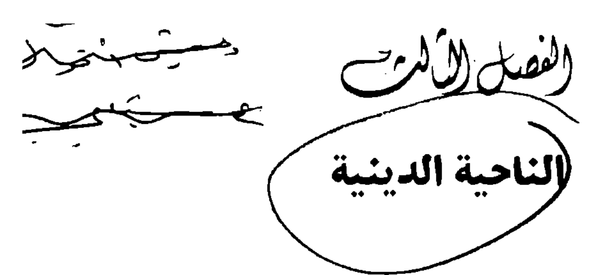
ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، طبع بيروت ١٩٠٨ م ، ص ٢٨٤ ،

كتاب النقض ، طبع طهران ١٣٣١ هـ ، ص ٢٣

كتاب النقض ، طبع طهران ١٣٣١ هـ ، ص ٢٣

ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص ٨١ ...

وإلى الفصل الذي سيرد في كتابنا هذا عن الأتابكة .



الفصل الثالث

الناحية الدينية

إلى جوار الاضطراب السياسي وسوء الحالة الاجتماعية .. ساد الاضطراب الديني والمذهبي في هذه الفترة وكثر المتعصبون ، حتى أن بعض من أرخوا لهذه الفترة ليعتبرونها الفترة التي وُضع فيها حجر أساس انحطاط المدنية الإسلامية ، وحلّ فيها التعصّب والتشدد مكان الحرية الفكرية [١] .

والحق أن النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والقرن السادس كله وبداية القرن السابع تعدُّ أهم الفترات التي اشتدت فيها الخلافات الدينية والعقائدية ، وراجت فيها العلوم الدينية ، وتدخل فيها العلماء المذهبيون والفقهاء في شئون الحكم والسياسة ، وحرّموا الفلسفة والعلوم العقلية ... مما تسبب عنه انحراف العلم عن محوره الحقيقي وهو البحث عن حقائق الأشياء ... وأدى بالتالي إلى ضيق النظر ، وجَعَل الفلسفة والحكمة تابعتين لمجادلات أصحاب المذاهب ومناظراتهم ، والمباحثات العلمية محدودة داخل نطاق الإحساسات المذهبيّة [٢] .

---

(١) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران ، طهران . ج ٢ ص ١٣٦ .

(٢) قاسم غني : تاريخ تصوّف در اسلام ، طبع طهران ١٣٢٢ هـ . ش ، ص ٤٦٤ .

وكان عامة الناس ممن يتبعون المذهب السني يعتقدون في الخلفاء العباسيين اعتقادا عجيبا ، ويتصوّرون أن مجرد سوء الظن بهم يستوجب غضب الله ، ويولّد الفتن والثورات ، بل وكانوا يرجعون كل مصيبة إلى غضب الخليفة أو حاول مكروه به .

وكان السلاجقة بدورهم يتعصبون للمذهب السني ، ويجارون عامة الناس في اعتقادهم في خليفة بغداد . بل إنهم كانوا يرون فيه الخليفة الحقيقي لرسول الله والمصدر الروحي الذي يمنح الحكومات صفتها الشرعية ، لذا بالغوا في احترامه ونصرته وتأييده .

فوجدنا طغرل أوّل سلاطينهم يمنع التركمان في سنة ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م من أن يسلبوا نيشابور ، ويرسل رسولا إلى الخليفة العباسي يؤكد له أنه والتركمان عبيد أمير المؤمنين (١) ووجدناه يخلّصه من فتنة البساسيري في عام ٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م ، ويعيد له كرامته وهيبته ... بعد أن أفلح البساسيري هذا في تخريب بغداد وبعض بلاد العراق وقطع الخطبة للخليفة السني وطرده وجعلها باسم المستنصر الفاطمي (٢) .

ومع ما كان عليه طغرل من قوة وعزة ومنعة ... فإنه كان لا يستنكف من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة وتقبيل يده ، وكان لا يجلس في حضرته إلا بإذنه (٣) ... مع أن الخليفة كان في غاية الضعف آنذاك ، وكان باستطاعية طغرل أن ينال منه بالتهديد ما تصبو إليه نفسه ؛ كما حدث حين أصرّ على

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧ ، ٨ ، أخبار الدولة السلجوقية ، طبع لاهور ١٩٣٣ م ، ص ١٨ وما بعدها .

(٢) اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ٣٨ - ٤٠ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، نشر هنري ماسيه ، القاهرة ١٩٢٠ ، ص ١٠ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٣ ص ٢٩٢ .

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٣ ، ١٤ .

زواجه من ابنة الخليفة (القائم) ... فوافق – بعد رفض – خشية التهديد [1] .

وقد واصل ألپ ارسلان سياسة طغرل فظاهر الخليفة وأيّده ، وخلّصه من الأسر ، وخالف معارضيه .

واستمر التقدير في عهدي ملكشاه وسنجر [2] .

ومن المظاهر التي تدل على مبالغة السلاجقة في احترام الخلفاء العباسيين وتأييدهم زيادة الإقطاع المعيّن لهم في فترة حكمهم عمّا كان عليه في عصر الديالمة البويهيين ، والسماح لهم باتخاذ جنود وغلمان لحمايتهم .

وإذا كان الخلفاء – طبقا لروايات كتب التاريخ – قد تعرضوا للإهانات بعد عهد السلاجقة العظام فإن ذلك لم يبد بصورة واضحة إلا في الفترة التي بلغ فيها الخوارزمشاهيون قمة قوتهم .

وإذا كان أهل السنّة قد نظروا هذه النظرة إلى الخليفة العباسي ، فإن أهل الشيعة قد عدوا الخلفاء العباسيين غاصبين ووصفوهم بذلك ، واتهموهم بالتقاعس وعدم الاهتمام بأمور الإسلام ، والامتناع عن الدفاع عن حدود الممالك الإسلامية وثغورها [3] .

---

(١) ارمينوس فاميري : تاريخ بخارى (ترجمة د. احمد محمود الساداتي) ، حاشية ١ ص ١٣٥ .

(٢) عطا ملك الجويني : جهانگشا طبع طهران (طبع سيد جلال الدين تهراني) جـ ٣ ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) يؤكد ذبيح الله صفا أن كل الغزوات والحروب الدينية – أي حروب المسلمين الدفاعية عن أراضيهم وجهادهم ضد الكفار – قد تم في ذلك العصر على يد أمراء الممالك المختلفة الذين من أصل تركي في الغالب ، ولم يشترك فيها الخلفاء العباسيون إلا اشتراكا تافها ضئيلا لا قيمة له .

أنظر : تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٢١٥ .

وكان عدد الفرق الشيعية في القرن السادس الهجري وأوائل السابع أربع فرق أصيلة هي :

النصيرية :

ويعتقد أتباعها في ألوهية علي بن أبي طالب . وكانت بقية الفرق ــ خاصة الزيدية ــ تحكم بكفرهم ، ولا تقبلهم في عداد أهل المذهب .

الزيدية :

تنقسم إلى أربع فرق تؤمن بعقيدة واحدة ، وهي أن الإمام شخص من بني فاطمة ، عالم شجاع عادل . فلما مات علي بن الحسين اعتقدوا في إمامة زيد بن علي الذي خرج في عام ١٢١ هـ وقتل . وكان بعضهم يؤمن بأن خلافة الشيخين صحيحة ، والبعض يتبرأ من الشيخين ، والبعض يحكم بكفر عثمان . وكان عدد أفراد هذه الفرقة كبيرا في القرن السادس الهجري ، ويتركّزون في گيلان وطبرستان وگرگان .

الإسماعيلية :

كانوا في أوج قوتهم في ذلك العصر ، يقومون بنشاط واسع في تبليغ معتقداتهم وإيجاد مراكز المقاومة في إيران ، ومكافحة الفرق الإسلامية الأخرى ، وإزالة السلاطين والأمراء والخلفاء المعارضين لهم من الطريق .

الشيعة الإمامية الإثني عشرية :

كان لها وضع أفضل وقدرة أكبر من سائر الفرق الشيعية في ذلك العهد .

ولم يتورّع غلاة الشيعة عن قتل الخلفاء العباسيين والفتك بهم ، ولم يلق ذلك استحسانا لدى السلاجقة فاصطدموا بالشيعة وناصبوهم العداء ، وحاولوا

الحدّ من نشاطهم ... بل والقضاء عليهم . وكان العداء شديدا أيام نظام الملك ، فلما مات شق الشيعة طريقهم بصورة أفضل .

وقد سارت الحوادث في أواسط القرن الخامس الهجري بصورة يُتصوَّر معها قرب زوال الحكومة العباسية وحلول الشيعة مكانها ... لولا غلبة السلاجقة على إيران . فقد رأى هؤلاء أن في سياسة دعم آل عباس ومساندتهم وسيلة لإحكام قدرتهم وسلطتهم في خراسان وما وراء النهر ... تلك الأماكن التي كانت تحت سيطرة العباسيين والمتعصبين من فرق السنة والمشبهة والمجبرة .

وقد أفادت هذه السياسةُ العاقلة السلاجقة وكانت في صالحهم ... إذ استطاعوا فعلا أن يكسبوا رضاء أهل تلك البلاد . وسرّتهم النتيجة ، فبالغوا في توقير الخليفة واضطهاد كل الفرق الشيعية وطردهم من أجهزة الدولة واستخدام القسوة وخاصة مع « الباطنية » . حتى لقد كان « الرافضة » في ذلك العهد يرادفون عبدة النار والكفّار ... ويُضرب المثل بقسوة السلطان ألپ ارسلان في هذا الصدد [١] . كما يتحدث المؤرخون عن عداوة السلطان محمود السلجوقي الشديدة للشيعة عامة والباطنية خاصة [٢] وكيف أنه في عهده وعهد أبيه قد حرمت الشيعة من امتلاك المدارس والخانقات ، ومُنع أفرادها من حضور مجالس البحث والنظر [٣] .

وكان العلماء من أهل السنة ممن يعيشون في خراسان — بما لهم من نفوذ — ينادون بمعاداة كافة الفرق غير السنيّة ، ويروّجون عددا من الأحاديث تحرِّض على قتلهم .

---

(١) خواجه نظام الملك الطوسي : سياستنامه ، طبع عباس إقبال آشتياني ، طهران سنة ١٣٢٠ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٨٢ .

(٣) نصير الدين أبي الرشيد عبد الجليل : بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض ، طهران ١٣٣١ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

ورغم تشدُّد السنيين عامة وحكّام السلاجقة خاصة فإن التشيُّع لم يتوقف عن الانتشار ، فكان للشيعة في البلاد الإسلامية وفي المدن الكبرى آلاف المنابر والمساجد والمدارس ... يقررون فيها مذهبهم ويروّجون له بصورة علنية . كما اشتهرت مكتباتهم ، وكانت لهم مجالس للفقه والشريعة يديرونها بأنفسهم . وقد اشتهر عدد كبير من علمائهم ، وتمكّنوا من الوصول بأعداد كبيرة إلى الوزارة في حكومات الخلفاء والسلاجقة والأمراء [١] . وبلغ بهم الأمر حدّ التجاسر على الدعاية لأنفسهم ، وإيجاد من يمتدح أئمتهم ، ولو أن ذلك كان يقابل بالقسوة من جانب بعض المتعصبين ... الذين كانوا يبالغون في انتقامهم إلى حد قطع لسان المادح [٢] .

وقوي نفوذ الشيعة في حكومات الترك بالعراق فكان لذلك النفوذ أثره في خراسان . وقد تبدى أثره أول ما تبدّى في موقف سنجر من الباطنية ... إذ يشيع بين المؤرخين أنه عقد معهم عهد مودة ووئام ، وأطلق أيديهم في النواحي التي امتلكوها .

وبدأت انطلاقة الشيعة إلى درجة أن مادحيهم كانوا يتغنون بمناقبهم ويعددون محاسنهم في الأسواق ، مما اضطر أهل السنة إلى مجاراتهم والحذو حذوهم وإنشاء طائفة تتغنى بفضائلهم وتشيد بمكارمهم ، وتمتدح أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وتسب الرافضة ، وتذكر أصول الجبر والتشبيه وأمثالها بغية اضعاف دعاية الشيعة .

وأصبح الشيعة يحتفلون بعاشوراء ، ويقيمون رسوم العزاء ، ويجددون ذكرى فاجعة كربلاء ، ويوجهون اللعنات إلى يزيد وأتباع يزيد .

---

(١) تاريخ ذبيح الله صفا ج ٢ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، نقلا عن مجالس المؤمنين لنور الله الشستري ، المجلس العاشر . يرجع إليه لمعرفة أسمائهم وأخبارهم .
(٢) كتاب النقض ، ص ٧٧ .

ومن السنّة من كان يجاري الشيعة وفقا لاعتقاد الإمامين : الشافعي وأبي حنيفة . وكان هؤلاء السنة يضيفون على مقتل الحسين مقتل عثمان ، وتوجيه اللعنات إلى قتلته .

وأصبح تأليف المراثي في آل البيت وإنشاء القصائد في مناقبهم أمراً عاديا بالنسبة لشعراء الشيعة . وقد بلغ الأمر بعلمائهم حدّ تأليف كتب في الكلام والتفسير والحديث ، وكتب في الرد على الكتب التي يضعها مهاجموهم وأعداء مذهبهم ... مما أوجد مناقشات شفوية وتحريرية .

وكان السنّة يرون أن إيمان الملحد وتوبة الرافضي لا قبول لهما ، وكانوا يسبّون الشيعة ويطلقون عليهم أسوء الألقاب ويقف منهم الشيعة نفس الموقف .

فالسنّة يطلقون عليهم ألقابا مثل : المجبرة ، المشبّهة ، الكفرة ، الملحدون ، والناصبية . بينما يطلق عليهم الشيعة هذه الألقاب : الرافضة ، الترابية ، الحلولية ، الحشوية ، المفوضون ، القطعية ، والإمامية وغير ذلك .

وكان السنة يأخذون على المذهب الشيعي – ضمن ما يأخذون – أنه صورة للدين الزردشتي مع تغيير شكلي ، وأن الإيرانيين–كي ينتقموا من الإسلام والمسلمين – قد دخلوا في لباس الإسلام عن طريق التشيّع ، وفعلوا ما يريدون – وكان بعضُ السنة يرون أن هناك تقاربا بين عقائد الشيعة والمجوس ، ويوردون من الأقوال والبراهين ما يؤكدون به رأيهم ويدللون به على أن كثيرا من عقائد الايرانيين القديمة وتقاليدهم قد نفذت إلى مذهب الشيعة ، واختلطت بمباني الدين الاسلامي [1] .

وكانت الخلافات بين السنّة والشيعة – في غير أوقات الهدنة – عنيفة تصل إلى الحرق وسفك الدماء . ويمكننا أن نذكر ما وقع بين الفرقتين من

---

(١) النقض ، ص ٤٤٤ ، نقلا عن كتاب بعض فضائح الروافض .

صدامات وسنوات وقوعها :

(ا) في عام ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م أزال السلاجقة ما كان يستعمله الشيعة في الآذان ، ونعني بذلك عبارة (حي على خير العمل) .

(ب) وفي عام ٤٥٧ هـ = ١٠٦٤ م قلع جماعة من باب البصرة باب مشهد العتيقة (جامع المنطقة) ليلا .

(جـ) وفي عام ٤٥٨هـ = ١٠٦٥ م خرج أهل الكرخ في موكب عزاء وأنكر الخليفة ذلك . وقام أهل باب البصرة وغيرها من محلات السنّة يلعنون أهل الكرخ ، وتجمهروا في باب الخليفة .

(د) وفي عام ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م قامت فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلائين ، وحدث حريق في الكرخ .

(هـ) وفي عام ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م (في شهر ذي الحجة) ثارت فتنة جديدة ، وحرق قسم من الكرخ وشطر من باب البصرة ، وتدخّل الشحنة في إنهاء الفتنة .

(و) وفي عام ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م وقع صدام بين السنة والشيعة ، وكانت الوقعة بين جامع المنصور والقنطرة العتيقة ، وساهم العميد والشحنة في قتال السنة .

(ز) وفي عام ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م تقاتل السنة والشيعة وتدخّل الشحنة في فض القتال .

(حـ) وفي عام ٤٨٢ هـ = ١٠٨٩ م قامت فتنة بين السنة والشيعة راح ضحيتها الكثير من الأنفس والأموال .

(ط) وفي عام ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م . ثارت الفتنة بين السنة والشيعة ، وتدخّل الشحنة ، ونهبت الكرخ واحترقت .

(ي) وفي عام ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م اصطلح عامة بغداد سُنّة وشيعة .

(ك) وفي عام ٥١٧ هـ = ١١٢٣ م ثار العامة في بغداد ونهبوا مشهد باب التبن ، وقلعوا أبوابه .

(ل) وفي عام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م قامت فتنة بين السنة والشيعة بمدينة واسط .

(م) وفي عام ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م ثارت خصومات بين أهل باب البصرة وأهل الكرخ .

وإلى جانب هذا النزاع المستمر بين السنة والشيعة ... كان هناك نزاع بين المذاهب السنية وبعضها .

وقد راجت المذاهب الأربعة في هذاالعهد في كل الممالك الإسلامية إلى حد بعيد . وإن كان المذهبان : الحنفي والشافعي قد راجا في إيران أكثر من غيرهما وخاصة في أقاليمها الشرقية . وكان حكام السلاجقة يعتنقون المذهب الحنفي ... بينما كان وزراؤهم ما بين حنفي وشافعي . فالكندري مثلا كان حنفي المذهب متعصبا للغاية ، ثم أصبح يساوي بين الحنفية والشافعية.(١) بينما كان نظام الملك شافعي المذهب يوقف كلَّ المدارس التي ينشئها على أصحاب الإمام الشافعي . وكان الملوك والوزراء يولون اهتمامهم أئمةَ الشافعية والحنفية والأشاعرة . وكان الصوفية يفضلون المذهب الشافعي على غيره .

وكانت كل طائفة في ولاية .. لها خطبتها وسكّتها الخاصة بها ، وكانت تصوغ الأحكام وتصدر الفتاوى طبقا للمذهب الذي تتبعه .

وكان أهل السنة والجماعة ينقسمون إلى سبع فرق (٢) ... يدور الجدال

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام ، طبع عباس إقبال آشتياني ، طهران ١٣١٣ هـ ، ص ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ .

بينها حول تفضيل المذهب الحنفي على الشافعي أو العكس ، أو حول تفضيل أحد هذين المذهبين على سائر المذاهب . كما كان الجدال يدور أحيانا حول اختلافات العلماء ومجادلاتهم المذهبية التي تملأ البلاد [1] .

كما كان السلاطين والأمراء والوزراء يشرفون على مجالس تُعقد لبحث المسائل المذهبية ... ويحرص العلماء وأئمة الفرق المختلفة ومشاهير الرجال على حضور هذه المجالس .

وكانت المباحثات والمشاجرات بين الفرق تؤدي إلى تحريك العامة وإثارتهم وإبراز تعصّبهم ، وتشجع على المجادلة وتخريب المكتبات وإحراقها .. بل وإراقة الدماء . وكانت كل فرقة تعتبر العمل الذي تقوم به ضد غيرها قربى إلى الله ينيلها ثوابه ورضاه . غير أن كل فرقة على حدة كانت تحارب الإسماعيلية خاصة والشيعة عامة حربا لا هوادة فيها . ولما كان موقف هذه الفرق الاسماعيلية قاسيا ..اندفع أفرادها في طريق الانتقام ، وقتلوا الكثيرين ، فذهب ضحيتهم الوزراء والأئمة والأمراء والغلمان الأثيرون لدى السلاطين .

وقد تدخل سلاطين الدولة السلجوقية وامراؤها بصورة بشعة لنصرة طائفة على الأخرى . ففي عهد محمود ومسعود مثلا أوذي المشبهة في أصفهان ، وأوذي الجبرية في الري وصودرت أملاكهم . وكان مسعود يحبس الفقهاء والأئمة الذين يدينون بمذهب الجبر ، فاذا ما ثار أتباعهم أمر بشنق اثنين أو ثلاثة ليعودوا عن ذلك المذهب ، أو دفعهم قسرا إلى كتابة اعترافات بخط

---

(١) كان أشد أنواع النزاع بين الفرق السنية يتمثل في النزاع بين الأشاعرة والحنابلة . وبالرجوع إلى (الكامل ، حوادث ٤٤٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٥ – وإلى المنتظم ، جـ ٨ ص ٦٣ ، ٣٠٥ وإلى نفس المرجع جـ ٩ ص ٤٠٣ ، وإلى البداية والنهاية ، جـ ٢ ص ١١٥ ...) نجد لهذا النزاع جذورا قديمة . فقد قامت فتنة بين الحنابلة والأشاعرة في عام ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م ، وحدث نفس الشيء في عام ٤٦٩ هـ = ١٠٧٦ م . كما دارت مناوشات كلامية بين الطائفتين في عام ٤٧٥ هـ = ١٠٨٢ م . وقد استمر النزاع بينهما في القرن السادس الهجري .

يدهم يبطلونه بها . وقد حارب – إلى جانب الجبرية – المشبهة والأشاعرة ، وقسى على العلماء والفقهاء في قزوين والري وأصفهان وبغداد وما تحت يده من أقاليم ، وحثهم على ترك عقائدهم مستخدما التعذيب والتنكيل . ولم يتوان عن قتل بعض العوام المخالفين للاعتزال ، وبذا عاش الأشاعرة والجبرية والمشبهة فترة من الزمن في خذلان [1] .

وقد راجت سوق الاتهامات والافتراءات في ذلك العصر رواجا عجيبا ، وأخذت الكتب المذهبية التي يدبجها علماء طائفة ما تذكر فضائح الطائفة المعادية لهـــا ، وتهوّل وتجسّم وتحث الناس على التبرئة منها . ثم تظهر كتب الطائفة التي هوجمت فتنتقض الكتب السابقة عليها وتفنّد مزاعمها وتوجّه الطعنات بدورها . وقد تسبب عن ذلك إهانة الناس لبعض كبار رجال الدين وتجاسرهم عليهم . فقد تقوّل السنّة في حق علي بن أبي طالب وأولاده وخلفائه ، وهاجم الشيعة الشيخين وعثمان ومعاوية ويزيد وآل مروان .

وقد كثر الفقهاء [2] نتيجة لتشجيع السلطات الرسمية لهم وتعظيمها إياهم ، ونتيجة لتغلغل الدين بين الناس واعتقاد عامة المسلمين في المسائل الدينية وحب العوام لها ، وضعف العلوم العقلية أو تركها ، ووجود المدارس المذهبية ، ووقف الأوقاف على طلبة العلوم الدينية وأساتذتها .

وكان هؤلاء الفقهاء كثيراً ما يتعرّضون للنفي والحبس والتعذيب والإلزام بترك عقائدهم . أما الشعراء فقد شاركوا في الرد على الخصوم [3] وسخّر

(١) النقض ، ص ٤٨٦ – ٤٨٩ .

(٢) كان ما يقرب من ٦ آلاف فقيه من كبار أئمة آل مازه ورؤسائها يعيشون في بخارا وحدها في كنف برهان الدين محمد المعروف بصدر جهان ، وكانوا ينتمون إلى الطائفة الحنفية . ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ١٥٩ .

(٣) من أمثلة ذلك هجوم أحد الشعراء واسمه (ظهير) على أحد المعتزلة ، وقوله له في=

بعضهم الشعر لبيان العقائد المذهبية ... وإن كان بعضهم قد امتدح الخلفاء الأربعة وساوى بينهم ولم يتعرض كثيرا للنواحي المذهبية إما بدافع الخوف أو المداراة .

وممن سخّروا الشعر لبيان العقائد المذهبية وترويج الدعايات الدينية .. الشاعر « ناصر خسرو » ، فقد أثبت عقائده ضمن مناجاته لله ومدحه لرسوله .

وقد تسبّب الوضع الديني في ضيق أفق الشعراء وقصر نظرهم . كما أدى إلى تزلزل الروح المعنوية وإشاعة الخرافات وتوقع الناس للموت والكوارث . وأصبح الشعراء يتحدثون عن انعدام الفضائل ويذمّون الاختلاط ، ويحبّذون الوحدة والانزواء [١] .

وهناك فرقة واحدة بقيت بعيدة عن دائرة التعصب إلى حدٍّ ما ، ووجد الناس فيها مرفأ الأمان فألقوا بأنفسهم في أحضانها ... مما قوّى نفوذها إلى حد كبير ... تلك هي فرقة الصوفية[٢] . فقد كان أصحابها — باستثناء كراهيتهم للفلاسفة ومهاجمتهم لهم [٣] — أكثر تسامحا وأرجح عقلا .

وقد تغلغلت أفكار الصوفية في أدب الدولة السلجوقية ، وأثرت فيه على

= صراحة :

ترا تيغ هجا پاره پاره خواهم كرد — كه كشتن تو مراشد فريضهٔ كلى

والترجمة : سأمزقك بسيف الهجاء إربا إربا ... فقد أصبح قتلك فريضة كلية عليّ ..

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٣ ص ٢٧٨ .

(٢) لم تكن كل فرق الصوفية بالطبع بعيدة عن دائرة التعصب ، وقد ضربنا المثل بفرقة (الأخية الفتيان) ... وهي إحدى الفرق الصوفية التي كانت تستخدم القوة في إصلاح المجتمع وتلجأ إلى القتل انتقامامن الظالمين .

(٣) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي : تهافت الفلاسفة ، طبع بمباي ١٠٣٤ هـ ، ص ٣ ، ٤ .

نحو جعله مملوءاً بالمعاني المجازية والاستعارات والكنايات الإشراقية الصوفية ، وحافلا بشطحات القوم . وازداد نفوذ التصوف في الشعر حتى أصبحت نغمة جزء كبير منه مستمدة من التصوف .

وكانت الصوفية – باستثناء الفرق المغالية – بمثابة العامل الملطّف في ذلك الجو المشحون بالخلافات المذهبية والمهاترات الأدبية .

ولا يمكننا الادعاء بأن الصوفية – رغم احترام الناس والأمراء والسلاطين للمسالمين منهم – قد سلموا من الهجوم بدورهم ، فقد هوجمت بعض فرقهم لاعوجاج في مسلك أفرادها وسوءٍ في معتقداتهم ... كفرقة (الواصلية) التي كان أتباعها يرون أنه بحصول المعرفة يتم الوصول إلى الحق ، وان الواصل تسقط عنه التكاليف والشرائع الدينية . وكإحدى الفرق التي هاجمها حسن الرازي لاشتهار أفرادها بحب الطعام والطواف حول العالم طلبا للقمة العيش ، وعدم كفّهم عن الرقص [١] .

كما ان أحد الأشاعرة المتكلمين [٢] قد حكم بكفر عدد من المشايخ وأكد زندقتهم . وذكر أن صوفية القرن السادس الهجري كانوا يعيشون في رباطات أنشئت بأموال من حرام وعلى يد ظلمة طغاة في أغلب الأحيان . وأكد أنهم كانوا يعيشون في راحة ودعة ، يقسمون وقتهم بين الشراب والنوم والصلاة والرقص ، ويطلبون نفقات معيشتهم من كل ظالم . وأخذ هذا المتكلم – الذي كان يعيش في القرن السادس الهجري – على بعضهم أنهم كانوا يمضون أكثر أوقاتهم في الجدل ومقابلة الناس ، ويمنعون القوم

---

(١) حسن الرازي : تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام ، طبع طهران ١٣١٣هـ ، ص ١٢٢ – ١٣٣ .

(٢) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي : تلبيس إبليس ، طبع مصر ١٩٢٨ م ، ص ١٦٠ – ٣٨٧ .

من قراءة القرآن والحديث في الرُبط ، ويبذّرون ليتجرّدوا من الأموال ... بينما هم لا يسعون لكسبها .

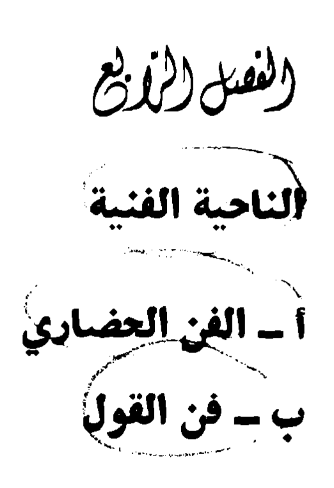
كما أخذ على بعضهم أنهم كانوا يرتدون الصوف تحت المرقّعات ، ويرتدون تحت الصوف رداء ناعما . وقال إن منهم من كان يلهو مع الأمراء ويعرض عن مجالس الفقراء . أو يقلل كمية طعامه حتى يصبح في إمكانه تدريجياً أن يترك الطعام عدة أيام متوالية . وكانت مثل هذه الحالة تؤدي بصاحبها إلى الوسواس والجنون وسوء الخلق . وقال إن منهم من كان يكثر من أكل الطعام ويشتهيه حتى ليملأ عمامته من طعام المضيف دون إذنه بعد أن يتخم بالطعام . ومنهم من كان يضيّع يومه في النوم والبطالة والتوكّل والبعد عن الاشتغال بالعلم ، ويحل لنفسه الاستماع ويحرم عليها الزواج والبكاء على الموتى ، ويترك الجمعة والجماعة محافظة على عزلته وانزوائه .

وهكذا كان لهم من يحميهم وكان لهم من يناصبهم العداء ... وكان لهم من يعتنق مذهبهم ومن ينسب إليهم تهمة الإلحاد والزندقة . وكان هذا مسوغا لقتلهم وإهلاكهم ، فقد كان القتل بسبب الإلحاد والزندقة أمرا معمولا به في القرن السادس الهجري . فبناء على أمر (قوام الدين الدرگزيني) وزير سنجر قُتِل (عبد الله بن محمد الميانجي الهمداني) وسلخ جلده ، وعُلِّق جسده مدة قبل أن يُلَفَّ بحصير ويُحرق .

وكان الميانجي من كبار مشايخ القرن السادس الهجري وأحد مريدي أحمد الغزالي . وكانت العامة قد تعصبت ضده لاهتمامه بمسلك الحلاّج وادّعائه الألوهية ، فتمّ بشأنه ما رأينا [1] .

---

(١) انظر : ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در إيران ، جـ ٢ ص ٢٢٨ .



الفصل الرابع

الناحية الفنية

أ ـ الفن الحضاري

ب ـ فن القول

تمهيد :

في هذا الفصل سوف يكون حديثنا عن الفن بكل ألوانه ... وفق المفهوم السائد . أي أن حديثنا سيكون حول ما رأيت أن أسميه **بالفن الحضاري** ... وهو يشمل المعمار والصنعة والنقش والتصوير والموسيقى وغير ذلك ... كما سيكون حديثنا حول ما أسميته **فن القول** ، ويشمل الأدب بشقيه : الشعر والنثر .

وقد راج الفن بصفة عامة في عهد السلاجقة وارتقى رقيا ملحوظا نظراً لتشجيع السلاجقة للفنانين وحمايتهم لهم [١] ، إذ كانت الفنون ـ خاصة

(١) M.S. Dimand : A hand book of Mohammadan Art, p. 173.

الحضارية – تبهرهم وتسدُّ حاجتهم النفسية وترضي أذواقهم كبدائيين . ويمكننا القول بأن روائع الفن الإيراني قد حفظت لنا منذ عصر السلاجقة ، وأن الفن لم يبق حياً مقرونا بالابتكار داخل إيران وحدها بل بسطت السلاجقة أصول الفن الإيراني ... فأصبحت هذه الأصول تبدو في بلاد الشام وآسيا الصغرى بل وفي مصر وشمال افريقيا . ويمكننا أيضا أن نقول إن نهضة فنية نادرة قد وُجدت في هذا العصر وامتد تأثيرها إلى العصر المغولي [1] ، وأن هذه النهضة كانت من العظمة بحيث يرى دارسو الفنون أن العصر السلجوقي كان أزهى عصور الفن الإيراني .

وإن نظرة فاحصة إلى فن هذه الفترة لتؤكد أن الفن قد انتقل إلى مرحلة التفنن .

* * *

(أ) الفن الحضاري :

المعمار :

انتقل السلاجقة من مرحلة الترحال إلى مرحلة الاستقرار ... فاتجهوا بكليّتهم إلى إنشاء البنايات الضخمة لتتفق وحياتهم الجديدة . وقد ساعدهم على ذلك وجود عدد من العمال الذين تعلّموا المعمار ومارسوا البناء قبل أن يستقر السلاجقة في ايران ، وشاهدوا مدنية الغزنويين وحضارتهم الرفيعة . كما ساعدهم وجود عدد من الوزراء في بلاطهم من أصل إيراني ، لهم اهتمامات بفن المعمار [2] .

---

(١) كريستي ويلسن : تاريخ صنايع إيران (ترجمة فريار) ، طبع طهران ١٣١٧ هـ = ١٩٣٨ م ، ص ١٤٢ .

(٢) تراث فارس (ا . ج . اربري ، ومجموعة من الأدباء المستشرقين) نقله للعربية لفيف من الأساتذة المصريين ، طبع القاهرة سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٦٥ .

وقد يتبادر إلى الذهن ان الفن المعماري السلجوقي كان تقليدا للفن المعماري الغزنوي ... إلا ان هذا غير صحيح فقد كان للمعمار السلجوقي أسلوبه الخاص الذي يتميز به عن المعمار الغزنوي وغيره ، وكان به ابتكار وجمال إلى حد كبير [1] . وقد وجد في العهد السلجوقي طراز معماري قائم بذاته يمتاز بضخامة العمارة واتساعها وقوة مظهرها ، واستخدام الزخارف المجسّمة المتنوّعة ولاسيما في واجهاتها وأبوابها . كما كان المدخل يمتاز بالضخامة والمهابة .

وأعظم ما حققته العمائر السلجوقية من تجديد هو تزيين الجدران بالزخارف القاشانية من اللوحات أو الفسيفساء . ومما هو جدير بالتسجيل أن استعمال القاشاني الملوّن في المعمار قد بدأ مع هذا العصر [2] ، وأن ذلك كان سببا في اتساع الزينة وتقدّمها في العصور التالية .

ويرى المهتمون بفن المعمار أن كمال المعمار لدى السلاجقة كان يتمثل في التناسب وفي شكل البناء أكثر مما يتمثل في الزينة [3] .

ولم تكن البنايات الدينية التي أنشأها السلاجقة قاصرة على المساجد ، فقد كثر بناء الأضرحة على شكل أبراج اسطوانية أو ذوات أضلاع وأوجه عدة ، أو على شكل عمارات ذات قباب .

كما أدخل السلاجقة بناء المدارس لتعليم المذهب السني الذي اتخذ صفة رسمية على يد دولتهم . وكان لبناء المدارس أبلغ الأثر في تصميم المساجد

---

(١) د . عبد النعيم حسنين : نظامي گنجوي ، ص ١٥٢ .

(٢) يظهر ذلك بوضوح في مقبرة السلطان سنجر بمرو ، فالقبة مغطاة بالقاشاني الأزرق : أنظر : ويلسن : تاريخ صنايع ايران (ترجمة فريار) ، ص ١٦٢ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

بعد ذلك . وكانت المدارس تمتاز – شأنها شأن المساجد – بالصحن المستطيل [1] .

وقد أدخلت على المساجد فكرة الساحة المفتوحة في وسط البناء ، تحيط بها عقود مسقوفة ، وايوان على كل جانب من جوانب الساحة ، وردهات للصلاة على جانبي كل إيوان . ويتمثل ذلك في مسجد زواره الصغير الذي بُني حوالي عام ٥٣٠هـ = ١١٣٥ م .

ولكن أكثر المساجد التي أنشئت في ذلك العصر كانت توجد فيها الحجرة المربعة التقليدية المتوّجة بقبة ، أما الإيوانات فقد أضيفت في زمن متأخر لتكملة البناء . وكانت الحجرات المربّعة المقبوّة مستعملة أيضا في المزارات والقبور . وقد وجدت نماذج مثالية لذلك في (سنگ بست) قرب مشهد ، وفي قزوين وبارسيان [2] .

وقد أتبع في هذا العصر أسلوب بناء المساجد ذات الإيوانات الأربع ... وذلك في المدن الكبرى فقط ... نظرا لما كان يتكلفه هذا النمط من تكاليف باهظة . وقد ارتقت صناعة السقف ، اذ استبدلت الطاقات الهلالية الشكل بسلسلة من القباب الصغيرة . هذا وقد استخدمت القوائم ذات الزوايا الثمانية أحيانا مكان الحائط في حمل القباب ، وذلك في القسم الرئيسي من إيران دون سواه .

وعرفت إيران في المساجد المحاريبَ المسطّحة الخالية من التجويف ... وعليها رسوم تمثّل محرابا يحف به عمودان بارزان . وكانت هذه المحاريب تصنع من الجص أو القاشاني ذي البريق المعدني [3] .

---

(١) زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، طبع القاهرة ١٩٤٠ م ، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢) يوجد المسجد الكبير ومسجد حيدرية في قزوين ، ومسجد كلبايكان في بارسيان . أنظر : ايران ماضيها وحاضرها ، ص ٦٣ .

(٣) الفنون الإيرانية ، ص ٢٠ .

ومن أكبر الآثار المعمارية الإسلامية وأهمها في ايران المسجد الجامع باصفهان . وتوجد بهذا المسجد قبّة لا يزيد قطرها من الداخل عن ١٠ أمتار ، وهي تطابق كل المطابقة القبة الكاملة التي حددها المهندسون بعد كشف مبادىء الرياضيات العليا بواسطة نيوتون ... أي ان هناك قبة كاملة قد بنيت على أصول رياضية قبل زمن نيوتون بستة قرون ، وهذا موضع فخر كبير للمعمار السلجوقي (١) .

ومن الأبنية السلجوقية مسجد محمود شاه في گلپايگان ، ومسجد برسيان الذي بني في عام ٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م ، ومسجد زوارة الذي بني قرب أردستان في عام ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م ، ومسجد اردستان (٥٥٣هـ = ١١٥٨ م) ، ومسجد دماوند (في حدود ٥٠٠ هـ = ١١٠٥ م) (٢) .

ومن جملة الأبنية التي ترجع إلى عهد السلاجقة .. السور الذي بناه طغرلبك في عام ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م ، والدار التي بناها هذا السلطان نفسه .

ومن أشهر الأبنية في بغداد بناية المدرسة النظامية التي تكلفت مائتي الف دينار (٣) والتي كانت تتفوّق في روعتها على المدارس الثلاثين التي كانت موجودة آنذاك في القسم الشرقي ، رغم أن هذه المدارس الثلاثين كانت أروع من أي قصر منيف (٤) .

كما أن السلاجقة قد بنوا قبة عالية على قبر الإمام أبي حنيفة بعد تجديده .

---

(١) تاريخ صنايع ايران ، ص ١٥٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٤ .

(٣) سعيد نفيسي : المدرسة النظامية ، بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي ، نشر في عام ١٩٥٤ م .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، طبع بغداد ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م ، ص ١٨٣ .

وقد زالت معظم المباني التي شيّدها السلاجقة على كثرتها ، وظلت الربط التي أنشأوها تراثاً للأبنية السلجوقية ومثالاً يحتذى في الطراز والأسلوب .

وأدى فتح السلاجقة للعراق والشام وآسيا الصغرى إلى تأثر تلك الأقاليم بالأساليب المعمارية التي سادت إيران (١) .



---

(١) ديماند : الفنون الإسلامية (ترجمة أحمد عيسى) طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ م ـــ الطبعة الثانية ، ص ٩٩ .
ارنست كونل : الفن الإسلامي (ترجمة أحمد موسى) ، ص ٦٣ .

المآذن والأبراج :

منذ القرن السادس الهجري (١٢ ميلادي) عمّ استعمال المآذن السلجوقية الاسطوانية الشكل ، الشاهقة الارتفاع .. وانتشرت في أنحاء إيران . وكان المؤذن يؤذن فوق سطح المسجد ، ولا يؤذن فوق المئذنة لارتفاعها العظيم.[١] ويرى المتخصصون أن ما بقي عن السلاجقة من مآذن يعدُّ أفضل نموذج لصناعة الآجر . ومن السمات البارزة في العهد السلجوقي أن كان القسم العلوي من المئذنة يطلى باللون الغامق .

وفي آخر العصر السلجوقي كانت المآذن ذات ثلاثة أقسام يصغر كل قسم منها عن الذي بأسفله . وكانت هذه المآذن تزيّن بنقوش من الآجر متكررة الوضع تغطّي الجسم كلّه أحياناً أو تغطي مناطق منه ، ويستخدم الآجر في الكتابة عليها بصورة بارزة .

كما استعمل القاشاني في تزيين المآذن في آخر هذا العصر ، ولكن بقلّة [٢] .

هذا وقد شاع في عصر السلاجقة بناء أبراج المقابر المشيدة من الآجر . [٣]

---

(١) زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ، ص ٥٢ .

(٢) يمكن معرفة أشهر المآذن التي أنشئت في عهد السلاجقة وسنوات انشائها بالرجوع إلى المقال القيم للباحثة گوادر ، وعنوانه : منارههاي أصفهان ، ص ٣١٣ والمقال منشور بمجلة آثار ايران ــ العدد الثاني .

(٣) يمكن معرفة أشهرها وسنوات الإنشاء برجوعنا إلى : تاريخ صنايع إيران ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

أدّى فتح السلاجقة لبلاد العراق وسوريا وآسيا الصغرى إلى تطور زخرفي كبير في فن النحت في تلك الأقاليم [1] . ففي العراق زاد اهتمام الأهالي عامة والخلفاء خاصة بالعمران ، وانصرفوا إلى تشييد القصور الفخمة فتقدم الفن المعماري . وانتشر طراز جديد ، تأثروا فيه قليلاً بالأساليب المعمارية السلجوقية التي سادت ايران وآسيا الصغرى والشام [2] .

وقد اهتم السلاجقة بعد استقرارهم في آسيا الصغرى (بلاد الروم) بالعاصمة (قونية) .. فأنشأوا بها الكثير من العمائر البديعة كالمساجد والقصور والبوابات ، واستخدموا النحت في زخرفة المباني من الداخل والخارج . ويتجلى في مساجد قونية أبدع أمثلة الزخارف السلجوقية بما في ذلك النقوش الكتابية . وقد وَصَف المتخصصون في فن النحت الفنانين المشتغلين بفن النحت السلجوقي في آسيا الصغرى في تلك الفترة بأنهم مهرة قادرون [3] .

وقد أبدع المعماريون في العصر السلجوقي في استخدام الجص في الزخرفة ، وكوّنوا منه أشكالاً آدمية ، وحيوانية ذات قيمة فنية عظيمة .. وكان بعض هذه الأشكال ملوناً . وفي نهاية القرن السادس الهجري ازدهرت صناعة الزخارف القاشانية .

وعرف الإيرانيون أنواعاً من كسوة الجدران منها النجوم البسيطة ذات اللون الواحد أو اللونين ، ومنها القطع الصليبية الشكل ، والتي يغلب عليها اللونان : الأزرق والفيروزي الفاتح أو اللازوردي الغامق . كما جمعوا بين

---

(١) ديماند : الفنون الاسلامية (ترجمة أحمد عيسى) ، مصر ١٩٥٨م – الطبعة الثانية ص ٩٩ .
(٢) الفن الاسلامي (ترجمة أحمد موسى) ، ص ٦٣ .
(٣) الفنون الاسلامية ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

ذلك وبين الرسوم الآدمية والحيوانية والنباتات الدقيقة . وكان البريق المعدني يزيد كل ذلك جمالاً وبهجة .

ويرجع استخدام التربيعات المصنوعة من الخزف ذي البريق المعدني – فيما يبدو – إلى القرن الخامس الهجري (١١ ميلادي) .. وقد نمت صناعته نمواً عظيماً ، وصار يصدَّر من قاشان إلى سائر أنحاء إيران والشرق الأدنى .

أما الفسيفساء الخزفية فقد أُتقنت صناعتها في القرن السادس الهجري (١٢ ميلادي) واستمر رقيها في ازدياد مضطرد .

واذا تعرضنا للنقوش الحائطية أمكننا أن نقول إن ما خلّفته لنا هذه الفترة من صور حائطية يتميز بعدم مراعاة الفنّان لقواعد المنظور ، وميله إلى ترتيب الصور في أشرطة أفقية . ويمكننا أن نستنتج من سحنة الأشخاص المرسومين أن الفنان كان متأثراً بالأساليب الفنية الصينية والهندية والهلّينية والساسانية مجتمعة [1] .

وقد لعب فن نحت الحجر والجص دوراً هاماً في الزخرفة الداخلية والخارجية في العصر السلجوقي ، وكانت زخارف التوريق والكتابة عناصر رئيسية في الزخرفة . وأصبح من مميزات الحفر السلجوقي تقسيم السطح إلى مستويات .. وقد سار الفنان المغولي والتيموري على نفس النسق [2] .

وقد بلغت الزخارف حداً كبيراً من الإتقان . أما موضوعاتها فكانت في جملتها مناظر للصيد وحفلات البلاط ، وصوراً للأمراء على عروشهم ومن حولهم الموسيقيون والندماء وأفراد الحاشية . وكان بروز النحت في الصور الآدمية يبلغ أحياناً درجة تقرّبه من أن يكون نحتاً تام التجسيم . كما شاع التلوين في الزخارف الجصيّة المحفورة في ذلك العهد . وكانوا ينحتون الجامات ثم

---

(١) زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) الفنون الإسلامية ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

يثبتونها في صفوف على الجدران بحيث تتناسق مع رسوم الحائط المشابهة لها في ألوانها .

ويدلُّ تشابه الزخرفة في المباني الإسلامية والمسيحية على أنَّ حكام السلاجقة قد استخدموا نحاتين مسيحيين إلى جوار النحاتين المسلمين [1] .

واذا كان الفنان السلجوقي قد جمع كثيراً بين الرسوم النباتية والزخارف الهندسية ، واستعمل الرسوم التوضيحية ذات الصور الآدمية ، واستخدم الكثير من الحيوانات والطيور في الزخرفة .. فإن النقوش الخطية التي استعملها كانت أعظم الزخارف شأناً . وكان الفنان يستخدم هذه النقوش الخطية لذاتها عنصراً زخرفياً . وقد وُفِّق إلى ايجاد الانسجام والجمال الزخرفي العظيم فيما استخدمه من خطوط . كما استخدم الكتابةَ المستديرةَ الحروف ، والخطوط النسخية المحوّرة بعض التحوير .

أما الزخارف الهندسية فقد بلغت الأوج منذ القرن الخامس الهجري (١١ ميلادي) ، وكان أساسها المثلث والمربّع والدائرة .. وقد أبدع الفنان في وصل الزخارف وشبكها وإدخال بعضها على بعض [2] .

الخط :

كان الخطاطون أعظم الفنانين مكانة في العالم الإسلامي عامة وفي ايران خاصة ، وذلك لاشتغالهم بكتابة المصاحف ونسخ كتب الأدب والشعر المحبوبة لدى الإيرانيين .

وكان رجال الدين برضاهم عن الخطاطين يساهمون في تقدم فن تحسين

---

(١) الفنون الإسلامية ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) زكي حسن : الفنون الإيرانية ، ص ٢٧٢ – ٢٨٧ .

الخط . وكان الخطاط يعرف عمق مكانته في القلوب ، ولذا كان يكتب اسمه مفتخراً في ذيل كتابته [1] . وكانت الخطوط الشائعة في هذا العهد كثيرة حتى أن الراوندي المؤرخ ليذكر أنه تعلم سبعين نوعاً من الخط [2] .

وقد استخدم السلاجقة نوعين من الخط العربي هما الخط الكوفي والخط النسخ أكثر من غيرهما ، وبلغ الخط الأخير غاية نموه في عهدهم [3] ، وشاع استعمال الكتابة النسخية المستديرة .

وقد انتقل الخط النسخ إلى العراق فتقدَّمَ خطوطَ الكتابة بها ، واحتل مكانه على واجهات المساجد والمآذن والقباب في بغداد .

كما تطوَّر الخط الكوفي الإيراني تطوراً كبيراً في المصاحف السلجوقية التي أصبحت غنيّة بتذهيبها . والخط الكوفي الإيراني نعني به الخط الذي ابتكره الخطاطون الإيرانيون مشتقاً من الخط الكوفي العباسي . وهو يتميز بظهور المدّات فيه أكثر وضوحاً من الجرّات .

وقد كُتبت بعض الآيات بخط كوفي يعتبر غاية في الزخرفة ، إذ تنتهي فيه المدّات بزخارف نباتية بديعة ، وتزدحم زخرفة الأرضية التي تمتد عليها الحروف بوريدات وتفريعات مذهبة . ونرى هذا النوع من الزخارف الكوفية في العمائر السلجوقية وفي بعض النقوش الحائطية . كما اشتهر من الخط الكوفي نوع يعرف بالكوفي المزهر .

وفي بعض الكتابات على الأوراق تبدو البراعة في الجمع بين الكتابة الجميلة والزخرفة الرائعة التي تتكون من تفريعات المراوح النخيلية المرسومة بالمداد البني .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٦٢ ، ٦٣ .
(٢) راحة الصدور ، ليدن ، ص ٤٠ – ٤٤
(٣) ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص ٧٧ .

وإلى جوار ابتكار الخطاط أشكالاً كثيرة من الخطين الكوفي والنسخ .. كان الخطاط يتحكم تحكماً تاماً في الأحرف التي يكتبها ، كما يتحكم الموسيقى في أحاسيسه وهو يصوغ نغماً بذاته .

هذا وقد شاع استخدام الورق في العصر السلجوقي ، ولم يعد الرق يستخدم إلا في المناسبات النادرة [١] .

التذهيب :

كان التذهيب يلازم الخط في معظم الأحيان وكان يكسبه قدراً وقيمة .. وكان الفنان يستخدمه في نقط الخط وشكله . وقد بدأت في عصر السلاجقة طريقة جديدة في الزخرفة والتذهيب واستمرت مستعملة في العصور التالية ، وقوام هذه الطريقة أن تحاط سطور الكتابة بخطوط دقيقة ، وأن تُملأ الصفحة خارج هذه الخطوط بمختلف الرسوم النباتية و (الأرابسك) [٢] .

ويعود تاريخ أقدم المخطوطات المذهبة إلى عصر السلاجقة ، وتمتاز هذه المخطوطات باستعمال الورق في معظمها ، كما تمتاز بأنها مكتوبة بالخط النسخ وبأنها مستطيلة الشكل ، وبأن ارتفاعها أكثر من عرضها . ومن الرسوم التي يكثر استعمالها في هذه المخطوطات النجوم المسدسة والمثمنة ، والمراوح النخيلية (البالمت) ، والفروع النباتية المتصلة (الأرابسك) .

وتعتبر المصاحفُ التي تزيّن بأدقّ الرسوم وأبدعها أعظم المخطوطات القديمة شأنا من الوجهة الفنيّة .

وكان السلاجقة يرون أن المُذهِّب أعظم الفنّانين شأناً ، لذا لم يكن

---

(١) الفنون الإيرانية ، ص ٢١ .
(٢) الفنون الإيرانية ، ص ٧٠ ، ٧١

غريباً أن يدرس الأمراء والعلماء وكبار رجال الدين والأدب فنّ التذهيب [1] .

كما كان المذهّبون في نفس الوقت لا يستغنون عن تشجيع العظماء ليضمنوا لفنّهم الازدهار ، نظراً لاحتياجهم في صناعتهم إلى بعض المواد الثمينة كالذهب وحجر اللازورد والورق الفاخر .

التصوير :

تسببت كراهية رجال الدين في ايران للتصوير في جمود هذا الفن وعدم انتشاره . ولم يكن للعامة نصيب وافر فيه ، بل كان يقوم على أكتاف الملوك والأمراء .

ويرى البعض أن الصور الإيرانية المرسومة على الورق والتي بقيت إلى الآن .. لا يصحّ نسبتها على وجه التحقيق إلى ما قبل العصر المغولي ، كما ذهب بعض المتخصصين إلى أن ثمّة عدد من التصاوير يمكن نسبته إلى أواخر العصر السلجوقي .

هذا وقد وجدت في تاريخ التصوير مدرسة تعرف باسم « مدرسة بغداد أو العراق » ، وهي تنسب إلى العصر السلجوقي ، وتعدّ أولى مدارس التصوير في الإسلام ، وصُوَر هذه المدرسة لا تقل عن الصور الغربية المعاصرة لها في دقة الألوان ونضارتها وقوة الرسم واتزانه . وكان تلاميذها متأثرين بأساليب الرسم والتصوير عند أصحاب مذهب ماني في معابد بلاد التركستان الشرقية وأديرتها [2] .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ٦٨ ، ٦٩ .
(٢) كان ماني مصوِّرا قديرا . وكان وتلاميذه يسيرون على طريقة توضيح كتبهم الدينية بالرسوم والصور .
أنظر : المرجع السابق ، ص ٢١ ، ٢٢ .

التجليد :

لم يتخذ شكلاً إسلامياً مستقلاً واضحاً إلا مع بداية القرن السابع الهجري (١٣ ميلادي) ، وأقدم ما نعرفه من جلود الكتب الإيرانية يرجع إلى نهاية القرن السابع الهجري [١] . وتمتاز جلود الكتب الإسلامية عامة بأن كعوبها مستوية وغير بارزة ، كما تمتاز بوجود امتداد يعرف باللسان في جانب الكتاب الأيسر ، ولم يستخدم المسلمون غير الخشب والجلد ، ثم استخدموا الورق المضغوط بعد دهنه باللاكيه .. ولم يكونوا في كل هذه الأحوال يلجأون إلى البذخ في التجليد .

الحفر :

أجاد السلاجقة الحفر على الخشب . وكان للزخارف النباتية على الخشب السلجوقي طابع خاص بها نرى فيه روح المصدر الذي استقيت منه ونعني به آسيا الصغرى . وقد استعملت في الزخرفة – إلى جوار النباتات – رسومٌ محوَّرة عن الأسود والعقبان والطواويس والأشكال الآدمية والكتابات العربية[٢] .

السجاد :

ترجع أقدم السجاجيد الإيرانية المعروفة إلى عصر السلاجقة .. في القرن السادس الهجري . وقد اشتهر سلاجقة آسيا الصغرى في القرن السابع الهجري بصنع الأبسطة الجيدة وإنتاجها . ويوجد الآن بمتحف الأوقاف بالآستانه [٣]

---

(١) الفنون الإيرانية ، ص ١٣٢ – ١٣٤

(٢) الفنون الإسلامية ، ص ١٢٤ – ١٢٦ ، الفنون الإيرانية ، ٢٦٣ – ٢٦٧ .

(٣) الفنون الإسلاميّة . ص ٢٧٨ .

مجموعة هامة من الأبسطة عثر عليها حديثاً [١] .. يرجع صُنْعها إلى القرن السابع الهجري . وأساس زخارف هذه المجموعة الأشكال الهندسية المكرّرة التي تشغل جميع فراغها ، أو الأشكال الصغيرة الكثيرة الأضلاع .. ويحيط بالسجاد إطار من كتابات كوفية يصعب قراءتها ، وألوانها من مختلف درجات الأحمر والأزرق [٢] .

النسج والتطريز :

بدأ التقدم الواضح والنهضة الشاملة في صناعة النسيج في عصر السلاجقة ، وذلك بتأثير تيارين مختلفين :

التيّار الأول : ما أفاده الإيرانيون على يد السلاجقة من الأساليب الصينية التي تتجلّى في دقة رسم النبات والطير والحيوان .

التيّار الثاني : ما ازدهر في بلاد الجزيرة من أساليب إسلامية تتمثل في استخدام الفروع النباتية والأشرطة ، عوضاً عن الموضوعات الزخرفية الساسانية [٣] . وبالرغم من أن تأثير الأسلوب الساساني في رسوم المنسوجات ظلّ واضح المعالم في أوائل العصر السلجوقي .. إلا أنه أخذ يتضاءل تدريجاً

---

(١) منذ عهد قريب لم يكن بين أيدينا أية نماذج لصناعة السجاد السلجوقي بدليل قول (ج . كريستي) : « وإنه وإن تكن الكتابات في العهد السلجوقي تظهر أن السلاجقة كانوا ينسجون السجاد في ذلك الوقت... إلا أنه — وفق ما نعلم— لم تصل لأيدينا أية نماذج لهذه الصناعة ».

أنظر : تاريخ صنايع ايران ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) الفنون الإيرانية ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢١٦ .

ويحلُّ محلّه أسلوبٌ امتزجت فيه التعبيرات الزخرفية النباتية الإسلامية الأصل مع تفريعات السيقان والمراوح النخيلية [1] .

وما بقي لنا من منسوجات سلجوقية ليس عظيم المقدار ، لكنه كاف للبرهنة على المستوى الرائع الذي بلغه النسّاجون من حيث المهارة في الصناعة والأسلوب الفني على السواء .

ويتجلّى جمال الأقمشة السلجوقية في نوعها الذي يفوق نوع الأقمشة التي نسجت قبل هذا العصر . فالنسّاج لم يكن يحفل كثيراً بالأقمشة الزاهية الألوان ، وإنما بالتباين البسيط بين أطياف عدد قليل من الألوان .. خاصة الأطياف الزاهية أو الداكنة للأزرق والبنفسجي والأسود أو الأخضر مع البيج (وَبَر الجمل) والأبيض أو الأحمر [2] .

ومع أن رسوم الأشكال — حتى في فترة الازدهار السلجوقي — كانت ذات خطوط متعرجة أو متكسرة .. إلا أنها تطورت وأصبحت ذات أسلوب سلجوقي خالص .. أسلوب يمتاز بجمال الأشكال ورشاقتها وانسياب خطوطها [3] .

وفي أوائل العصر السلجوقي كانت المنسوجات بسيطة كبيرة الحجم .. ثم تطوّرت إلى رسوم أكثر دقة وتعقيداً . وكانت أحب الأقمشة اليهم هي ذات النسيج الموروب أو المتعدد اللُحمة ، وإن كانوا قد صنعوا في الوقت ذاته الأقمشة ذات الوجهين ، وأنواعاً أخرى جميلة من الستان (الأطلس) [4] ، ونسيجاً حريرياً يتغير لونه بتغير النور ، ونسيجاً لا يمكن رؤية الرسوم التي عليه إلا إذا نظر إليها في اتجاه واحد [5] . هذا وقد اشتهرت مدن عديدة بانتاج

---

(١) الفنون الإسلامية ، ص ٢٦٢ .
(٢) تراث فارس ، ص ١٧٤ .
(٣) الفنون الإسلامية ، ص ٢٦٢ .
(٤) تراث فارس ، ص ١٧٤ .
(٥) تاريخ صنايع إيران ، ص ١٤٩ .

كميات كبيرة من المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية . وهناك حوالي خمسين قطعة من الحرير الفاخر وجدت في القبور السلجوقية في الري ، وهي تشير إلى مهارة فنية تامة في أداء مجموعات الكتابات وصور الإنسان والحيوانات [١] .

أما التطريز فكان معروفاً في إيران منذ العصور القديمة . والكثير من المصادر تتحدث عن الأقمشة المطرّزة الّتي خلّفها لنا السلاجقة . لكننا لا نعرف منسوجات ايرانية مطرّزة تطريزاً زخرفياً صحيحاً قبل الدولة الصفوية [٢] .

الزجاج :

ازدهرت صناعة الزجاج في العصر السلجوقي ، ونجح الصنّاع في الوصول إلى ضرب من الزجاج الأبيض المضغوط يقلّدون به البلّور الصخري الذي كان ينتج في مصر على يد فناني الدولة الفاطمية . وكان الفنان السلجوقي يصنع تحفاً زجاجية صغيرة على شكل حيوان مثلا .. كالسمكة الزجاجية الّتي وجدت في الري .

وكان الزجاج في إقليم سوريا منذ القرن السادس الهجري يصنع ويموّه بالمينا ، ثم تضاف إليه زخارف دقيقة تشبه زخارف الخزف المصنوع في الري والتحف المعدنية المصنوعة في الموصل . ولم يبق التمويه بالمينا قاصراً على سوريا بل تخطاها إلى شيراز وهمدان ونيسابور وسمرقند والري وساوه .. كما ظهر في النماذج الّتي عثر عليها في هذه البلاد [٣] .

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ، ص ٦٥

(٢) الفنون الايرانية ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦

(٣) الفنون الإيرانية ، ص ٢٥ ؛ ٢٦١ ؛ ٢٦٢ .

وقد استخدم الفنان السلجوقي شتى أنواع الصناعات الزخرفية من ضغط وحفر وبروز وأسلاك ملفوفة . وكانت موضوعات الزخرفة خليطاً من الرسوم الهندسية والفروع النباتية والكتابات ورسوم الحيوان ، بل والرسوم الآدمية في بعض الأحيان .

الخزف :

في ظل حكم السلاجقة لإيران نمت صناعة الفخار ، وارتقت رقياً عجيباً ، وأظهر صناع الخزف الإيرانيين والعراقيين مهارتهم التي ورثوها عن العصور القديمة .. فبلغت تلك الصناعة على يدهم غاية الكمال في الهيئة والزخرفة ، ونمّت عن خيال خصب وذوق سليم [١] .

ويمكن القول بأن الخزفيين في ظل السلاجقة ومن أعقبهم من ملوك خوارزم قد ابتكروا أروع أنواع الخزف الإسلامي وأفخرها على الإطلاق [٢] . وإذا استثنينا الصيني .. أمكننا أن نقول إن الفنان السلجوقي قد عرف كل انواع الخزف في ذلك العصر [٣] .

وقد اتقن السلاجقة – في بلاد عديدة – عدة أساليب صناعية للخزف ، فأنتجوا الخزف ذا الزخارف المحزوزة والمحفورة . وتوجد من هذا النوع مجموعات جميلة عثر عليها في أماكن مختلفة .. تعرف لدى المتخصصين باسم (الخزف الجيري) ، وهي رغم روعة زخارفها من انتاج المصانع الريفية [٤] .

وقلدوا إلى جانب ذلك الخزف الصيني (Chinese Porcelain) ،

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٣ ، ١٦١ ، تاريخ صنايع ايران ، ص ١١٣ ، ١١٤ .
(٢) الفنون الإسلامية ، ص ١٨١ .
(٣) الفنون الايرانية ، ص ١٧٦ .
(٤) الفنون الإسلامية ، ص ١٨٤ .

والفخار الصيني المعروف باسم القُلّة ذات اللعاب المتناثر . وكان ازدهار صناعة الخزف الصيني في المدن الكبرى وحدها نظراً ليسارها [1] .

وانتجوا أنواعاً من الخزف استخدموا فيها الزخارف المفرغة ، وأخرى ذات طلاء فيروزي أو أخضر . واستخدموا في رسومهم عليها الطيورَ والنباتات والأسماك والحيوانات . وأنتجوا نوعاً من الخزف يدعى (خزف لقبي) ، وآخر ذا لون واحد هو الأصفر الداكن . وانتجوا حيوانات وطيوراً من الفخار لها بريق فيروزي .

ومن أرقى ما أنتج الخزّاف السلجوقي (الأكواز) المعروفة باسم (توري) ، وهي نوع من الفخار ذو غطائين ، توجد على الخارجي منهما نقوش ملتوية . ومن أرقى ما أنتجوه أيضاً الفخار المعروف باسم (مينيائي) ، والكاسات الشفافة التي تبدي ألواناً متنوعة مختلفة ـ من تلقاء نفسها ـ مع تغيير النور .

وقد توصل الفنان السلجوقي إلى نوع من الخزف غير المدهون . وقد شاع منه نوع في الشرق الأدنى وخاصة العراق ، وهو النوع ذو الزخارف البارزة المصنوعة بالقرطاس أو القمع .

وفي آخر العصر السلجوقي وُجِدَ الفخّار البرّاق المؤرخ [2] ، والقرميد المعماري ، والفخار ذو الألوان المتعددة . وكانت بعض المدن تنتج قطعاً ثقيلة ملوّنة قد حُفِرت عليها صور الحيوانات والطيور في بروز قليل .. يتوصّل إليه الصانع بكحت أرضيّتها .

---

(١) البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر ، حيدر آباد ١٣٥٥ هـ ، الطبعة الأولى ، ص ٢٢٧ .

(٢) كان بعض الفنانين يؤرخون تحفهم إثباتا لتاريخ صنعها .
إرجع في ذلك إلى :
R.L. Hobson : A guide to The Islamic Pottery of The near east (British Museum) London, 1932.

ويرى المتخصصون أن أفضل المنمنمات (ميناتور) قد نقش على الأواني الفخارية في عهد السلاجقة [1] .

التحف المعدنية :

كان وصول السلاجقة إلى شرقي إيران في عام ١٠٣٧ م بداية عصر من أزهى العصور في تاريخ صناعة التحف المعدنية الإسلامية . فقد زيّن فنانو العصر السلجوقي الأواني البرونزية والذهبية والفضية بزخارف وأشكال جديدة مبتكرة ، كما كانت القوة والفخامة والدقة والظرف طابعاً مميزاً لمنتجاتهم [2] .

غير أنه يمكن القول بأن التحف المعدنية النفيسة ـ ذهبيّة وفضيّة ـ كانت نادرة ، في حين أن العصر كان غنياً بتحفه المعدنية المصنوعة من المواد الرخيصة كالبرونز والنحاس الأصفر [3] .

ومن الأساليب الصناعية التي استعملت في الزخارف أسلوب وثيق الصلة بأسلوب (النيلّو) ، وهو أن يُحفر الرسمُ على اللوحة من الفضة أو الفضة الممزوجة بالذهب ، ثم يُصبّ في خطوطه المحزوزة مركّب مرتفع الحرارة من النحاس والرصاص والبورق والكبريت وملح النشادر . وبعد تبريد هذا المركّب وتلميع اللوحة يصبح فيها تطعيم أو تكفيت أسود على أرضيّة فاتحة ، ويزداد الرسم بذلك دقة ووضوحاً .

ومن الأساليب الصناعية التي استعملت في الزخارف أيضاً أسلوب تطبيق

---

(١) يمكن معرفة تفاصيل أكبر فيما يتعلق بما أنتجه السلاجقة ، وذلك بالرجوع إلى : الفنون الإسلامية ، ص ١٨٢ . الفنون الإيرانية ، ص ١٧٧ ـ ١٧٩ ، ايران ماضيها وحاضرها ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) الفنون الإسلامية ، ص ١٤٣ .

(٣) تراث فارس ، ص ١٧٠ .

البرونز والنحاس أو تنزيلهما (تكفيتهما) بالفضة والذهب . والتطبيق أو الترصيع أو التركيب أو التكفيت طريقة في الزخرفة قوامها حفر رسوم على سطح معدني (أو خشبي) ، ثم ملء الشقوق التي تؤلف هذه الرسوم بقطع أخرى من مادة أغلى قيمة .

هذا ولم يقض ازدهار صناعة تطبيق التحف على أسلوب الزخرفة بالرسوم البسيطة المحفورة ، فقد ظل الأسلوب الأخير يتطور في طريق الإتقان ..

وقد عثر حديثاً في مدينة الري على شماعد يرجع تاريخ صنعها إلى القرنين السادس والسابع الهجريين . وهذه الشماعد مصنوعة من البرونز وتشبه شماعد العصر الفاطمي بعض الشبه بقاعدتها ذات الثلاثة أرجل ورقبتها الأسطوانية [1] ، وإن امتازت عنها بأنها غنيّة بزخارفها المخرّمة والمحفورة ، وبطولها وخفّة وزنها .

هذا وقد ترك لنا هذا العصر كثيراً من الشمعدانات ، والأباريق ، والمرايا ، والمباخر ، والزهريات ، والعلبات المعدنية التي تزين جوانبها التماثيل الآدمية ، والغلاّيات ، والمسارج ، والهواوين ، والسلطانيات ، والكؤوس ، واللعب الصغيرة ، والملاعق ، وعدة الفرس ، والتنكات ، والمحابر ، والمقلمات .

ومن المدن التي اشتهرت بانتاج التحف الفنية المعدنية في عهد السلاجقة : همدان ، الري ، نيسابور ، سجستان ، مرو ، هراة (ومقاطعة خراسان عموماً) ، بلاد العراق (خاصة الموصل) ، وسوريا .

---

(١) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين — طبع دار الآثار العربية بالقاهرة عام ١٩٣٧ م ، ص ٢٣٩ — ٢٤١ .

(ب) فن القول :

ويشمل الأدب بشقيه : النثر والشعر .

تمهيد :

راجت اللغة الفارسية التي يؤدى بها الأدب في عهد السلاجقة لسببين :

الأول : اتخاذ السلاجقة مدناً إيرانية عاصمة لهم ، إذ تسبب ذلك في انتشار الأدب عامة والشعر خاصة في بيئة لسانها ولغتها الأصلية هي الفارسية .

الثاني : إصرار حكام السلاجقة على أن تكون اللغة الفارسية لغة البلاد الرسمية ولغة الكتابة . وكانت العربية قبل عهد السلاجقة هي اللغة الرسمية ولغة الكتابة ، وكان سلاطين المسلمين يصدرون بها الفرامين ويوقعون بها . فلما جلس ألپ أرسلان على العرش أصدر أمره بأن تكون الكتابة في الدواوين كلها بالفارسية .. فقطعت هذه اللغة منذ هذا التاريخ شوطاً كبيراً في طريق الرقي والكمال (١) .

وإلى جانب رواج اللغة الفارسية راج الأدب الفارسي رواجاً ملحوظاً مرجعه جهود الشعراء والكتاب قبل ذلك العهد في ميداني الشعر والنثر .. مما جعل شعراء هذه الفترة وكتّابها يلمسون بأيديهم ركائز الأدب الفارسي بسهولة

---

(١) شبلي النعماني : شعر العجم (تاريخ شعراء وأدبيات ايران) ، ترجمة سيد محمد تقي فخر داعي گيلاني . الطبعة الأولى ، طهران ١٣١٦ هـ . ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

ويسر ، وتكتمل أمام أعينهم المقدّمات اللفظية والمعنوية التي توضّح المقاصد وتبيّن المفاهيم فيما يتعلق بالنظم والنثر [١] .

وقد تسبب تشجيع العظماء في كثرة الشعراء والكتّاب ، إذ كان وجود الشعراء والكتّاب في بلاطاتهم من جملة لوازم الرياسة . ولم يكن بلاط يفضل بلاطا إلاّ عن هذا الطريق . وإن صلات « سنجر » وتقديره للأدباء واجتذابهم إلى بلاطه .. لتذكّرنا « بمحمود » الغزنوي وبلاطه . فقد عيّن سنجر عدداً من الشعراء المشهورين في عصره كمادحين يلازمونه في حلّه وترحله ، وأغدق عليهم ، واختار من بينهم « المغزي » الشاعر وجعله بمثابة ملك الشعراء [٢] .

ولم يكن حكام السلاجقة يحمون الأدباء فحسب ، بل إن بعضهم كان بليغاً أديباً . وكان لهم وزراء أكفاء محبّين للعلم والأدب كعميد الملك الكندري العالم المثقف ونظام الملك الطوسي العالم الأديب .. وجهود هذين الوزيرين لا تنكر في ميداني العلم والأدب [٣] .

وبفضل التشجيع وكثرة الأدباء زاد الإنتاج ، وحاول الأدباء الإجادة رغبة منهم في الاستئثار بأفضال ممدوحيهم وبزّ منافسيهم ونيل الشهرة والمجد .

ولم تعد المراكز الأدبية الفارسية محصورة – في هذا العصر – في مشرق إيران ، بل تجاوزته إلى العراق وآذربيجان وغيرهما . ولا شك أن نشأة هذه المراكز الجديدة قد أتاح الفرصة لظهور عدد من الشعراء والكتّاب الجدد .

ونشرت فتوحُ السلاجقة اللغةَ الفارسية في البلاد المفتوحة ، فبرز فيها بعض الشعراء والكتاب ممن كانوا يجمعون بين الاستعداد والموهبة .

---

(١) الدكتور ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٣٢٥ .
(٢) شبلي النعماني : شعر العجم ، ص ١٤٩ .
(٣) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات ايران ، طبعة طهران ١٣٢١ هـ ، ص ١٠٦ .

وقد ظهر أدب المدينة في هذا العصر إلى جوار الأدب المكتوب (أدب الطبقات الحاكمة) والأدب الشفوي (أدب الشعب) . وكان الأدبان الأخيران معروفين في العصور السابقة . وقد أنتج أدب المدينة هذا ظاهرة جديدة هي ظهور المدينة كبيئة مستقلة لها خصائصها [1] ، وإن خضعت آداب المدن لتأثير آداب البلاط ، وظلت الآداب السلطانية دون تغيير يذكر .

ومما تسبب كذلك في توسعة دائرة الأدب الفارسي ورواجه في العصر السلجوقي أن النثر والشعر الفارسي كانا يستغلان في الخانقات ، ويستخدمهما الصوفية في مؤلفاتهم لإرشاد الناس وهدايتهم . وكانت اللغة الفارسية المستعملة لغة بسيطة يفهمها الجميع مما جعل الأدب الفارسي يسلك سبيله بين العامة .

وكان الصراع المذهبي بدوره عاملاً من عوامل اتساع دائرة الأدب الفارسي في ذلك العهد . فقد أوجد نهضة في تأليف الكتب العلمية باللغة الفارسية على يد أهل المذهب .. تتضمَّن الردّ على خصومهم وذم مذهبهم ومعتقداتهم من جهة ، وامتداح أنفسهم ومذهبهم ومعتقداتهم هم من جهة أخرى .

وفي عصر السلاجقة خرج الشعر والنثر الدَّري عن محيطهما المحدود الذي كانا عليه في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وراجا في العراق وآذربيجان . وعلى إثر رواجهما دخلت في اللهجة الدريّة [2] ألفاظ وتركيبات عديدة من لهجات محلية إيرانية أخرى .

وتسبب ذلك في نسيان بعض كلمات المشرق والتركيبات التي لم تستعمل في النواحي الجديدة . وواضح أن ذلك الأمر كان يخفي في ثناياه ضرراً بالغاً للأدب الفارسي .

---

(١) الدكتور عبد النعيم محمد حسنين : نظامي الگنجوي شاعر الفضيلة ، عصره وبيئته وشعره ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، ص ٦٠ .

(٢) هي اللهجة التي أصبحت منذ أواسط القرن الثالث الهجري لهجة إيران الرسمية والأدبية .

يضاف إلى ذلك أن اللغة الفارسية قد امتزجت بكثير من المفردات والمركّبات العربية نتيجة لتدريس اللغة العربية والأدب العربي في المدارس ، ونتيجة لاطّلاع الأدباء الدائم على الآثار العربية للاستفادة من مفرداتها وتركيباتها وتعبيراتها ، وقد كان هؤلاء يحفظون جانباً كبيراً من الأشعار والمتون العربية كشرط أساسي للكتابة والنظم .

ولم يقتصر نفوذ العربية في الفارسية على استعمال كلماتها وتراكيبها ، بل تجاوز ذلك إلى الاستفادة من قواعدها المقننة ، كاستخدام الجمع السالم وجمع التكسير على خلاف القواعد الفارسية ، ووضع علامة التأنيث في آخر كثير من الصفات ، وأمثال ذلك .

وكانت بعض الكلمات والتركيبات والتعبيرات العربية الدخيلة لا لزوم لها ، بل وكانت غير مألوفة .. مما تسبب عنه – بالإضافة إلى عوامل أخرى – إيجاد لهجة فارسية جديدة باتت ملحوظة في أشعار شعراء النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وفي منشآت كتّاب العصر السلجوقي (١) .

وكان اعتناق السلاجقة للمذهب السنيّ ، وتجريدهم من أنفسهم حماة لهذا المذهب وحماة للإسلام ، وإيمانهم القوي بقوة خليفة بغداد الدينية .. سبباً في تقرّب حكّامهم إلى بغداد ، والاهتمام بالمظاهر الدينية ، والإنعام بالتالي على الأدباء والعلماء من أصحاب اللسان العربي ، وتشجيع الطلاب الذين يتصدّون لدراسة العربية .. رغم أن هؤلاء الحكام كانوا عارين عن حلية الفضل والأدب وكان أكثرهم أميين . وقد شجّع هذا على ظهور عدد كبير من الأدباء والعلماء الذين كتبوا وشعروا بالعربية أكثر من غيرها (٢) .

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) من أشهر هؤلاء : ابو الحسن علي بن حسن الباخرزي ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، الطغرائي الاصفهاني ، انوشيروان الكاشاني ، أبو زكريا التبريزي ، الميداني ، الزمخشري =

وقد نتج عن رواج اللغة العربية على هذا النحو أن عمد بعض المعارضين للشعوبية إلى نشر كتب اللغة العربية في النحو والصرف [1] .

وقد تسبب الاختلاط بين العرب والايرانيين نتيجة الفتوحات في وجود اختلاط أدبي وارتباط علمي . وظهر تغيير واضح في النظم والنثر الدري الذي كان وقتها خاصاً بخراسان وما وراء النهر .. فتبدّل الإيجاز بالإطناب ، وتحوّل قصر الجمل إلى طول فيها ، وكثرت الاستشهادات المأخوذة عن النظم العربي ، والاستدلال بالآيات الشريفة ، وضرب الأمثال وإيراد الحكايات العربية بصورة توحي بتقليد نثر العرب الفني .

كما كثر استعمال الكنايات والاستعارات والتشبيهات والموازنة والسجع ، والصناعات البديعية على وجه العموم . ونموذج ذلك مقامات حميدي ومرزبان نامه [2] . وقد تسببت كثرة الصناعات في اختفاء المعنى المقصود .

وقد خالطت الفارسية أشياء لم تكن معهودة قبل ذلك ، منها :

(١) الجموع العربية ، مثل : خُصَما ، خدم ، حدود ، كتب .. وغيرها .
(٢) المصادر العربية ، مثل : بخل ، كرم ، لجاجت .. وغيرها .
(٣) الكلمات المنوّنة على غرار النظام العربي مما لم يكن جائزاً في النثر الفارسي القديم ، مثل : عزيزاً ، مكرماً ... وغيرها .

كما استخدمت جمل عربية دون أن يقصد بها إيراد مثل أو ذكر حديث أو إلحاقها بعبارات فارسية . واتخذ شكل الجملة الفارسية طرازاً تختص به

= الشيخ الطوسي ، الشيخ الطبرسي ، الغزالي ، فخر الرازي ، السهروردي ، الأبيوري ، وخطيب التبريزي .

(١) محمد تقي بهار : سيك شناسي (جلددوم) يا تاريخ تطور نثرفارسي ، طبع طهران ، ص ٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، المقدمة ، ص د

الجملة العربية ، وكان هذا نادراً قبل ذلك . فرأينا ذكر المفعول الصريح بعد الفاعل والفعل ، وإيراد الجمل الطويلة الاعتراضية . وكان الكتّاب يوردون الفعلين الماضي والمضارع بصيغة المجهول إما تقليداً للعربية أو عن ابتكار صرف. كما كانوا يستعملون المفعول المطلق في موضع التأكيد تقليداً للعربية، ويحذفون الأفعال من الجملة بقرينة فعل آخر بنفس الجملة ، أو في جملة معطوفة عليها . وهذا الحذف لم يكن جائزاً بحال في النثر القديم .

كما كان الكاتب – تجنُّباً للتكرار يعمد إلى حذف قسم من الجملة أحياناً . وفي ذلك العهد حدث تجديد في استعمال الأفعال .. فكان الفعل الماضي يرد في مكان المضارع للتأكيد ، وكان الفعل الماضي يستخدم في الصيغة الوصفية ، وكانوا يوردون المصدر المرخّم كثيراً .

أما الضمائر .. فكانوا يجمعونها جمعاً عربياً ، وكانوا يطابقون بين الصفة والموصوف في العدد والجمع وبين العدد والمعدود ، فيقولون مثلاً :

ساقيان ماهرويان ، ايشان سوارانند ، دو معتمدان .وكانوا حين يزيد العدد عن واحد .. يقدّمون المعدود ، ويضيفون بعد العدد ياء التنكير ، فيقولون مثلاً :

غلامي بيست ، تنى چند [1] :

ونتيجة لترويج السلاجقة للآداب العربية اتخذ النثر أسلوباً جديداً ، وكذلك الحال بالنسبة للشعر . فالنثر قد اتخذ أسلوب النثر الفني المتكاف ، والشعر قد تبع الأسلوب العراقي [2] . حتى أن شخصاً كنظامي عروضي السمرقندي حين يتحدث في كتابه – المؤلف في منتصف القرن السادس الهجري – عن الكاتب الجيد .. يصفه بأنه ذلك الذي يستفيد من كل علم وعالم وحكيم وأديب

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٠ – ٧٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

سابق عليه . ثم يذكر أسماء عدد من المشاهير في كل علم وفن ، ويوجب على الكاتب الذي ينشد الجودة أن يقرأ لهم .. ونلاحظ أن معظم من ذكرهم كانوا عرباً (١) .

ولا شك أن الاهتمام بالأدب العربي إلى هذا الحد قد قلّل يوماً بعد يوم من تتبُّع الفارسية ودراسة قواعدها وفهم دقائقها . وأصبح كتّاب الفرس وكأنهم عرب ، فَهُم – فيما عدا الروابط والأدوات وبعض الأفعال الفارسية – قد تركوا بقية اللغة تقريباً . ونتيجة للحلى والكلمات والاستشهادات والاستدلالات العربية صعبت العبارات وغمضت المعاني . والنتيجة أن قل بعد فترة وجود من ينشىء بالفارسية الخالصة .

غير أن الأدب الفارسي بصورته هذه قد شاع في (قونية) وسائر بلاد آسيا الصغرى حتى بلغ (أرمنستان) . وقد خرّجت تلك الديار أدباء فضلاء أمثال : (ابن بي بي) مؤلف تاريخ سلاجقة الروم ، والراوندي مؤلف راحة الصدور وآية السرور ، ومحمد البلخي صاحب المثنوي وفيه ما فيه ، ونجم الرازي مؤلف مرصاد العباد .. وغيرهم .

كما استفاد السلاجقة من القسطنطينية ، وتلقّى بعضهم فيها العلم . وبهذا أصبح الكثير من عناصر الفكر البيزنطي والثقافة البيزنطية يكوّن قسماً جوهرياً من الحضارة السلجوقية (٢) .

هذا ويعتبر عصر ملكشاه وعصر سنجر من العصور الذهبية للأدب الفارسي عامة والشعر الفارسي خاصة (٣) . وبموت سنجر ضاعت عدة مراكز أدبية ، وزالت من الوجود كثير من المكتبات العامرة بكنوز العلم والأدب .

---

(١) نظامي عروضي سمرقندي : چهار مقاله ، طبع ليدن ، ص ١٣ .
(٢) تراث فارس ، ص ٧٩ .
(٣) شعر العجم ، ص ١٤٨ .

(أ) النثر الفني :

يجب أن يسمى القرن السادس « قرن النثر الفني » .. ففي هذا العصر حدثت ثورة كبيرة في إيران بسبب ظهور العنصر الألتائي [1] في خراسان ثم في إيران وبلاد الإسلام . وقد كثر الكتّاب في هذا العصر ، إلا أن قلّة من كانوا يفهمون النثر منهم ، جعلتهم يلجأون مضطرين – شأنهم شأن الشعراء – إلى المبالغات أكثر من لجوئهم إلى الحقائق ، وذلك لجلب اهتمام السامعين وإرضاء الممدوحين. وكان اهتمامهم ينصبُّ على اللفظ أكثر من المعنى .. وذلك هو المقصود بالثورة .

وقد عمدوا في نثر هذه الفترة إلى استعمال الصناعات ، وأوغلوا في الأخذ عن العربية بالصورة التي ذكرناها عند كلامنا عن الأدب بوجه عام .

ويمكننا أن نقول إجمالاً أن عدم الاهتمام بالحقائق والمعاني العالية والصراحة اللفظية قد أدى بالكتّاب إلى الاهتمام باللفظ وصياغة الصور ، وذكر الألفاظ العربية في تكلف كبير ، واستخدام المعاني الهزيلة والكنايات الكثيرة والإطناب والستر وإبراز التديّن والزهد ، وإظهار الفضل بمعرفة العربية . وتسمى هذه الطريقة – في ذلك القرن – باسم « النثر الفني » أو « طريقة أبي المعالي » [2] ..

---

(١) يؤكد ذلك قولُ رضا زاده شفق : « وبعض المؤلفات رغم كتابتها في عصر السلاجقة قد تمت بفضل تشجيع سلاطين وأمراء معاصرين آخرين ... » .
أنظر : تاريخ أدبيات ايران ، طبع طهران ١٣٢١ هـ ، ص ٢٤٦ .

(٢) هو أبوا لمعالي حميد الدين نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الغزنوي (ويقال الشيرازي)=

لأن تأليفه سابق على تأليف الآخرين ، وقد أتّبع طريقته وسار عليها نظامي عروضي السمرقندي صاحب چهار مقاله ، وحميد الدين صاحب المقامات الفارسية ، ومحمد عوفي صاحب لباب الألباب ، ورشيد الوطواط صاحب حدائق السِحر وغيرهم .

ويستفاد من مطالعة الآثار النثرية في ذلك العهد أن النثر قد استخدم موضوعات مختلفة وطرق ميادين شتى .. وأن كتباً علمية قد كتبت بالفارسية بصورة أكبر كثيراً من نظيرتها في العهد السابق . والسبب في ذلك هو انفصال إيران عن بغداد سياسياً وهجران العامة للعربية . وهكذا .. فعلى الرغم من التوسّع في إنشاء المدارس وتدريس الأدب العربي فيها كلها ، والاختلاط والامتزاج الذي حدث بين العربية والفارسية على النحو الذي ذكرناه ، إلا أن الأمراء والعلماء والعامة زادوا من اهتمامهم بالكتب الفارسية ، وقلّ ميلهم – نسبياً – إلى الكتب العربية .. فظهرت مؤلفات فارسية في التفسير والفقه والملل والنحل والطب والرياضيات والنجوم والفلسفة واللغة وغيرها . كما أن معظم كتب التاريخ قد أُلِّفت بالفارسية ، على عكس ما كان يحدث في العهود السابقة . وكانت هذه الكتب نواة لكتبٍ تاريخية فارسية أخرى أكثر كمالاً وشمولاً .

وليس معنى ذلك أن مؤلفي العربية كانوا قلة أو أن مؤلفاتهم كانت قليلة .. فقد كان عدد المؤلفين بالعربية – ممن هم من أصل فارسي – كبيراً .. وقد خلّفوا لنا كثرة هائلة من المؤلفات باللغة العربية ، تدخل في عداد آثار الأدب العربي القيِّمة [1] .

= تلميذ أبي المحامد الغزنوي . كان في خدمة بهرامشاه الغزنوي (٥١٢ – ٥٤٧ هـ) ، يشتغل بالإشراف . كما وزر لخسرو ملك (٥٥٥ – ٥٨٢ هـ) ، ونتيجة لوشاية منافسيه حبسه مولاه حتى هلك في محبسه . ومن مؤلفاته : ترجمة كليلة ودمنة إلى نثر فارسي .

أنظر : سبك شناسي ، جـ ٢ ص ٢٤٨ – ٢٥٠ .

(١) تاريخ أدبيات درايران ، ص ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ .

ونتيجة لهجرات عدة قبائل من الجنس الأصفر إلى داخل ايران ، وسكناها في نواحيها المختلفة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وبسط نفوذها .. انتشرت اصطلاحاتها العسكرية والاجتماعية والإدارية ، وراجت بعض مفردات التركية وأسمائها . وكثرت في النثر الفارسي الأبياتُ والجمل التي تستخدم فيها الكلمات التركية [1] .



(١) نفس المرجع ، ص ٣٢٩ ... حيث ينقل المؤلف عددا من الأمثلة .

النتاج النثري في العصر السلجوقي :

اختلفت الآراء حول قيمة النتاج النثري المؤلف في عهد السلاجقة .. فبينما يؤكد رضا زاده شفق (١) أن روائع المؤلفات النثرية الفارسية قد كتبت في هذا العصر ، نجد محمد تقي بهار (٢) يجزم بأن الكتب النثرية كانت تكتب بلغة قديمة وأساوب بال عتيق .

وسوف نحاول في هذه العُجالة السريعة أن نصنِّف الكتب النثرية الشهيرة التي ألفت في عهد السلاجقة ونلقي الأضواء على محتوياتها ونتحدث عن مؤلفيها :

(أ) الكتب والرسائل العرفانية :

يمتاز العصر السلجوقي بظاهرة فريدة ، وهي أنه أول عصر يظهر فيه أول شعراء الصوفية ، وأول عصر يظهر فيه أول مؤلفات عرفانية نثرية باللغة الفارسية . ومن هذه المؤلفات :

(١) كشف المحجوب :

أول كتاب وضعه مؤلفه بالفارسية في شرح حالات شيوخ الصوفية وبيان

---

(١) تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٤٦ .

(٢) سبك شناسي ، جـ ٢ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

عقائدهم وذكر أقوالهم . ألّفه أبو الحسن الغزنوي (جلابى الهجويري) في أواسط القرن الخامس الهجري . ويعدّه المتخصصون نموذجاً هاماً للأسلوب في ذلك القرن . وهو شامل لأقوال وحكم أخلاقية وعرفانية لطيفة قيّمة . [1] .

(٢) أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد :

مؤلَّف صوفي هام استخدم مؤلفه النثر الفارسي العذب البليغ في تأليفه .

والمؤلف هو محمد بن المنور حفيد الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير ، وقد ألف كتابه حوالي عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٥ م .. في التعريف بالشيخ المذكور وشرح كراماته وإيراد أقواله . وجعل كتابه متمماً ومكمِّلاً لكتاب سابق ، كان قد وضعه ابن عم له يدعى جمال الدين أبو روح لطف الله [2] .

وقد طُبع (أسرار التوحيد) مراراً . وقسّمه مؤلفه إلى ثلاثة أقسام :

بداية حال الشيخ ، وسط حاله ، ونهاية حاله .

وقد توخّى في كل هذه الأقسام أن ينقل الكثير من أقوال الشيخ وأشعاره[3] .

(٣) رسالة آواز جبرئيل :

رسالة في التصوف ، وضعها الشيخ شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي ، الفيلسوف المقتول . وضعها في القرن السادس الهجري ، ووضع الكثير غيرها في نفس الميدان .. أمثال :

رسالة العشق (مؤنس العشاق) ، **لغت موران** ، **صفير سيمرغ** ، **رسالهٔ**

---

(١) تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٢) أسرار التوحيد ، طبع ذبيح الله صفا ، طهران ١٣٢٢ هـ . ش ، ص ٨ .

(٣) تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٤٧ ، تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ، ص ٩٨٠ — ٩٨٢ .

عقل سرخ ، رسالة في حالة الطفولة ، روزي باجماعت صوفيان ، وترجمة رسالة الطير لابن سينا .

(٤) ترجمة رسالة القشيري :

ترجمة قام بها أبو الفتوح عبد الرحمن محمد النيشابوري لرسالة القشيري [١] في منتصف القرن السادس الهجري . وهي في ذكر معاني التصوف [٢] .

(٥) تذكرة الأولياء :

ألفه فريد الدين أبو بكر ابراهيم العطار النيشابوري في أواخر القرن السادس الهجري أو أوائل السابع . وهو يدور حول مقامات الصوفية ، ويحوي تاريخ ٩٦ من أولياء تلك الطائفة وشيوخها مع ذكر كلماتهم وعظاتهم [٣] .

(٦) رسالهٔ سفر :

رسالة ألفها مجد الدين البغدادي بالفارسية في عام ٦٠٦ هـ = ١٢٠١ م . وموضوعها سفر الخواص من عالم التراب إلى عالم الملكوت [٤] .

(٧) يزدان شناخت :

يشتمل على مسائل الإلهيات والحكمة وعلوم الطبيعة . ألفه الصوفي عين القضاة أبو المعالي عبدالله بن محمد بن علي ميانجي الهمداني ، في بداية القرن السادس الهجري .

---

(١) ألف القشيري رسالته هذه في عام ٤٣٧ هـ ، وتوفي عام ٤٦٥ هـ .

(٢) تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ٨٨٩ .

(٣) طبع هذا الكتاب في طهران عام ١٣٤٦ هـ . ش .

(٤) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ١٠١٥ .

وقد مات المؤلف شنقاً عام ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م[1] .

(٨) تمهيدات أو (زبدة الحقائق) :

رسالة في تمهيد ١٠ مبادىء للتصوف .

(٩) لباب الأحياء :

ألفه أحمد بن محمد الغزالي الطوسي الأخ الأصغر لأبي حامد الغزالي . كما ألف عدداً آخر من الكتب والرسائل في هذا الباب ، منها :
الذخيرة في علم البصيرة ، بحر الحقيقة ، رسالة العشيقة ، بحر العشاق .

(١٠) المعارف :

من أفضل الكتب الفارسية التي ألفت في ميدان التصوف في ذلك العهد ، ألفه بهاء الدين محمد بن حسين خطيبي البلخي المعروف ببهاء الدين ولد . والكتاب يسجل مجالس المؤلف ومواعظه ومناقشاته حول مسائل العرفان .

والمعروف أن بهاء الدين كان على خلاف مع أهل الحكمة والكلام ، وكان يلقبهم بالمبتدعة . وقد هاجر في عام ٦١٠ هـ = ١٢١٣ م لعدم قدرته على الوقوف في وجههم[2] .

* * *

(ب) الكتب الدينية والمذهبية :

راجت سوق المناقشات المذهبية في ايران في أوائل النصف الثاني من القرن السادس . وكان الصراع على أشده بين السنة والشيعة .. تتلمس كل فرقة منهما

---

(١) نفس المرجع ، ص ٩٣٩ ، ٩٤٠ .
(٢) بديع الزمان فروزا نفر : مولانا جلال الدين محمد ، طبع ١٣١٥ هـ ، ص ٨ – ١٤ .

مواطن الضعف في الأخرى – من وجهة نظرها – وتهاجمها . وكان من بين هؤلاء وهؤلاء من يكتب كتباً في التفاسير الدينية والمذهبية ، ونتج عن هذا مجموعة من الكتب ، من أهمها :

(١) بعض فضائح الروافض :

كتبه شهاب الدين التواريخي الشافعي (٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م) ، وعدّد فيه ٦٧ فضيحة من فضائح الشيعة . وقد ضاع الكتاب ، غير أن الشيخ عبد الجليل الرازي قد أورد القسم الأكبر منه في كتابه ، وعنوانه : بعض مثالب النواصب [١] .

(٢) النقض :

ألفه نصير الدين أبو الرشيد عبد الجليل بن أبي الحسين بن أبي الفضل القزويني الرازي في عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م . وهو من كبار الوعاظ وعلماء المذهب الشيعي في الري في عصره . وقد أراد به أن يردّ – من جهة نظر الشيعة – على الكتاب السابق . ولذا اشتهر الكتاب باسم : بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض [٢] .

ولعبد الجليل مؤلفات أخرى في هذا الميدان ، منها :

البراهين في إمامة أمير المؤمنين ، السؤالات والجوابات ،
مفتاح التذكير ، تنزيه عائشة .

والكتاب يُفيد في توضيح مباني المذهب الشيعي ، والتعريف بتاريخ رجال هذا المذهب وأخبارهم . كما يورد ترجمة لحياة العلماء والشعراء ، ويذكر

(١) تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٩٨٤ ، ٩٨٥ .
(٢) طبع هذا الكتاب في طهران عام ١٣٣١ هـ .

أخباراً عن مراكز التعليم والمكتبات الشيعية إلى جانب أخبار العصر التاريخية والاجتماعية .

ويعدُّ الكتاب نموذجاً من النماذج القيّمة للنثر الفارسي في ذلك العصر . ويُشاهد فيه نفوذ اللغة العربية بوضوح . فالقواعد العربية تنعكس فيه ، كاستعمال الصفات المؤنثة للموصوف الجمع في قول المؤلف : « كتب أصولية إثني عشريّه »[1] .

(٣) كشف الأسرار وعدة الأبرار :

تفسير هام ألفه أبو الفضل رشيد الدين الميبدي في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م ، وسار فيه على نهج تفسير خواجه عبدالله الأنصاري . وقد أشار اليه السيوطي ، وتحدث عنه[2] .

(٤) روضة الجنان وروح الجنان :

تفسير جيِّد ، ألفه أبو الفتوح الرازي جمال الدين حسين بن علي بن محمد الشيعي فيما بين عامي ٥١٠ هـ = ١١١٦ م ، ٥٥٦ هـ = ١١٦٠ م . وهو يقع في ٢٠ جزءاً ، طبعت في خمسة مجلدات . وقد تناول المؤلف في تفسيره كل سور القرآن بالتعليق ، وذكر شروحاً حول أسمائها وعدد آياتها ومكان نزولها ونظرات القرآن فيها .

وقد جاء تفسيره معبِّراً عن وجهة نظره . كما أورد حكايات حول سور القرآن ، وذكر مسائل فقهية وكلامية ترتبط بكل سورة .

ولأبي الفتوح الرازي عدة كتب في هذا الميدان غير ما ذكرنا ، منها : **شرح الشهاب** ، **رسالة يوحنا في رد المذاهب الأربعة** ، **رسالة حسنية**. والأخيرة

---

(١) نفس المرجع ، ص ٩٨٥ – ٩٨٧ .
(٢) السيوطي : طبقات المفسّرين ، طبع ليدن سنة ١٨٣٩ م .

كتبها المؤلف باللغة العربية في مسألة الإمامة ، ويطلق عليها اسم : (تفسير روض الجنان) [1] .

(٥) تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام :

ألّفه بالفارسية سيد مرتضى بن الداعي الملقب بصفي الدين ، في أوائل القرن السابع ، في ذكر الملل والنحل . ويسمى البعض الكتاب باسم (نظرة العوام في تفضيل مذاهب الملتين) . ويقع في ٢٦ باباً تشتمل على مقالات الفرق الخارجة عن الإسلام والفرق الإسلامية . وقد وردت فيه مقالات للفرق الصوفية وذكر لبعض شيوخها .

وقد خصص المؤلف الأبواب من ١٩ حتى نهاية الكتاب لذكر مقالات الشيعة والدفاع عنها وذكر فضائح بني أمية ، وإيراد مسائل عن مذهب الإمامية . غير أن معلومات المؤلف التاريخية ضعيفة ، وهو نفسه لا يخلو من التعصب [2] .

(٦) جامع العلوم :

يطلق عليه اسم (حدائق الأنوار في حقائق الأسرار) . ألّفه الإمام فخر الدين أبو عبيد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبري الرازي ، في عام ٥٧٤ هـ .

(٧) أصول عقايد :

لنفس المؤلف بالفارسية ، يقع في ثمانية أبواب تتناول التوحيد والنبوة والمعاد والإمامة وأصول الفقه .

---

(١) تاريخ أدبيات در إيران ، جـ ٢ ص ٩٦٤ — ٩٦٥ ، سبك شناسي ، ص ٣٩١ — ٣٩٣

(٢) تاريخ أدبيات در إيران ، جـ ٢ ص ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ .

وللمؤلف إلى جانب ذلك رسالتين هما : « رسالة روحية » ، « الاختيارات العلائية » .

(٨) مؤلفات نجم الدين كبري :

في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين ، ألَّف نجم الدين كبري العديد من المؤلفات في ذكر أصول التصوف ، وقد جاء بعض هذه المؤلفات بالفارسية والبعض بالعربية .

من هذه المؤلفات :

سكينة الصالحين (فارسية) ، آداب المريدين (فارسية) ، الوصول إلى الله (فارسية) ، الأصول العشرة (عربية) ، رسالة في السلوك (عربية) ، رسالة الطريق أو أقرب الطرق إلى الله (عربية) ، طوالع التنوير (عربية) ، فواتح الجمال (عربية) ، لومة اللائم فيما يتعلق بالذكر (عربية) ، هداية الطالبين في طريقة وأحوال السلوك (عربية) .[٢]

* * *

(ج) الكتب التاريخية :

في عصر السلاجقة ، ألِّفت عدة كتب بالفارسية في التاريخ العام والتاريخ الخاص ، من بينها :

(١) سياستنامه (سير الملوك) :

ألفه خواجه نظام الملك أبو علي علي قوام الدين حسين بن علي بن حسين

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران، جـ٢ ص ١٠١٦، ١٠١٧، لباب الألباب ، جـ ١ ص ٢٣.

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون طبع تركيا . البنود ١١٤ ، ٨٧٢ ، ٨٧٦ ، ١١١٧ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٥٧١ ، ٢٠٣١ ، ٤٥٩ .

التوقاني الطوسي ، وزير الپ ارسلان وملكشاه . وتحدث فيه عن الآداب والنظم الملكية وسير الملوك والعظماء . فالكتاب يعتبر من هذه الوجهة كتاباً في التاريخ والسياسة والاجتماع .

وقد أتم نظام الملك تأليف كتابه في حدود عام ٤٨٤ هـ ، وجعله في ٥٤ باباً وفصلاً .. تبلورت الآن في ٥٠ فصلاً فقط . وقد طبع الكتاب لأول لأول مرة على يد شيفر المستشرق الفرنسي في باريس عام ١٣١٠ هجري قمري . ثم طبع في ايران على يد خلخالي في عام ١٣١٠ هـ.ش. (١) .

(٢) مجمل التواريخ والقصص :

مجهول مؤلفه ، وكل ما يعرف عنه أنه كان من أهالي أسد آباد بهمدان ، وأنه كان نديماً للسلاجقة وكاتباً في دواوينهم .

وموضوع الكتاب : التاريخ الإجمالي للعالم ، وتاريخ ممالك ايران بصفة خاصة .. منذ بدء الخليفة حتى عام تأليفه ، أي عام ٥٢٠ هـ . ويبحث الكتاب أيضاً في جغرافية البلاد المعروفة آنذاك . ويتكون من ٢٥ باباً ، أبدى فيها المؤلف اهتماماً خاصاً بالقصص والحكايات والخرافات المتداولة والأحداث التاريخية والمحلية .

ويلاحظ أن المؤلف يميل إلى التكلفات اللفظية ، وإيراد الجمل المترادفة ، واستخدام الموازنة والسجع مع توخّي السهولة والجزالة . كما يلاحظ أن اللغة العربية لا تتجاوز نسبتها فيه ١٠٪ بالنسبة للفارسية (٢) .

---

(١) سبك شناسي ، ص ٩٥ ، تاريخ أدبيات إيران ، ص ٢٤٩ .
(٢) سبك شناسي ، ص ١٢٢ ، بيست مقاله ، ج ٢ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٤٨ .

(٣) تاريخ بيهق :

كتاب في التاريخ ، وفي جغرافية بيهق [١] ، وفي ذكر رجال العلم والأدب والكتّاب والسادات والأسر الشهيرة فيها . تكثر فيه الفوائد التاريخية والمعلومات القيمة .

ويلاحظ أن المفردات والتركيبات العربية فيه تكثر في المقدمة عنها في المتن .. وتشاهد فيه آخر نماذج النثر القديم .

ألّفه العلاّمة أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد البيهقي المعروف بابن فندق ، في عام ٥٦٣ هـ = ١١٦٧ م [٢] . وله طبعة منقحة ترجع إلى عام ١٣١٧ هـ ، قام بتصحيحها أحمد بهمنيار وقدّم لها محمد خان قزويني .

(٤) تاريخ طبرستان :

ألفه بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار الكاتب في أوائل القرن السابع الهجري . وهو يفيد في معرفة تواريخ إيران المحلية . ويقع الكتاب في أربعة أقسام :

القسم الأول : في تاريخ طبرستان منذ القدم ، بناياتها ومدنها وعجائبها وشخصياتها . وبعض ما ورد في هذا القسم من أخبار لم يذكر في غيره مما يضفي عليها كثيراً من الأهمية . كما أن نهاية القسم المذكور متعلق بالسادات الطالبية والديالمة وكيفية تكوينهم .

---

(١) بيهق : إسم قديم لناحية في خراسان ، كانت سبزوار قصبتها . تحدّها نيشابور من جهه وقومس من جهة أخرى .

أنظر : بيست مقاله ، جـ ٢ ص ١٠٤ .

(٢) تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٩٩٥ ، سبك شناسي ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، بيست مقاله ، جـ ٢ ص ١٠٦ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٤٨ .

القسم الثاني : في سلسلة الزياريين أو آل وشمگير .

القسم الثالث : في كيفية انتقال السلطنة من آل وشمگير إلى المحموديين والسلاجقة .

القسم الرابع : في ذكر ملوك آل باوند ، ويستمر استعراض الأحداث فيه حتى عام ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م أي سنة انقراضهم [١] .

(٥) تاريخ كرمان :

يسمى بعقد العلى للموقف الأعلى . ألفه أفضل الدين أبو حامد أحمد بن حامد الكرماني في عام ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م . وكان المؤلف – وهو من كبار كتاب القرن السادس الهجري – يلقب بأفضل كرمان . وقد عاش في الفترة الأخيرة من حكم القاوردبين ، وشهد انقلابات كرمان وسيطرة الغز عليها .

وقد قسّم كتابه إلى خمسة أقسام .

القسم الأول : في ذكر دولة آل سلجوق وفترة حكمهم في كرمان .

القسم الثاني : من انتصار الغز ، وسيطرة الملك دينار على تلك الديار [٢] .

القسم الثالث : في الحث على العدل ، وشرح أخلاق الملوك ، وذكر ممالك كرمان والتحدث عن خصائصها واستعراض بعض تاريخها .

القسم الرابع : في الثناء على قوام الدين الوزير .

القسم الخامس : في شرح أحواله .

والكتاب بصورته هذه يعد نموذجاً جيداً للإنشاء الفارسي المصنوع .. الذي

---

(١) تاريخ طبرستان ، ج ٢ ص ١٧٤ ، تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ١٠١٧ – ١٠١٩ .

(٢) قدّم المؤلف كتابه لهذا الملك وصدّره باسمه .

استُخدم في هذه الفترة . ويلاحظ أن التركيبات والأشعار والأمثال العربية تزاحم النص الفارسي كثيراً [١] .

هذا وقد طُبع الكتاب في طهران عام ١٢٩٣ هـ .

(٦) بدايع الأزمان في وقايع كرمان (تاريخ أفضل) :

كتاب تاريخي هام يشتمل على معلومات مستفيضة عن جغرافية كرمان وعن بناءِ بلادها ، وعلى تاريخ مختصر لكرمان في عصر ما قبل الإسلام ، وكيفية فتحها على يد المسلمين . كما يشتمل على معلومات عن عهد سيطرة آل صفار وآل الياس والغزنويين وديالمة آل بويه والسلاجقة القاورديين على تلك البلاد . كما يذكر الحوادث التي وقعت إبان ثورات كرمان بعد السلاجقة ، وأثناء سيطرة الملك دينار ، وعجمشاه وفرخشاه (وهما ولدا الملك دينار) ، وسيطرة ملوك شبانكاره وأتابكة فارس وعمال الخوارزمشاهيين .

ومؤلف الكتاب هو نفسه مؤلف الكتاب السابق . وقد رجع الكثير من المؤرخين إلى هذا الكتاب لأهميته . فاستفاد منه محمد بن ابراهيم في كتابه (تاريخ سلجوقيان كرمان) ، واليزدي في (جامع التواريخ) ، وحافظ آبرو في (مجمع التواريخ) [٢] .

(٧) المضاف الى بدايع الأزمان في وقايع كرمان :

ثالث كتاب صنّفه نفس المؤلف في تاريخ كرمان . ألّفه عام ٦١٣ هـ عندما كف أمراء الغز وشبانكاره وأتابكة فارس أيديهم كلية عن كرمان .. ودخلت تحت حكم أتباع السلطان محمد خوارزمشاه .

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، بيست مقاله ، جـ ٢ ص ١٠٥ .

(٢) مقدمة الدكتور مهدي بياني على كتاب (بدايع الأزمان) ، طبع طهران سنة ١٣٢٦ هـ

وأسلوب الكتاب الإنشائي على نمط كتاب (عقد العلى للموقف الأعلى) [1] .

(٨) زين الأخبار :

من جملة كتب التاريخ القديمة المؤلفة بالفارسية ، ألّفه أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود ، من أهالي كرديز القريبة من غزنة على طريق الهند . وكان تأليفه فيما بين عام ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م وعام ٤٤٤ هـ = ١٠٥٢ م أي في فترة قريبة من زمن السامانيين والغزنويين . لذلك فإن له أهمية في التعريف بأحداث الدولتين . كما أنه يستعرض تاريخ ايران منذ القدم حتّى زمن المؤلف . ويتضمّن شرحاً لظهور الإسلام وتاريخ الخلفاء .. تنقطع الحوادث فيه عند عام ٣٢ هـ [2] .

(٩) ترجمة تاريخ الفتوح لابن أعثم :

كتاب في سرد تاريخ الخلفاء الراشدين ، وذكر فتوح المسلمين ، وشرح كيفية انتقال الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ، وحكمه هو وابنه يزيد ، وتصوير واقعة كربلاء .

ألّفه بالعربية أصلاً أبو محمد بن أعثم الكوفي ، المتوفي سنة ٣١٤ هـ . وقد لقي الكتاب شهرة كبيرة لاختلاط الوقائع التاريخية فيه بالأنساب والأخبار والأشعار ، وبسبب الإطالة في سرد الوقائع ، وبعده عن حالة الجفاف التاريخي المعهودة في كتب التاريخ . ثم في سنة ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م ترجمه إلى الفارسية أحمد بن محمد الهروي . ونثر الكتاب سهل رصين خال من التكلف . وقد طبع في بمباي عام ١٣٠٥ هـ . ق = ١٨٨٨ م .

---

(١) مقدمة المضاف إلى بدايع الأزمان ، تصحيح عباس إقبال آشتياني ، طبع طهران سنة ١٣٣١ هـ .

(٢) تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٣) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٩٩٣ .

(١٠) تاريخ بخارا (مزارات بخارا) :

كتبه أصلاً بالعربية ابو بكر محمد بن جعفر النرشحي في عصر السامانيين . ثم ترجمه إلى الفارسية في عام ٥٢٢ هـ = ١١٢٨ م أبو نصر القباوي .. وأحدث فيه بعض التغيير بأن لخص بعض المواضع وحذف البعض ، وزاد بعض الموضوعات التي استقاها من كتب أخرى كخزائن العلوم وتاريخ بخارى للبخاري الغنجاري .

وأخيراً جاء محمد بن زفر بن عمر في عام ٥٧٤ هـ = ١١٧٨ م [١] فقام بتلخيص ترجمة القباوي ، وأطلق على تلخيصه اسم : تاريخ بخارا أو مزارات بخارا . [٢] وفي عهد المغول ، أضيفت إلى الكتاب بعض الحوادث مما أدى إلى تشويش عباراته .

(١١) تاريخ يميني :

ترجمة لتاريخ العتبي المعروف بيميني من العربية إلى الفارسية ، قام بها في عام ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م الجرفاذقاني الذي كان معاصراً للسلطان طغرل آخر ملوك سلاجقة العراق . وقد تم طبع هذا الكتاب .

وهو يعد من الكتب الفارسية التي تتسم بالفصاحة ، كما يعتبر من أفضل نماذج النثر المصنوع في الفارسية [٣] .

(١٢) راحة الصدور وآية السرور (أعلام الملوك) :

واحد من أهم الكتب الفارسية التي تتناول تاريخ سلاجقة إيران منذ

---

(١) ورد في سبك شناسي ، ص ٣١٩ أن التلخيص الذي قام به محمد بن زفر بن عمر كان في عام ٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م .

(٢) أنظر : تاريخ بخارا ، طبع مدرس رضوي ، ص ٣١ ، ٤٢ ، سبك شناسي ، ص ٣١٩ .

(٣) أنظر : سبك شناسي ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ١٠١١

نشأتهم حتى انقراضهم على يد الخوارزمشاهيين . ألّفه محمد بن علي بن سليمان الراوندي في عام ٥٩٩ هـ = ١٢٠٢ م ، وقدّمه إلى غياث الدين كيخسرو عام ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م .

ويعدُّ الكتاب من أفضل كتب النثر الفني . وهو يجمع بين الأهمية الأدبية والأهمية العلمية . ويستخدم الراوندي في بعض المواضع الأسلوب النثري المصنوع المملوء بالمحسنات ، بينما يستخدم في مواضع أخرى الأسلوب البسيط الخالي من الزينة . لكنه في كل الحالات يستشهد بالمناسب من الأمثال والأشعار الفارسية والعربية . ويلاحظ أنه قد استخدم الأفعال القديمة أكثر مما استخدمها معاصروه [١] .

وقد طبع الكتاب ، كما تمت ترجمته للعربية [٢] .

* * *

(د) المنشآت والرسائل :

قام العديد من الأشخاص الذين كانوا يعملون في ديوان السلاجقة بكتابة منشآت ورسائل نجملها فيما يلي :

(١) التوسل إلى الترسل :

كتاب يشتمل على مجموعة منشآت بهاء الدين محمد بن مؤيد البغدادي ، كاتب علاء الدين تكش خوارزمشاه (٥٦٨ هـ – ٥٩٦ هـ = ١١٧٢ م – ١١٩٩ م) . والكتاب يذكر الكثير من الحوادث التاريخية ، ويسجل عادات الناس وأخلاقهم ويصور حياة البلاط ومعيشة الأمراء ورجال النصف الثاني

---

(١) تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ١٠٠٨ – ١٠١١ ، بيست مقاله ، ج ١ ص ٧٠ ، سبك شناسي ، ص ٤٠٦ .

(٢) طُبع النص والترجمة عام ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م .

من القرن السادس الهجري . ويعدُّ نموذجاً كاملاً لأفضل ألوان النثر الفني ونثر البلاط في ذلك العهد ..

ويلاحظ على الكتاب كثرة الكلمات العربية ، وضياع الكثير من مقوِّمات اللغة الفارسية واصطلاحاتها ، وحلول خصوصيات اللغة العربية مكانها . كما يلاحظ أنه لا تكاد تخلو رسالة فيه من ترادف وتكرار وإطناب وقيود وحذف أفعال دون قرينة .

وهناك خلاف حول تاريخ وفاة بهاء الدين .. إلا أن الشواهد تؤكد أنه كان حيا حتّى عام ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م . فقد ناظر في هذا العام سميّه بهاء الدين محمد بن علي (جدّ عطا ملك الجويني) في (جوين) بحضور خوارزمشاه تكش [١] .

(٢) أبكار الأفكار في الرسايل والأشعار :

جمعها رشيد الدين الوطواط في فترة حكم خوارزمشاه . وهي – كما يظهر من اسمها – مجموعة من الرسائل والأشعار [٢] .

(٣) عتبة الكتبة :

مجموعة منشآت لمؤيد الملك منتجب الدين بديع علي بن أحمد الكاتب الأتابك الجويني ، الكاتب المعروف ، صاحب ديوان الرسائل في عهد سنجر ، ونديم السلطان . ويرجع تاريخ تدوين هذه المجموعة إلى الفترة ما بين عامي

---

(١) سبك شناسي ، ص ٣٧٩ ، عطا ملك جويني ، تاريخ جهانگشا ، ج ٢ ص ٢٨ ، هدايت : مجمع الفصحاء ، ج ١ ص ١٧٢ ، لباب الألباب ، ج ١ ص ١٣٩ – ١٤٢ ، حواشي لباب الألباب ، ج ١ ص ٣٢٨ ، كشف الظنون ، تحت عنوان التوسل إلى الترسل ، باب التاء ، مرزبان نامه ، ص ٤ ، بيست مقاله ، ج ٢ ص ١٩٤ .

(٢) تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ٩٥٦ .

٥٢٨ ، ٥٤٨ هـ = ١١٣٣ ، ١١٥٣ م . وقد كان هدف المؤلف بيان كيفية تعلم الكتابة والإنشاء .

هذا ولعتبة الكتبة نسخة خطية في المكتبة الخديوية ، وأخرى مصورة في وزارة التعليم الإيرانية . ويلاحظ أن أسلوب المراسلات سهل جزل ، غير أن السجع والإطناب يكثران فيه .

* * *

(هـ) الكتب القصصية والإجتماعية والأخلاقية :

حفل العصر السلجوقي بعدد كبير من الكتب التي وضعها مؤلفوها في هذا اللون ، ومنها :

(١) سياستنامه :

سبق لنا أن تحدثنا عن هذا الكتاب كمؤلف تاريخي . إلا أنه يمكن كذلك أن يعتبر واحداً من الكتب القصصية الاجتماعية الأخلاقية .. استناداً إلى أنه قد تناول آداب المعاشرة ، وأخلاق الملوك والأمراء والوزراء والقضاة والخطباء وسائر الطبقات وسياستهم .

وباعتباره مشتملاً على أبحاث تدور حول أشخاص وفرق مختلفة كالسندباد ومزدك والباطنية .

(٢) قابوس نامه :

ألّفه الأمير كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمگير ، الحاكم الزياري ، في تهذيب ابنه گيلان شاه ونصحه .

ويقع الكتاب في ٤٤ فصلاً . وقد أتمّه مؤلفه في عام ٤٧٥ هـ .

وهو يدور حول آداب المعاشرة والسلوك والتقاليد والألفة وتنظيم الحياة

وكسب الفضائل وتهذيب الخصال . ويمتاز مؤلفه بقريحته الشاعرية ، وقدرته على إيراد الأشعار الحسنة [1] .

(٣) كيمياي سعادت :

كتاب ديني أخلاقي مؤلف في أواخر القرن الخامس الهجري .

ألّفه بالفارسية .. حجّةُ الإسلام الإمام أبو حامد محمد الغزالي . وقد اعتمد في محتوياته أساساً على ما أخذه من كتابه المؤلف بالعربية : (إحياء العلوم).

ويعد الغزالي أحد الكتّاب الذين أحدثوا ثورة في النثر الفارسي ، وكان غزير الإنتاج بالعربية والفارسية [2] .

(٤) كليلة ودمنة :

وضعه أبو المعالي نصرالله بن محمد بن عبد الحميد من أهالي غزنين ، وكان يعمل كاتباً ثم وزيراً في حكومة بهرامشاه الغزنوي (٥١٢ — ٥٤٧ هـ = ١١١٨ — ١١٥٢ م) . ويرجّح البعض أن الكتاب قد تمّ وضعه في عام ٥٣٦ هـ [3] .

ويعدُّ هذا الأثر أشهر ترجمة لكتاب كليلة ودمنة الشهير الذي نقل من السنسكريتية إلى البهلوية ، ومنها إلى العربية على يد ابن المقفع .. ثم نقل من العربية إلى النثر الدرّي — لأول مرة — بأمر من نصر بن أحمد الساماني ، ثم إلى الشعر الفارسي — بناء على هذه الترجمة — على يد الرودكي .. ثم ترجم

---

(١) تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) لمعرفة الكثير عن الغزالي ومؤلفاته ... ارجع إلى :
آقاي هماي : غزال نامه ، طبع طهران ، ص ٢١٦ — ٢٣٧ ، سبك شناسي ، ص ١٦٢ وما بعدها ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٥٠ .

(٣) مقدمة كليلة ودمنة ، طبع طهران — الطبعة الثانية عام ١٣١١ هـ . ش ، ص لز — لح .

إلى الصورة التي نتحدث عنها على هيئة نثر فارسي بليغ سليم الإنشاء قوي التراكيب حسن الأسلوب ، حتى ليعد من أعلى نماذج النثر الفارسي المصنوع .

وقد زاد المؤلف على الأصل الهندي حكايتين أو ثلاث حكايات إيرانية وإسلامية . كما أضاف إليه أشعاراً فارسية وعربية [1] . وقلّد البعض الكتاب بحجة وضع ترجمة جديدة مهذبة لكليلة ودمنة . كما فعل حسين الواعظ الكاشف صاحب (أنوار سهيلي) ، وأبو الفضل الدكني صاحب (عيار دانش) .

(٥) چهار مقاله (مجمع النوادر) :

ألفه نظامي عروضي السمرقندي بعد عام ٥٧٢ هـ = ١١٧٦ م [2] . وهو يشتمل على أربع مقالات في بيان الشروط الواجب توفّرها في أربع طبقات لا يستغني الملوك عن خدماتها .

والطبقات الأربعة هي طبقة الكتّاب وطبقة الشعراء وطبقة المنجّمين وطبقة الأطباء .

ويبدأ المؤلف كل مقالة من مقالاته الأربع بإنشاء مُزَيّن مصنوع ، ثم يذكر الصفات والشروط اللازمة لصاحب الفن .. ويواصل ذكر الصفات والشروط حتى آخر المقالة..ويحكي خلال ذلك الحكايات لإثبات وجهة نظره .

---

(١) تاريخ أدبيات إيران ، ص ٢٥٠ ، تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٩٤٨ — ٩٥١ .

(٢) يمكن ترجيح هذ الرأي بالرجوع إلى نسخة بمباي (طبع سنة ١٣٢٤ هـ . المقالة الثانية ص ٣٧) ، إذ نجد حكاية يؤرخ لها المؤلف بعام ٥٧٢ هـ . وبذلك أخطأ ذبيح الله صفا حين ذكر أن تأليفه بدأ في عام ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م وانتهى في العام التالي . كما وقع بهار في نفس الخطأ . وأخطأ رضا زاده والقزويني حين ذكرا أن تاريخ التأليف هو ٥٥٠ هـ .

أنظر : تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٩٦١ ، سبك شناسي ، ص ٢٩٧ ، تاريخ أدبيات إيران ، ص ٢٥٠ ، تعليقات القزويني على لباب الألباب . ص ٦٠٥ .

ويعتبر الكتاب في صورته التي وضعها المؤلف كتاباً نقدياً ، ذا أهمية بالغة في تاريخ الأدب الفارسي ، شاملاً لمعلومات تاريخية نادرة وتراجم لمشاهير الشعراء والأطباء والمنجمين والأمراء .

ولأهمية ما جاء به .. نقلت عنه الكتب التالية له .. ككتاب (تاريخ طبرستان) لابن اسفنديار ، وكتاب (تاريخ گزيده) لحمد الله مستوفي القزويني ، و (تذكرة الشعراء) لدولتشاه ، وغيرها .

هذا وقد طبع الكتاب أكثر من مرّة . وكان أول من طبعه طبعة منقحة وعلّق عليه هو ميرزا محمد خان القزويني ، وصدر في ليدن عام ١٩٠٩ م . كما ترجمه إلى العربية رائدان مصريان من رواد اللغات الشرقية هما د. عبد الوهاب عزام ، د. يحيى الخشاب ، ونشرا الترجمة في عام ١٩٤٨ م .

(٦) مقامات حميدي :

كتبها حميد الدين عمر بن محمد البلخي القاضي عام ٥٥١ هـ=١١٥٦ م تقليداً لبديع الزمان الهمداني مبتكر المقامة [١] .. ونهج فيها منهج أبي القاسم الحريري في الطريقة والمضامين ، وجعلها في ٢٤ مقالة وخاتمة [٢] . وهي تعد من كتب العصر السلجوقي المصنوعة التي استخدمت فيها الصناعة اللفظية بدرجة

---

(١) تجمع معظم الكتب على أن بديع الزمان الهمذاني هو أول من أنشأ فنّ المقامات ، ويشهد بذلك الحريري في مقدمة مقاماته . وهناك رأي يقول بأن ابن دريد المتوفي سنة ٣٢١ هـ= ٩٣٣ م هو أول من أنشأها .

أنظر في ذلك : زهر الآداب ، الطبعة الثانية ــ القاهرة ج ١ ص ٣٠٧ ، زكي مبارك : النثر الفني ، طبع القاهرة ١٩٣٤ م ، ج ١ ص ١٩٨ .

(٢) وفقا للنسخة التي نشرها علي أصغر شميم الهمداني ، طبع تبريز عام ١٣١٢ هـ أما رضا زاده شفق فيذكر في كتابه (تاريخ أدبيات إيران ص ٢٥١) أن عدد المقامات ٢٣ مقامة ، وهذ خطأ .

كبيرة . وقد استهدف المؤلف إبداع طرز لكتابة المقامة الفارسية ، وإدراج لغات غريبة ، ونسج عبارات مزينة [1] . وقد ورد ذكر مقامات حميدي في أكثر من مؤلف ، فقد ورد ذكرها في ديوان الأنوري ، وفي چهار مقاله ، وفي مرزبان نامه الذي وضعه سعد الدين الوراويني بين عامي ٦٠٧ ، ٦٢٢ هـ = ١٢١٠ ، ١٢٢٥ م . وفي لباب الألباب ، وفي الكامل لابن الأثير ، حوادث عام ٥٥٩ هـ ، وفي كشف الظنون [2] .

ولم ينشىء المقامات في الفارسية أحد غير حميد الدين . ومقاماته لا تخرج عن كونها بعض مناقشات وأحاديث قصيرة تدور حول العصر في إطار تمثيلي منوع ، يمكن أن تستسيغه أذواق معاصريه . أما الإطار العام الذي يطبع المقامة الفارسية فهو النزعة الصوفية . وتعتبر المقامات صادقة أكبر الصدق في تصوير عصر حميد الدين .

ورغم تكلف حميد الدين في مقاماته فإنه كان يبدي كثيراً من الرقة والحذق . وقد أورد أشعاره في ثنايا مقاماته لكنها جاءت أقل جودة من نثره .

وقد ترجمت مقامات حميد الدين إلى العربية ضمن رسالة جامعية تقدم بها الدكتور طلعت أبو فرحة بعنوان « حميد الدين والمقامات الفارسية » لنيل درجة الماجستير [3] .

---

(١) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٥١ .

(٢) أنظر : ديوان انوري ، طبع طهران ، ص ٣٣٥ الأبيات من ٨١٨٥ إلى ٨١٩٠ تعليقات القزويني على لباب الألباب ، ص ٦٠٥ ، حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، طبع ليبزج ، ١٨٣٥ – ١٨٥٨ ، مرزبان نامه ، طبع طهران ، الكامل ، حوادث ٥٥٩ هـ .

(٣) نوقشت الرسالة في عام ١٩٦٢ م ولم تطبع حتى الآن ، ولها عدة نسخ بالآلة الكاتبة في مكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس .

(٧) سمك عيار :

من أفضل كتب القصص الفارسي المؤلفة في القرن السادس الهجري . والقصة طويلة تقع في ثلاثة مجلدات ، ومسرح الحكاية إيران وما جاورها من ممالك حتى الأرمن وحلب . وأغلب أبطالها لهم أسماء إيرانية ، ولبعضهم أسماء عربية .

ويشتمل الكتاب على كثير من المسائل الحيوية والاجتماعية ، وبه وصف للبلاطات والمنازل والأشخاص والأسلحة المستعملة في ذلك العصر . ويستفاد من المعلومات الواردة في بداية الكتاب أن يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى سنة ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م كان تاريخ البدء في جمع القصة .

وقد وردت في القصة أشعار لكبار الشعراء أمثال الفردوسي دون أن يذكر المؤلف أسماءهم . ويعدُّ الكتاب بصفة عامة من روائع الآثار الفارسية السهلة البسيطة الغنية بالكلمات .. ومن بدائع المؤلفات التي وردت فيها القواعد محكمة غاية الإحكام[١] .

وللكتاب نسخة في مكتبة بودلين باكسفورد تحت الأرقام : 379, 380, 381 Ms'ouseley

(٨) تتمة صوان الحكمة :

ألفه بالعربية أبو الحسن البيهقي المعروف بابن فندق . ويستفاد من ديباجة الكتاب أنه تتمة لكتاب (صوان الحكمة) الذي ألّفه أبو سليمان محمد بن طاهر ابن بهرام السجستاني أحد أجلّة الحكماء في القرن الرابع الهجري . والمعروف أن كتاب صوان الحكمة يحتوي على تراجم لأحوال الحكماء وكلمات حكيمة أثرت عنهم . والاختلاف الوحيد بين الكتاب الأصلي والكتاب المتمم له هو أن موضوع صوان الحكمة ينحصر في تاريخ الحكماء الذين ظهروا قبل الاسلام

---

(١) تاريخ أدبيات درإيران ، جـ ٢ ص ٩٨٨ — ٩٩١ .

(تاريخ حكماء اليونان) ، بينما موضوع تتمة صوان الحكمة ينحصر في تاريخ الحكماء الذين ظهروا بعد الإسلام مسلمين وغير مسلمين ، وإن كان المسلمون يشكّلون القسم الأكبر .

ولا يعرف تاريخ تأليف تتمة صوان الحكمة على وجه التحقيق ، وإن رجّح البعض أنه أُلِّف فيما بين عامي ٥٥٣ ، ٥٦٥ هـ = ١١٥٨ ، ١١٦٩ م [١] .

(٩) أغراض السياسة في أعراض الرياسة :

ألّفه محمد بن علي بن محمد بن الحسن الظهيري الكاتب السمرقندي [٢] . وهو أحد مشاهير المترسّلين والكتّاب الإيرانيين في عصر السلاجقة . وقد ارتقى في المناصب حتّى شغل منصب صاحب ديوان الانشاء لطمغاج خان .

ويشتمل الكتاب على لطائف كلام الملوك من عهد جمشيد إلى عهد قلج طمغاج خان ابراهيم ، الذي أُهدي إليه الكتاب .

والكتاب في جملته مصنوع مزيّن ، حافل بالشواهد والأشعار العربية والفارسية [٣] .

(١٠) سندباد نامه :

من جملة القصص الهندية القديمة الّتي نقلت إلى البهلوية ، ولقيت شهرة أدبية في إيران قبل الإسلام . ومؤلف الكتاب الأصلي هو سندباد الحكيم أحد معاصري كوش ملك الهند . وقد سمّى كتابه : (كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك) [٤] .

---

(١) أنظر : بيست مقاله ، جـ ٢ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ .
(٢) سندباد نامه ، طبع استانبول عام ١٩٤٨ م ، باهتمام السيد احمد آتش ، ص ٢٠ .
(٣) تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٩٩٩ ، ١٠٠٠ .
(٤) المسعودي : مروج الذهب ، طبع مصر ج ١ ص ٦٧ .

ويرجّح ابن النديم أن يكون الكتاب من أسمار الهنود وأحاديثهم وتأليفهم.[1]

وقد ترجم الكتاب من البهلوايّة إلى العربية ، واشتهر بنسختيه الكبيرة والصغيرة . ثم ترجمت القصة في عهد السامانيين إلى الفارسية الدريّة على يد أديب يدعى قناورزي . ثم هذبه الشاعر الدقائقي المروزي في أواخر القرن السادس الهجري ، وكتبه في نثر مصنوع مزيّن . وأخيراً أخرجه ظهير السمرقندي في صورة نثرية بسيطة مزينة مرصعة بالأشعار والأمثال الفارسية والعربية والهندية . حتى أنه بات يعد نموذجاً للنثر المصنوع في أواخر القرن السادس الهجري .

(١١) جوامع الحكايات ولوامع الروايات :

ألّفه سديد الدين (أو نور الدين) محمد بن محمد عوفي البخاري [2] في عام ٦٣٠ هـ = ١٢٣٢ م . والمؤلف من كبار كتاب إيران وعلمائها الذين عاشوا في أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجريين . والكتاب من الكتب الشهيرة ذات الفائدة التاريخية والأدبية النادرة ، ويقع في ٤ مجلدات يحتوي كل مجلد منها على ٢٥ باباً . ونثره – فيما عدا الديباجة – بسيط للغاية ، بالغ السلاسة . وتكثر فيه الكلمات والتركيبات العربية [3] . وقد ترجم إلى التركية ثلاث مرات واستفاد منه التابعون .

(١٢) روضة العقول :

أحد كتب النثر الفارسي الهامة . وهو ترجمة لمرزبان نامه الذي يشبه كليلة ودمنة في كونه يشتمل على قصص وحكايات وخرافات تجري في أغلب الأحوال على لسان الحيوانات .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، طبع مصر ، ص ٤٢٤ .

(٢) مقدمة د . محمد معين على جوامع الحكايات ، طبع طهران سنة ١٣٣٥ هـ .

(٣) تاريخ أدبيات درإيران ، ج ٢ ص ١٠٢٨ .

ومؤلف مرزبان نامه واحد من ملوك طبرستان (آل باوند) ، يدعى مرزبان بن رستم بن شروين . وقد ألّفه باللغة الطبرية القديمة في أواخر القرن الرابع الهجري .

أما مؤلف روضة العقول فهو محمد بن غازي الملطيوي ، ألّفه في أواخر القرن السادس الهجري – نقلاً عن الأصل كما ذكرنا – وغيّر في عدد أبوابه وعدد حكاياته وترتيبها . كما أضاف من إنشائه بعض حكايات لم ترد في مرزبان نامه .

ويقع الكتاب بصورته الجديدة في أحد عشر باباً . ويمتاز أسلوبه الإنشائي بأنه مصنوع مزيّن مليء بالشواهد والأمثال والأشعار العربية .. إلا إنه رغم ذلك غاية في السلاسة والبلاغة [1] .

(١٣) مرزبان نامه :

ترجمة أخرى لمرزبان نامه الذي ألّفه مرزبان بن رستم ، قام بالترجمة أحد فضلاء العراق فيما بين عامي ٦٠٧ ، ٦٢٢ هـ = ١٢١٠ ، ١٢٢٥ م . والمترجم هو سعد الدين الوراويني . وقد ترجم الكتاب في لغة فارسية أدبية صحيحة ، وصدّره باسم ربيب الدين هارون وزير ازبلك بن محمد من أتابكة آذربيجان (٦٠٧ ٦٢٢ هـ = ١٢١٠ – ١٢٢٥ م) [2] .

* * *

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٥٢ .

(٢) ارجع إلى :

مرزبان نامه ، طبع طهران ، ص ٢٩٥ . حيث يذكر المؤلف اسم الأتابك المذكور وأنظر :

تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٥٢ ، تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ١٠٠٥ .

(و) الكتب الأدبيّة :

(١) لباب الألباب :

تذكرة لشعراء إيران حتى أوائل القرن السابع الهجري . ألّفه بالفارسية محمد عوفي ، واهتم فيه بتزيين الكلام ، وذكر ألقاب الشعراء ونعوتهم وأماكن ولادتهم ومراحل نشأتهم .. كل ذلك في جمل مسجوعة مزيّنة مرصّعة .

ويعد الكتاب من حيث الأسلوب من الآثار الفارسية المصنوعة . وهو إلى جوار ما له من أهمية كسجل لأحوال الشعراء المشهورين .. له أهمية أخرى بفضل تسجيله الكثير من أعمال شعراء العهد .. التي ضاعت أو التي لم تنشر .

(٢) المعجم في معايير أشعار العجم :

أهم وأشمل وأشهر كتاب كتب باللغة الفارسية في باب العلوم الأدبية في آخر هذا العهد . يدور حول العروض والقافية ، ونقد الشعر ، وبيان مواطن الحسن فيه ، والكشف عن الصناعات المستحبة في النظم والشروط الخاصة بنظم الشعر والواجب توفرها في الشعراء .

بدأ شمس الدين محمد بن قيس الرازي تأليفه عام ٦١٤ هـ = ١٢١٧ م . وانتهى منه عام ٦٣٠ هـ = ١٢٣٢ م . وذكر فيه العديد من أسماء الشعراء وأشعارهم . وأكد بأسلوبه الجيد سعة اطلاعه وتبحّره في مختلف العلوم الأدبية ، الفارسية منها والعربية . وقد طبع الكتاب مرة في عام ١٩٠٩ م مع مقدمة وحواشي وضعها محمد خان القزويني .. وتحت اشراف المستشرق ادوارد براون . ثم طبع مرة أخرى على يد مدرس رضوي في عام ١٣١٤ هـ ، ومرة ثالثة في عام ١٣٣٥ هـ .

(٣) حدائق السحر في دقائق الشعر :

كتاب في الصناعات الشعرية ، وأقدم ما وصل لأيدينا في ذلك الفن باللغة

الفارسية . إذ ضاع ما سبقه من مؤلفات في هذا المضمار أمثال (ترجمان البلاغة) . ومؤلف حدائق السحر هو الإمام رشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل عمر بن الكاتب الملقب بسعد الملك ، والشهير بالوَطْوَاط . كان كاتباً لأتسز وايل ارسلان خوارزمشاه . وقد ألفه بناء على طلب أتسز خوارزمشاه في منتصف القرن السادس الهجري [1] . وقد وضع لكل فن من فنون البلاغة مثالاً نثرياً عربياً وآخر فارسياً ، واستشهد بأبياته هو في أغلب الأحيان .

وترجع أهمية الكتاب إلى اشتماله على أشعار بعض المتقدمين ، وإلى استخدام المؤلف نثراً علمياً فارسياً جيداً . غير أن به عيباً من الجهة العلمية .. إذ يخلط المؤلف فيه بين عدد من المحسنات .. ولا يورد الشواهد والأمثلة مطابقة للتعريف في بعض الأحيان [2] .

هذا وقد طبع الكتاب أكثر من مرة ، وترجم إلى اللغة العربية [3] .

(ز) الكتب العلمية :

(١) حدايق الأنوار في حقايق الأسرار :

ألّفه الإمام محمد بن عمر بن الحسين بن علي الطبري الرازي الملقّب بفخر الدين والمعروف بالإمام فخر . وكان التأليف بالفارسية وفقاً لأمر السلطان تكش خوارزمشاه .

وقد جمع المؤلف في كتابه ٦٠ علماً من علوم العصر . فهو على هذه الصورة يعدّ بمثابة فهرست يشتمل على اصطلاحات علمية . وقد تقبّله العامة

---

(١) تاريخ أدبيات اير ن ، ص ٢٥١ ، سبك شناسي ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .
(٢) فروزانفر : سخن وسخنوران ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
(٣) آخر طبعة له هي التي قام بها عباس إقبال في عام ١٣٠٨ هـ . وقد نقله إلى العربية الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ، وطبع في القاهرة عام ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .

وتداولته الأيدي بسبب اختصاره الشديد وأسلوبه السهل وتغطيته لجميع مبادىء العلوم . وكانت النتيجة أن انتشرت نسخه بحيث لم يعد في الإمكان معرفة الصورة الأصلية التي أنشأها فخر الدين [1] .

(٢) قراضهٔ طبيعيات :

كتاب في مشاكل الطبيعة ، وضع بطريقة السؤال والجواب . نسبه البعض خطأ إلى ابن سينا ، والبعض إلى محمد بن محمد الغانمي المبرّز في العلوم العقلية والرياضية .

ويقع الكتاب في أربعة فصول تتناول المسائل الحيوانية والنباتية والمعدنية والنوادر . ويسبق الفصول الأربعة مقدمة للمؤلف .

وتاريخ التأليف مجهول ، إلا أن الكتب تجمع على أن الكتاب من مؤلفات القرن السادس الهجري [2] .

(ح) الكتب الطبية :

(١) ذخيرهٔ خوارزمشاهي :

ألفه اسماعيل بن حسن الجرجاني في المباحث والموضوعات الطبية ، وفي التشريح والصحة والعقاقير والسموم . ويقع في ١٢ مجلداً [3] . ويشتمل كل مجلد على عدة مقالات وباب . وقد استخدم المؤلف في كتابه عدة لغات وتركيبات جعلت للكتاب أهمية أدبية إلى جانب أهميته الطبية .

---

(١) سبك شناسي ، ص ٣٩٦ .

(٢) تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٩٧٢ : ٩٧٣ .

(٣) طبقا لما ذكره ذبيح الله صفا (تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٩٤٥) ، أما رضا زاده فيذكر أن عدد المجلدت ١٠ فقط (تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢) ، ويجعلها صاحب سبك شناسي ٩ مجلدات . (ص ٤٠٤) .

وقدم المؤلف كتابه لأبي الفتح قطب الدين محمد خوارزمشاه انوشتگين حاكم خوارزم (٤٩٠ ــ ٥٢١ هـ = ١٠٩٦ ــ ١١٢٧ م) ، ثم ترجمه بعد ذلك من الفارسية إلى العربية . وللمؤلف عدا كتابه هذا عدة كتب في الطب، منها :

خفيّ علائي ، أغراض (الأغراض الطبية والمباحث العلائية) ، يا دگار[1]

وأسلوب كل هذه الكتب متشابه تقريباً من حيث البساطة وعدم التكلف والتصنع .

(٢) كتب ابن حبيش :

كتب هذا المؤلف عديداً من الكتب في الطب بالعربية والفارسية ، اتسمت ببساطتها ودقتها . منها :
بيان الطب (بالفارسية) ، كفاية الطب (بالعربية) ، صحة الأبدان (بالعربية) .

(ط) كتب الرياضيات والهيأة والتنجيم :

(١) جوامع أحكام النجوم :

ألفه أبو الحسن البيهقي (ابن فندق) في القرن السادس الهجري ، وجعله في ثلاثة مجلدات[2] .

(٢) كامل التعبير :

ألفه بالفارسية حبيش بن ابراهيم ، من علماء القرن السادس الهجري . وهو

---

(١) رياض العارفين ، طبع طهران سنة ١٣١٦ هـ ، ص ١٧٦ ــ ١٧٨ .
(٢) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٩٩٥ .

في تفسير الحلم الذي روى عن ابن سيرين والإمام جعفر الصادق وأبي حنيفة وبقية العظماء .

ألفه باسم قلج أرسلان أحد سلاجقة آسيا الصغرى (٥٥١ – ٥٨٤ هـ = ١١٥٦ – ١١٨٨ م [١]) . وللكتاب نسخ خطية كثيرة ، وقد طبع في طهران عام ١٣٠٢ هـ .

(٣) روضة المنجمين :

ألفه شهمردان بن أبي الخير ، أحد منجمي إيران وعلمائها ، وذلك في عام ٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م . وهو كتاب يتعلق بالنجوم وأحكامها ، يستخدم فيه المؤلف أسلوباً سلساً سهلاً ، ويستعمل الكلمات المتداولة في عصره .

هذا وللمؤلف كتاباً آخر باسم : نزهة نامهٔ علائي ، ألّفه فيما بين عامي ٥٠٦ هـ ، ٥١٣ هـ = ١١١٢ م ، ١١١٩ م [٢] .

(٤) كيهان شناخت :

ألّفه حسن قطان المروزي بعد عام ٥٠٠ هـ باللغة الفارسية في علم الهيئة . وبنى كلامه فيه على أقوال أساتذة هذا الفن والمتبحرين فيه .

وقد كان مصرع المؤلف على يد الغز في عام ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م .

كتب الأسفزاري :

ألف أبو الحاتم المظفر بن اسماعيل الاسفزاري عدداً من الكتب في الرياضيات وحركات الكواكب وما إلى ذلك ، ومن أهم ما كتبه :

---

(١) استانلي پول : طبقات سلاطين إسلام (ترجمة عباس إقبال) ، ص ١٣٧ .
(٢) تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٩٠٩ .

أصول أقليدس (بالعربية) ، رسالهٔ آثار علوي أو كائنات جو (بالفارسية)، ورسالة الشبكة (بالعربية) .

وكانت وفاته قبل عام ٥١٥ هـ = ١١٢١ م .

(ب)الشعر :

كان أسلوب الشعر في بداية العصر السلجوقي خاضعاً لتأثير الأسلوب الشعري الذي ساد في العصر الأول الغزنوي ، كما كان بعض شعراء السلاجقة يحاولون إحياء الأسلوب الساماني . ومع ذلك كان الشعراء – بتأثير عوامل أدبية وفكرية جديدة – أصحاب ابتكارات خاصة تعدُّ سمة بارزة لتطوُّر الأسلوب في أشعار عهدهم [١] .

فقطران التبريزي – الذي كان يتبع الأسلوب الساماني – هو مبتكر المدرسة الخاصة بإيراد الصناعات في الشعر . وناصر خسرو – بمزجه الفلسفة بكلامه وارتياده ميدان الأفكار الجديدة – قد أوجد أسلوباً خاصاً وطريقة جديدة في الشعر . أما دقة خيال مسعود سعد سلمان وانتقائه الكلمات السهلة البسيطة .. فقد جعلته يتوصل إلى أسلوب وسط بين أسلوبي الشاعرين الغزنويين الكبيرين : الفرُّخي والعنصري .

وحلَّ القرن السادس الهجري وما زال الشعراء يتبعون دواوين شعراء أوائل القرن الخامس . غير أن هذا الأمر لم يحل دون إنشاء أساليب جديدة . فسنائي والمعزي – رغم تأثرهما بديواني الفرُّخي والعنصري – كان لكل منهما أسلوبه الخاص الذي أثَّر في لاحقيه . والخاقاني رغم تأثره بأسلوب

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٣٣٥ .

العنصري .. لم يجد حرجاً في أن يمتدح أسلوبه الخاص به [1] .

وهكذا يمكننا القول بأن الشعراء الذين اشتهروا في القرن الخامس وأوائل السادس قد ساهموا — إلى جوار تقليد القدماء — في إيجاد بعض التغيير في الأسلوب الشعري .

لكن تأثير شعراء النصف الثاني من القرن السادس كان أكبر .. فقد تمكنوا من الوصول إلى طريقة جديدة في الشعر ، أبرز ما فيها هو تركيزهم الاهتمام على لغة التخاطب والحوار ، وتوخّيهم أن يكون الشعر بسيطاً إلى درجة كبيرة ، وأن يكون الكلام سلساً . ونقصد بالسلاسة إيراد القسط الأكبر من الشعر بنفس اللهجة التي يصاغ بها الكلام العادي البسيط وقت المحاورة . وقد أفلحوا في ذلك حتى لقد كانت أبياتهم تظهر فعلاً في حكم المكالمات العادية .

كما كانوا يستعملون اللغة العربية ، لا عن تكلف وإظهار مقدرة علمية وسعة اطلاع ، بل باعتبار أن الكلمات والتركيبات العربية التي كانت ترد في أشعارهم هي من مقولة الكلمات والتركيبات الرائجة في اللغة الفارسية آنذاك أو المألوفة في الكتب العلمية المتداولة .

كما اهتموا كثيراً بإيراد المعاني والمضامين الدقيقة في أشعارهم ، وأفرطوا في الاستفادة من الأفكار والاصطلاحات والقضايا والموضوعات العلمية المختلفة

---

(١) يقول الخاقاني :

إن لي أسلوبا جديدا خاصا بي ، وقد كان أسلوبي قبل ذلك نفس أسلوب العنصري القديم .

النص الفارسي :

مرا شيوهٔ خاص تازه است وداشت .:. همان شيوهٔ باستان عنصري

تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ٣٣٦ .

دون أن يحدثوا فيها تصرُّفات شاعرية كافية . وكان هذا الأمر يؤدي أحياناً إلى الاستدلالات العقلية كما هو الحال في الكتب العلمية ، ويُبْعِد شعرهم عن الحالة التي يجب أن يكون عليها .. ويؤدي إلى الإبهام والغموض .

كما اهتمت هذه الطائفة بايراد المضامين الدقيقة في الغزل واتباع أبسط الأساليب وأقربها إلى الطبيعة ، لذا بدا غزلها لطيفاً إلى حد كبير .. لفظاً ومعنى .. وهكذا نشأت مدرسة جديدة في الغزل .. أنشأها الأنوري وسمائي المروزي ونظائرهما ، وختمها ظهير الفاريابي . وكانت هذه المدرسة سبباً في ظهور شعراء في الغزل في القرن السابع على قدر كبير من الأهمية .. استطاعوا أن يصلوا بهذا اللون من الشعر الفارسي إلى حدود الكمال [1] .

وكانت هناك في هذا العصر مراكز كبيرة يزاول فيها الشعراء نشاطهم . وكانت آذربيجان في شمال غربي ايران مركزاً من هذه المراكز . وقد تخرج من آذربيجان شعراء مشهورون أمثال :

ابو العلاء الگنجوي ، قوامي الگنجوي ، فلكي الشرواني ، الخاقاني الشرواني ، نظامي الگنجوي ، ومجير البيلقاني .

ومن المراكز الكبيرة أيضاً خراسان ، وما وراء النهر ، والعراق . وكان محيط آذربيجان الأدبي يتميز عن محيط خراسان وما وراء النهر نظراً لتداول اللهجة الآذرية فيه ، وهي لهجة تختلف عن اللهجة الدرية . كما كانت آذربيجان – دون سائر المحيطات الاجتماعية الإيرانية – ترتبط ببعض المحيطات غير الإيرانية التي لها آداب متمايزة في الغالب عن الآداب الإيرانية .

وكان وجود الألفاظ والتركيبات العربية في اللهجة الآذرية سبباً في جعل لهجة كلام شعراء أذربيجان مخالفة للهجة شعراء المشرق .

---

(١) تاريخ ادبيات در ايران ، ج ٢ ص ٤٢ .

أما محيط العراق فكان يعتبر من المراكز الأدبية الهامة ذات الأثر في خلق أسلوب خاص في الشعر الفارسي في النصف الثاني من القرن السادس . فقد ظهر في اصفهان وهمذان والري ونظائرها – في الفترة المذكورة – شعراء مشهورون كان لهم أثرهم الكبير في تجديد أسلوب الشعر ، أمثال : جمال الدين محمد بن عبد الرزاق الاصفهاني .

وبعد حملة الغز وكساد سوق الشعر والأدب في خراسان .. هاجر الكثير من الشعراء إلى العراق واذربيجان وخدموا سلاطينها وأمراءها ، فارتقت مدرسة العراق الأدبية ، واشتهر فيها أثير الدين أخسيكتي ، وأشهري النيشابوري .

مميزات الشعر الفارسي في العصر السلجوقي وأهم خصائصه :

هناك خصائص وسمات بارزة تميّز بها الشعر الفارسي في عهد السلاجقة ، أهمها :

(١) انعكاس مضامين الشعر العربي وأفكاره فيه .. خاصة الشعر الجاهلي .

(٢) خروج الشعر الفارسي عن محيط البلاط المحدود ، واتساع مساحة موضوعاته ، وبسطة بيانه ، وقوة الأحاسيس التي ينطوي عليها .

وقد تسبب في ذلك عاملان ، أحدهما : تفضيل بعض الشعراء الابتعاد عن القصور واستغنائهم عن البلاطات خوفاً على أنفسهم من حياتها المملوءة بالغموض والدسائس [١] . وثانيهما : نفوذ الأفكار العرفانية في الشعر الفارسي ووصوله إلى الخانقات ، وتأثره بالحكمة والعلوم المختلفة والأفكار الدينية والأبحاث المذهبية .

---

(١) كان أغلبُ الشعراء يتكسبون عن طريق المديح ولا يستغنون عن القصور والبلاطات بل إن بعضهم – كالأنوري – كان يجيز الشحاذة والاستجداء .
أنظر : رسالة الدكتوراة التي كتبتها حول (الأنوري : عصره وبيئته وشعره) ، بمكتبة كلية الآداب – جامعة عين شمس – القاهرة .

(٣) عرض العقائد الصوفية بأفضل أسلوب وأبلغه ، والدعوة إلى العزلة والاعتكاف .

(٤) سيادة نزعة التشاؤم وكراهية الزمان .

(٥) الاهتمام الكبير بإيراد المعاني والمضامين الدقيقة في المديح وغيره من الأغراض الشعرية ، مما تسبب عنه ارتداء هذه الأشعار ثوب الإبهام والغموض في معظم الأحيان . وتأليف شروح لشرح بعض الأبيات وإزالة غموضها .

(٦) إيراد أبسط الأساليب وأقربها إلى الطبيعة في الغزل .

(٧) سار التيار الفكري للمنظومات في اتجاهين متعارضين :

اتجاه يساند الفلسفة والحكمة واتجاه يهاجمهما ويعتبرهما إلحاداً .

فبينما نجد الأنوري يقف في جانب الفلاسفة والحكماء ويفخر في مواضع كثيرة من ديوانه بمعرفته للفلسفة وعلوم الحكمة ، ويظهر اعتقاده في ابن سينا وينقل مؤلفاته [1] .. نجد سنائي يصرح بأن الإيمان بعقيدة اليونانيين معطل للدين ، وأن قراءة الفلسفة أمر خارج عن التعقل . كما نجده يدعو أتباع ارسطو وافلاطون إلى ترك مقالات المجانين من اليونانيين . ويرى العقل في قراءة القرآن والوقوف على أحكامه .

ونجد الخاقاني بدوره يسب الفلاسفة ويثور عليهم ثورة عارمة ، ويتهمهم بخلط دين العرب بالفلسفة .

منزلة الشعراء في العصر السلجوقي :

كان الشعراء في العصر السلجوقي يكونون طبقة هامة محترمة ينتمي إليها

---

(١) ديوان الأنوري ، طبع طهران ، ص ٤٢٩ ، ٣٣٢ ، ٤٤٣ .

العامة والخاصة [1]. وكانوا جزءاً لا يتجزأ من مجالس العظماء يؤنسونهم ويتغنون بفضائلهم ويمازحونهم ويرافقونهم في أسفارهم ويلهون معهم ويجالسونهم للطرب ولعب النرد والشطرنج [2] .. وكان العظماء بدورهم يشجعون الشعراء [3]، ويبالغون في تكريمهم، ويصل بهم الأمر حد عيادتهم في منازلهم [4]. وكان بعضهم يمتنع عن سماع الأغاني أو مجالسة الغواني إكراماً لهم واحتراماً لمشاعرهم.

غير أنه بالرغم مما كان يلقاه الشعراء من رعاية وتكريم .. لم تكن حياتهم تخلو من مشكلات يسببها لهم العظماء أنفسهم. فقد كان العظماء بغية التسرية عن أنفسهم - يوقعون بين الشعراء فيتهاجون وتنشأ العداوات بينهم. كما أن إغداقهم الأموال عليهم بلا حساب وفتحهم أبواب قصورهم في وجوههم كان يغريهم بسلوك طريق المتعة واللهو واللجوء إلى الإسراف والتبذير .. ولذا اشتهر معظم الشعراء في هذا العصر بالخلاعة والمجون.

وكان العظماء يتنافسون في جذب الشعراء إليهم رغبة في نيل الشهرة عن طريقهم. وكان الشاعر الذي يحظى بالتقدير والإجلال أكثر من سواه .. هو

---

(1) كان السلاطين ينتمون إلى هذه الطبقة، وممن نسب اليهم قول الشعر من بينهم: سليمان بن السلطان محمد السلجوقي، وطغانشاه بن محمد بن مؤيد آي آبه، ويبغو وغيرهم أنظر: عوفي: لباب الألباب، ج ١ ص ٣٩، ٤٦.

(2) نظام عروضي سمرقندي: چهار مقاله، طبع بمباي، المقالة الثانية، ص ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠.

(3) ممن كانوا يشجعون الشعراء من بين ذوي الجاه والسلطان:
الأمير علي بورتكين، قلج طمغاج خان، نصرة الدين قلج أرسلان من سلاطين أفراسياب وطغرل بن ارسلان من سلاجقة العراق. واتسز، وعلاء الدين تكش، وسلطانشاه ابن ايل ارسلان، والسلطان محمد، وعليشاه من الخوارزمشاهين. ومظفر الدين محمد شبانكاره، وعلا الدين حسين الغوري (نفس المرجع والصفحات).

(4) كان سنجر يلقب الأنوري بأخيه ويعوده في منزله إذا مرض.

الذي يكون على درجة كبيرة من العلم . إذ كان الاعتقاد السائد آنذاك هو أنّ الشاعر يجب أن يكون على دراية بأنواع العلوم على اختلافها ، فكما أن الشعر يفيد في كل علم فإن كل علم يفيد في الشعر [1] . ولذا كان بعض الشعراء على درجة كبيرة من العلم ، حتى لقد كانوا قادرين على تأليف الكتب والرسائل .

كما كان على الشاعر لكي يحظى بالتقدير والإجلال أكثر من سواه أن يجمع إلى جوار الذهن الجيد والذوق الرفيع والدراسة المستفيضة المتشعبة مقدرة فائقة على الارتجال والإتيان بالرديف الصعب [2] .

وكان عليه أن يجمع بين موضوعات الوعظ والتحقيق والخلاعة والهزل والمسائل الفلسفية والكلامية والحقائق العرفانية والمديح والهجاء . خاصة وأن البعض كان يرى أن الاقتصار على واحد من هذه الموضوعات أو على بعضها .. عيب يدنيّ منزلة الشاعر .

وقد بلغت منزلة بعض الشعراء حدّ أن ترك لهم سادتهم حرية اختيار من يصلحون للالتحاق بالبلاط من بين الشعراء المجيدين .. مما أوجد التنافس والخصومات بين الشعراء ، وجعل البعض منهم يزيل من طريقه من يتوسم فيه النبوغ والقدرة على المنافسة .

موضوعات الشعر :

تنوعت موضوعات الشعر في عصر السلاجقة وتعددت فطرق الشعراء أبواب المدح والهجاء والحكمة والمسائل العرفانية والغزل والقصص ، ونظموا في كل ما نظم فيه سابقوهم من مشاهير الشعراء . والمعروف أن عدداً من كبار شعراء الفرس السابقين على هذا العصر قد نالوا شهرتهم وأستاذيتهم في غرض

---

(١) چهار مقاله ، المقالة الثانية ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٣٤٨ .

واحد من أغراض الشعر حققوا فيه الكمال .. فالفردوسي كانت أستاذيته وشهرته في الحماسة والعنصري والفرّخي في المدح وسنائي في الوعظ والحكمة والعرفان . أما الشاعر السلجوقي فكان عليه اذا ما سعى لنيل الشهرة أن يظهر المهارة في عدة أغراض .. علّه يوفق في لفت الأنظار (١) .

المدح :

كانت له سوقه الرائجة في البلاطات وقصور العظماء ، وكان الشاعر يتقاضى لقاء مدائحه راتباً أو أجراً من أجهزة الحكومة أو العظماء .

وقد عمد الشعراء إلى المبالغات الشاذة بصورة تفوق الصور التي عهدناها قبل هذا العهد . ولعلّ تصدّيهم لمدح العبيد أو المغيرين ممن لا حسب ولا نسب لهم قد اضطرهم إلى إغفال المضامين الطبيعية المألوفة واللجوء إلى هذا السبيل .

ورغم ما بلغه بعض شعراء هذا العصر أمثال المعزي وأنوري وظهير ومجير وأثير وعمادي من شهرة في المديح وما حققوه من كمال إلا أنهم ظلوا خاضعين لتقاليد القصيدة العربية .. فكانوا يفتتحون منظوماتهم – في الغالب – بالغزل أو التشبيب أو الوصف ثم ينتقلون إلى المدح وينتهون بالدعاء للممدوح .

وكان موضوع المدح يختلف باختلاف المناسبة ، فقد يكون وصفاً لحرب أو مجلس لهو أو منظر طبيعي أو بسطة جاه أو نفحة كرم . والنتيجة أن اختلف طابع المدح فجمع بين الحماسة والوصف والمشاعر الذاتية وغير ذلك .

ومن منظومات المديح ما كان يبدأ بنظم أبيات في لغز من الألغاز على أن يكون لذلك صلة بعواطف الشاعر أو مدحه ، ومنها ما كان يشتمل على حوار .. وهذه نواحي أصالة في قصيدة المديح الفارسية (٢) .

---

(١) تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٢) غنيمي هلال : مختارات من الشعر الفارسي ، ص ١٧ ، ١٨ .

الهزل والهجاء :

غرضان قلد فيهما شعراءُ الفرس شعراءَ العرب منذ القرن الرابع الهجري . وفي عهد السلاجقة كان الهزل رائجاً – في الغالب – بين الشعراء وأصدقائهم بغية التسرية ورفع الكلفة . أما الهجاء فكان سلاح الشاعر الذي يشهره ضد اعدائه وأعداء سيده ، وكانت المنظومة في هذه الحالة غالباً ما تكتظ بأقبح الكلمات وأفحش العبارات وكأن الشاعر يريد أن يجهز على خصمه بأسرع طريقة . وكان الشاعر يعمد في هجوياته إلى المبالغة في الوقت الذي يبحث فيه عن مضمون جديد مبتكر يكسبها طابع الطرافة والجدّة .. ويهمّه أن يشتهر اسمه كشاعر هجاء . وكان السوزني وحكيم جلال وكوشكي وروحي واوالجي والأنوري يمثلون أصحاب هذا الاتجاه [1] .

القصص :

بدأ الفرس نظم القصص في القرن الرابع الهجري ، فوجدنا « الرودكي » شاعر السامانيين ينظم (كليلة ودمنة) بقصصها العديدة ، أبا المؤيد البلخي والبختياري [2] من بعده ينظمان قصة (يوسف وزليخا) .

وفي القرن الخامس الهجري ازداد نظم القصص ازدهاراً وكثر ناظموها ومنهم (العنصري) مؤلف القصة الشعرية (وامق وعذرا) ، (خنك بت وسرخ بت) . و « عيوقي » مؤلف قصة (ورقه وگلشاه) التي يرجع تاريخ نظمها إلى عام ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م . [3] وفخر الدين أسعد الگرگاني – المعاصر لطغرلبك – الذي نظم (ويس ورامين) .. وهي قصة ايرانية قديمة أُلِّفت في العصر الأشكاني . وبنظم فخر الدين لهذه القصة أوجد أسلوباً خاصاً في نظم

---

(١) عوفي : لباب الألباب ، ج ٢ ص ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٩٨ .

(٢) شاعران من شعراء آل بويه .

(٣) تاريخ أدبيات در ايران ، الطبعة الثانية ، ج ١ ص ٦٠٤ – ٦٠٧ .

القصص ، ظهر أثره فيما بعد في منظومة نظامي الگنجوي (خسرو وشيرين) .

وفي أواخر القرن الخامس نظم شاعر مجهول قصة (يوسف وزليخا) وكل ما يعرف عن هذا الشاعر أنه كان يعيش في عهد شمس الدولة أبي الفوارس طغانشاه ابن الپ ارسلان السلجوقي حاكم خراسان . كما نظمت عدة قصص في الحماسة أو العشق .

وفي القرن السادس بلغ نظم القصص باللغة الفارسية الأوج على يد نظامي الگنجوي صاحب المنظومات القصصية : خسرو وشيرين ، ليلى والمجنون ، اسكندرنامه ، وهفت پيكر . وقد اعتبر نظامي لمهارته ودقته صاحب أسلوب ومدرسة خاصة في الأدب الفارسي ، وكثر مقلدوه وتابعو طريقته .

وإزاء سيطرة الغلمان والقبائل الصفراء على ايران ، وتغلغل العوامل الدينية ونسيان الفخر بالعصبيات أو هجره .. ضعفت القومية الإيرانية . وفي مقابل انحطاط الحماسة القومية راج في ايران في القرن السادس نوعان جديدان من الحماسة يتمشيان مع الوضع الاجتماعي السائد في ذلك العهد .

النوع الأول هو الحماسة التاريخية . وقد تجلت في المنظومات الحماسية التي وضعت حول من سجّل التاريخ أسماءهم وأعمالهم . كمنظومة (اسكندر نامه) لنظامي الگنجوي ، و (شاهنشاه نامه) لپاييزي [1] .

والنوع الثاني هو الحماسة الدينية . وقد تجلت في المنظومات التي وضعت لتجسيد بطولات شخصيات إسلامية ، وخاصة الشيعة .

هذا وقد اشتغل بعض الشعراء — في آخر القرن الخامس وأوائل السادس — بنظم بقايا القصص القومية [2] ، ومن بين ما نظموه :

---

(١) هو الشاعر محمدپاييزي النسوي الذي كان يعيش في أوخر القرن السادس وأوئل السابع .

(٢) يمكن الرجوع إلى كتاب (مجمل التواريخ والقصص) المؤلف في عام ٥٢٠ هـ لمعرفة الكثير عن هذه الأعمال الشعرية وعن أصل المنظومات .

(١) گرشاسب نامه . نظمها أسدي الطوسي شاعر القرن الخامس أخذاً عن گرشاسب نامه المنثورة لأبي المؤيد البلخي .

(٢) بهمن نامه . نظمها إيرانشاه بن أبي الخير في أواخر القرن الخامس أو أوائل السادس .

(٣) فرامرز نامه . نظمت في أواخر القرن الخامس أو أوائل السادس ، وناظمها مجهول .

(٤) كوش نامه . تنسب إلى الحكيم إيرانشاه ، وموضوعها حروب كوش پيل دندان إبن أخي الضحّاك .

(٥) بانوگشسب نامه . ناظمها مجهول ، وهي تحكي قصة بانوگشسب إبنة رستم .

(٦) برزو نامه . تنسب إلى عطاء بن يعقوب المعروف بعطائي الرازي ، وهي في ذكر أحوال برزو بن سهراب .

(٧) شهريار نامه . نظمها سراج الدين عثمان بن محمد المختاري الغزنوي (م٥٤٤ هـ) وذلك في أواخر القرن الخامس . وهي منظومة حماسية تشيد بأعمال أسرة رستم البطولية ، وتمتد أحداثها إلى ثلاثة أجيال بعده .

(٨) آذر برزين نامه . ناظمها مجهول . وهي تحكي قصة حياة آذر برزين ابن فرامرز .

(٩) بيژن نامه . نظمها عطاء بن يعقوب في حوالي ١٩٠٠ بيت . وهي تروي حياة بيژن بن گيو البطل الإيراني المعروف .

(١٠) سوسن نامه أو قصة سوسن رامشگر . وهي قسم من بروزنامه لخواجه عطائي .

(١١) قصة كاك كوهزاد . نظمها شاعر مجهول الاسم ، في القرن السادس . وهي تتغنى ببطولة رستم في صغره .

(١٢) قصة شيرنگك . منظومة تصف الحرب التي خاضها رستم مع شيرنگك بن ديوسپيد وجميع شياطين مازندران .

الوعظ والحكمة :

إلى جانب إفراط شعراء العصر السلجوقي في المجون والهزل والهجاء .. أغرقوا في إيراد المواعظ والحكم في منظوماتهم ، واستطاع بعضهم أن يصل بالوعظ والحكمة حد الكمال . ويعد سنائي أكبر شاعر بلغ بالوعظ في أشعاره نهاية الكمال وأعلى المراتب . وقد استطاع أن يمزج بين المعاني الحكمية والعرفانية وما فيها من نصح وتوجيه وبين العبارات الفصيحة والخيالات العالية والتعبيرات النادرة . وكان أول من استغل المثنويات في هذا اللون .. ثم تبعه الشعراء ، ونبغ منهم نظامي الگنجوي في مثنويته (مخزن الأسرار) [١] . كما يعد الأنوري من أفضل الشعراء الذين استطاعوا إيراد المسائل الاجتماعية والحكمية في قطعاتهم على نحو يحرك القلوب ويهز المشاعر .

العشق والغناء :

منذ أواسط القرن الثالث الهجري وبداية ظهور الشعر الدري .. بدأ ظهور أشعار العشق والغناء في الشعر الفارسي . ويتمثل أقدمها فيما بقي من شعر الباد غيسي . وبلغ هذا اللون حد الكمال في القرن الرابع الهجري حين اهتم الشعراء بانشاد نوع خاص مستقل من الشعر يسمى الغزل . وهكذا حلت الغزليات مكان التشبيب الذي كان يشكل جزءاً من القصيدة . وأول الغزليات

---

(١) يمكن معرفة الكثير عن هذه المنظومة بالرجوع إلى نظامي گنجوي ، شاعر الفضيلة ، ص ١٥٥ .

المحركة للقلوب هي التي نظمها الرودكي . وارتفع الفرخي بمستوى الغزل كثيراً وأورد فيه المعاني الغنائية .

أما شعراء القرن السادس فكانوا ينظمون الغزل والتغزّل معاً [1] . ويفضلون نظم الغزليات على نظم القصائد حتى زاد عددها في دواوينهم زيادة كبيرة . وقد لوحظ في منظومات بعض كبار الشعراء في هذا العصر أن الغزل بات يرجح المديح وغيره من موضوعات القصائد .

وقد اشتهر الأنوري وسمائي المروزي وظهير الفاريابي من بين شعراء هذه الفترة بنظم أروع الغزليات وأبلغها مع مراعاة قوة الخيال ولطف الكلام وسهولة العبارات . كما كانت غزليات الخاقاني ونظامي الكنجوي وجمال الدين محمد ابن عبد الرزاق تتميز بالرقة ويُحس فيها غالباً ذوق العرفان .

هذا وقد استغل المتصوفة الغزل منذ أوائل القرن الخامس فما بعد ، واتخذوه وسيلة لشغل السالكين وتهذيب نفوس واردي الخانقات . وكانت مثل هذه الغزليات العرفانية تتضمن مصطلحاتهم المتعلقة بمشربهم .

وقد استفيد أيضاً في هذا العصر من ضروب الشعر الأخرى — كالرباعي والمثنوي — في نظم الأفكار الغنائية . حتى أن رباعيات العشق التي صيغت في ذلك العهد — على كثرتها — كانت غاية في اللطف تتميز بطرافة مضمونها .

شعراء العصر السلجوقي :

حفل العصر السلجوقي بالشعراء ، وكان لبعضهم أثره في الأدب عامة والشعر خاصة . وسوف نحاول في الصفحات القليلة المقبلة أن نلقي بعض الأضواء على حياتهم وآثارهم وأثرهم وتأثرهم .

---

(١) الفرق بينهما هو أن معاني الأبيات في التغزل مرتبطة ببعضها البعض ، أما في الغزل فان هذا الارتباط شرط غير لازم .
أنظر : مختارات من الشعر الفارسي ، ص ١٩ .

(١) ابو سعيد بن أبي الخير :

هو الشيخ أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير . ولد في « مهنة » عام ٣٥٧ هـ = ٩٦٧ م [١] . ويعتبر من أوائل المتحدثين بالفارسية في مذهب التصوف ، وأول من أبدع الشعر الصوفي وطوّع الرباعيات لأفكاره الدينية والصوفية والفلسفية ، وأول من أضفى على الرموز والتعبيرات الصوفية الجمال والخيال اللذين عرف بهما الشعر الصوفي فيما بعد .

وقد كُتِبَ حوله مؤلّفان ، أحدهما بعنوان (أسرار التوحيد) ويقع في ٤٨٥ صحيفة . ألفه أحد احفاده ويدعى محمد بن المنور فيما بين عامي ٥٥٢ هـ ، ٥٩٩ هـ (١١٥٧ — ١٢٠٣ م) . ويعد الكتاب من أقدم الرسائل التي كتبت عن حياة الأولياء والدراويش في ذلك العصر ، وقد اعتمد عليه العطار وجامي وغيرهما من كتّاب التراجم . كما أنه يشتمل على كثير من المسائل اللغوية الهامة ، والصيغ المهجورة .

والمؤلف الثاني : مقالة قصيرة بعنوان (رساله حورانيه) ، كتبها عبدالله ابن محمود وفسّر فيها إحدى رباعيات أبي سعيد

وكانت وفاة أبي سعيد في مهنة عام ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م على الأرجح [١] .

وقد نقشوا هذين البيتين بالعربية على قبره :

سألتك بل أوصيك إن مت فاكتبي
على لوح قبري كان هـذا متيّمـاً
لعل شجيا عارفـا سنن الهـوى
يمرّ عـلى قبـر الغريب مسلّمـاً

---

(١) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران ، ص ١١١

(٢) بابا طاهر عريان :

من أهالي همدان . ولد في أواخر القرن الرابع الهجري ، وعاش في عهد طغرل وقابله في همدان عام ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م .

ألف عدة رسائل بالعربية وأخرى بالفارسية ، منها : الكلمات القصار . وهي رسالة بالعربية تبيّن رأي الصوفية في العلم والمعرفة والذكر والعبادة والوجد والمحبة في جمل قصيرة معبّرة . وتعتمد شهرة بابا طاهر في ايران على رباعياته الحلوة المؤثّرة ، التي تختلف في وزنها قليلاً عن الوزن المتّبع في الرباعي ، والتي كانت تسمى في الكتب القديمة باسم (الفهلويات) . وهي — من حيث صياغتها اللفظية والمعنوية — لا تضارع رباعيات الخيام وإن تحدث فيها بدوره عن بعد الإنسان عن الحقيقة وحيرته ووحدته وحقارة شأنه ، واشتكى الهجر وأبرز شعوره بالاشتياق المعنوي .

وكانت وفاة بابا طاهر في همدان ، في النصف الأول من القرن الخامس الهجري [1] .

(٣) أسدي الأصغر :

هو علي بن أحمد الأسدي الطوسي ، من شعراء القرن الخامس الهجري :

صاحب الكتابين : گرشاسب نامه ، وفرهنگ لغات فرس أو لغت فرس . وقد ألف أولهما على غرار شاهنامة الفردوسي فجاءت على نفس الوزن والطريقة ، غير أن أبياتها لم تتجاوز التسعة آلاف بيت . ويرجع تاريخ نظم هذه الملحمة التي تمجد بطولات گرشاسب البطل الأسطوري إلى عام ٤٥٨ هـ

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٩ ، براون : تاريخ الأدب في ايران ، ج ٢ (ترجمة) ، ص ٣٢٣ — ٣٢٥ .

أو ٤٥٩ هـ (١٠٦٥ م أو ١٠٦٦ م) [1] .

أما الكتاب الثاني فهو معجم يقتصر على شرح الكلمات الفارسية المهجورة ، ألفه في نهاية حياته . وهو يفسر فيه الكلمات بشواهد لشعراء قدامى يبلغ عددهم السبعين تقريباً .. ويذكر تراجم لهم . ولما كان بعض هؤلاء الشعراء مجهولاً بالنسبة لنا فإن أسدي قد أسدى بذلك خدمة جليلة .

وفي عام ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م [2] قام أسدي بنسخ كتاب (الابنية عن حقائق الادوية) الذي ألّفه منصور الموفق بن علي الهروي .

هذا ولا يعرف تاريخ وفاة هذا الشاعر على وجه التحقيق ..إلا أنه كان بعد عام ٤٥٩ هـ = ١٠٦٦ م ولا شك .

(٤) فخر الدين الجرجاني :

هو فخر الدين أسعد الجرجاني أحد مشاهير الشعراء في القرن الخامس الهجري . كان يعمل في بلاط السلاجقة لدى طغرلبك ويحظى بعطف وزيره أبي الفتح المظفر النيشابوري . وترجع شهرته إلى قصته المنظومة المقتبسة عن البهلوية ونعني بها (ويس ورامين) . وقد نظمها في عام ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م [2] بتشجيع من الوزير المذكور وأهداها إليه [3] .

وهناك تشابه بين ويس ورامين وخسرو وشيرين لنظامي الكنجوي من عدة وجوه . ويعتبرها المتخصصون أولى المنظومات التي انقسم بوجودها الشعر المثنوي إلى قسمين متمايزين : شعر له وزن الهزج تصاغ فيه قصص

---

(١) يرد هذا التاريخ لدى براون ، بينما يذكر رضا زاده أن ذلك كان في عام ٤٤٨ هـ (أنظر ص ١٤١) .

(٢) يرد هذا التاريخ في كتاب براون (تاريخ الأدب في ايران جـ ٢) ترجمه (ص ٣٤٣) ، أما رضا زاده فيذكر أن تأليفها كان في عام ٤٤٦ هـ (تاريخ أدبيات ، ص ١٧٤) .

(٣) طبعت القصة ونشرت ضمن المكتبة الهندية في عام ١٨٦٥ م .

الحب ، وآخر له وزن المتقارب تصاغ فيه قصص الملاحم والأبطال .

ومن النظم يتضح أن أسلوب فخر الدين كان سهلاً للغاية ، وأنه كان على علم بعلوم الحكمة . وقد توفي فخر الدين في أواسط القرن الخامس الهجري .

(٥) أزرقي :

هو أبو بكر أو أبو المحاسن الأزرقي بن اسماعيل الورّاق الهروي [١] . اكتسب لقب الحكيم لفضله وكتابته في النصائح والحكم العلمية .

كان شاعر السلطان طغانشاه بن الپ ارسلان السلجوقي حاكم خراسان ، يلازمه ويمتدحه كثيراً ويؤلف المصنفات باسمه . وقد نال في عهده شهرة كبيرة وبلغ منزلة رفيعة .

وقد خلّف الأزرقي وراءه ديوان أشعار نادر الوجود يشتمل على قصائد وقطعات جيدة ، ولكنها لا تخلو من تشبيهات غريبة وتكلفات ومبالغات في وصف الممدوحين [٢] .

وينسب اليه الكتاب المنظوم (سندباد) في النصائح والحكم العلمية ، وكتاب (الفيه وشلفيه) الذي كتبه مقروناً بالصور ليحرك غرائز مولاه الجنسية بعد ضعف [٣] . وقد وصف عوفي محتويات الكتاب الأخير وصفاً كاملاً [٤] .

---

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، طبع ليدن ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، تاريخ الأدب لبراون ج ٢ (ترجمة) ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٢) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات ... ، ج ٢ ص ١٨٣ .

(٣) رشيد الدين الوطواط : حدائق السحر في دقائق الشعر (الترجمة العربية) ، هامش ص ١٣٨ .

(٤) عوفي : لباب الألباب ، ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٨ وما بعدها .

ويرى البعض أن الأزرقي يلي المعزي مرتبة وشهرة . ويرجحون أن تكون وفاته في عام ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م أو قبله بقليل [١] .

(٦) قطران التبريزي :

هو قطران بن منصور التبريزي . يرى البعض أنه من أهالي ترمذ [٢] ، ويؤكد آخرون أنه من أهالي تبريز [٣] .. وعلى أي حال فقد كان يعيش في بلخ .

كان قطران يمتدح حكّام گنجه ونخجوان وأرّان ، ويلازم عنصر المعالي كيكاوس .

وقد ذاعت شهرته في عهد أبي الحسن علي لشگري أحد حكام گنجه (٤٢٥ – ٤٤١ هـ = ١٠٣٣ – ١٠٤٩ م) [٤] .

كان ماهراً في نظم الشعر وتدبيج المؤلفات ، وقد أشاد به وبمهارته كبار الشعراء . فقال رشيد الدين الوطواط : « إني أسلم في زماني لقطران بالشاعرية ، ولا أعرف في الباقين شاعراً » . وقال ناصر خسرو عنه حين قابله في تبريز عام ٤٣٨ هـ = ١٠٤٦ م انه واسع الاطلاع لكنه أضاف أنه لا يجيد الفارسية [٥] .

وكان قطران صاحب مدرسة في الشعر تضم جماعة من كبار الشعراء ، حتى ليقال إن أكثر شعراء بلخ وما وراء النهر تلامذة له [٦] . وكانت أستاذيته

---

(١) حدائق السحر (ترجمة) : ص ١٣٨ ، تاريخ أدبيات رضا زاده ، ص ١٨٤ .
(٢) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، (ليدن) ، ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٣) عوفي : لباب الألباب ، جـ ٢ ص ٢١٤ .
(٤) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٤٨ .
(٥) سفرنامه ، طبع شيفر ، باريس ١٨٨١ م ، ص ٦ .
(٦) مقدمة حدائق السحر (ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي) ، هامش ص ٩٦ ، تذكرة الشعراء ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

تتبدّى في نظمه الأشعار الصعبة وفي المديح ، إذ كان شاعراً عن طريق العلم لا عن طريق الطبع وحده . كما كانت أستاذيته تتبدى في دقة وصفه للمعارك وفصول السنة . وقد قلّده تلاميذه في كل شيء حتى في الإكثار من الصنعة والمحسنات البلاغية .

ولقطران – إلى جانب ديوانه الذي يبلغ ١٠ آلاف بيت [١] – منظومة قصصية فائقة الجودة [٢] عنوانها (وامق وعذرا) ، ومنظومة باسم (قوس نامه) ، وكتاب في فن اللغة .

ويقال إن وفاته كانت في عام ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م وإن كانت القرائن تشير إلى أنه عاش إلى ما بعد ذلك التاريخ [٣] .

(٧) ناصر خسرو :

هو الحكيم ناصر خسرو بن الحارث القبادياني . ولد في قباديان من أعمال بلخ عام ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ – ١٠٠٤ م [٤] . ودرس في شبابه العلوم والفنون ، وحقق الأديان والعقائد ، وقرأ أشعار الفرس والعرب . وكان كثير الأسفار والحج ، يقابل كبار الشخصيات ويتصل بأئمة الشيعة الاسماعيلية . وقد رأى بلاط مسعود الغزنوي ، وعمل كاتباً لدى السلاجقة قبل أن يصبح داعية للإسماعيلية .

وقد حيكت حوله الأساطير فهو تارة ملك على بلخ ، وتارة وزير القادر

---

(١) رضا زاده : تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٥٠ .
(٢) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ليدن ، ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٣) رضا زاده : تاريخ أدبيات .. ، ص ١٥٠
(٤) رضازاده : تاريخ أدبيات ، ص ١٤١ ، ديوان ناصر خسرو ، طبع طهران ، ص ١١٠ .

بالله العباسي ، مع ما في هذه الأخبار من أخطاء تاريخية كما يرى براون [1] .

وقد استغل ناصر خسرو أسفاره الكثيرة في كتابة كتاب اسمه (سفرنامه) ، تحدث فيه عما صادفه في رحلاته بلغة سهلة خالية من الصنعة والمحسنات . وقد نشره المستشرق شيفر في باريس عام ١٨٨١ م .

وقد اضطر للهرب نتيجة لمعاداة السنة وأمراء السلاجقة له بسبب اهتمامه بعقائد الاسماعيلية ومحاولة ترويجها . ونتج عن ذلك كتابه الفلسفي (زاد المسافرين) . وقد أثبت فيه عقائد الإسماعيلية وحقق عدة مسائل مذهبية وفلسفية . وتم طبع الكتاب بمطبعة كاوياني ببرلين ، عام ١٣٤١ هـ .

ومن الكتب العديدة التي تنسب إليه :

مثنوي روشنائي نامه (٥٧٩ بيتاً) ، سعادت نامه ، وجه دين ، خوان إخوان [2] ، دليل المتحيرين ، كنز الحقائق ، الإكسير الأعظم ، القانون الأعظم ، علم اليونان ، رسالة السحر ، الدستور الأعظم ، المستوفي ، وتفسير القرآن .

وله ديوان في الفلسفة والأخلاق والمذهب والوعظ ، طبع في طهران وتبريز ، وتشتمل طبعته الاخيرة على ٧٤٢٥ بيتاً [3] منها عدة أبيات في الإلحاد منسوبة إليه .

وكان ناصر خسرو يصوغ أشعاره في قالبي القصيدة والمثنوي أكثر من سواهما ..

وكان لا يتغزل ولا يمتدح كمعاصريه ، ويرى أن العلم أفضل السبل لإيضاح

---

(١) براون : تاريخ الأدب في ايران جـ ٢ (ترجمة) ، ص ٢٦٨ .

(٢) طبع في القاهرة عام ١٩٤٠ م .

(٣) يذكر رضا زاده في كتابه ص ١٤٣ أن ديوان ناصر خسرو كان يشتمل أول الأمر على ٣٠ ألف بيت .

طريق الوصول لإدراك الحقيقة .. فكان لذلك دائم التحدث عن فضيلة العلم ، ووجوب ربطه بالدين والإيمان ، واقترانه بالعمل . ولم تكن عقائده — مع قوله بالعقل وحثه على طلب العلم — تخلو من صبغة التصوف .

والخلاصة أنه كان شاعراً حراً ذا نظر ، متحدثاً مؤمناً متدنياً ، قلَّ أن يخطىء أحد أسلوبه لأن لكلامه لهجة خاصة .

وليس لدينا ما يقطع بتاريخ وفاته على وجه التحقيق ، غير أن رضا زاده يؤكد أنه توفي في عام ٤٨١ هـ = ١٠٨٨ م ، وأن قبره في وادي يمگان بولاية بدخشان [(١)] .

(٨) عبد الله الأنصاري :

هو أبو اسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي . ولد في هراة عام ٣٩٨ هـ = ١٠٠٦ م [(٢)] وعاصر الپ ارسلان وعاش طوال عمره في ايران .

يعتبر عبدالله الأنصاري أول من استعمل النثر المسجوع في الفارسية واستخدم الشعر في ثنايا النثر . وتعد مناجاته الشهيرة — التي أصبحت موضع تقليد من جاءوا بعده — خير نموذج للنثر المسجوع والأسلوب الفارسي في القرن الخامس الهجري . وكان كثير التأليف بالعربية والفارسية . ومن مؤلفاته العربية : ذم الكلام ، ومنازل السائرين .

ومن مؤلفاته الفارسية : زاد العارفين ، رسالة أسرار ، كتاب أسرار ، رسالهٔ دل وجان ، كنز السالكين ، رسالهٔ واردات ، قلندر نامه ، هفت حصار ، محبّت نامه ، مناجات نامه ، رسالهٔ مقولات ، إلهي نامه ، نصيحت ،

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٤٤ — ١٤٧ .

(٢) هذا وفقا لما ورد في تاريخ الأدب في ايران لبراون (ترجمة) ج ٢ ص ٣٣٦ ، أما رضا زاده فيذكر أنه ولد سنة ٣٩٦ هـ (تاريخ أدبيات ص ١١٣ ، ١١٤) .

تهذيب لكتاب السلمي (طبقات الصوفية) [١] ، أنيس المريدين ، شمس المجالس (قصة يوسف وزليخا نثرا) ، وأنوار التحقيق .

وقد نظم الأنصاري بالفارسية في فصاحة وبلاغة ، وله رباعيات سلسلة فيها جذبات عرفانية روحانية . وهو يعتبر في طليعة ناظمي الرباعيات ، خاصة التي تدور حول المعاني الدينية والعرفانية . كما يعتبر صاحب الفضل الأكبر في لامتزاج التدريجي الذي حدث بين الشعر الصوفي والشعر التعليمي ، وأول من امهد الطريق في ذلك لسنائي .

وكانت وفاة الأنصاري في هراة عام ٤٨١ هـ = ١٠٨٨ م [٢] .

(٩) أبو طاهر الخاتوني :

صاحب أقدم كتاب في تراجم شعراء الفرس ، وهو بعنوان « مناقب الشعراء » . وقد ضاع هذا الكتاب وبقي ذكره لدى حاجي خليفة في كتابه ، وبقيت عنه إشارتان لدى دولتشاه في كتابه (تذكرة الشعراء) . وكان أبو طاهرمن الكتّاب الممتازين المتفننين [٣] ، وقد اشتهر بهجوياته . ويقال إنه مات في عام ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م أو بعد ذلك بقليل .

(١٠) الأبيوردي :

هو ابو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي الأموي . عاش في العصر السلجوقي . وتفوّق في جميع العلوم ، خاصة النحو واللغة والأنساب . وتوفي

---

(١) أدخل الأنصاري على الكتاب إضافات باللغة الهروية القديمة . وقد نقله الجامي من الهروية للفارسية المستعملة في عهده ، وأضاف إليه شرحَ حالات مشايخ آخرين . وأخرج للوجود كتابه « نفحات الأنس » .

(٢) براون : تاريخ الأدب في إيران جـ ٢ (ترجمة) ، ص ٣٠٤ .

(٣) رضا قليخان : معجم الفصحاء ج ١ ص ٦٦ .

في إصفهان عام ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م . وهو يدخل في زمرة صغار الشعراء الذين ضاع معظم شعرهم ولم يكن لهم تأثير يذكر في الأدب .

(١١) سنائي : ت ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م

هو أبو المجد مجدود بن آدم سنائي [١] العارف الكبير وأستاذ الشعر الفارسي في القرن السادس الهجري . ينسبه البعض إلى غزنة والبعض إلى بلخ [٢] .

ولد سنائي في أواسط القرن الخامس الهجري ، وعمل في خدمة بلاط الغزنويين في أول حياته العملية قبل أن يتوب ويقطع علاقته بالدنيا ، ويرفض الزواج من أخت بهرامشاه بن مسعود ولي نعمته (٥١١ = ٥٥٢ هـ) = (١١١٧ – ١١٥٧ م) .

وقد بدأ سنائي رحلته مع العلم والعرفان بخروجه من غزنين واختلاطه برجال خراسان [٣] . ثم حج وعاد ليسير في شوارع غزنة حاسر الرأس حافي القدمين [٤] . واعتزل العظماء ، وسار في مدارج الكمال وخرج على الدنيا بأشعار صوفية .

---

(١) تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ٥٥٢ ، شعر العجم ، ص ١٥٤ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ١١٦ ، فروزانفر : سخن وسخنوران ، طبع سنة ١٣١٨ ، ص ٢٦٧ ، براون : تاريخ الادب في ايران ، ج ٢ (ترجمة) ص ٣٩٥ ، الجامي : نفحات الأنس من حضرات القدس ، طبع الهند ، ص ٣٧ . أما عوفي فيسميه (مجد الدين آدم سنائي) ، ويسميه حاجي خليفة (محمد بن آدم) ، وقد ذكر سنائي في إشاراته بديوانه نفس الاسم . ويرى صاحب سخن وسخنوران أن اسمه (حسن) .

انظر : لباب الألباب ، ص ٢٥٢ ، كشف الظنون ، طبع تركية ، ح ١ ص ١٦١ ، ديوان سنائي ، طبع مدرس رضوي ، ص ٣ ، سخن وسخنوران ، ص ٢٦٧ .

(٢) يذكر سنائي في ديوانه أن بلخ تزدهر بصيته وتفخر بذيوع اسمه .

انظر : ديوان سنائي ، طبع طهران ١٣٢٠ هـ . ش ص ١٨ .

(٣) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٥٥٣ – ٥٥٥ .

(٤) شعر العجم ، ص ١٥٦ .

ويعدُّ سنائي من جملة الشعراء الذين أوجدوا تغييراً وتنوّعاً في أسلوب الشعر الفارسي . ويواجهنا في أشعاره أسلوبان : أحدهما نتيجة المرحلة التي قضاها في اللهو والمتعة والتكسب متأثراً بأسلوب سابقيه وخاصة الفرخي . وثانيهما نتيجة تحوله المعنوي بسبب اختلاطه بشيوخ الصوفية ، واستغراقه في التفكير والتأمل . فقد استقى أفكاراً جديدة : دينية وعرفانية ، فاتبع طريقة شعرية جديدة ، وأتى بطرز فكري جديد انعكس في قصائده وغزلياته وقلندرياته وترجيعاته العديدة ومثنوياته . فقد امتلأت كلها بالمعارف والحقائق العرفانية والحكم والأفكار الدينية والوعظ والزهد والأمثال التعليمية، أدّاها كلها في بيان محكم بليغ فصيح .

ويلاحظ أن العربية وتركيباتها قد كثرت في أشعار سنائي ، وأن كلام كان مزيّناً بالإشارات المختلفة من أحاديث وآيات وقصص وأمثال ، وأنه قرأ لشعراء العرب كما قرأ لشعراء الفرس .

وكان يلجأ إلى الاستدلالات العقليــة لإثبات مقاصده ، ويستعمــل الإصطلاحات العلمية بوفرة . ويمكن القول بأن هذه الطريقة التي اتبعها في شعره كانت مبدأ تحول كبير في الشعر الفارسي ، وأحد أسباب انصراف الشعراء عن الأمور البسيطة إلى المسائل الصعبة إظهاراً لمهارتهم وأستاذيتهم . كما كان سنائي قدوة لمن كتبوا في نفس الموضوعات التي طرقها . وقد اعترف خاقاني صراحة بأنه خليفته (١) ، كما صرّح جلال الدين الرومي بأنه تابع له

---

(١) يقول الخاقاني في أحد أبياته :

عندما طوى الفلك عهد سنائي .. أنجبت السماء شاعراً بليغا مثلي ..

النص الفارسي :

چون فلك دور سنائي نوشت آسمان چون من سخن گستر بزاد

(ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٣٣٧)

ويقلّ عنه شأناً [1] . وأخذ الأنوري أبياتاً من ديوانه ضمّنها أشعاره معترفاً بذلك ، وساوى بين نفسه وبين سنائي .. وإن فضّل الشاعرَ أديب صابر لإعجابه الشديد به [2] . ولا توجد في ديوان الأنوري أبيات في ذم سنائي كما يدّعي صاحب سخن وسخنوران [3] .

ويعتبر سنائي أول شاعر مشهور في ميدان التصوُّف الإيراني ، فإن أحداً قبله لم ينظر في مذهب العرفان بنفس الإحكام والسلاسة وصفاء الكلام . كما يعتبر أول شخص وضَّح التصوّف وجلاّه بالشعر بصورة أكبر وأوسع مما فعل أبو سعيد . وأول من وضع بناء النظم والأخلاق وأوجد نظمه وأصوله وقواعده [4] .

---

(١) يقول جلال الدين الرومي :

لقد كان العطّار روحا وسنائي عينيه .. وقد أتينا تلو سنائي والعطّار

النص الفارسي :

عطار روح بود وسنائي دو چشم او .. ما ازپي سنائي وعطار آمديم

(تاريخ الأدب في ايران ، ج ٢ (ترجمة) ، ص ٣٩٥)

ويقول أيضا :

إني نصف مجرّب قد هدأت ثورتي .. فاستمع بإصغاء إلى الحكيم الغزنوي

النص الفارسي :

ترك جوشي كردهام من نيم خام .. ازحكيم غزنوى بشنو تمام

(رضا زاده : تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٢٣).

(٢) يمكن الرجوع إلى ديوان الأنوري ، ص ٣٠٨ لمعرفة الأبيات التي ضمّنها الأنوري أشعاره أخذاً عن سنائي . وهذا نص البيت الذي ساوى فيه الأنوري نفسه بسنائي وفضّل فيه صابرا :

چون سنائي هستم آخر گرنه همچون صابرم

والترجمة : أنا على أي حال شبيه بسنائي وإن لم أشبه صابرا .

(٣) سخن وسخنوران ، ص ٢٧٤ .

(٤) شعر العجم ، ص ١٥٨ — ١٦٠ .

ورغم أن سنائي كان في قصائده وتشبيهاته تقليدياً إلا أنه كان يمتاز عن معاصريه بالرصانة والسلاسة وطراوة الكلام .. حتى ليقال إنه لا يرقى أحد بين القدماء إلى مستواه باستثناء الفرخي . وللشاعر سنائي عدد من المؤلفات نجملها فيما يلي :

١ – الديوان . كان شاملاً لحوالي ثلاثين ألف بيت ضاع منها الكثير ، حتى أن النسخة التي طبعها مدرس رضوي تبلغ أبياتها ١٣،٣٤٦ بيتاً فقط . وقد صاغها في قالب القصيدة والغزلية والرباعية .

٢ – مثنوية حديقة الحقيقة .

٣ – مثنوية طريق التحقيق .

٤ – مثنوية سير العباد إلى المعاد (كنوز الرموز) .

٥ – مثنوية كارنامهٔ بلخ .

٦ – مثنوية عشق نامه .

٧ – مثنوية عقل نامه .

٨ – عفو نامه أو غريب نامه .

٩ – بهرام وبهروز .

هذا وقد طبع الديوان وطبعت مثنوية حديقة الحقيقة . أما بقية المؤلفات فقد ضاعت ولم يبق منها سوى عدة أبيات نقلها صاحب مجمع الفُصحاء من مثنوية سير العباد .

وقد قلّد كبار الشعراء مثنويات سنائي ، فاقتدى به نظامي في مخزن الأسرار . والعطار والمولوي في مثنويات الحكمة وأتم هؤلاء الكبار أسلوبه وطريقته بتعبيراتهم وابتكاراتهم .

وكانت وفاة سنائي على الأرجح في عام ٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م .

(١٢) منتجب الدين بديع :

هو منتجب الدين بديع الكاتب من معاصري رشيد الدين الوطواط . كان كاتباً وشاعراً تمكّن من أن يحظى بمديح الأنوري [١] .

ولم يكشف أحد عن تاريخ مولده ، وكل ما يُعرف عنه أنه قدم إلى مرو عام ٥١٦ هـ لتعلّم صناعة الكتابة وذلك في بداية شبابه . كما أن تاريخ وفاته مجهول .

وأشعار منتجب الدين الفارسية والعربية تدل على طبع شعري وأصالة .

(١٣) عمر الخيّام :

هو أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام (الخيّامي) من كبار شعراء إيران وعلمائها . ولد في (نيشابور) ويقال في (بستاك) من توابع استراباد أو (شمشاد) من أعمال بلخ [٢] .

كان كثير التنقل والاختلاط يميل إلى مجالسة العلماء ومناقشتهم .

تخصص في علم الهيئة والنجوم ، وشارك في إخراج زيج ملكشاه (التقويم الجلالي) المشهور .

---

(١) يقول عبد الوهاب القزويني في كتابه (بيست مقاله) ج ٢ ص ٢١١ أن بيت الأنوري الذي ترجمته :

يا من أنت الملك على الكُتّاب . . وقد شهد منشىء الفلك بذلك

والنص : اي بر سر كتاب ترا منصب شاهي   منشي فلك داده برين قول گواهي

(الديوان ، طهران ، ص ٣٢١)

قد نظمه الشاعر في مدح منتجب الدين . وقد سار عبد الوهاب القزويني في ذلك وراء رأي أحمد الغفاري الذي ذكره في كتابه (نگارستان) ، وإن كانت القصيدة لا تصرح باسم الممدوح .

(٢) شعر العجم ، ص ١٦٧ - سبك شناسي ١٦٦ ؛ تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٦٢ .

وكان الخيام يميل إلى نشر عقائد الفلاسفة وأفكارهم .. فكرهه العوام واتهموه بالإلحاد والزندقة وسعوا في قتله ، فقصد البيت الحرام للحج درءا للشبهات . ولما عاد إلى بغداد رفض تدريس الحكمة لطلابه . وكما فقد عطف العامة .. فقدَ عطف الفقهاء وأئمة المذاهب .

وشهرة الخيام تقتصر اليوم على رباعياته لكن هذا لا ينفي أنه كان نظيراً لابن سينا في الفلسفة وعلوم الحكمة ، وكان من أئمة الفن في العلوم المذهبية والأدبية والتاريخية . وكان موهوباً قوي الذاكرة .

ورباعيات الخيام انعكاس لأحاسيسه الداخلية .. كان يبغي بنظمها التسرية عن نفسه حال التعب الذي يلقاه في أبحاثه المتشعبة . وهي تظهر حيرته إزاء ما يحدث حوله ، وتدور حول الزمان وتقلباته ، وتحرِّض على المتعة والسرور واغتنام الفرصة ، وتمتدح الشراب ، وتؤكد مسئلة الجبر ، وتحث على التوبة وتقر الثواب والعقاب والمعاد ، وتنهى عن السيئات .

والقسم الكبير من الرباعيات التي تنسب للخيام مشكوك في صحة نسبتها إليـــه .

وقد ترجمت رباعياته إلى كل اللغات تقريباً .

وكان أسلوب الخيام في رباعياته جديد مبتكر ، فهو يعمد أحياناً إلى الرقة ، وأحياناً إلى المنطق والاستدلال ، وأحياناً يمزج كلامه بالمزاح والفكاهة .

وقد اختلف الباحثون في حكمهم عليه فوصفه البعض بأنه صوفي وعارف ، ووصفه آخرون بأنه حكيم وفيلسوف [1] ، حتى أنهم رأوا أنه كان يشرب الخمر عن حكمة لا عن خلاعة ومجون . والحق أن من ينظر في أشعاره لا يملك إلا أن يصفه بالمجون على الأقل . كما أن كبار المتصوفة قد وصفوه بما يثبت أنهم لا يقبلونه بين صفوفهم .

---

(١) شعر العجم ، ص ١٧٨ .

ويمكن دون إعمال فكر أن يستنتج من أشعاره أنه كان يتبع فلسفة سقراط القائمة على قولة (لا أدري) ، وانه كان يدين بمذهب الجبر ، ويؤمن بتناسخ الأرواح .. وأنه يقلد (ابيكورس) الحكيم اليوناني في فلسفته حول الماضي والحاضر والمستقبل .. ويعكس رأيه الخاص باغتنام الفرصة السانحة .

وإلى جوار الأشعار الفارسية كانت للخيام أشعار عربية جيدة .

ويوصف الخيام بأن له ضنَّة بالتأليف غير أن العديد من الكتب التي تنسب إليه يشهد بغير ذلك . ومن مؤلفاته العلمية والأدبية :

١ - رسالة بالعربية في براهين الجبر والمقابلة ، وهي من أمّهات كتب الشرق العلمية ، وقد تسببت في شهرة الخيام إلى حد كبير لدى علماء الرياضة في أنحاء العالم . وقد ترجمها للفارسية الدكتور غلا محسين مصاحب ، وطبعت في طهران .

٢ - رسالة بالعربية في الكون ومسألة التكليف ، وهي تتعلق بحكمة الخالق في خلق العالم والحكمة من التكليف . كتبها الخيام في عام ٤٧٣ هـ . إجابة على سؤال الإمام أبي نصر محمد بن عبد الرحيم النسوي أحد تلامذة ابن سينا وقاضي ناحية من نواحي فارس . وقد طبعت الرسالة عدة مرات .

٣ - رسالة في شرح مشكلات مصادرات كتاب اقليدس . طبعت في طهران عام ١٣١٤ هـ .

٤ - رسالة ميزان الحكمة ، وضعها الخيام في الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركّب منهما . وقد طبعت هذه الرسالة في برلين .

٥ - رسالة بالعربية في موضوع العالم الكلي باسم رسالة الضياء العقلي . طبعت في مصر والهند .

٦ - رسالة بالعربية في جواب ثلاث مسائل تتعلق بالحكمة .

٧ – رسالة روضة القلوب في كليّات الوجود . وهي رسالة بالفارسية ، نشرت على يد سعيد نفيسي في مجلة الشرق بتهران ، وتم طبعها بمفردها .

٨ – ترجمة خطبة ابن سينا . نقلها الخيام عام ٤٧٢ هـ في اصفهان من العربية إلى الفارسية ، وقد طبعها سعيد نفيسي في مجلة الشرق .

٩ – رسالة في صحة الطرق الموصِّلة لاستخراج الجذر والمكعّب .

١٠ – مشكلات الحساب التي وردت في مقدمة رسالة شرح ما أشكل من مصادرات كتاب اقليدس .

١١ – رسالة في الطبيعيات ، ينسبها شهرزوري للخيام .

١٢ – رسالة في بيان زيج ملكشاه .

١٣ – رسالة نظام الملك فيما يتعلق بالحكم .

١٤ – رسالة لوازم الأمكنة .

١٥ – أشعار عربية نقلتها الكتب المختلفة .

١٦ – كتاب نوروزنامه ، ويدور حول تاريخ عيد النيروز وآدابه . طبع في طهران عام ١٣١٢ .

١٧ – رباعيات الخيام الفارسية . وأقدم نسخة لها توجد الآن في اكسفورد . كما توجد نسخة نفيسة في باريس لكنها من حيث القدم لا تداني النسخة السابقة . وقد ترجمت رباعيات الخيام إلى معظم لغات العالم ، وطبعت مرات عديدة .

(١٤) مسعود سعد سلمان : ت ٥١٦ هـ

إسمه مسعود سعد ، واسم أبيه سعد بن سلمان . أصله من همدان ومنشؤه جرجان ، ومولده لاهور بالهند . ولد في عام ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م تقريباً من أب عالم . وكان جده بدوره عالماً .

خدم مسعود في شبابه في بلاط الغزنويين ، فكان في زمرة أتباع السلطان ابراهيم بن مسعود الغزنوي (٤٥١ هـ – ٤٩٢ هـ) . وانضم إلى حاشية سيف الدولة محمود أخي ابراهيم حين تولى حكومة الهند عام ٤٦٩ هـ . ولازمه في حروبه فنال منزلة عالية وأصبح موضع مديح الشعراء .

وقد أصابت عين السوء هذا الشاعر فسجن في عهدي كل من إبراهيم وسيف الدولة ، فقضى ٣٢ سنة من عمره حبيساً [١] . وتعد أشعاره التي أنشدها في سجنه معتذراً مظهراً سوء خطّه .. من أفضل ما نظم . وكانت (الحبسيات) – وهو الاسم الذي أطلق عليها – مثالا للأشعار الرقيقة التي تمس أوتار القلوب وتكشف عن أسلوب الشاعر الخاص .

وحين تحرّر مسعود من أسره عمد إلى الزهد والعبادة واعتزل خدمة الملوك ، واختار طريق التصوّف [٢] .

ويضع النقاد مسعوداً في الدرجة الأولى بين منشدي القصائد في إيران ؛ وهو يعد في طليعة ناظمي قصائد الرديف . ونتيجة لاعتياده دقة الخيال ، وايراده الكلمات المنتقاة التي تتسم بالسهولة والبساطة .. أوجد أسلوباً متكاملا ، هو الحد الوسط بين أسلوبي الفرّخي والعنصري [٣] .

وكانت مهارة مسعود في النثر تعادل مهارته في الشعر . وكان يسيطر على الفارسية والعربية والهندية . ويقال إن له ثلاثة دواوين باللغات الثلاثة . وكان ديوانه يحوي ١٨ ألف بيت تقريباً حين تصدى سنائي لجمعه لأول مرة [٤] .

---

(١) هذا ما ذكره صاحب مجمع الفصحاء ص ٥١٥ ، أما رضا زاده فيذكر في كتابه (ص ١٥٣) أن مدّة سجنه لم تتجاوز ١٨ عاما .

(٢) مجمع الفصحاء ، ص ٥١٥ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٥٣ .

(٣) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٣٣٥ ، تاريخ الأدب في ايران ج ٢ (ترجمة) ص ٤١١ .

(٤) مجمع الفصحاء ، ص ٥١٥ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ١١٧ .

وهناك خلاف بين المؤرخين حول تاريخ وفاته . وهم يحصرونها بين عامي ٥١٥ هـ = ١١٢١ م و ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م .[١]

(١٥) الكافي ظفر الهمداني :

عاش هذا الشاعر في عهد ملكشاه ، وبلغت أشعاره درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة .. مما جعل عوفي يمتدحه بأنه كان ملكاً على بساط البيان وقمراً في سماء الفضل والفصاحة [٢] . وكان الكافي سنيا لكنه كان يفرط في مدح علي وآله [٣] .

وكان يتكسّب عن طريق المديح . وممن امتدحهم ولازمهم الوزير المعروف في الدولة السلجوقية : « انو شيروان بن خالد بن محمد الكاشاني » . ويعتقد أن وفاة الكافي كانت بعد عام ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م وهو عام وفاة الوزير المذكور .

١٦ المعزّي : سـ ٥٤٢ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن عبد الملك المعزّي النيشابوري . استمد تخلُّصه الشعري (المعزي) إما من أحد القاب السلطان ملكشاه (معز الدين) ، أو من لقب سنجر (معز الدين) [٤] . وكان صاحب حظوة لديهما .. حتّى ليقال

---

(١) يمكن الوقوف على كل المعلومات المتعلقة بهذا الشاعر بالرجوع إلى البحث الذي تقدم به عام ١٩٦٨ م الدكتور طلعت ابو فرحة لنيل درجة الدكتوراه من قسم اللغات الشرقية ـ بكلية الآداب جامعة عين شمس ، وعنوانه : مسعود سعد سلمان : عصره وبيئته وشعره .

(٢) لباب الألباب ، ص ٣٩٩ .

(٣) لباب الألباب ، تعليق سعيد نفيسي ، ص ٦٩٦ .

(٤) حبيب السير ، ج ٢ ص ٥١٧ .

إن سنجر كان يناديه بأبيه ، ويملأ فمه بالجواهر حين يستحسن أشعاره . وقد نال لقب « أمير الشعراء » في بلاط سنجر [1] .

وقد ترك لنا المعزي ديوانـــاً حافلاً بالقصائد والغزليات والقطعــات والرباعيات . [2] ويلاحظ في أسلوبه أنه أشبه بأسلوب سابقيه من شعراء خراسان ، لا يخالفهم كثيراً في الألفاظ والموضوعات . ويمكن أن يقف المعزي في صف أساتذة المديح . أما رثاؤه الجيد فيعد بمثابة نموذج لأول أشعار العزاء الفارسية .

وقصائده في العادة مطوّلة محكمة يبذل فيها جهداً كبيراً في صنعة التشبيه والمجاز والاستعارة . ولم يكن جهده في مقطعاته ومسمطاته ورباعياته يقل عن جهده في قصائده .

فاذا ذهبنا إلى غزلياته وجدناها لطيفة متوسطة البيان ، ووجدنا أفكاره عادية .

ومع أن المعزي لم يأت بمضامين مبتكرة ، فإن عباراته الشائعة السهلة وصياغته القوية الديباجة تضعه في مصاف كبار شعراء الفرس الذين عاشوا في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس [3] . وكان المعزي يفوق معاصريه — باستثناء الأنوري — خضوعاً لتأثير اللهجة العامية في عصره [4] .

وقد امتدح الكثير من أساتذة الشعر المعزي ، وقرر عوفي أن طفل البلاغة قد وصل حدّ البلوغ على يديه . بمعنى أننا نجد في أشعاره سائر أنواع التشبيهات الأصيلة المبتكرة ، التي أصبحت فيما بعد مبتذلة مألوفة لدارسي الشعر الفارسي .

---

(١) بيست مقاله ، جـ ١ ص ٧٥ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٦٨ ، ١٧٠ — ١٧٢ .

(٢) نشره عباس إقبال من طهران عام ١٣١٨ هـ . ش = ١٩٣٩ م ، ويشتمل على ١٨٦٢٣ بيتا .

(٣) د . غنيمي هلال : مختارات من الشعر الفارسي ، ص ١٤٨ .

(٤) تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ص ٥١٤ .

بل إن براون ليقرر أن سائر التشبيهات التي استعملها شعراء الحب في غرب آسيا في عصور متأخرة .. إنما هي من انتاج المعزي [1] .

ومع ذلك فقد تعرض المعزي لطعن الخاقاني والأنوري كما يقول الباحثون فهم يرون أن بيت الأنوري الذي يقول فيه :

أعرف شخصاً من كبار ناظمي الشعر .. يعلق برقبته صراحة دم ديوانين [2]

فيه تعريض بالمعزي واتهام له بسرقه ديوانين من الشعر . ويرى فريق أن الديوانين للفرخي والعنصري ، ويرى آخرون أنهما لأبي الفرج ومسعود سعد . ويؤكد بعض الباحثين أن المعزي قد سطا على عدة قصائد من ديواني الفرخي والعنصري ونسبها لنفسه [3] .

ويعزو البعض موت المعزي في عام ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م إلى سهم خاطىء فوّقه سنجر من خيمته دون أن يدري أن الشاعر يقف خارجها ، فمات على الفور [4] . وقد رثاه سنائي في عدة أبيات .

---

(١) براون : تاريخ الأدب في ايران ، جـ ٢ (ترجمة) ص ٤١٦ .

(٢) ديوان أنوري ، طبع طهران ، ص ٥٥ . ونصه الفارسي :

كس دانم از اكابر گردن كشان نظـــم   كورا صريح خون دو ديوان بگردنست

والحق أن رأي القائلين بذلك موضع شك ، لأن اسم المعزى لم يذكر صراحة في البيت المذكور ، ولأننا يمكننا أن نجد في ديوان الأنوري مدحاً في أشعار المعزي ، واقتباساً عنه و ذكراً لأبيات من شعره على سبيل التضمين .

أنظر : ديوان الأنوري ، ص ١٩٣ ، ص ١٨ ، المعجم في معايير أشعار العجم ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٥ .

(٣) تاريخ أدبيات در ايران ، جـ ٢ ، ص ٥١٣ ، ٥١٤ .

(٤) بيست مقاله ، جـ ١ ص ٧٦ ، لباب الألباب ، ص ٣٠٠ — ٣١٠ . ويرد في مجمع الفصحاء (جـ ١ ص ١٥٢) أنه بريء من جرحه ولم يمت بسببه ، كما يرد في تاريخ أدبيات ايران (ص ١٧٣) أن حياة المعزي قد انتهت من عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٥ م بعد فترة قضاها يعاني من الألم بسبب سهم سنجر .

(١٧) عمعق :

هو ابو النجيب شهاب الدين عمعق البخاري ، أحد أساتذة ما وراء النهر الذين ذاعت شهرتهم في أوائل القرن السادس الهجري . اتصل بالسلطان سنجر وامتدحه ونال عطاءه [١] . وارتبط بالأمير خضر خان أحد أمراء الإيلك خانيين في ما وراء النهر وتركستان ، وفاز برضاه فأصبح أبرز شعراء الدولة وامتلك الغلمان والجواري والجياد والأموال والقصور [٢] ، وحظي باحترام الجميع ، وخطب ودّه الشعراء باستثناء رشيدي السمرقندي الذي كان بدوره شاعراً في بلاط خضرخان .. فقد هجاه وتعرض لهجائه [٣] .

وقد أطلق عليه نظامي لقب « الأمير عمعق » ، وأطلق عليه أمين أحمد الرازي لقب « سلطان العلماء » [٤] ، واستشهد الوطواط بأشعاره في كتابه حدائق السحر في دقائق الشعر ، وأقرّ له الأنوري بالأستاذية وسمّاه « أستاذ الكلام » [٥] .

وكان شعر عمعق غاية في العذوبة والسلاسة . وما كان منه مصنوعاً قد

---

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، طبع ليدن ، ص ٦٦ – ٦٧ (طبع بمباي ، ص ٣٥) .

(٢) چهار مقاله ، طبع بمباي ، ص ٣٩ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، تاريخ الأدب في ايران ج ٢ (ترجمة) ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(٤) أمين أحمد الرازي : تذكرة هفت اقليم ، ضمن فهرست أسامي الشعراء ... في شرح حال عمعق .

(٥) جاء هذا في بيت للأنوري قال فيه ما ترجمته :

وكما قال أستاذ الكلام عمعق : أيتها الريح احملي التراب الملوث بالدم إلى اصفهان

ونص البيت كما ورد في الديوان ، ص ١٠٨ هو :

هم بر آنگونه كه استاد سخن عمعق گفت :

خاك خون آلود ، اي باد ، باصفهان بر

أوقع الأساتذة في حيرة . وتشهد قصائده المشحونة بألوان الصناعات والنظرات الفلسفية العلمية بأنه كان خبيراً بالعلوم المتداولة في عصره .

وكان دقيقاً في تشبيهاته ، سليم الذوق جزل اللفظ واضح الفكرة ، يخلو كلامه من الإبهام ويفيض رقة وإحساساً .

وأحد أسباب شهرته يرجع إلى سلوكه طريقة جديدة في قصائده ، وهي وصف خيالاته الشعرية على نحو يجعلها تنبض بالحركة والحياة وتبدو وكأنها تتكلم [1] .

هذا ولعمعق يد بيضاء على المرثية وطريقة نظمها . وهو الذي رثى ماه ملك خاتون إبنة سنجر عندما استدعاه في عام ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م لذلك الغرض . غير أنه أرسل المرثية معتذراً عن عدم حضوره بكبر سنه وعماه [2] .

وقد توفي عمعق في عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م على الأرجح ، وخلّف من بعده ديواناً زاخراً بالقصائد والرباعيات والقطع ، كان يحتوي على ٧ آلاف بيت .. لم يبق منها سوى ٦١٤ بيتاً [3] . ويقال إنه انزوى في أواخر أيامه . وكان يرسل ابنه حميدي إلى مجالس السلاطين بدلاً منه ، بعد أن تجاوز المائة من عمره [4] .

(١٨) خالد بن الربيع :

هو فخر الدين خالد بن الربيع ، من جملة كتّاب خراسان وشعرائها

---

(١) تاريخ ادبيات در ايران ، ج ٢ ص ٣٣٩ .
(٢) سخن وسخنوران ، ص ٢٤٥ .
(٣) تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ٥٤١ .
(٤) آذر : آتشكده ، طبع بمباي ، ص ٣٢٢ .

المجيدين . كان معاصراً لسنجر بن ملكشاه وصديقاً للأنوري [١] .

وترد في كتب التراجم قصة تظهر وفاء خالد للأنوري ، وقدرته على نظم الشعر بالعربية إلى جانب الفارسية . ومفاد القصة أن علاء الدين ملك الجبال غضب على الأنوري لأنه قال شعراً في هجائه ، وأرسل إليه من يحتال في إحضاره ليقتله . وأراد خالد أن يحذر الأنوري بطريقة مستترة حتى لا يتعرض بدوره لسخط مولاه ، فأرسل إليه رسالة صدّرها بأبيات عربية تقول :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركموا طول ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
هي الدنيا أشبهها بشهد يسم وجيفة ملئت بمسك

ويقال إن الانوري أدرك مقصده ، فبادر بالاعتذار لعلاء الدين .

هذا وكانت وفاة خالد بعد عام ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م [٢] .

(١٩) أديب صابر : [٣] ت ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م ؟

هو شهاب الدين صابر بن اسماعيل الترمذي ، من أهالي ترمذ شمالي

(١) توجد في ديوان الأنوري أكثر من رسالة شعرية أرسلها خالد للأنوري ، وردُّ الأنوري عليها .
أنظر : الديوان ، ص ٢٥٣ .

(٢) سخن وسخنوران ، ص ٣٨٦ .

(٣) لمعرفة الكثير عنه انظر : مقالة سعيد نفيسي التي نشرها في مجلة ارمغان ، العدد الخامس ، السنة الرابعة سنة ١٣٠٢ هـ ، ص ٢٣٠ ــ ٢٤٥ ، ديوان صابر الترمذي ــ طبع تهران سنة ١٣٣١ هـ ، و المقدمة التي كتبها قويم وتعليقاته على هذه الطبعة من الديوان .

خراسان . أمضى فترة طويلة من عمره – إبّان حكم سنجر – في التنقل بين خراسان وبلخ ومرو [1] .

كان واسع الاطلاع في ميدان الأدب ، لا يكف عن تأمل دواوين العرب والوقوف على حياة شعرائهم . كما كان ملماً بمبادىء الرياضة والفلسفة [2] .

وتمتاز أشعار صابر بالرقة البالغة والجودة والفصاحة الّتي بلغت حداً جعل أرباب الأدب وأساتذته من معاصري هذا الشاعر يعترفون بتقدمه ، ويعتبرونه أستاذاً في عذوبة البيان وطلاقة اللسان ، ويلجأون إلى أشعاره يقلدونها أسلوباً وأفكاراً .

وكان الأنوري رغم فخره الكبير بنفسه لا يساوي بينه وبين أديب صابر ، بل ويفضِّله على نفسه وعلى سنائي في قوله :

إني شبيه بسنائي على كل حـــال . . إن لم أكن شبيها بصابر [3] .

كما أن الأنوري يفضّل صابراً على الوطواط ، ويؤيده البعض في حكمه [4] .

ويشتمل ديوان أديب صابر على قصائد وغزليات وقطع ورباعيات تمتاز بالعذوبة والسلاسة والصفاء . كما أن له أشعاراً كثيرة بالعربية . ومن أشعاره الفارسية والعربية تفوح رائحة الجبر ، وتتبدى قسوة الزمن ، ويبرز سوء الحظ [5] .

---

(١) مجمع الفصحاء ، ص ٣١٤ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٨٤ ، لباب الألباب ، ص ٣٢٩ .

(٢) سخن وسخنوران ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٣) النص : چون سنائي هستم آخر گرنه همچون صابرم

(الديوان ، طبع طهران ، ص٤٢٩)

(٤) مجمع الفصحاء ، ص ٣١٤ ، مقدمة عباس اقبال على حدائق السحر (ترجمة) ، ص ٥٣ ، تذكرة الشعراء – ليدن – ص ٩٢ ، ٩٣ (طبع بمباي ص ٤٦) .

(٥) تاريخ ادبيات ايران ، ص ١٨٥ .

وقد كان الصراع بين « أتسز » و « سنجر » وبالاً على صابر ، إذ فقد صديقه « الوطواط » وانقطع ما بينهما من مراسلات ومدائح ، وتهاجيا بأفحش العبارات .

كما أدى هذا الصراع نفسه إلى مصرع صابر . فقد كلفه مولاه سنجر بالتوجه إلى خوارزم لينقل له أحوال أتسز ويطلعه على أخباره . وعلم صابر أثناء وجوده في خوارزم أن (أتسز) قد أوفد قاتلين مأجورين إلى مرو لقتل سنجر .

ولما كان (صابر) يجيد الرسم فقد أرسل صورتيهما لسنجر ، فتمكن من القبض عليهما وقتلهما . وعلم اتسز بالدور الذي لعبه صابر ، فأمر به فقيدوا قدميه وأغرقوه في نهر جيحون عام ٥٤٦ هـ = ١١٥١ م [١] .

(٢٠) مختار الغزنوي : ت ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م

هو سراج الدين عثمان بن محمد مختار الغزنوي . من مشاهير الشعراء الذين نظموا القصائد في القرن السادس الهجري . وقد تميزت قصائده بالبلاغة ودقة الصياغة ، ودلت على أن صاحبها ذو قريحة نقادة وخاطر وقاد ، يحسن انتقاء كلماته .

كان مختار الغزنوي يتكسب بالمديح ، لذا كان يلازم قصور العظماء حيث المال والتقدير . وممن لزم بلاطهم : أرسلان شاه في كرمان (٤٩٤ – ٥٣٦ هـ) ، والسلطان ابراهيم بن مسعود (٤٥١ – ٤٨١ هـ) ، ومسعود بن ابراهيم (٤٩٢ – ٥٠٨ هـ = ١٠٩٨ – ١١١٤ م) والأخيران من سلاطين الغزنويين .

وإلى جوار القصائد التي جادت بها قريحة مختار ، ترك لنا مثنوية باسم (شهريار نامه) ، نظمها في ثلاث سنوات .

---

(١) حبيب السير ، ج ٢ ص ٥١٩ .

وقد توفي مختار في غزنة عام ٥٥٤ هـ = ١١٥٩ م[١] .

(٢١) أثير الدين فتوحي :

هو أثير الدين شرف الحكماء فتوحي المروزي ، أحد شعراء سنجر بن ملكشاه . تمتاز أشعاره في مجموعها بأنها غاية في الذوق والجزالة والرقة والسلاسة . كان يصوغها في قالب القصيدة والغزل وغيرهما . وكانت غزلياته الجيدة موضع إعجاب كتّاب التذاكر[٢] .

وكما كان فتوحي مدّاحاً فقد كان هجّاء . وكان كعادة الشعراء في عصره يمتدح من يجزل له العطاء ، أو من يتعاطف معهم من الأصدقاء . ويهاجم من يفقد الأمل في نواله ، أو من يخالفه الرأي . وهكذا رأيناه يمتدح الشاعر صابراً ، ويهجو الأنوري ويتهكم على أقواله ، ويدسّ عليه — بتحريض من الشاعر سوزني — قصيدة يهجو فيها بلخ وأهلها ، فيعرّضه لحقدهم ونقمتهم[٣] .

وقد اتهم أهالي خراسان فتوحي بالزندقة والكفر وهاجمه المتعصبون بقسوة . ومن البيت الذي يتهكم فيه فتوحي على الأنوري ، وترجمته :

لقد مضى أحد عشر عاماً على قتل أبي الحسن الذي تتحدث عن إحسانه[٤] .

(١) تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٠١ .

(٢) لباب الألباب ، ج ٢ ص ١٤٨ — ١٥٠ وغيره من الكتب .

(٣) ما زال الهجاء في ديوان الانوري (ص ٣٥٩) ، وهو يتعلق بتمجيد نيشابور وبعض مدن خراسان ، وذم بلخ ويسمى (بلخ نامه) . ويمكن الوقوف على التفاصيل والنتائج بالرجوع إلى :

هدايت : رياض العارفين ، ص ٢٨٦ ، الفرهاني : شرح مشكلات ديوان أنوري ، ص ١٩١ ، ١٩٢ . وإلى ديوان أنوري ، ص ٣٠١ — ٣٠٥ .

(٤) نص البيت بالفارسية :

يازده سال فزون است كه تا كشته شده است   بوالحسن آنكه ز إحسانش سخن ميراني

(ديوان الأنوري ، ص ٣١٦) =

يفهم أن هذا الشاعر (فتوحي) قد عاش إلى ما بعد عام ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م ، إذ أن أبا الحسن العمراني – الذي ورد ذكره بالبيت – قد قتل على يد سنجر فيما بين عامي ٥٤٤ ، ٥٤٨ هـ = ١١٤٩ – ١١٥٣ م .

(٢٢) عبد الواسع الجبلي :

كان يلقب بالجبلي لأنه نشأ في ولاية غرجستان . عاش في فترة حكم سنجر وامتدحه ولازمه ونال لديه منزلة سامية ، فكان يقدمه على كثير من شعرائه [١] . وهناك أكثر من قول حول كيفية وصول عبد الواسع إلى بلاط سنجر . إذ يقال إن هذا الشاعر قد ترك ولاية غرجستان في بداية حياته ونزح إلى دار الملك (هراة) . ثم تركها إلى غزنين حيث التحق بخدمة السلطان بهرامشاه بن مسعود ، وظل يمتدحه مدة أربع سنوات . وهيأت له الظروف فرصة الالتقاء بسنجر حين قدم في عام ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م لمحاربة السلطان بهرامشاه . واستطاع عبد الواسع أن يكسب اعجاب سنجر ورضاه بفضل القصيدة الجميلة المبتكرة التي مدحه بها آنذاك [٢] .

ويقال إنه كان جلفاً عامياً ، وأن أباه كان دهقاناً . وتصادف أن رآه سنجر في حقل قطن ، واستمع إليه ينشد شطرات من الشعر على البديهة يطرد بها بعض الإبل .. فاشتمّ لطف طبعه ، وضمّه إلى شعراء بلاطه [٣] .

وكان عبد الواسع يهتم في قصائده وغزلياته بالصناعات البديعية والألفاظ

= وبالرجوع إلى كتب التراجم وطبعات الديوان الأخرى ... نجد كلمة (پانزده) بدلا من (يازده) . والمعنى : لقد مضت ١٥ سنة على قتل أبي الحسن الذي تتحدث عن إحسانه .

(١) حبيب السير ، جـ ٢ ص ٥١٩ .

(٢) تذكرة الشعراء (ليدن) ، ص ٧٣ – ٧٦ .

(٣) ترد هذه الرواية في حبيب السير ، جـ ٢ ص ٥١٩ ، وأرى أنها مختلقة ، لأن سنجرا – يفرض وجوده في هذا الموقف – لم يكن ذواقة إلى هذا الحد مع أميته ولسانه التركي .

أكثر من اهتمامه بالمعاني . وقد أوصل المسجّع إلى تسع قواف [١] .

وكان إلى جوار نظمه للشعر الفارسي بقوالبه التقليدية ينظم شعراً من اللون المعروف بالملمّع . وتدل ملمّعاته الجيدة على إجادته اللغة العربية [٢] .

هذا وتدل قصائد عبد الواسع الجبلي على أنه كان حياً حتى عام ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م . ويقال إنه توفي في عام ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م . [٣]

(٢٣) حميدي :

هو حميد الدين عمر بن محمود القاضي البلخي [٤] صاحب المقامات الفارسية التي كانت موضع إعجاب معاصريه وعلى رأسهم الأنوري [٥] .

كانت له إلى جوار مقاماته عدة رسائل منها : وسيلة العفاة إلى أكفى الكفاة ، حنين المستجير إلى حضرة المجير ، روضة الصفا في مدح أبي الرضا ، قدح المغنى في مدح المعنى ، رسالة الاستغاثة إلى الإخوان الثلاثة ، ومنية الراجي في جوهر التاجي .. وقد أبدع فنياً في كل رسالة من هذه الرسائل [٦] .

---

(١) شعر العجم ، ص ١٥٢ .

(٢) رضا زاده : تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٠٠ ، جامي : بهارستان ، طبع طهران سنة ١٣١١ هـ . ش . الروضة السادسة .

(٣) تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٠٠ .

(٤) تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٩٥٧ ، لباب الألباب جـ ١ طبع ليدن ١٦٠٩ ، ص ١٩٦ ، مجمع الفصحاء ، طبع سنة ١٢٩٥ ، جـ ١ ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٥) يرفع الأنوري من قدر المقامات كثيرا في قوله :
كل كلام غير الحديث والقرآن ... أصبح الآن بعد مقامات حميد الدين لغوا .
النص الفارسي :
هر سخن كان نيست قرآن يا حديث مصطفى   از مقامات حميد الدين شدا كنون ترهات
(الديوان ، ص ٣٣٥) .

(٦) لباب الألباب ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

كما نظم مثنوية بعنوان (سفرنامه مرو) .

والعوفي يشبِّه حميدي في النثر والنظم بالصابي وأبي نواس ، ويصفه بأنه كان بلا نظير في الفقه والأصول والنظر ، ناقداً خبيراً في دقائق رموز الفنون [1] .

والمتأمل لشعر حميد الدين يدرك أنه كان يراعي السجع والترصيع والتجنيس ، ولا يميل للإطناب ولا التكلف ، وأن أشعاره تتسم باللطف المتناهي .

وقد جاء بأشعار في ثنايا مقاماته ، لكنها لا تفضل نثره .

ويؤكد ابن الأثير أن وفاة حميدي كانت في عام ٥٥٩ هـ = ١١٦٣ م [2] .

(٢٤) كمال البخارائي (البخاري) :

هو الأمير العميد كمال الدين جمال الكتاب كمال البخارائي ، أحد كبار الكتّاب والشعراء في عهد السلطان سنجر السلجوقي . تعلم فن الخط وبرز فيه إلى حد بعيد ، كما أجاد العزف على « البربط » وأصبح أنيس السلطان ونديمه . ويقال إن سنجر غضب عليه وطرده من مجلسه لرفضه العزف على البربط حين طلب منه ذلك وهو ثمل . وحين أفاق كمال البخارائي من سكره اعتذر للسلطان واستطاع أن يبدِّد سخطه ويكسب ودَّه ورضاه [3] . وكان كمال يجيد انتقاء الألفاظ وصياغتها . وله قصائد غراء في مدح سنجر .

ويُرجَّح أن تكون وفاة كمال البخارائي في فترة حكم سنجر لا بعدها :

---

(١) أنظر : نفس المرجع والصفحتين .

(٢) أنظر : ابن الأثير . الكامل ج ١١ حوادث سنة ٥٥٩ . ويؤيده في ذلك صاحب سِياك شناسي في صفحة ٣٣٠ من كتابه . أما براون فيرى أنه مات سنة ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م . انظر : تاريخ الادب في ايران ، ج ٢ (ترجمة) ، ص ٤٣٩ .

(٣) حدائق السحر ، هامش ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، لباب الألباب ، ج ١ ص ٨٦ – ٩١ .

(٢٥) عماد الزوزني :

هو ملك عماد الزوزني . كان فاضلاً عالماً إلى حد بعيد وتلميذاً في الشعر لسيد حسن الغزنوي . وليست بين أيدينا معلومات كثيرة عن حياته . فالمستشرق براون لا يذكر عنه إلا إنه كان من صغار الشعراء في عهد سنجر [١] . أما دولتشاه فيصفه بأنه كان كثير الأسفار . ويقول إنه نظم الشعر فترة طويلة قبل أن يتوب في النهاية على يد حجة الإسلام محمد الغزالي ، ويشغل بالعبادة وتهذيب الأخلاق والتصدُّق على المحتاجين [٢] .

(٢٦) الشاعرة مهستي :

لا نعرف عنها أكثر من أنها كانت تعيش في بلاط سنجر ، وأنها استطاعت بمدائحها أن تكسب رضاه ؛ فعشقها واتخذها محبوبة له .

وكان باستطاعة مهستي أن ترتجل الشعر الجيد وتنشده على البديهة ، وأن تجاري الشعراء في نظمهم إذا ضمّها مجلسهم [٣] .

وكان الشاعر تاج الدين أحمد بن الخطيب الگنجوي يعشقها ، وقد نقل حمدالله مستوفي القزويني عدة رباعيات في كتابه قال إنها تبودلت بين مهستي وبين الشاعر المذكور . كما ذكر رباعيتين قال إن مهستي وجّهتهما إلى جزار كانت تتعشقه وتهيم به [٤] .

هذا وما زال تاريخ ولادتها ووفاتها مجهولين .

(١) تاريخ الأدب في إيران ج ٢ (ترجمة) ص ٤٣٧ .
(٢) تذكرة الشعراء ، بمباي ، ص ٣٧ .
(٣) شعر العجم ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .
(٤) ذكر براون ذلك نقلا عن تاريخ گزيده . أنظر : تاريخ الأدب في ايران ج ٢ (ترجمة) ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٢٧) أوحد الدين الأنوري :

هو علي بن أوحد الدين محمدبن اسحق المتخلص بالأنوري [١]. ولد في قرية أبيورد التابعة لخاوران [٢] من أعمال خراسان عام ٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م على الأرجح ، وعاش في بلخ معظم سنوات حياته . وكان ينتمي إلى عائلة ذات حسب وجاه وثروة ، يشغل معظم أفرادها مناصب اجتماعية هامة [٣] .

حاول والد الأنوري دفعه في طريق العلم في صغره ، ولم يبخل عليه بالمال [٤] ، فاستطاع أن يلمّ بالكثير من العلوم الشائعة في عصره دينية وغير دينية . ويخطىء دولتشاه [٥] ومن حذا حذوه حين يقررون أنه تلقى دروسه في المدرسة المنصورية بطوس قبل أن يلج من باب الشعر [٦] .

وقد عمد الأنوري إلى الإسراف والتبذير فأضاع ما ورثه عن أبيه في مدة قصيرة ، واضطر إلى دخول ميدان الشعر في سن العشرين . وأخذ يتنقل في

---

(١) انظر : بحثي بعنوان : الأنوري : عصره وبيئته وشعره (رسالة دكتوراة) ، وقد استندت إلى عدد كبير من المصادر في اثبات هذه النقطة ، منها :

تاريخ أدبيات ايران ، طبع ١٣٢١ هـ ، ص ١٧٦ ، شعر العجم ، طبع طهران — طبعة أولى — ص ١٩٤ ، لباب الألباب ص ٣٣٤ ، مقدمة سعيد نفيسي على ديوان الأنوري ، طبع طهران ، مجتبي مينوي : مجله ٔ دانشكده ادبيات ، شماره ٔ چهارم سال دوم ، تيرماه سال ١٣٣٤ هـ ، ص ١٦ — ٥٢ ، مجمع الفصحاء ص ١٥٢ ، گلستان سعدى (تعليق ميرزا عبد العظيم جرجاني) طبع ١٣١٠ هـ . ش ، الطبعة الثانية ، ص ٢٢٧ ، ديوان الأنوري ، طبع طهران ، ص ٤٧٧ ، ١٩٨ البيت ٤٩٢٢ ، ٤٧٧ ، ٣١٥ ، ٣٤٧ ، ٤٢٦ .

(٢) لم يذكر الأنوري صراحة في ديوانه أنه ولد في ابيوردولكنه ذكر أنه ولد في خاوران. الديوان ، ص ٤٦٥ ، ٣٠٤ .

(٣) يمكن معرفة ذلك بالرجوع إلى الديوان ص ١٩٨ ، البيت ٤٩٢٢ ، ص ٢٠٢ .

(٤) گلستان سعدى — طبعة ثانية سنة ١٣١٠ هـ . ش ، ص ٢٢٥ .

(٥) تذكرة الشعراء ، طبع بمباي ص ٤٢ .

(٦) انظر ما ورد في رسالتي للدكتوراة حول هذا الموضوع .

بلاط العظماء متكسباً بشعره مدة ١٠ سنوات ، كان اهتمامه بالشعر في خلالها يسير جنباً إلى جنب إلى جوار اهتمامه بالعلم . وكان أبو الحسن العمراني من أبرز العظماء الذين امتدحهم الأنوري في تلك الفترة من حياته ، وفي سن الثلاثين استطاع الوصول إلى بلاط السلطان سنجر كشاعر ونديم . ويشيع بين كتّاب التراجم أنه لم يستطع بلوغ ما بلغ إلا بخداعه للمعزي أمير شعراء بلاط سنجر آنذاك . فقد أوهمه بأنه شاعر بسيط لا يجيد النظم ، فلما أعطاه الفرصة لمقابلة السلطان ألقى بين يديه قصيدة رائعة جعلته يضمه إلى سلك شعراء بلاطه . خاصة وقد تأكد له أن القصيدة للأنوري وليست للمعزي ، الذي كان دائماً ما يدّعي أن الشعراء يسرقون منظوماته وينسبونها لأنفسهم (١) .

ويشيع بين الكتّاب أيضاً قصة مؤداها أن الأنوري رأى موكباً عظيماً لشاعر من شعراء سنجر ، فهجر العلم واشتغل بالنظم . وتمكن في ليلة واحدة من نظم تلك القصيدة التي فتنت السلطان حين أنشدها بين يديه في اليوم التالي لرؤيته الموكب المذكور (٢) .

وهكذا أصبح سنجر كلفاً بالأنوري يطربه مديحه ، ويصحبه معه في حروبه ، ويسمح له بالجلوس في مجالس أنسه ، ومرافقته في رحلات صيده .

وكان الأنوري – فيما عدا ذلك – قليل الأسفار لا يحب مغادرة الديار .

وقد اتسعت دائرة معارف الأنوري وممدوحيه ، وخصص له الكثير من العظماء رواتب ثابتة ، وانهالت عليه الإنعامات والعطايا (٣) . وارتفعت منزلته

---

(١) أول من ذكر هذه القصة خواندمير في كتابه حبيب السير ج ٢ ، وتبعه الكثيرون مثال شبلي نعماني في كتابه شعر العجم ص ١٩٥ .

(٢) أول من ذكر هذه القصة دولتشاه في كتابه تذكرة الشعراء ، طبع بمباي ص ٤٢ .

(٣) ارجع في ذلك إلى : شرح مشكلات ديوان أنوري ، ص ١٣٠ ، ١٣٦ ، ٢٥٢ وغيرها ، وإلى ديوان أنوري طبع طهران ، ص ١٤٢ ، ٢٠٧ ، ٢٥٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ وغيرها .

عند سنجر وبات يناديه بأخيه ويجاسه إلى جواره [1] . ويعوده في مرضه [2] .

وشعر الأنوري بالأمان وبات في استطاعته مهاجمة أعداء مولاه وأعدائه دون خوف أو وجل .. وبلغ به الأمر حد مهاجمة أتسز خوارزمشاه [3] . ومهاجمة عدد من عظماء المملكة [4] . ومع ذلك أفرد له العظماء حجرات في قصورهم إما لنيل مديحه أو دفع هجائه . وامتلأت داره بالغلمان والدواب . وأصبحت كعبة يحج اليها الكبراء .

واندفع الأنوري في طريق اللهو والمجون وعاقر الخمر ولم يتخذ لـــه زوجة [5] . ثم تزوج وأنجب ، ولكنه لم ينعم بالاستقرار العائلي فقد ماتت زوجته . وتزوج بأخرى ففجع بخيانتها واضطر لتسريحها ، وعاد يهاجم الزواج ويسب الزوجات ، وينغمس في الرذائل علّه يعوض ما فقده من هناء عـــائلي .

ورغم ما حققه الأنوري من ثراء وشهرة كان دائم السخط والشكوى . إذ كان يرى أن موهبته وفنه وشاعريته وعلمه تفوق كثيراً ما يتقاضاه مـــن ممدوحيه . لذا كان دائم المدح لمواهبه ، دائم الذم لزمانه ، كثير الهجـــوم لمعاصريه .

وقد تعرض الأنوري للعديد من الصدمات ، إذ فقد العمراني — ممدوحه القديم — الذي مات مقتولا على يد سنجر عام ٥٤٥ هـ . كما شهد أسر مولاه سنجر على يد الغز عام ٥٤٨ هـ ، واضطرته قسوة الظروف أن يمتدح رؤساء

---

(١) الديوان ، ص ٦٢٥ .
(٢) شعر العجم ، ص ١٩٥ .
(٣) الديوان ، ص ٦١٩ .
(٤) الديوان ، ص ٣٥٧ .
(٥) كانت له فلسفة في هذا ... أنظر الديوان ، ص ٤٠١ .

الغز أعداء البلاد ومخربيها [1] . ثم تعرض لغضب علاء الدين ملك الجبال وكاد يهلك على يديه لولا حسن تصرف احد محبيه كما يقال [2] . كما فجع بموت الوزير أبي الفتح طاهر أكبر وزراء سنجر في عام ٥٤٨ ﻫ ، وكان يقدّمه على سائر ممدوحيه .

ونجا سنجر ، وظن الأنوري أن الدنيا قد صفت له بتخلص مولاه من الأسر وعودته إلى مرو . غير أن حادثة وقعت غيّرت عليه سلطان البلاد وأشعلت نار غضبه وأثارت حنقه وسخطه . فقد تنبأ الأنوري في عام ٥٥٢ ﻫ بأن قراناً سيحدث بين النجوم ، وأكد بوصفه منجما أن ريحا صرصرا ستنتج عن عن هذا القران ، وأنها سوف تجلب الدمار والقحط والغلاء . ولما كان الأنوري على درجة عالية من الكفاءة في علم التنجيم فقد صدّقه الخاصة والعامة ، واتخذوا للأمر عدتهم وحفروا السراديب لإقامتهم وحملوا إليها مدخراتهم . غير أن الريح لم تهب في اليوم الذي حدده الأنوري بحيث تكفي لإطفاء شمعة وضعها الأهالي فوق إحدى المآذن بمرو . ولما عاتبه سنجر ، اعتذر له بأن آثار القرانات لا تظهر فجأة ، وأنها تحتاج إلى شيء من المهلة والتدرج . ومضت سنة كاملة والرياح غاية في الهدوء بحيث لم يكف هبوبها لتذرية المحصول فبقي في البيادر إلى الربيع التالي [3] .

---

(١) الديوان ، ص ٨٦ ، ٩٩ ، ٢٠٧ ، ٣٣١ ، ٦١٤ ، ٢٣١ .

(٢) يذكر كتاب التذاكر أنه كاد يهلك على يد علاء الدين لأنه هجاه وسب بلاده . والحق أن في ديوان الأنوري قطعة تعبر عن فرحة الأنوري بانصراف الغور عن بلاده (الديوان ، ص ٦٠٥) ، كما أن هناك بيتا في صفحة ٦١ فيه تحقير لملك الغور وبلاده ، غير أن اسم علاء الدين لم يرد صراحة . ويرى بعض من ذكروا القصة أن نجاة الأنوري كانت بفضل تحذير طوطي ـ أحد حكام الغز له ، ويرى آخرون أن صديقه الشاعر خالد بن الربيع هو الذي قام بتحذيره .

انظر : لباب الألباب ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، بهارستان ، طبع فينا ١٨٤٥ ص ٩١ ـ ٩٣ ، امين أحمد الرازي : هفت اقليم ، كلكته ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) يمكن الوقوف على تفاصيل (قران الكواكب) ومعرفة الخلاف بين المؤرخين حول =

وهاجم بعضُ الشعراء الأنوري وسخروا منه [1] ، وعاتبه العظماء ، وعاد سنجر إلى لومه وتقريعه . وأثّر ذلك في نفس الأنوري فترك مرو إلى نيسابور ، ثم إلى بلخ بعد وفاة سنجر وترك الغز لها [2] .

وشاع بين البلخيين أن الأنوري قد نظم هجاء في حقهم وحق بلادهم ؛ [3] فأركبوه حمارا في وضع معكوس ، وعصبوا رأسه بعصابة امرأة ، وألبسوه ملابس تثير السخرية ، وطافوا به الأسواق والأحياء ، وشرعوا في قتله لولا أن تدخل بعض أصدقائه [4] في الأمر وخلصوه من أيديهم . وأخذ الأنوري يبرىء نفسه من هذه التهمة ويؤكد أن هناك مكيدة دبِّرت للنيل منه ويؤكد ولاءه لبلخ وأهلها [5] .

= تاريخ وقوعه بالرجوع إلى : تاريخ گزيده ، طبعة جيب ص ٤٧٤ ، الكامل حوادث ٥٨٢ هـ ، تاريخ أدبيات درايران ج ٢ ص ٦٦٣ ، تذكرة الشعراء ، طبع بمباي ص ٤٣ رياض العارفين ص ٢٨٦ ، تاريخ أدبيات ايران ص ١٧٧ ، شعر العجم ١٩٦ ، ١٩٧ ، حبيب السير ج ٢ ص ٥٣٢ .

Massé : Anthologie Persane, pp. 59, 60 (Paris 1950).

(١) يقال إن تلميذ الأنوري المدعو فريد الدين الكاتب هو الذي هجاه ، ويقال – وهذا مستبعد – أنه الشاعر أديب صابر . ويمكن الرجوع إلى أبيات الهجوم هذه في ديوان الأنوري نفسه (طبع طهران) ص ٤٦٥ ، والبيتان ١١٠٥٧ ، ١١٠٥٨ .

(٢) كانت وفاة سنجر في عام ٥٥٢ هـ ، أما ترك الغز لبلخ فكان في شعبان سنة ٥٥٣ هـ .

(٣) ما زال الهجاء موجودا بالديوان ص ٣٥٩ ، وهو يتعلق بتمجيد نيشابور وبعض مدن خراسان ، وذم بلخ ... ويسمى (بلخنامه) أي رسالة بلخ .

(٤) تمكن سيد السادات أبو طالب نعمه وحميد الدين أقضى القضاة وصفي الدين عمر المفتي وتاج الدين حسن المحتسب ونظام الدين أحمد المدرس – وكلهم من أعيان بلخ وسادتها – من تخليص الأنوري . (ديوان أنوري ، طهران ، ص ٣٠١ – ٣٠٥) .

(٥) ديوان أنوري ، طبع طهران ، ص ٣٠١ وما بعدها .

وترك الأنوري بلخ مطرودا فأخذ في التنقل والتجوال وقد ساءت حاله وانحطم قلبه . ولما تأكد لأهل بلخ أن الشاعر فتوحي هو ناظم الأبيات المجوية بتحريض من الشاعر السوزني [(١)] سمحوا للأنوري بالعودة إلى بلخ . واستقر الأنوري في بلخ بعد أن دالت دولته . وهجر الناس وحياة القصور ولجأ إلى العزلة والاعتكاف ، وعاش كالمتصوفة ولم يعد يتكسب بشعره ، وأطلق لأحزانه العنـــان .

ومات الأنوري في بلخ [(٢)] ودفن بها في عام ٥٦٥ هـ على الأرجح ، عن عمر يناهز الثالثة والسبعين [(٣)] .

ويؤثر عن الأنوري أنه كان يحيط بعدد هائل من العلوم إلى جانب إتقانه لبعض الفنون كالموسيقا والخط . وأنه كان يسير في طريق الشعر يسانده العلم . وقد شاع أن له أكثر من مؤلف نثري ، إلا أنه لا يوجد الآن بين أيدينا ما يثبت ذلك فقد ضاعت جميعها بفرض وجودها . وتؤكد أشعاره أنه كان من أصحاب اللسانين ، تشهد بذلك ملمعاته ، والعديد من المفردات والعبارات والأمثال العربية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت في منظوماته .

ولا شك أن علمه وثقافته المتنوعة العريضة قد أكسبتا شعره خصوبـــة وجعلتاه أقدر على ابتكار المضامين والصور ، إلا أنهما تسببتا أيضا في غموض كثير من معاني أبياته وصعوبة فهمها .

---

(١) نبّه الأنوري أهل بلخ إلى دور السوزني في المكيدة ، فسهل عليهم الوصول إلى الحقيقة انظر : ديوان الأنوري ، طهران ، ص ٣٠٣ .

(٢) أجمعت على ذلك كل المصادر باستثناء (نزهة القلوب) الذي ذكر أن الأنوري دفن في مقبرة الشعراء (سرخاب) في تبريز .
حمدالله مستوفي : نزهة القلوب ، طبع جيب ص ٧٨ .

(٣) هذا ما توصلت إليه في بحثي حول الأنوري :
أنظر : الأنوري : عصره وبيئته وشعره (رسالة دكتوراه) ، ص ٢٤٤ .

ويتضح من أشعار الأنوري أنه هجر العلم إلى الشعر رغبة في تحصيل المال [(١)] ، وأنه كان يخرج على قواعد الفضيلة ويباهي بالمعاصي [(٢)] ، ويشرب الخمر [(٣)] ويعشق الغلمان ويتجر بالجنس [(٤)] . كما كان يتصف بعدم الوفاء وبالتعصب لجنسه [(٥)] ، وبقسوة الهجوم على خصومه واستخدام أقذع الكلمات في هجائه [(٦)] . كما كان يسف في طلبه إلى درجة أنه كان يجيز الاستجداء ما دام يمكّن الشاعر من نيل مطالبه [(٧)] . وإلى جوار رذائله هذه يبدو من أشعاره أنه كان مستعدا للصفح ، لا يحب التكلف ويكره النفاق ، جريئا صريحا ولديه الاستعداد لأن يُفيد بعلمه ويستفيد من علم غيره [(٨)] .

وقد حاول البعض أن ينسبه إلى الشيعة ، ولكن الدارس لأشعاره يمكنه أن يتبين أنه كان سنيا أشعريا ، كما أنه كان يؤمن بالجبر [(٩)] .

وللأنوري ديوان شعري ضخم له عديد من النسخ الخطية وعدة نسخ مطبوعة [(١٠)] ، حتى أن عباس إقبال ناشر آخر طبعة للديوان – طبعة طهران عام

(١) الديوان ، طبع طهران ، ص ٤٧١ .

(٢) الديوان ، طهران ، ص ٤٦٠ ، ٦١٤ .

(٣) الديوان ، طهران ، ص ٤١٥ ، ٤١٦ . ٣٣٣ . ٥٥

(٤) الديوان ، طهران ، ص ١٠١ . ١٠٢ ، ١٩٧ ، شرح مشكلات ديوان انوري ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٥) الديوان ، طهران ، ص ٤١٢ ، اوحد الدين أنوري ، عصره وبيئته وشعره (رسالة دكتوراه) ، ص ٢١٦ وما بعدها .

(٦) يندر أن يوجد هجاء مهذب في كل هجويات الأنوري .

(٧) الديوان ، طهران ، ص ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٨٨ ، ٤٢٥ ، ٤٣٤ .

(٨) الديوان ، طهران ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٧ . ٤٦٥ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٢٣ .

(٩) أوحد الدين الأنوري : عصره وبيئته وشعره (رسالة دكتوراه) ، ص ٢٢٤ – ٢٣٣

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ وما بعدها ... حيث يوجد عرض لأربعة وعشرين ديوانا من دواوين الأنوري المخطوطة والمطبوعة .

١٣٣٧ هـ – ليؤكد أنه رجع إلى ١٣ نسخة للديوان ما بين مخطوطة ومطبوعة قبل أن ينشر طبعته . ويصل عدد أبيات ديوان الأنوري طبعة طهران – على سبيل المثال – إلى ١٤٧٢٢ بيتا .

كما وضعت شروح كثيرة لحل مشكلات الديوان ، من أشهرها :

١ – شرح مشكلات ديوان انوري لمحمد بن داود بن محمد بن محمود العلوي الشادي آبادي ، ألفه بين عامي ٩٠٦ ، ٩١٦ هـ ، واكتفى فيه بتفسير الأبيات الصعبة الغامضة المعنى .

٢ – شرح محمد بن عبد الرزاق الدنبلي أحد فضلاء القرن الثالث عشر ، وضعه في شرح القصائد فقط دون اهتمام بشرح معاني الألفاظ الصعبة .

٣ – شرح مشكلات ديوان أنوري لأبي الحسن الفراهاني ، بدأ المؤلف تأليفه في عام ١٠١٥ هـ . وقد استفاد في شرحه من شروح سابقة عليه ورجع إلى العديد من الكتب في النجوم والفقه واللغة والكلام والحكمة والطب والهيئة والتاريخ ليتمكن من شرح كلمات الديوان وعباراته على الوجه الأكمل (١) .

وقد صاغ الأنوري منظوماته في أكثر من قالب فني واستخدم أكثر من ضرب من ضروب الشعر . وأهم القوالب (الضروب الشعرية) التي استخدمها : القصيدة ، القطعة ، الغزل ، المثنوي ، الرباعي والملمع . وتشغل القصائد أكثر من نصف ديوان الأنوري ويصل عددها الى ٢٤٨ قصيدة كلها في المديح فيما عدا قصيدتين في الرثاء وواحدة في التوحيد . وقد استخدم القصيدة أكثر من غيرها لأنه كان شاعر بلاط يعتمد على المديح في التكسب .. ولأن هذا القالب كان يعطيه فرصة أكبر لاستيعاب ما يريد . كما أن في جرس القصيدة المميزات

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

المناسبة للإلقاء الذي يمكن أن يؤثر في نفس الممدوح . والأنوري جدير بلقب الأستاذية في فن القصيدة ، ويستحق أن يوصف بأنه نبيها ، بسبب ما ابتكره في قصائده من أسلوب لم يسبقه إليه أحد . ويتمثل هذا الأسلوب في استخدامه لغة سهلة في قصائده تصل إلى مرتبة اللهجة العامية أو اللغة الدارجة .

ويرى البعض أن شهرة الأنوري ترجع إلى القصائد التي نظمها في غير المديح (١) . والحق أنه كان مجيدا في قصائد المديح وغير المديح . فقد عمد في مدائحه إلى حشد كل ما يكفل لها النجاح ، وأفلح في التأثير في ممدوحه ونيل العطاء وهذا هدف الشاعر الأول .

وتشغل القطعات قسما كبيرا من ديوان الأنوري ، وقد كانت بما تتطلبه من تركيز وإيجاز خير ميدان يجول فيه الشاعر ويصول .. وكانت معينة له على تسجيل آرائه وخواطره والتعبير عن أحاسيسه وخلجات نفسه ، وإبراز خبراته وتجاربه ، وإثبات سعة اطلاعه وكثرة معلوماته ..

وقد بدا الأنوري في قطعاته في صورة المصلح الاجتماعي . وقد استغلها في صياغة منظومات في المديح والهجاء والغزل والحكم والوصف والرثاء والفخر والفكاهة والشكر والتهنئة وغيرها من الأغراض .. بحيث قيل إنه قل من استطاع بعد الأنوري من الشعراء أن يكون في نفس مستواه في هذا اللون من النظم (٢) .

ولم تشغل المثنويات حيزا كبيرا من ديوان الأنوري ، فقد اكتفى بنظم ست مثنويات في موضوع واحد ، يهجو بها شخصا يدعى تاج الدين عمزاد البلخي ، وقد كان الأنوري بشعا في هجائه يستعمل العبارات المكشوفة والألفاظ البذيئة المستهجنة .

(١) ممن قالوا بهذا الرأي ميرزا محمد قزويني ، وأيده فيه المستشرق براون : تاريخ الأدب في إيران ج ٢ (ترجمة) ص ٤٦٢) .

(٢) انظر : تاريخ أدبيات در ايران ج ٢ ص ٦٦٨ .

أما غزليات الأنوري فتمتاز في مجموعها باللطافة والرقة ، ويبلغ عددها ٣٣٤ غزلية . وقد تشابهت غزلياته إلى حد بعيد ، لأنها كانت تدور – إلاّ في النادر – حول العشق والهجر والصد والصبر وعدم الوفاء ، وما إلى ذلك من معان مطروقة . غير أنه مع ذلك قد طوّعها لملكته الطبيعية المستجيبة ، فعبّر عن نفسه تعبيرا صادقا ، وقدم لنا صورة واضحة لشعوره وأحاسيسه .

ويصل عدد الرباعيات في ديوان الأنوري إلى ٤٧٦ رباعية ، وتتشابه مع مقطّعاته في تناولها لموضوعات وأغراض عدة وعدم قصورها على لون واحد . وهذا ما يميز الأنوري على كثير ممن نظموا في هذا القالب . يضاف إلى ذلك أن له بعض الرباعيات في الغزل ، وأن كلا منها تصلح كنواة لغزلية تامة .

ولا شك أنه كان موفقا فيما عمد إليه من تركيز ، إذ كانت رباعياته قوية مؤثرة كاملة المعنى ، تعكس أحاسيسه وتعبر عما يجول بخاطره في صدق وجلاء .

والملمّعات في ديوان الأنوري قليلة لا نراها إلا في سبعة مواضع .

وقد تنوّعت الأغراض الشعرية (موضوعات المنظومات) عند الأنوري ، فرأيناه ينظم في المدح والهجاء والغزل والفخر والرثاء والوصف والوعظ والحكم والإخوانيات والزهد والتصوف والتشبيب بالمذكر والتأريخ وتسجيل الأحداث .

ورغم أن الأنوري كان من أصحاب اللسانين – يجيد العربية إجادته للفارسية – فإنه لا توجد إشارة في كل ديوانه – ولا في أي كتاب – تشير إلى أنه ألّف ديوانا أو منظومة باللغة العربية .

وكان الأنوري – على عادة كبار الشعراء – يحاول جاهدا أن ينفي عن نفسه (تهمة) تأثره بأسلوب غيره ، وأن يثبت أن كل أشعاره من بنات أفكاره [١] .

---

(١) ديوان أنوري ، طهران ص ٢٤ ، ٥٥ .

وبلغ به الأمر حدّ أنه كان لا يقر السرقات الشعرية، ويهاجم كبار الشعراء لسطوهم على أفكار غيرهم أو تقليدهم أو الأخذ عنهم بصورة من الصور [1]. ولم يكن غريبا مع هذا أن نجده في أكثر من شاهد شعري يؤكد أنه ليس في حاجة إلى مثل هذه السرقات، لأن أسلوبه مكتمل ناضج يفضل أسلوب جميع معاصريه [2].

إلا أن الشيء الذي تؤكده أشعار الأنوري نفسه هو أنه كان يتجوّل في دواوين عدد كبير من شعراء الفرس السابقين عليه والمعاصرين له مما تسبب عنه انعكاس معاني بعض منظوماتهم وأساليبها وأفكارها في شعره [3]. كما تؤكّد أشعاره أيضا أنه قرأ الكثير من دواوين العرب وكتبهم. وقد بدا تأثير قراءته لإنتاجهم في أسلوبه الذي يقرب من الأسلوب العربي، ويجعل أبياته تظهر وكأنه قد صب مفرداتها الفارسية في قالب عربي. يضاف إلى ذلك أننا نجد انعكاسا لمعانيهم وأفكارهم في شعره [4].

وكما تأثر إنتاج الأنوري الشعري بانتاج غيره من معاصريه وسابقيه فقد أثّر بدوره في إنتاج معاصريه ولاحقيه.. فأخذ عنه الكثيرون، ووُجِدت إفكاره ومعاني أبياته في منظوماتهم، وتساوى في ذلك كبار الشعراء وصغارهم [5].

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٥ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٥، ٣٠١ .

(٣) يمكن الوقوف على الأمثلة التي تؤكد تقليد الأنوري لغيره واقتباسه عن سواه بالرجوع إلى :

أوحد الدين الانورى : عصره وبيئته وشعره (رسالة دكتوراة)، ص ٣٩٥ وما بعدها .

(٤) المصدر السابق، ص ٤٠٣ وما بعدها .

(٥) يمكن معرفة أبعاد هذا التأثير وأسماء من تأثروا بالأنوري بالرجوع إلى المصدر السابق ص ٤٠٥ وما بعدها .

هذا وقد طرق الأنوري – كغيره من شعراء عصره – باب المحسنات البديعية ، وأثبت درايته وفهمه بأصول البلاغة وفنونها[1] .

وإذا تجاوزنا عن رأي القدامى والمحدثين في أشعار الأنوري ، وتجوّلنا في ديوانه أحسسنا أنه كان ابن بيئته . وأدركنا أن نفسيته كانت نفسية حساسة سريعة الاستجابة والتأثر .

وأمكننا أن نعتبره صورة حية للشاعر المتعلم الدارس المثقف الذي يسخّر علمه لخدمة شعره .

وعلى أية حال فقد أعانته امكانياته العديدة على إبراز ما قصد إليه من معان في أشعاره ، وذلك في أسلوبه المبتكر .. مما ساعد على بقائها وإدماجها ضمن التراث الفني الفارسي .

(٢٨) سمائي المروزي :

هو محمود بن علي سمائي المروزي ، من كبار شعراء العهد السلجوقي . كان من معاصري سنجر وامتد به العمر إلى النصف الثاني من القرن السادس.[2] توصف غزلياته بالجودة واشتمالها على مضامين لطيفة ومعان بديعة.

وقد كان شعره في جملته جيدا حتى ليقال إن الأنوري – وهو الشاعر الكبير في عهده – قد امتدحه وحاول أن يساوي بينه وبينه . فالبعض يرى أن المصراع الذي كتبه الأنوري : « چون سنائى هستم آخر گرنه همچون صايرم » له صورة أخرى هي : « چون سمائى هستم آخر گرنه همچون صايرم » . وبذلك يعني الأنوري أنه مثل سمائي [3] .

---

(١) طرق الأنوري ما يقرب من أربعين فنا بلاغيا ... انظر المرجع السابق ص ٤٢٤ وما بعدها .

(٢) يعدّه عوفي ضمن شعراء العصر الأول السلجوقي (لباب الألباب ، جـ ٢ ص ١٤٥) .

(٣) مجمع الفصحاء ، ج ١ ص ٢٤٨ .

ويقال إن لسمائي شعرا في هجاء سوزني [1] ، وأنه ضاع ولم يعد لـــه أثـــر .

هذا وقد كانت وفاته في النصف الثاني من القرن السادس الهجري.

(٢٩) سيد حسن الغزنوي : ت ٥٦٥هـ/١١٦٩

هو سيد حسن بن ناصر العلوي الغزنوي الملقب بأشرف . كان شاعرا ومتصوفًا وواعظا يحضر مجلس وعظه الآلاف . وكان شعره على درجة كبيرة من الجودة والإبداع . كان أكثر مدحه موجها إلى بهرام شاه بن مسعود (٥١٢ – ٥٤٧ هـ = ١١١٨ – ١١٥٢ م) .. وقد أشاد فيه بفتوحات هذا السلطان .

كما كانت له قصائد في الفخر بلغت من جودتها أن حاكاها مجير البيلقاني وكمال الدين اسماعيل والشيخ آذري وغيرهم . ويقال إنه ما من شخص استطاع أن ينظم مثل قصيدته التي يقول فيها ما معناه :

تعلم الدنيا إنّي قرة عين الرسول ،
وأستحق أن أكون سويداء قلب الزهراء وحيدر [2] .

وقد اشتد نفوذ سيد حسن ، وذاعت شهرته إلى درجة جعلت السلطان يغار منه ويحسده ، ويفهمه أن البلاد لا تحتمل وجودهما معاً . فخرج منها متألما ، وتوجه إلى المسجد الحرام للحج [3] . ولما عاد إلى بغداد نسب السذج إليـــه الكرامات ، وكرّمه غياث الدين مسعود بن محمد (٥٢٩ – ٥٤٧ هـ = ١١٣٤ – ١١٥٢ م) وأنزله منزلا كريما .

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) النص الفارسي :

داند جهان كه قرهٔ عين پيمـــبرم   شايسته ميوهٔ دل زهـــرا وحيدرم

(٣) تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٩٨ .

ويقال إن ديوانه يشتمل على ٥ آلاف بيت [١] . وأنه توفي في قصبة آذادوار بولاية جوين ودفن بها في شهور سنة ٥٦٥ هـ = ١١٦٩ م .

(٣٠) بدر الدين شرف الشعراء القوامي الرازي :

لا نعرف عنه أكثر من أنه كان في خدمة قوام الملك طغرايي ، يلازمه بصفة دائمة ويمتدحه طمعا في عطائه . وأنه كان ينتسب إلى مدينة الري .

ويذكر العوفي أن لبدر الدين نظما على منوال قصيدة الأنوري التي يقول فيهـــا :

سحرگه باده نوشان دوش باصد لطف وزيبائى
ببالينم فراز آمد دو هفته ماه يغمائى [٢]

هذا ، وتاريخ وفاته مجهول .

(٣١) صفي الدين :

من شعراء آل سلجوق الذين ذاع اسمهم في الفترة التالية للمعزي وسنجر . تحدث عنه عوفي وحده . وقال إنه كان يعيش في العراق ، ووصفه بأنه كان يبزّ أقرانه في نظم الشعر ، وذكر له قطعة على منوال نظم الأنوري [٣] .

(٣٢) جمال الدين الاصفهاني :

هو جمال الدين محمد بن عبد الرزاق الإصفهاني ، من شعراء القرن السادس

---

(١) المصدر والصفحة السابقة .

(٢) المعنى :
بالأمس وقت السحر كنت مع الشاربين في لهو وسمر
فاعتلى وسادتي قمر التم آسر القلوب
(لباب الألباب ، ص ٤١٤) .

(٣) لباب الألباب ، ص ٥٣٧ .

الهجري . ولد في اصفهان وأمضى بها أغلب سني عمره ، ولم يكن يتركها إلا لفترات قصيرة يتنقل فيها بين آذربيجان وگنجه ومازندران .

ويعد جمال الدين من منشدي القصيدة والغزل المشهورين في العراق . وقد نال شهرته عن جدارة واستحقاق ، فكلامه سلس خال من التعقيد والتكلف . وتبدو العذوبة في كل ما نظمه من قصائد وغزليات وترجيعات وقطعات .

وكانت الغالبية العظمى من مدائحه موجهة إلى سلاطين سلاجقة العراق ، أمثال : أرسلان بن طغرل ، وابنه طغرل . وقد امتدت مدائحه فشملت جهان بهلوان محمد بن ايلدگز ثاني أتابكة آذربيجان ، وبعض أمراء باوندي الذين حكموا في مازندران ونواحي كرمان .. ومدح أفراد آل خجند وآل صاعد .

وإلى جانب تأثره بأسلوب معاصريه وعلى رأسهم الأنوري ، كان يقرّ بتبعيته لأشرف (سيد حسن الغزنوي) ، ورشيد الدين الوطواط والأنوري ، فيقول : ان أشرف والوطواط والأنوري حكماء .. ومن ثلاثتهم أزهر ربيعي [1] .

وكانت بينه وبين معاصريه معارضات وهجويات . وهو يعدّ في الواقع على رأس ناظمي القصيدة العراقيين . ورغم أنه كان تقليديا في أسلوب مدحه وغزله وفي تشبيهاته ومضامين شعره .. إلا أن أسلوبه كان أكثر سهولة وبساطة من بعض معاصريه كالأنوري والخاقاني مثلا ، كما أنه كان أكثر تحرّرا من التعقيد اللفظي والغموض المعنوي اللذين اشتهر بهما الشاعران المذكوران .

وقراءة أشعار جمال الدين لا تحتاج إلى إعمال فكر ، وقصائده تخلو من التشبيب..فهويطرق فيها باب المديح مباشرة ولا يصف فيها الطبيعة إلاّ نادرا .

---

(١) النص الفارسي :
أشرف ووطواط وأنورى حكيمند   كزسخن هرسه شد شگفته بهارم .
(تاريخ أدبيات إيران . ص ١٩٠)

وديوان هذا الشاعر حافل بالأشعار ، كما أن ابنه : كمال الدين قد ورث عنه موهبة نظم الشعر ، وخلفه بعد وفاته في عام ٥٨٨ هـ = ١١٩١ م (١) .

(٣٣) محمد الكاتب البلخي :

تحدث عنه صاحب لباب الألباب ، وقال إنه كان من شعراء السلاجقة وأنه مات شابا . كما امتدح شعره . ووصفه بأنه شاعر لا نظير له ، وتناول خطّه بالتقريظ . وساوى بينه وبين ابن البوّاب وابن مقلة ، وحين عقد مقارنة بينه وبين الأنوري ساوى بينهما ، وقال : كان في الشعر معادلا للأنوري (٢) .

(٣٤) عجبي الخجندي :

أحد أفراد الأسرة الخجندية التي كان لها دورها في عهد السلاجقة في رعاية الأدباء والأخذ بيدهم . ويعدُّ من شعراء آل سلجوق الذين اشتهروا بعد المعزي وسنجر .

قضى حياته في ما وراء النهر ، ولمع نجمه في سماء الأدب إلى درجة جعلت كتّاب التراجم يعتبرونه أحد أعاجيب الزمان .

ويؤكد العوفي في كتابه أن الأنوري — مع سطوع نور طبعه — لم يستطع حجب شهرته ولم يتمكن من التفوق عليه (٣) .

(٣٥) سوزني :

هو شمس الدين تاج الشعراء محمد بن علي السوزني ، وكنيته أبو بكر

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٩ — ١٩٦ .

(٢) لباب الألباب ، ص ٥٥٤ .

(٣) لباب الألباب ، ص ٥١٩ .

سلماني . نسبة إلى سلمان الفارسي (١) . كان أبوه – وفق ما ورد في أشعاره يدعى مسعودا (٢) .

ولد في النسف قرب سمرقند ، وقيل في قرية كلاش من توابع سمرقند (٣) ، ودرس في بخارى ، وعشق صبي أحد الخياطين فانطلق لسانه بالشعر لفرط عشقه (٤) .

درس في بداية حياته علوم الدين كالأخبار والتفسير والحديث ولم يتجاوزها ، فانعكس ذلك على شعره إذ كان سهل الأسلوب عذبه . بحيث لا يوجد في ديوانه كله بيت واحد معقّد .

وتتضح الروح المذهبية في أغلب أشعاره وتظهر فيها معاني الحديث والتفسير . وكان السوزني يكثر من استعمال المفردات العربية . ويشتمل ديوانه على لغات فارسية متعددة ، ويستعمل مفردات لغوية يأخذها عن لهجات محلية ، ولهذا يعدُّ منبعا من منابع الثقافة الفارسية (٥) . ورغم اعترافه باستاذية المعزى وحبه لطريقته يمكن لدارس أشعاره أن يقطع بأنه لم يقلده تماما . وشعر السوزني في شبابه غيره في أواخر حياته . فقد كان في شبابه يخرج عن حدود العفة في محاولة للهزل والمزاح ورغبة في الهجاء والتجريح . ويقال إنه هو الذي حرّض فتوحي ليدسّ شعراً للانوري في هجو بلخ .. مما تسبب عنه ما حاق بالأنوري من مهانة وما تعرض له من خطر (٦) .

---

(١) تاريخ أدبيات درايران ، ج ٢ ص ٦٢٢ ض تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٩٩ ، حبيب السير ، ج ٢ ص ٥١٩ .

(٢) فروزنفر : سخن وسخنوران ، ص ٣٣٤ .

(٣) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٦٢٢ .

(٤) جامي : بهارستان ، طبع طهران ، الروضة السادسة .

(٥) سخن وسختوران ، ص ٣٣٥ .

(٦) يرى أبو الحسن الفرهاني شارح ديوان الأنوري أن سوزني هو المحرك والمحرض لفتوحي . انظر : سخن وسخنوران ، هامش ص ٣٦٨ .

وقد أبدع في هجائه معاني خاصة ومضامين بديعة ، وان استخدم أقسى الكلمات للوصول إلى هدفه . والقسم الأكبر من شعره في هذا اللون .

ولم يكن يعمد إلى الطلب من ممدوحه إلا نادرا كما كان قليل المبالغة نسبيا في المديح . وكان يعمد في بعض الأحيان إلى توجيه السلاطين والملوك إلى حسن السلوك ، ومراعاة الرعية ، وبسط بساط العدل والإنصاف .

أما الفترة الأخيرة من حياته ، فكان السوزني يميل فيها إلى نظم أشعار جديّة ، ويستغفر ربه عما بدر منه .

وقد اختلف الباحثون في تاريخ وفاته ، فقيل إنه توفي في عام ٥٦٢ هـ = ١١٦٦ م ، وقيل ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م . ومن أشعاره يثبت بصفة قاطعة أنه كان حيا حتى عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م [١] .

(٣٦) نظامي عروضي سمرقندي :

هو أبو الحسن نظام الدين أو نجم الدين أحمد بن عمر بن علي السمرقندي المعروف بنظامي عروضي [٢] . ولد في أواخر القرن الخامس الهجري . في سمرقند . وبها شغل بتحصيل العلم فترة شبابه . ثم توجه إلى خراسان فيما بين عامي ٥٠٤ ، ٥٠٦ هـ = ١١١٠ ، ١١١٢ م . والتحق بخدمة المعزي في عام ٥١٠ = ١١١٦ م ، وعرض عليه شعره ، ونجح عن طريقه في الوصول إلى سنجر فبدأت شهرته وعلا شأنه [٣] . وعمل نظامي في خدمة الغوريين مدة طويلة . ثم اضطرته الظروف إلى الاختفاء في هراة عقب انتصار سنجر على الغور .

---

(١) سخن وسخنوران ، ص ٣٣٩ .

(٢) سبك شناسي ، ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٣) تاريخ ادبيات در ايران ، ج ٢ ص ٩٦١ .

وقد نظم نظامي أشعارا إلا أن ما وصلنا منها قليل جدا . وإليه تنسب القصة المنظومة « ويس ورامين » [1] .

ومما دوّنه العوفي في كتابه يستفاد أن نظامي قد صاغ شعرا في قالبَين القطعة والمثنوي ، غير أن ما دوَّنه في المثنوي خاصة ــ قد ضاع برمّته .

وكان لنظامي منزلة عالية في النثر . ويعتبر كتابه : « چهار مقاله » من أفضل نماذج النثر المرسل الفارسي الذي لا تكلّف فيه . ويعد الكتاب رسالة مختصرة تشتمل على مقالات أربع تتعلق بالكتابة والشعر والتنجيم والطب ، وتضع الشروط الخاصة بمزاولي هذه الأعمال ، وتورد حكايات تاريخية مناسبة .

ومن آثار نظامي يفهم أنه كان حياً في عام ٥٧٢ هـ = ١١٧٦ م [2] .

(٣٧) رشيد الوطواط :

هو الأمير الإمام رشيد الدين سعد الملك محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري ، المعروف بخواجه رشيد الدين الوطواط ، أحد حفدة عبدالله بن عمر بن الخطاب [3] .

---

(١) تذكرة الشعراء ، ص ٦٠ ــ ٦١ . هذا وتنسبها بعض المصادر لفخر الدين الجرجاني . انظر : تاريخ الأدب في إيران ، ج ٢ (ترجمة) ، ص ٣٤٣ ، تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٧٤ .

(٢) يقول براون في كتابه (ص ٤٢٦) أن نظامي كان حيا حتى عام ٥٥٧ هـ = ١١٦١ م ، وأن هذا يعرف من الأخبار الواردة في آثاره . والحق أنه كان حيا إلى عام ٥٧٢ هـ . فبرجوعي إلى كتابه (چهار مقاله) ، طبع عام ١٣٢٤ نسخة بمباي ــ المقالة الثانية ، ص ٣٧ وجدت حكاية ترجع إلى عام ٥٧٢ هـ .

(٣) حدائق السحر في دقائق الشعر (ترجمة) ، ص ٣ . وهناك اختلاف في التسمية ورد في معجم الأدباء لياقوت ، ج ٧ ص ٩١ .

كان أديباً وكاتبا وشاعرا . ولد في بلخ وتعلم بمدرستها النظامية على يد الإمام أبي سعد الهروي ، وقد ظل وفيا له يبالغ في مدحه في رسائله [1] .

وهناك خلاف حول تاريخ مولد الوطواط ، فالمؤرخ عطاملك الجويني [2] يؤكد أنه ولد في تاريخ سابق على عام ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م ، بينما يرجح اقبال أن يكون مولده بين عامي ٤٨٠ ، ٤٨٧ هـ = ١٠٨٧ م ، ١٠٩٤ م . أما رضا زاده [3] فيرى أنه ولد في بلــخ حوالي سنة ٤٨٠هـ = ١٠٨٧ م . وانتقل الوطواط إلى خوارزم حيث التحق بخدمة أتسز بن قطب الدين محمد خوارزمشاه عام ٥٢٢ هـ = ١١٢٨ م وبقي طوال عمره في خدمة الخوارزمشاهيين . وكان اتسز يتلذذ بالنقاش معه ومجالسته ومنادمته ، حتى لقد كانت بينهما مطايبات ومداعبات [4] .

وطوال الفترة التي قضاها مع أتسز لم يكن يفارقه ساعة من الساعات ، وكان يتولى في حكومته رئاسة دار الإنشاء (وزارة الرسائل) . وقد قضى في منصبه هذا مدة ٣٠ عاما [5] . وغضب أتسز عليه بعد هذا العمر الطويل نتيجة وشايات الناقمين فأقصاه عنه . وأخذ الوطواط يستعطفه في قصائده وقطعاته حتى نال عفوه .

وتدل الأخبار على أن الوطواط كان شديد الولاء لأتسز حاكم خوارزم ، يصفه بالشجاعة ويهاجم أعداءه ومن بينهم سنجر . فحين هُزم سنجر في عام

---

(١) انظر : مجموعة الرسائل العربية للوطواط ، طبع مصر سنة ١٣١٥ هـ ، ج ٢ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) عطا ملك الجويني : تاريخ جهان گشا ، طبعة سلسلة جب التذكارية ، ليدن ١٩١١ م ج ٢ ص ١٢ — ١٨ .

(٣) تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٨٦ .

(٤) القزويني : آثار البلاد ، طبع جوتنجن ١٨٤٩ م ، ص ٢٢٣ — ٢٢٥ .

(٥) لباب الألباب ، طبع ليدن عام ١٩٠٣ م ، ج ١ ص ٣٦ .

٥٣٦ هـ على يد القراختائيين ، وأعلن أتسز استقلاله في خوارزم وعدم ولائه للسلاجقة ... أنشد الوطواط شعرا جاء فيه :

حينما أقبل الملك أتسز إلى عاصمته وعرشه ، انتهى أمر السلاجقة وآلهم [١] .

وحين حاصر سنجر قصبة (هزاراسپ) ، هاجمه الوطواط موجها كلامه لأتسز قائلا :

لو ان خصمك هو رستم البطل ... فلن يتمكن من أخذ حمار واحد من قلعة هزاراسپ (أو الألف جواد) [٢] . وبذلك عرّض نفسه لنقمة سنجر الذي أراد تمزيق جسده إلى سبعة أجزاء لولا شفاعة البعض [٣] .

وقد كان رشيد الدين حقير الجثة ، ضعيف البنيان ، أقرع الرأس ، سليط اللسان ، كثير الخصوم ، حاضر البديهة كيّسا بليغا [٤] . وكان ينظم وينثر بالعربية والفارسية . ويميل إلى الصناعات البديعية المتكلّفة ، مع سلاسة بيان ، وسلامة لفظ ، ونضوج فكر . وكان متبحرا في الأدب والفلسفة .

وقد اشتهر بين قراء العربية بمنشآته البليغة ، فالمعروف أن له مجموعة من

---

(١) النص الفارسي :
چون ملك أتسز بتخت ملك بـــر آمـــد   دولت سلجوق وآل وى بسر آمد
الوطواط : حدائق السحر (الترجمة العربية) ، المقدمة ص ٨

(٢) النص الفارسي :
گر خصم تو أى شاه بود رستـــم گــــرد   يك خر ز هزار اسپ تو نتواند برد
نفس المصدر ، ص ٩

(٣) وردت هذه القصة في كتب كثيرة . ويرى الجويني (تاريخ جهانگشاى ، جـ ٢ ص ٧ — ١٠) أن منتجب الدين بديع أتابك الجويني هو الذي تشفع للوطواط . ويرى سعيد نفيسي (مقدمة ديوان الأنوري نقلا عن التاريخ الألفي ، ص ٣٩) أن شفيعه هو الأنوري . ويذكر براون (تاريخ الأدب جـ ٢ ص ٢٨٧) أن الوطواط هو الذي تشفع لنفسه .

(٤) تذكرة الشعراء ، طبع ليدن ١٩٠٠ ، ص ٨٧ .

الرسائل بالعربية يبلغ عددها ١٧٦ رسالة . وبعض هذه الرسائل من النوع الذي يسمى (الرسائل السلطانية) ، وأكثرها رسائل إخوانيات [١] .

وله رسائل فارسية[٢] ، وديوان أشعار بالفارسية[٣] أكثر قصائده في وصف حروب أتسز .

ومن مؤلفاته إلى جوار ما سبق :

(١) كتاب « حدائق السحر في دقايق الشعر » ، ألّفه على غرار « ترجمان البلاغة » للفرُخي . عرّف فيه بالمحسنات البديعيّة مع التمثيل نثرا وشعرا ، مستخدما العربية والفارسية . مستشهدا بأشعاره وأشعار سابقيه .

(٢) فصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب .

(٣) تحفة الصديق إلى الصديق من كلام أبي بكر الصدّيق .

(٤) أنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان .

(٥) نثر اللآلىء من كلام أمير المؤمنين علي . ويسمى كذلك (صد كلمه) ، ويسمى (مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبيطالب) [٤] .

---

(١) نشر محمد أفندي فهمي هذه الرسائل في جزءين ، وطبعها في مصر عام ١٣١٥ هـ .

(٢) لم تُجمع هذه الرسائل بعد .

(٣) تبلغ أبياته (وفق ما جاء في سخن وسخنوران ، ص ٤٣٩) خمسة آلاف بيت تقريبا ، ووفق قول دولتشاه (تذكرة الشعراء ، ص ٨٩) ١٥ ألف بيت ، ووفق ما جاء في (تاريخ أدبيات در ايران ج ٢ ص ٦٣٣) ٧ آلاف بيت .

(٤) أصل الكتاب لعمرو بن الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٨ م. طبع مرارا ، ولخِّص وطبع التلخيص . (سيك شناسى ، ص ٤٠٠) .

(٦) منظومة في العروض الفارسي [١] ، تشتمل على ١٦ بحرا من بحور العروض المطروقة لدى شعراء الفرس . وعشرات الكتب الأخرى [٢] .

وكان الوطواط يجاري أهل عصره في التعصب لأمور الدين ومهاجمة الفلاسفة وحكماء اليونان . وكان الأنوري يفضِّل أديب صابر كشاعر على رشيد الدين الوطواط بسبب ما يسود شعر الأخير من تكلفات وصناعات تبعده عن التأثير في نفس القارىء أو السامع . وكان – بعبارة أدقّ – يرى أن صابرا لا يصل إلى مرتبة الوطواط ، وإن كان أكثر أستاذية منه من حيث الفصاحة والأدب والبلاغة [٣] .

ومن الأسباب الأخرى لهجوم بعض الشعراء على الوطواط مغالاته في مدحه لنفسه واعتباره بقية الشعراء عالة عليه [٤] .

وقد اعتزل الوطواط خدمة سادته ، وشغل بالعبادة في أواخر حياته .. إلى أن مات في عام ٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م على الأرجح .

(٣٨) فريد الدين الكاتب :

من أهالي خراسان ، عاش في عصر سنجر وكان ضمن مادحيه المستفيدين من عطائه . تخلط بعض كتب التراجم بينه وبين الصدر الأجلّ ، وفريد الكافي . والثابت أنه كان تلميذا للأنوري [٥] يتبع طريقته في نظم المديح . وإن كان ذلك لم يمنعه من الهجوم عليه والتهكّم به حين أخطأ في حكم النجوم . فهو

---

(١) تاريخ أدبيات درايران ، جـ ٢ ص ٣٦٢ .
(٢) لمعرفة هذه الكتب بالتفصيل ، ارجع إلى حدائق السحر (ترجمة) ، ص ٦١ – ٦٦ .
(٣) حدائق السحر ، ص ٢٥ .
(٤) نفس المرجع ، ص ٢٨ ، ٢٩
(٥) مجمع الفصحاء ، ص ٣٧٧ ، تذكرة الشعراء ، طبع بمباي ، ص ٥١ ، ٥٢ .

القائل أثناء مدحه عين الملك حسين بن أبي بكر الأشعري الوزير :

قال الأنوري : إن الرياح العاصفة ستخرب العمارات وتقتلع الجبال .
وفي يوم حكمة لم تهب أية ريح ، فيا مرسل الرياح أأنت تعلم والأنوري[1] .
وهو القائل :

قال الأنوري : إن الرياح ستهب هذا العام بحيث تحرك الجبال ، فارقبها .

وقد مرّ عام ولم تتحرك ورقة في شجرة ، فأنت العالم يا مرسل الرياح لا الأنوري [2] .

وفي الوقت الذي يهاجم فيه أستاذه ، نجده يتملّق مولاه سنجر ويهوّن من شأن هزيمته فيقول :

أيها المليك لقد استقامت الدنيا بفضل سنانك . .

وثأر سيفك أربعين سنة من أعـــــدائك

---

(١) النص الفارسي :

گفت انورى كه ازجهت بادهاى سخت
ويران شود عمارت وكه نيز برسرى
در روز حكم او نوزيد ست هيچ باد
يا مرسل الرياح تو دانى وأنـــورى

(تاريخ الأدب في ايران ج ٢ ص ٤٦٦)

(٢) النص الفارسي :

مى گفت انورى كــه درين سال بادها
چندان وزد كه كوه بجنبد چوينگرى
بگذشت سال وبرگ نجنبيد ازدرخت
اى مرسل الرياح تو دانى وانورى

(ديوان انوري ، طهران ، ص ٤٦٥)

لو أن النحس أصـــابك فهذا قضاء وقدر ..

فالبـــــاقي على حال واحدة هـــوالله [1] .

وكان فريد الدين من أفاضل الكتاب في العصر السلجوقي ، وله إلى جوار النظم نثر رائع [2] .

وكان بارعا في صنعة السؤال والجواب ، يميل إلى الصنعة كمعاصريه . وهناك خلاف حول تاريخ وفاته ، ويرى الغالبية أنه قد مات بعد عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م اعتقادا منهم بأن الخطأ في أحكام النجوم قد وقع في العام المذكور .. وهو اعتقاد غير صحيح كما أثبتنا أثناء الحديث عن الأنوري .

(٣٩) مجير الدين البيلقاني :

ولد في بيلقان من نواحي أران شمالي آذربيجان وترتبط شهرته بأتابكة آذربيجان فقد مدح عددا من ملوك هذه الأسرة . كما كان له اتصال بأمراء العراق ، ولهم قدَّم الكثير من مدائحه .

تولَّى شئون الديوان في اصفهان ، وكانت شهرته سببا في اصطدامه بغيره من الشعراء . وهو يعتبر شاعر الهجاء والتهكم في اصفهان في ذلك الوقت . ومن

---

(١) النص الفارسي :

شاهازسنـــان توجهان شد راست
تيغ توچهل سال زاعداكين خواست
گرچشم بدى رسيد آن هم زقضاست
كان كس كه بيك حال بماندست خداست

(تاريخ الأدب في ايران ، جـ ٢ ص ٤٣٧)

(٢) لباب الألباب ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

بين من هجاهُم وتطاول عليهم جمال الدين عبد الرزاق وشرف الدين شفروه .. مما كان سببا فيما بعد لإهدار دمه [1] .

ويعد مجير الدين من الشعراء المجيدين في نظم القصائد والغزليات . وقد قدَّمه خسرو الدهلوي على الخاقاني ، رغم أن الأخير هو أستاذه .

وقد أظهر مجير الدين عدم الوفاء قبل أستاذه حين قدم إلى اصفهان .. إذ دسَّ عليه رباعية في ذم اصفهان وأهلها ، واجتهد في أن يصرف الناس عنه . وقد اضطر الخاقاني إلى نظم قصيدة في مدح إصفهان وأهلها وتبرئة نفسه مما نسب إليه . وفي هذه القصيدة .. يشير إلى خطة مجير الشيطانية [2] .

هذا وقد توفي مجير في عام ٥٩٤ هـ = ١١٩٧ م [3] .

(٤٠) الخاقاني :

هو أفضل الدين بديل (ويقال ابراهيم) بن علي الخاقاني [4] . كان يتخلص في بداية حياته الأدبية بحقائقي ثم غيّر تخلصه إلى خاقاني .

ولد في بداية القرن السادس في گنجه ، ونشأ في شروان حيث درس وحصّل العلم في فروع اللغة العربية ، وفي الطب والنجوم والفلسفة . واتخذ من أبي العلاء الگنجوي أستاذا له في الشعر . وقد زوَّجه أستاذه ابنته ، وقدَّمه الى

---

(١) تاريخ الأدب في ايران ، جـ ٢ ص ٦٨٧ .

(٢) يمكن الإطلاع على أبيات الهجاء وأبيات المديح في تاريخ الأدب في ايران جـ ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، كما يمكن الاطلاع على القصة في كتاب رضا زاده (تاريخ أدبيات ايران (ترجمة د . موسى هنداوي) ص ١١٤ .

(٣) تاريخ أدبيات ايران (ترجمة) ، ص ١١٤ .

(٤) تاريخ أدبيات ايران (ترجمة) ، ص ٩٤ ، تاريخ الأدب في إيران ، جـ ٢ ص ٤٩٥ ، محمد علي تربيت : دانشمندان آذربيجان ، ص ١٢٩ — ١٣٢ .

ولاه منوچهر شروانشاه ، فاتصل به كما اتصل بابنه اختسان .

ومن المؤسف أن التلميذ قد تطاول بعد ذلك بالهجاء على أستاذه ، واضطر الأستاذ إلى الرد عليه وتجريحه .

وكان الخاقاني كثير الأسفار . وقد ألف مثنويته الشهيرة (تحفة العراقين) أثناء وجوده في العراق [1] ، وقدّمها إلى محمد بن علي الاصفهاني الملقب بالوزير جمال الدين . وتنقسم المنظومة إلى خمس مقالات .

وأثناء وجوده في اصفهان تعرض لشيء من سوء الحظ إذ دسّ عليه تلميذه مجير الدين البيلقاني رباعية مليئة بالسباب الموجه إلى أهل اصفهان ، فجعلهم يثورون عليه ، مما اضطره إلى مدح البلاد وأهلها ليتخلص من مأزقه ، وليوقف سيل القصائد اللاذعة الذي بدأه الشاعر جمال الدين عبد الرزاق ضده .

وسعى الوشاة لدى اختسان حتى أوغروا صدره على الخاقاني ، فأمر بحبسه. ولبث في سجنه فترة طويلة يقدّرها البعض بخمسين سنة . ويقال ان اختسان غضب عليه لمدحه سنجر وغيره . وفي سجنه ، جادت قريحته بمنظومات عديدة من أشعار الحبسيات .

وتعتمد شهرة الخاقاني على قصائده أكثر من اعتمادها على غزلياته ورباعياته ومثنوياته على كثرتها . وله إلى جوار الأشعار الفارسية أشعارا عربية [2] .

وفي منظوماته الكثير من التشبيهات الطريفة والأوصاف اللطيفة والعبارات الجيدة والمعاني القيمة .. إلا أنه كان مع ذلك يتعمد التصنّع والتكلف ، مما يسلم أشعاره إلى التعقيد ويجعلها في حاجة إلى شروح وتأويلات .

---

(١) طبعت هذه المثنوية في مدينة لكنو عام ١٢٩٤ هـ .

(٢) أحدث طبعة لديوان الخاقاني هي التي نشرها علي عبد الرسول في طهران عام ١٣١٦ هـ . ش .

وكان على أي حال شاعرا تقليديا يقتفي خطى سنائي ، وإن جاء أحيانا بمعان جديدة وتراكيب مبتكرة وعبارات منتقاة . وقد كان كثير الفخر بنفسه وإنتاجه الشعري الذي ضمّنه ديوانه .

والدارس لأشعاره يحس إبداعه في المديح ، واستعداده الجيد في الغزل ، ورقة إحساسه وبعده عن الاصطلاحات الصعبة والصناعات البديعية الكثيرة في الرثـــاء .

وهناك خلاف حول تاريخ وفاته ، ويقال إنه مات في تبريز ودفن بها في مقبرة سرخاب عام ٥٩٥ هـ [1] .

(٤١) ظهير الفاريابي :

اسمه أبو الفضل طاهر بن محمد ظهير الدين الفاريابي [2] . ولد في قصبة فارياب بلخ حوالي عام ٥٦٢ هـ = ١١٥٦ م ، ودرس في شبابه الشعر والآداب والعلوم واللغة العربية . كان كثير التنقل يسعى وراء العظماء ويمتدحهم لينال عطاياهم . وكان يعمد إلى الاستجداء في أشعاره ، وربما لجأ إلى هجاء من لا يعطيه [3] .

كان دائم الفخر بعلمه ، يرى أن قرض الشعر أقل مواهبه ، ويردد أنه يضطر إليه لكسب قوته ، وأن الغزل أفضل ألوان الشعر .. غير أنه لا يمكن الاعتماد عليه ما دام هدف الشاعر جمع المال [4] .

---

(١) شعر العجم ، ص ١٦٧ ، سبك شناسى ١٦٦ ، تاريخ أدبيات إيران ، ص ١٦٢ .
(٢) هذا وفق ما ورد في تاريخ أدبيات ايران ، ص ١٨٨ ، أما في تاريخ الأدب في ايران ج ٢ (ترجمة) ص ٥٢٥ فيرد هكذا : ظهير الدين طاهر بن محمد الفاريابي .
(٣) تاريخ الأدب في ايران ج ٢ ، ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ .
(٤) ديوان ظهير الدين فاريابي ، طبع لكنو ، ص ١١٦.

اشتهر ديوانه في عهده إلى حد كبير ، وهو يشتمل على قصائد ومقطّعات وغزليات ورباعيات ، ويبلغ عدد أبياته ٣ آلاف بيت . وقد طبع على الحجر في لكنو عام ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٩ م ولم ترتب القصائد فيه وفق الترتيب الزمني ولا الأبجدي . وقد امتدح الكثيرون أشعار الخاقاني ووصفوها بالرقة واللطف ، بل إن دولتشاه قد اعتبرها أرق وأدق من أشعار الأنوري (١) وان كان الجدل الذي أثير حول هذا الموضوع واشترك فيه مجد الدين همگر وإمامي وغيرهما قد أكد لنا – باجماع آراء النقاد – أن الأنوري يفضل ظهيرا . ومثل هذا الجدل يؤكد حقيقة هامة وهي أن أشعار ظهير كانت في وقت ما محلّ تأمل الناس وتقديرهم .

وقصائد ظهير في جملتها تخلو من الأقوال العنيفة والتهكمات اللاذعة والأحاسيس النفسية العميقة التي تضفي الكثير من الروعة على قصائد الأنوري مثلا . ويرى البعض أن أفضل قصائده هي التي عارض بها قصائد الأنوري وخاقاني (٢) .

وفي أواخر حياته اعتزل قصور العظماء ، وهجر شعر المديح ، وشغل بالتعبد في تبريز .. وإن كانت أشعاره خالية من اللمحات الدينية . ومات في عام ٥٩٨ هـ = ١٢٠١ م ودفن في مقبرة سرخاب بتبريز .

(٤٢) نظامي الگنجوي :

هو نظام الدين أبو محمد الياس بن يوسف بن زكي بن مؤيد الگنجوي

---

(١) تذكرة الشعراء ، ص ١٠٩ – ١١٤ .

(٢) تاريخ أدبيات ايران (ترجمة) ، ص ١١٣ .

المتخلص بنظامي والمشهور بالمطرزي . ولد في كنجه عام ٥١٣ هـ [١] أو ٥٢٣ [٢] أو حوالي ٥٣٢ [٣] أو في ٥٣٣ [٤] أو ٥٣٥ [٥] أو ٥٣٨ [٦] أو ٥٤٣ هـ [٧] على خلافٍ في تاريخ الولادة . ويرجح الدكتور عبد النعيم حسنين أن تكون ولادته في عام ٥٣٣ هـ= [٨] ١١٣٨ م .

نشأ نظامي نشأة دينية شكّلت حياته وإنتاجه . واطّلع على كثير من العلوم ، فدرس علوم الدين والفلسفة والتنجيم والهندسة والطب ، وسيطر على فن الشعر والتاريخ والأدب والقصص. ولم يكن يعتقد في التنجيم رغم دراسته له وذلك لنشأته الدينية كماقلنا. وكان لنفس السبب لا يشرب الخمر ، ويتحدث عن الخمر المعنوية في أشعاره لا الخمر الحقيقيّة ، ويفضِّل الشعر الذي لا يتعارض مع الشرع ، والذي يصوِّر أسمى الأهداف الدينية ويجلِّيها ، ويتغنّى بالفضيلة [٩] ويعرض عن المديح ، ويفضل العزلة والاعتكاف لا عن تصوّف وإنما بدافع من عزة نفسه

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ليدن ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م ، ص ١٣١ .

(٢) لطفعلي بيك : آتشكده ص ٢٤٢ (نقل عنه د . عبد النعيم حسنين في كتابه : نظامي گنجوي ، ص ١٠١ ، ١٠٢ . وعنه نقلت) .

(٣) خواندمير : حبيب السير ، طبع بمباي ١٢٧٣ هـ = ١٨٥٨ م ، ص ١١٢ .

(٤) شبلي النعماني : شعر العجم ، ص ٢١٦ ، رضا قليخان (هدايت) : مجمع الفصحاء ، طهران سنة ١٢٩٢ ، ص ٦٣٧ رياض العارفين ، طهران ١٣٠٥ ، ص ١٤٩ .

(٥) شعر العجم ، ص ٢١٦ . تاريخ الأدب في ايران ، ج ٢ (ترجمة) ، ص ٥٠٧ .

(٦) تربيت (محمد علي) : دانشمندان آذربيجان ، طبع طهران سنة ١٣١٤ هـ ، ص ٢٨٤

(٧) مولوي أغا علي أحمد علي : هفت آسمان ، طبع كلكته ١٨٧٣ م ، ص ٢٩ .

(٨) عبد النعيم محمد حسنين : نظامي الگنجوي شاعر الفضيلة ، عصره وبيئته وشعره ، طبع القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، الطبعة الأولى ، ص ١٠٣ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١١١ — ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات ايران (ترجمة د . موسى هنداوي) ، القاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م ، ص ١٠٣ .

واعتقادا منه بأن العظماء لا يقدّرون جهده كما ينبغي [1] .

وكان نظامي نادر الأسفار حتى ليقال إنه لم يخرج من گنجه إلاّ مرّة واحدة قاصدا تبريز تلبية لدعوة وجهها إليه الأتابك قزل آرسلان [2] .

وقد اعترف بمهارة نظامي عدد كبير من الشعراء والأدباء القدامى أمثال عوفي والقزويني ودولتشاه ولطفعلي بك وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي والجامي وعصمت .

وإذا سلّمنا بأن كل واحد من المشاهير في ذلك العصر كان متفوقا في قسم من الأقسام الشعرية ، فإنا نقرّ بأن نظامي كان متفوقا في أكثر من قسم .. فهو متفوق في الحفل والحرب ، والعشق والفلسفة والأخلاق [3] .

وقبل نظامي ، لم تكن روح العشق موجودة في الشعر .. إذ كانت المثنويات تدور فقط حول المعارك ، ولم تكن القصائد تتناول سوى المديح والتشبيب متابعة للقصائد العربية . فلما كتب نظامي جعل من أشعار العشق في هذا العصر قسما مستقلا ، ونظم مثنويات في شرح أحوال من اشتهروا في ميدان العشق من العرب والعجم . ولم يكتف بذلك بل أبدع آدابا مستقلة يبرر بها الاتجاهات والأحاسيس الهائجة المائجة وجذبات العشق ومظاهر الفرح . ثم تابعه المتأخرون . والمفروض أن سعدي هو موجد الغزل ولكن نظامي وحده هو (آذر) هذا المعبد [4] .

---

(١) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٨٥ ،
جامي : نفحات الأنس ، طبع لكهنو ١٣٣٣ هـ = ١٩١٥ م ، ص ٥٤٧ ،
عبد النبي قزويني : ميخانه ، طبع لاهور ١٩٢٦ م ، ص ١٠ ،
نظامي الكنجوي ، ص ١٣٣ .
(٢) تاريخ أدبيات ايران (ترجمة) ، ص ١٠٢ .
(٣) شعر العجم ، ص ٢٢٩ .
(٤) نفس المرجع ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

ولم يشتهر نظامي كصاحب ديوان ، نظراً لضياع معظم ديوانه الذي كان يشتمل يوماً ما على ٢٠ ألف بيت [١] .

ويقال إن ديوانه كان كاملا في عام ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م ، وأن له خمس نسخ مخطوطة لم تنشر للآن . هذا وقد نشر (ريپكا) في عام ١٩٣٥ م عدة غزليات لنظامي ، ونشر دستگيري ما عثر عليه من الديوان ، وذلك في عام ١٩٣٩ م [٢] .

، ولو تصفّحنا الديوان لوجدنا نظامي كثير الفخر بنفسه ، يميل للزهد والتجرد من الدنيا والعمل للآخرة .. ولشعرنا أن عشقه يشبه عشق الصوفية ، ورثاءه يكشف عن نفس حساسة رقيقة ، وليس فيما نظم مديح ولا هجاء .

وترجع شهرة نظامي في الحقيقة إلى مثنويّاته الخمسة التي يقرب مجموع أبياتها من ثلاثين ألف بيت.ويمكننا استعراض هذه المثنويات على النحو التالي :

(١) مخزن الأسرار :

نظمها نظامي في ٢٢٦٠ بيتا في بحر السريع ، وأتمها عام ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م [٣] . قدّمها الشاعر لفخر الدين بهرامشاه بن داود حاكم آذربيجان ، ونال عنها مكافأة كبيرة [٤] .

---

(١) تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ .

(٢) نظامي الگنجوي ... شاعر الفضيلة ، ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٣) هذا وفقا لما ورد في كتاب (نظامي الگنجوي ... شاعر الفضيلة) ، ص ١٥٥ . إلا أن هناك من يقول بأن النظم قد تم في عام ٥٥٩ هـ = ١١٦٣ م ويستند في حكمه إلى نسخ خطيّة . وهناك أيضا من يقول ان التأليف قد تم عام ٥٧٥ هـ = ١١٧٥ م ومن يقول إنها قدمت لايلدگز أتابك آذربيجان في عام ٥٦١ هـ = ١١٦٥ م .

أنظر : تاريخ ادبيات ايران (ترجمة) ١٠٢ وما بعدها ،

A. G. Browne : A Literary History of Persia, vol. II.

(٤) ابن البيبي . مختصر سلجوقنامه ، ص ٢١ ، ٢٢ .

وتعدُّ هذه المنظومة أقصر مثنويات نظامي طولا ، ولها اتجاه صوفي ، وتشتمل على كثير من الحكايات والعظات . وتشبه في أسلوبها حديقة الحقيقة لسنائي . وللمثنوية هذه مقدمة طويلة . وقد قسّم الشاعر ما بعد المقدّمة إلى ٢٠ مقالة [1] .

(٢) خسرو وشيرين :

تتلو مخزن الأسرار في الترتيب الزمني للتأليف . وهي مثنوية تقع في ٦٥٠ بيتا في بحر الهزج المسدس ، فرغ الشاعر من تأليفها في عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م.[2] وقدّمها للأتابك جهان پهلوان ثم لأخيه قزل أرسلان .

وتدور أحداثها حول عشق كسرى پرويز (خسرو پرويز) الملك الساساني لشيرين الجميلة ، ونهاية منافسه التعس (فرهاد) .

وبالمثنوية إضافات ترجع إلى عام ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م . وقد كان النظم والقصة مثار إعجاب كبير واستحسان عظيم .

(٣) ليلى ومجنون :

مثنوية بدأ الشاعر نظمها في عام ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م ، بناء على طلب أخستان بن منوچهر حاكم شروان .. وانتهى من النظم في عام ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م .

وهي قصة حب ، بطلاها قيس بن الملوَّح ومعشوقته ليلى .

---

(١) تاريخ الأدب في ايران ج ٢ (ترجمة) ، ص ٥١١ .

(٢) ارجع إلى : نظامي الگنجوي ... شاعر الفضيلة ، لتعرف رأي مؤلّفه في هذا التاريخ . (ص ٢٢٩ وما بعدها) .

٤ ــ هفت پيكر :

مثنوي نظمه الشاعر في بحر الخفيف عام ٥٩٣ هـ = ١١٩٦ م ، وقدّمه لحاكم مراغة « علاء الدين كرب أرسلان». عدد أبياته ٥١٣٠ بيتا تقريبا .. تشتمل على قصة تلائم روح نظامي الغنائية . وبطل القصة هو بهرام گور الملك الفارسي الذي كان يحكم إيران في الفترة ما بين عامي ٤٢٠ ، ٤٣٨ م[١] .

٥ ــ اسكندرنامه :

مثنوي في بحر المتقارب المثمّن يقص فيه نظامي قصة الإسكندر . وقد جعله الشاعر في جزأين :

الجزء الأول : ويشتمل على ٦٨٠٠ بيتا من الشعر ، ويسمّى (شرفنامه) . أتمّه الشاعر عام ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م ، وقدّمه لنصرة الدين أبي بكر أتابك آذربيجان .

الجزء الثاني : ويشتمل على ٣٦٨٠ بيتا من الشعر ، ويسمّى (اقبالنامه) أو (خردنامه) . أتمه الشاعر عام ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م على الأرجح ، وقدّمه لعز الدين مسعود أتابك الموصل[٢] .

ونظامي يصوِّر الاسكندر في هذا المثنوي في صورة البطل الفاتح والحكيم والنبي .

وكان نظامي في أشعاره متأثرا بذوقه الخاص إلى جانب تأثره بالذوق العام ، ففضّل الشعر الذي يستعصى فهمه إلا على الخاصة المثقفين ، واعتبره أفضل ألوان الشعر وأمتعها . ولهذا أصبح من السهل على دارس الشعر الفارسي في هذا العصر أن يميز بين فن نظامي وغيره من الشعراء .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك . طبع مصر ١٣٣٦ هـ ، جـ ٢ ص ٨١ .
(٢) نظامي الگنجوي ــ شاعر الفضيلة ، ص ٣٧١ ــ ٣٧٥ .

(٤٣) فريد الدين العطّار :

هو الشيخ فريد الدين محمد المشهور بالعطّار[١]. واحد من كبار الأئمة المتحدثين في مذهب العرفان .

ولد في نيشابور في أواسط القرن السادس الهجري ، أي في أواخر عهد سلاجقة خراسان . وعاش عمرا طويلا .. مما يجعله شاعرا سلجوقيا ومغوليا .

كان شاعرنا كثير الأسفار والمؤلفات ، حتّى يقال إن مؤلفاته المنظومة والمنثورة تبلغ ١١٤ مؤلفا . وقد ضاع معظم ما ألفه العطار على أي حال ، وما بقي .. مشكوك في نسبته إليه .

وأهم هذه المؤلفات :

پندنامه : كتاب يغصّ بالعظات الأخلاقية ، طبع أكثر من مرّة .

منطق الطير : منظومة رمزية ، طبعت مرارا .

تذكرة الأولياء : استعراض لحياة الصوفية ، طبع أكثر من مرة .

جواهرنامه ، شرح القلب ، مختار نامه ، مصيبتنامه ، اشترنامه ، مظهر العجائب[٢] ، الهينامه ، خسرونامه ، أسرارنامه ، لسان الغيب ، ديوان قصائد وغزليات يشتمل على ١٠ آلاف بيت .

---

(١) هذا وفقا لما ورد في تاريخ ادبيات ايران ، ص ١٢٣ ، أما براون فيذكره على هذا النحو :

أبو طالب (أبو حامد) محمد بن أبي بكر ابراهيم بن مصطفى بن شعبان .

انظر : تاريخ الادب في ايران من الفردوسي إلى السعدي (ترجمة) ، ص ٦٤٣ .

(٢) ظهرت في ثنايا هذا الكتاب ميول شيعية ، كانت سببا في سخط أحد الفقهاء السنية في سمرقند . وقد أمر الفقيه بإحراقها ، واتّهم العطار لدى براق التركمان — أحد أمراء خوارزم — بالإلحاد والكفر ، وأفتى بوجوب إعدامه ، وحرّض العامة على هدم منزله وسلب ممتلكاته ، مما اضطره للرحيل إلى مكة .

انظر : تاريخ الأدب في ايران من الفردوس إلى السعدي (ترجمة) ، ص ٦٤٥ .

غير أن أهم آثار العطار هي الديوان ومنطق الطير وتذكرة الشعراء .

ولم يحفل العطار بالمديح ، بل كان اهتمامه ينصب على الوصف والنصيحة والعرفان . وتبدو أستاذية العطار في غزله العرفاني الذي لم يسبقه إليه سوى سنائي ، وإن لم يبلغ الأخير مبلغه في الأسلوب والحرقة والإثارة . فالعطار لم يكن في ذلك الفن مبتكرا فحسب ، بل كان قدوة لشعراء العرفان الذين جاءوا بعده كجلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي .

وهناك كثير من الأخبار حول وفاة العطار ، وتكاد الروايات تجمع على أنه استشهد في فتنة المغول عام ٦٢٧ هـ = ١٢٣٠ م ، ودُفن في شادياخ جنوبي نيشابـــور .

ومن المؤكد أنه مات بعد عام ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م ، إذ تحدث عنه صاحب كتاب اللباب باعتباره على قيد الحياة .. والكتاب مؤلف في العام المذكور .

الفصل الخامس

الناحية العلمية

أ ـ العلوم الشرعية

ب ـ العلوم العقلية

ج ـ العلوم الادبية واللغوية والبــلاغية

تمهيد :

منذ أواخر القرن الخامس الهجري وطوال القرن السادس تزايد الاهتمام بإنشاء المدارس، بحيث يمكن أن يقال إن هذه الفترة كانت من أهم عصور التمدن الإسلامي من حيث كثرة المدارس . وقد تسببت هذه المدارس في الحد من انتشار العلوم العقلية ، كما تسببت في رواج اللغة العربية . وكان المتدينون — طمعا في نيل الثواب وخدمة الدين ونشر العلوم الدينية — يقفون أملاكهم وأموالهم على تلك المدارس . والدارسون يولّون وجوههم شطر المدارس الدينية دون غيرها اعتقادا منهم بأن العلوم العقلية لا تحظى بحب العامة أو الخاصة ، وإيمانا منهم بأن الدراسات الدينية هي وحدها التي تؤدي إلى الرفاهية ، وتصل بالدارس إلى الوظيفة والراتب .

وفي المدارس الدينية ، لم يكن مسموحاً للدارسين بقراءة الكتب التي تتناول العلوم العقلية .. خاصة المتعلقة بالفلسفة . وكان من المحظور على الدارس أن يتحدث في الفلسفة والهندسة والنجوم ، إذ عليه أن يتجه بكلّيته إلى البحث في مجال العلوم الدينية بشتى فروعها . ولما كان مثل هذا اللون من البحث يتطلب إطلاعا كافيا في ميداني اللغة والأدب العربي ، فقد أدى ذلك إلى ازدياد معرفة الدارسين باللغة العربية يوما بعد يوم . فقويت تلك اللغة وقوي أدبها ، وعظم أثرهما ونفوذهما في الأدب الفارسي بصورة لم يسبق لها نظير .

وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تختص بفرقة من الفرق المذهبية دون

سائر الفرق . كما كان الغني الذي يوقف ماله على مدرسة كهذه يشترط ألاّ يدرس فيها سوى أهل مذهبه .

وكانت الشيعة الإثني عشرية ــ شأنها شأن السنة ــ تمتلك العديد من المدارس والمراكز التعليمية ، لا يستفيد منها إلا أتباعها . وكان عدد هذه المدارس يتناسب تناسبا طرديا مع عدد الأتباع . ولما كانت الري وقزوين وآوه وقم ومازندران وكاشان مراكز هامة ــ في عصر السلاجقة ــ لاجتماع الشيعة .. فقد تركّزت فيها مدارسهم .

وقد ذكر نصير الدين أبو الرشيد في كتابه [1] أسماء عدة مدارس شيعية كانت منتشرة آنذاك في أغلب البلاد الإسلامية الواقعة ابتداء من ما وراء النهر وخراسان حتى الشام وبيّن أن بعضها كان يُستغل في الدرس والمناظرة ،والبعض تؤدى فيه صلاة الجماعة ويقرأ القرآن ، ويدرس للأطفال ، وتقام مجالس الوعظ وتسمع الفتاوى .

وكان الإقبال شديدا على بعض هذه المدارس . ففي مدرسة عبد الجبار بالري ــ على سبيل المثال ــ كان هناك أربعمائة فقيه ومتعلم ومتكلم يدرسون الشريعة ، وهم يمثلون المسلمين في كل أنحاء العالم . كما كانت مدرسة خواجه إمام رشيد الرازي تتسع لأكثر من مائتي رجل من العلماء ذوي القدر والخطر ، قدموا لدراسة الدين والأصول والفقه والتشريع [2] .

وكانت مدارس السنّة تفوق مدارس الشيعة بمراحل ، وكانت كل مجموعة منها وقفا على فرقة خاصة كالشافعية أو الحنفية وأمثالهما . وتعد المدارس النظامية من أهم مدارس أهل السنة في عهد السلاجقة . وقد أنشئت بناء على أمر

---

(١) نصير الدين ابو الرشيد : بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض (كتاب النقض) ، طبع طهران عام ١٣٣١ ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) المرجع السابق والصفحتين السابقتين .

نظام الملك وزير الپ أرسلان وملكشاه . وقد اشترط نظام الملك أن تكون تلك المدارس خاصة بالشافعية تعصبا منه لهذا المذهب . وكانت هذه المدارس على درجة كبيرة من الأهمية بحيث أخطأ بعض المؤلفين القدامى واعتقدوا أن نظام الملك هو أول من بنى المدارس في الإسلام (١) . بينما الواقع أنه فقط أول من عيّن راتبا ثابتا للطلاب (٢) ، وأوقف الأموال الكثيرة لتغطية رواتبهم ورواتب الفقهاء (٣) ، وأنفق بسخاء على المباني (٤) .

وعلى أية حال فإن تأسيس المدارس النظامية كان دافعا لإيجاد غيرها من من المدارس في البلاد الإسلامية . وكان المؤسسون يبغون الثواب أو خدمة مذهبهم أو منافسة معارضيهم (٥) .

وقد عمّت المدارس النظامية بغداد ونيشابور والبصرة واصفهان وبلخ وهرات ويزد والموصل ، ووجدت إلى جانبها عشرات المدارس التي يؤمّها أفضل العلماء وأعظمهم (٦) . وكانت خراسان لعظمتها آنذاك تحظى بعدد كبير من المدارس .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبع بولاق ١٢٨٣ هـ ، جـ ١ ص ٣٩٦ .

(٢) طبقات الشافعية ، طبع مصر ، جـ ٣ ص ١٣٧ .

(٣) رحلة ابن جبير ، طبع مصر ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٤) الطرطوشي : سراج الملوك ، المطبعة الخيرية عام ١٣٠٦ هـ ، ص ١٢٨ .

(٥) ابن الدبيثي : المختصر المحتاج إليه ، طبع بغداد ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م ، جـ ١ ص ١١٦

(٦) ارجع إلى :

المدرسة المستنصرية ، طبع بغداد ١٣٥٤ ، ص ٨ — ١٢ ، راحة الصدور (ليدن ١٩٢١) ، صفحات متفرقة ، أحمد بن حسين الكاتب : تاريخ جديد يزد ، طبع يزد ١٣١٧ ، ص ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢ ، طبقات الشافعية ، جـ ٣ ص ١٣٧ ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٦٩ ، ابن الدبيثي : المختصر المحتاج إليه ، جـ ١ ص ١١٦ ، جواد : دليل خارطة بغداد ، ص ٢٢٣ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ، طبع بغداد ١٩٣٤م ، ص ١٧٨ ، الروضتين ، مطبعة وادي=

وهكذا كان العصر السلجوقي عصر رواج للعلوم المذهبية والأدبية بخاصة ، وعصر انطلاق للحركة المدرسية في الإسلام . وكانت طبيعة الظروف السياسية العامة وقتئذ تتطلب تلك السياسة التعليمية .

وكان التعليم في المدارس امتدادا لحركة التعليم في المساجد . فقد استمرت المساجد في أداء وظيفتها التعليمية في العصر السلجوقي ، وألحقت بمعظمها خزائن الكتب التي أوقفها محبّو العلم لتحقيق المنفعة للناس . وفي بغداد والري وساوه ومرو شاهجان كثرت المكتبات الخاصة والموقوفة على المدارس والمساجد [1] ، وانتشرت حوانيت الورّاقين قرب المساجد ، وأصبحت مراكز للأبحاث الراقية .. يلتقي فيها الخبراء وهواة الدرس .

ويمكننا أن نقول انه قل ان وجدت مدينة في عصر السلاجقة تخلو من وجود مجالس عديدة للتعليم يصول فيها فرسان التفسير والحديث والفقه والكلام والأدب ويجولون .

وكان الأمراء والحكام والخلفاء والسلاطين هم الذين يديرون المدارس . أما الأوقاف التي ينفق منها على المدارس فيعيّن لها (ناظر) أو (متَوَلّ) . ويقوم بالتدريس مدرسون ومعيدون متخصصون . أو يُختار نائب للتدريس إذا لم يتوفر المدرس الكفء [2] .

= النيل ١٢٨٧ هـ ، ج ١ ص ٦٥ ، مرآة الجنان ، طبع حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ ، ج ٣ ص ٢٨٤ ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ص٣٧٥ ، ج ٦ ، ٢٥٢ ، العمري : منية الأدباء ، ص ٢٠٥

فبالرجوع إلى هذه المصادر يمكن معرفة أسماء المدارس النظامية وغير النظامية في البلاد المذكورة ، ويمكن الوقوف على أسماء بُناتها وتواريخ إنشائها .

(١) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٣٩٢ – ٤٠٠ ، النقض ، ص ١٢ ، ٤٩ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحت كلمة (مرو الشاهجان)

(٢) يمكن معرفة الحياة داخل تلك المدارس بالرجوع إلى :

ابن القفطي : حوادث الجامعة (حوادث عام ٦٢٦) . رحلة ابن بطوطة ، طبع مصر ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

وبالإضافة إلى المواد الدينية والأدبية كان علما الحساب والطب يدرسان . وكان تدريس العلوم الأدبية ومقدمات علم الحساب المحتاج إليه في الفقه أمراً شائعا في المدارس . أما تدريس الطب فكان مكانه المستشفيات ومع ذلك فقد درِّس الطب في قليل من المدارس إستنادا إلى قول الرسول عليه السلام : العلم علمان : علم الأديان وعلم الأبدان . أما سائر العلوم العقلية فكانت مكروهة لدى علماء المسلمين .. يحرِّمون تدريسها . وكان أساتذة الفلسفة والعلوم العقلية يعلِّمون تلاميذهم خارج المساجد والمدارس .

وإلى جانب المساجد والمدارس وجدت الخانقات [1] أو الربط ، ونعني بها محالّ تعليم الصوفية . وكان في كل مدينة أكثر من خانقاه (رباط) له أوقافه وخدمه . وكان بعض الربط خاص بالشيوخ ، والبعض خاص بالمريدين . وكان بعض الصوفية يتخذون منها محلاً لسكناهم .

وفي الربط كانت تتم الاجتماعات العامة للذكر الجماعي أو السماع . ولم تعد الربط تقتصر على العبادة والزهد ، بل أصبحت أماكن للتأليف والتصنيف والقراءة والتثقيف . منها تؤخذ الإجازات وفيها تلقى المحاضرات وقد لحقت بها مكتبات عامرة يرتادها المتصوفة المقيمون ، فيدرسون ويتدارسون ، ويؤلِّفون ، ويصنِّفون وقد قرر أكثرهم الانقطاع للمطالعة والدرس [2] .

ومن الكتب التي تم تأليفها في الربط :

الناسخ والمنسوخ عن الحديث النبوي الشريف ، عجالة المبتدىء في الأنساب ، المؤتلف والمختلف في الأنساب أيضا [3] ، التاريخ المجاهدي ، عوارف المعارف .

---

(١) كلمة (الرباط) كانت معروفة منتشرة في العراق ، بينما كلمة (خانقاه) وهي لفظ فارسي ... كانت تستعمل في فارس والشام ومصر .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ص ١٥٣ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٥٢ .

وقد تخطت الربط العبادة والزهد والتثقيف والتأليف إلى عالم ثقافي لـــه خصائصه الواضحة المتميزة في الحضارة الإسلامية . فقد نشأت فيها ألحان خاصة تجمع بين الموسيقى والغناء .. تلك الألحان التي تتسق وتتجاوب مـــع نفوس المقيمين في الربط ، وتناسب ورعهم وخشوعهم وذكرهم . فكأن الربط ساهمت مساهمة جديّة فعالة في تطوير الحركة الثقافية في العصر السلجوقي وازدهارهـــا .

ويمكننا أن نقسم العلوم التي راجت في ذلك العصر وكتبت فيها المؤلفات إلى ما يأتي :

أولا : العلوم الشرعيّة :

(ا) علم القراءة :

نال علم القراءة من أهل هذا العصر أهمية بالغة ، واشتغل بالتحقيق في هذا الميدان علماء كبار انتشروا في كل الممالك الإسلامية من الأندلس إلى ما وراء النهر وألّفوا العديد من الكتب في هذا الموضوع .

وممن اشتهروا في هذا الميدان :

١ ــ الإمام أبو محمد الشاطبي [١] (م ٥٩٠ هـ = ١١٩٣ م) . كان متخصصا في العلوم الأدبية والشرعية ، إلاّ أن كثرة اتصاله بعلم القراءة وكثرة مؤلفاته في هذا الفن جعلته مشهورا في هذا المجال أكثر من سواه . ومن آثاره في ذلك السبيل قصيدتيه : « اللامية » و « الرائية » في علم القراءة .

وقد كتبت لهما شروح عديدة في القرون : السادس والسابع والثامن الهجرية . كالشرح المسمّى « بفتح التوحيد » الذي كتبه علم الدين علي بن محمد

---

(١) نسبة إلى الشاطبة إحدى قرى الأندلس .

السخاوي (م ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م) على القصيدة اللامية . والشرح المسمى « بالوسيلة إلى شرح العقيلة » الذي كتب على القصيدة الرائية .

٢ — أبو الفضل محمد بن طيفور السجاوندي الغزنوي (م ٥٦٠ هـ = ١١٦٤م)، وهو من أكثر علماء ايران شهرة في القراءة في ذلك العصر .

ومن آثاره الشهيرة : « الوقوف » في شرح موارد الوقف في القرآن ، « الوقف والابتداء » في شرح أنواع الوقف ، « الموجز » في شرح قسم من أقسام الوقف ، « عين المعاني في تفسير السبع المثاني » .

(ب) علم التفسير :

ارتقى علم التفسير في عصر السلاجقة على يد علماء الفرقتين : السنّة والشيعة . ويرجع اهتمام الشيعة الكبير بعلم التفسير إلى رأي أئمة المذهب ، الذين كانوا يرون في ذلك ضرورة . وشغل هؤلاء العلماء في أكثر من بلد إسلامي بتعليم هذا العلم لمن يشاركونهم مذهبهم .. ولم يغفلوا عن تأليف الكتب في هذا الميدان . ويمكننا أن نقول إنهم كتبوا كتبا عظيمة في هذا الفن بالفارسية والعربية ..

وفي هذا العصر كثر عدد المؤلفات التي وضعت بالفارسية في هذا الفن ، واهتم المؤلفون بالتفصيل أكثر من ذي قبل . ورأينا كتب تفاسير للشيعة والسنة والأشاعرة والمعتزلة والمتصوفة .. وكانت كل طائفة تحاول في كتبها إثبات عقائدها . وإلى جوار الكتب كان أتباع هذه الفرق يطرحون المسائل في تفسير القرآن غالبا في مجالس الوعظ ، ويبحثونها . وكان علماء كل طائفة ينظرون إلى القرآن ، ويفسّرونه من وجهة نظرهم . ويكتفون في أحكامهم بالاعتماد على تفكيرهم واطّلاعهم .. باحثين في نطاق ما تخصصوا فيه من فنون . فالعالم النحوي مثلا ينظر في القرآن من جهة قواعد النحو ، وعالم الأخبار ينظر فيه من

جهة القصص والأخبار ، والفقيه من حيث قواعد الفقه ، والصوفي من ناحية التصوف .

وممن كتبوا في علم التفسير في هذا العصر :

(١) أبو الحسن علي بن محمد كياهراسي الطبري ، المتكلم ، والمفسر الكبير (م ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م) .

(٢) محمد بن عبدالله بن عربي الحافظ (م ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م) .

(٣) قطب الدين الراوندي (م ٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م) .

(٤) محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري القرطبي (م ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م) .

(٥) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (م ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) ، (صاحب مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار) ، وهو تفسير عظيم .. أوّلَ فيه أبو الفتح الآيات ووجّهها وفق حكمته وذوق كلامه ، وبناء على رأي المتكلمين [١] .

(٦) الإمام أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (م ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م) .

ومن جملة تفسيراته : « التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض سور القرآن » ، وهو في تفسير السور الأربعة : التوحيد ، الأعلى ، التين ، والعصر [٢] .

ومن أهم تفسيراته : « مفاتيح الغيب » المعروف بالتفسير الكبير . وقد

---

(١) مقدمة ترجمة الملل والنحل للشهرستاني ، بتصحيح واهتمام السيد جلال نائيني ، طبع طهران ١٣٣٥ ، الطبعة الثانية .

(٢) التوحيد (الإخلاص) : سورة/ ١١٢ ، الأعلى : سورة/ ٨٧ ، التين : سورة/ ٩٥ ، العصر : سورة ١٠٣ .

أئمّه المفسّران : الخوني (م ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م) والسيوطي (م ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) بعد وفاة الرازي . والخروج المؤلف عن الحدود المتعارف عليها قال بعض العلماء في حق كتابه : « فيه كل شيء إلا التفسير » [١] . وله « درة التنزيل » في متشابهات القرآن .

(٧) الإمام أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، المعروف بجارالله الزمخشري (م ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م) كان من المعتزلة .. ولذا انصب اهتمامه على ذكر الخصوصيات الصرفية والنحوية والمعاني والبيان والقراءة وأمر نزول الآيات والمسائل العقائدية المتعلقة بالمعتزلة . وهو صاحب تفسير « الكشاف » . وكان كتابه من الأهمية بحيث كتبت له شروح عديدة ، وعارضه الكثيرون من مخالفي المعتزلة [٢] .

(٨) رشيد الدين أبو الفضل بن أبي سعيد أحمد بن محمد بن محمود الميبدي . صاحب أهم التفاسير الفارسية الصوفية : « كشف الأسرار وعدة الأبرار » . كتبه متأثرا بتفسير خواجة عبدالله الأنصاري ، وأورد فيه كل أقوال المفسرين في وجوه القراءات وتفسير الآيات والأحكام وغير ذلك . وقد فسّر الآيات فيه من وجهة نظر الصوفية ، وجاء بتأويلات غريبة وعبارات رشيقة وأشعار لطيفة .

(٩) أبو محمد روزبهان بن أبي نصر الشيرازي الديلمي (٥٢٢ ـ ٦٠٦ هـ = ١١٢٨ ـ ١٢٠٩ م) . وله كتاب بالعربية يعد من التفاسير العرفانية الهامة يدعى (عرائس البيان في حقائق القرآن).وهو في كتابه هذا يذكر رأيه في كل آية ، وقد يذكر أحيانا فكرة مشايخ الصوفية ورأيهم .

---

(١) مفتاح السعادة ، ج ١ ص ٤٢١ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .

(١٠) بهاء الدين محمد المعروف ببهاء ولد (م ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م) . مؤلف كتاب « المعارف » الذي يعدُّ من جملة تفاسير الصوفية للقرآن ، وينعكس فيه طريقة تأويلهم الآيات بناء على رأيهم ، وخلطهم التفسير بأبيات وإشارات عرفانية .

(١١) محمد بن هلال السعيدي (م ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م) .

(١٢) ابن شهر آشوب (م ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م) .

(١٣) أبو علي فضل بن حسن بن فضل الطبرسي ، المعروف بالشيخ الطبرسي (م ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) ، مؤلف (متشابه القرآن) . وله كذلك ثلاثة كتب في التفسير على طريقة الشيعة هي : الكافي الشافي ، جوامع الجامع ، مجامع البيان . وقد كتب كتابه الأخير في عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م ، وجعله شاملا لكل العلوم القرآنية من قراءة وإعراب ولغة وبيان مشكلات ، وذكر لموارد المعاني والبيان ، وموضوع نزول الآيات والأخبار الواردة في الآيات بطريقة الشيعة الإمامية ، وشرح للقصص والحكايات ، وتوضيح الأحكام وبيان الآيات التي تدل على صحة اعتقاد الشيعة الإمامية .

(١٤) فخر الدين محمد المعروف بابن ادريس الحلي (م ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م) . وضَعَ مختصرا لكتاب (التبيان في تفسير القرآن) ، وهو من مؤلفات أبي جعفر محمد بن حسن الطوسي (م ٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م) . ومن مؤلفاته الهامة : « السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى » ، و « مسائل بن إدريس » .

(١٥) الشيخ أبو الفتوح جمال الدين حسين بن علي بن محمد الرازي . وله تفسير مطوَّل .

(١٦) أبو محمد حسين بن مسعود المعروف بفراء النبوي (م ٥١٦ هـ = ١١٢٢م)

وهو من كبار فقهاء الإسلام ، ومن علماء الشافعية المشهورين . ألّف « معالم التنزيل » وهو من التفاسير العامة الشهيرة .

(١٧) أبو البقاء عبدالله بن حسين عكبري الحنبلي المذهب وأحد كبار العلماء في الفقه والتفسير والأصول (م ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م .) كتب العديد من المؤلفات المذهبية ، منها : « التبيان في إعراب القرآن » ويسميه البعض (إعراب أبي البقاء) .

(١٨) الحكيم أبو الفضل حُبيش بن ابراهيم التفليسي (م ٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م). وله كتاب بالفارسية في بيان مشكلات القرآن ، وآخر في التفسير اسمه (كامل التعبير) .

(ج) علم الحديث

كان على المفسِّر في هذا العصر أن يتبع ما كان معمولا به في أواخر القرن الرابع وبداية الخامس ، فيعرف أسانيد رجال الحديث وأسماءهم ومراتبهم ، ويحفظ قدرا كبيرا من الأحاديث ، ويقرأ الكتب الستّة التالية :

(١) الجامع الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخاري .

(٢) صحيح أبي الحسين مسلم بن حجاج النيشابوري .

(٣) سنن ابن ماجة .

(٤) سنن أبي داود .

(٥) جامع الترمذي .

(٦) سنن النسائي .

كما كان الواجب أن تكون قراءته تلك على أستاذ كي يحصل منه في النهاية

على تصريح بروايتها . وكان يلزم المفسر أيضا أن يحفظ كتاب مسند الإمام أحمد ابن حنبل أو موطأ مالك .

وممن اشتهروا في علم الحديث في عصر السلاجقة من بين السنيين :

(١) أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري (م ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م) ، وهو صاحب كتاب « التجريد » .

(٢) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الاثير ، صاحب كتاب جامع الأصول ، وكتاب مناقب الأخبار ، وكتاب النهاية . (م ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م) .

(٣) البغوي ، صاحب الكتب العديدة في الفقه والتفسير والحديث . (م ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) .

(٤) تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الشهرزوري (م ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م) وهو من البارزين في علم الحديث والتفسير والفقه .

وممن اشتهروا من الشيعة في علم الحديث : الإمام عماد كجيج مؤلف كتاب « بشارة المصطفى لشيعة المرتضى » . وقد اقتصر فيه على ذكر الأخبار والروايات التي تثبت قاعدة أئمة الشيعة ومقام المذهب الشيعي .

(د) علم الفقه :

حظي هذا العلم في عهد السلاجقة باهتمام كثرة من المؤلفين ، خلّفوا لنا العديد من الكتب . وتقدم علم الأصول بصورة لم يحدث نظيرها في العصور السابقة على العصر موضوع حديثنا . ولا شك أن ظروف العصر ، والاهتمام السائد بالدين والمذهب ، والاحترام الذي كان يحظى به الفقهاء – والمفسرون والمحدّثون – جعل عدد المشتغلين بهذه الفنون يزداد بصورة واضحة . ولم تكن

كثرة الفقهاء تختص بمذهب دون آخر أو بمذاهب معينة .. بل لقد كان عددهم كبيرا في كل المذاهب .

وقد لمعت في هذه الفترة أسماء عدد كبير من فقهاء الشافعية ، والشيعة [1] ، وجمعت فتاوى عديدة ذاعت شهرتها فيما بعد .

وممن اشتهروا في هذا الفن :

(١) الإمام جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي (م ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) . مؤلف كتاب (منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل) . وله شروح عديدة .

(٢) شمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي الحنفي المذهب .

(٣) أبو الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني (م ٥٩٣ هـ = ١١٩٦ م) ، صاحب كتاب (الهداية) ، وكتاب (مناسك الحج) ، وكتاب (كفاية المنتهى) ، وغيرها .

(٤) محمود بن تاج الدين الحنفي المذهب ، صاحب كتاب (المحيط والذخيرة والجوهرة المضيئة) في الطبقات الحنفية .

(٥) شمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد بن صالح الحلواني صاحب كتاب (المبسوط) .

(٦) فخر الدين أبو المفاخر حسن ابن منصور أوزجندي المعروف بقاضي خان ، (م ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م) . من مشاهير فقهاء ما وراء النهر ، وصاحب كتاب (الفتاوى) ، وغيره من كتب الفقه .

---

(١) النقض ، صفحات متفرّقة .

(ﻫ) علم الكلام :

في هذا العصر ، راج الخلاف حول المسائل الكلامية أكثر من رواجه حول المسائل المذهبية الأخرى . وكان البحث وكانت المناظرة أمرين مألوفين بين أئمة العصر .. مما كان يقتضي دراسة علمية للجدل وأصول الكلام ، وما إلى ذلك . وكانت النتيجة أن أُلِّفت كتب عديدة في فروع هذا العلم ، ووجد من العلماء المشهورين من انفرد بسعة اطلاعه واشتهر بكفاية معلوماته في هذا الفن .

ومع نضوج مذاهب الشيعة وظهور عدد كبير من علماء تلك الفرق .. برز الكثير من المتكلمين ، وأخذوا في التأليف لإثبات أصول المذهب وصحّة العقائد والرد على سائر المذاهب ومهاجمتها .

وقد أنتجت فرقة الشيعة الإثني عشرية والشيعة الإسماعيلية إنتاجا أغزر من سواهما وأكثر أهمية ولفتاً للأنظار .

وممن قاموا بالتأليف في هذا المجال من بين الشيعة :

(١) الشيخ نصير الدين أبو الرشيد عبد الجليل بن أبي الحسين الرازي . وله كتاب في الرد على كتاب بعض مثالب النواصب . وقد ألفه كتابه هذا في عام ٥٦٠ ﻫ = ١١٦٤ م وسمّاه : (النقض) . وقد بحث فيه كثيراً من المسائل الكلامية الخاصة بمذهب الشيعة . وهو يعدُّ بحق من جملة الكتب القيِّمة التي تبحث في كلام الشيعة .

وكان علم الكلام وعلوم الجدل والخلاف والمناظرة بالغة كمال قوتها لدى المذاهب السنيّة .

وكان المذهب الأشعري من أهم المذاهب الكلامية في ذلك العهد ، على العكس من مذهب الاعتزال الذي كان ضعيفا إلاّ في العراق وخوارزم وما وراء النهر .

وكان النزاع قائما بين الأشاعرة والمعتزلة . وكان المعتزلة يتفوّقون على معارضيهم في أبحاثهم حول ترجيح العقل ورفض التعليم والتقليد ، وذلك بسبب اتصالهم ببعض أمراء الترك أو سلاطين السلاجقة . ولم يكن النزاع قاصرا على الطائفتين المذكورتين ، فقد اشترك في النزاع فرق أخرى هي المشبهة والمرجئة والكرامية .

وكان أئمة المعتزلة في ما وراء النهر وخوارزم منصرفين إلى تعليم أتباعهم وتأليف الكتب ، كذلك كان الحال بالنسبة للأشاعرة .. فقد كان علماؤهم يكثرون من التأليف ، ويبذلون قصارى جهدهم – في شرقي ايران – لتكفير العلماء الآخرين وإثبات الخطأ على الفلاسفة .

وقد كانت سيطرة متكلمي الأشاعرة كبيرة في العصر السلجوقي الأول بسبب حماية السلاطين لهم . وازداد نفوذهم الديني والاجتماعي كثيرا في عهد حاميهم نظام الملك . ثم تبدّل الحال في عهد مخالفهم عميد الملك الكندري .

ومن أشهر المتكلمين في هذا العصر :

(١) شمس الإسلام عماد الدين كياي هراس ، من أهل طبرستان ، توفي عام ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م .

(٢) حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (م ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) . وهو شافعي المذهب ، اشتهر بكثرة مؤلفاته ، ومن أهمها : الاقتصاد في الاعتقاد ، إلجام العوام عن علم الكلام ، أسرار علم الدين ، تهافت الفلاسفة ، فضائح الباطنية ، فضائح الإباحية ، فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، مواهم الباطنية ، المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ، مقاصد الفلاسفة ، المنقذ من الضلال ، الأربعين في أصول الدين ، أجوبة الغزالية في المسائل الأخروية (المضمون الصغير) ، المضمون الكبير ، مشكواة الأنوار والقسطاس المستقيم .

وقد خلط الغزالي في بعض كتبه بين المسائل الكلامية والفلسفية .

(٣) أبو الفتوح محمد الشافعي الأشعري (م ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) . أحد كبار المتكلمين وأشهرهم . وهو تلميذ الإمام أبي المظفر خواني قاضي طوس (م ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م) ، وأبي نصر القشيري (م ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) . والإمام أبي القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري (م ٥١٢ هـ = ١١١٨ م) ، وأبو الحسن علي بن أحمد المدين المحدث الكبير (م ٤٩٤ هـ = ١١٠٠ م) ، وكلهم من علماء الدين الذين اشتهروا في خراسان . وقد ألّف كتبا عديدة منها : (الملل والنحل) ، (المصارعة) ، نهاية الإقدام ، رسالة في علم واجب الوجود .

(٤) أبو الفرج بن الجوزي (م ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م) . من مشاهير المتكلمين والمتحدثين والوعّاظ في هذا العصر . كان موضع تعظيم أكثر الفرق ، حتّى أن اغلب السنة والشيعة كانوا يرجعون إليه في خلافاتهم . وله كثير من المؤلفات الهامة من بينها : « المنتظم » ، « تلبيس إبليس » الذي يردّ فيه على الفِرق ، ويظهر مواطن ضعفها وإلحادها ، ويجري الحديث عن الفلاسفة والصوفية .

(٥) الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (م ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م) . و من آثاره الكلامية : « رسالة في المعراج » ، « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين » .. وهو خلاصة جامعة لعلم الكلام ، « المسائل الخمسون » .. وهو في أصول علم الكلام ، ورسالة فارسية في أصول عقائد أهل السنّة ، نهاية العقول ، كتاب الأربعين ، المطالب العالية ، البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان ، تحصيل الحق ، الزبدة والمعالم ، المباحث العمادية في المطالب العادية ، تهذيب الدلائل وعيون المسائل ، إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار ، أجوبة المسائل البخارية .

ثانيا : العلوم العقلية :

تضافرت عدة عوامل في العصر السلجوقي لتأخذ بيد العلوم العقلية في طريق الضعف . هذه العوامل هي الاهتمام بالوضع السياسي والاجتماعي ، وما كان يلقاه علماء الدين من تأييد وما كانوا عليه من قوة ، وتعصُّب الفقهاء والعلماء والسلاطين والأمراء وذوي الجاه بشدة لعقائدهم المذهبية .

والمعروف أن العلوم العقلية – وعلى رأسها الفلسفة – قد قوبلت بتعصب ومقاومة شديدتين . وكان علماء السنّة والحديث والمعتقدين بظواهر الأحكام والآيات من بين المسلمين يرون في كل ألوان البحث والاستدلال واللجوء إلى العقل لحل المعضلات الدينية جسارة كبيرة تزيد عن الحد المألوف . ومن جملة العلوم التي حوربت وكانت موضع النفور .. العلوم الفلسفية والحكمية .

وكان هذا التصرف امتدادا لما استنّه المتوكّل على الله أثناء خلافته (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ = ٨٤٦ – ٨٦١ م) فقد كان يميل إلى أهل السنّة والحديث ميلا عظيما جعله يعارض أهل النظر مخالفا في ذلك المأمون والمعتصم والواثق . وقد وصلت به المعارضة حدّ منع الجدل والمناظرة ومعاقبة من يفعل ذلك .. وقد أمر في نفس الوقت بالتقليد وأظهر الرواية والحديث [1] . ومن وقتها بدأ التشدد ضد المعتزلة – أهل البحث والنظر والاستدلال – وتعرضوا لخطر الإبادة تقريبا .

كما تعرض أهل الذمّة – ومعظمهم من المسيحيين الحاملين لعلوم الأوائل – للشدائد في عهد المتوكل حين أصدر أوامره القاسية بشأنهم [2] . وتسبب هذا الموقف في إلصاق تهمة الكفر والزندقة بالرياضيين والفلاسفة والمتكلمين والمعتزلة ونظائرهم .. وكان ذلك فرصة لظهور الأشعري والأشاعرة .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، طبع مصر ج ٤ ص ٢٤٦ .
(٢) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ص ٤٣ .

ثم تغلب الترك على جهاز الخلافة . ووجد السنّة والمحدثون والفقهاء والعامة المتعصبون فرصة لإيذاء الفلاسفة والحكماء .

والخلاصة أن ما في الكتب صار أفضل مما يتفتق عنه العقل ، وصار العالم الذي يحفظ الكثير من النصوص الدينية واللغوية ترجح كفّته العالم القليل الحفظ الكثير التفكير ، وصار الفقيه والمحدث والمفسّر موضع التكريم أكثر من الفيلسوف والمفكّر .

ونتيجة لذلك ضاع رونق الفلسفة وسائر العلوم العقلية ، وقلّ رواجها . ومع مرور الأيام حل الفقهاء والمحدثون والمفسرون والمتكلمون من الأشعرية والكراميّة وغيرهم مكان الشخصيات البارزة في الفلسفةو الكيمياء والطب والطبيعيات والرياضيات والمنطق والإلهيات .

وكان تعلّم العلوم العقلية ممنوعا في المدارس منذ القرن الخامس في خراسان ثم في العراق وبقية الممالك الإسلامية . ولم يكن يدرس بها سوى الأدب والعلوم الدينية . وقد قلّل ذلك من رونق العلوم العقلية ورواجها واهتمام طلاب العلم بهـا .

وكان ازدياد قوة الصوفية في ذلك العهد بمثابة كارثة كبرى ابتليت بها العلوم العقلية .. إذ كانت هذه الطائفة تخالف كل العلوم وتعتبرها حجاب الحقيقة .

والمعروف أن أئمة الدين والفقهاء والزهاد لا يطلقون لفظ علم إلا على العلم الموروث عن النبي ، ولا يعدون غيره علما نافعا . ويرون أن العلم الذي لا يعود نفعه على الأعمال الدينية علم عديم الفائدة [1] . ويعتبرون علوم الأوائل علوما مهجورة تنتهي بالكفر والتعطيل . وكان متكلمو الشيعة شأنهم شأن السنة يعادون الفلاسفة والحكماء ويعدونهم أعداء للدين منكرين للتوحيد .

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ، طبع القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ج١ ص ٢٣٨ .

ومن هاجموا الفلاسفة – خاصة أبا علي سينا – ابنُ رشد [1] ، وأبو بركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي (م ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) ، والغزالي ، وتاج الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (م ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) والإمام فخر الرازي (م ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م) .

كما هاجمهم عدد كبير من الشعراء أمثال سنائي والخاقاني من الفرس ، وأبي الحسين محمد بن أحمد بن جُبير الكناني الأندلسي من العرب (٥٤٠ – ٦١٤ هـ – ١١٤٥ = ١٢١٧ م) . ومن العلوم العقلية علوم الحكمة والرياضة والطب ، وسوف نتحدث عن كل منها لنعرف من برزوا فيها ودَورهم ومؤلفاتهم .

(أ) علوم الحكمة :

رغم ما ذكرناه من صعاب واجهها المشتغلون بالحكمة في هذا العهد .. وُجِد بعض الحكماء ، ووجدت أماكن لتعليم الفلاسفة . ويُعدُّ فلاسفة هذا العهد تلاميذ في مدرسة ابن سينا . ومن أهمهم وأشهرهم :

(١) أبو العباس فضل بن محمد اللوكري المروزي ، الذي تتلمذ على يديه عدد كبير من علماء وفلاسفة القرن السادس الهجري ، يعتبر تلميذا لبهمنيا تلميذ أبي علي بن سينا . وعن طريق اللوكري انتشرت علوم الحكمة في خراسان . وله كثير من المؤلفات . ومن أشهر تلاميذه قطب الزمان محمد بن أبي طاهر طبسي المروزي ، الذي قضى معظم حياته في خراسان ، ومات في سرخس سنة ٥٣٩ هـ = ١١٤٤م .

(٢) أبو الفتح بن أبي سعيد فُنْدورَجي .

---

(١) هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي ، المولود سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م ، والمتوفي سنة ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م .

(٣) مجد الأفاضل القاضي عبد الرزاق تركي .

(٤) شرف الزمان محمد بن يوسف الإيلاقي (م ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م) .

(٥) فريد الدين عمر بن غيلان البلخي ، أحد متكلمي خراسان .

(٦) فريد الدين داماد النيشابوري .

(٧) عين الزمان حسن قطّان المروزي .

(٨) أبو الفتح أسعد بن محمد بن أبي نصر الميهني (م ٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م) .

(٩) حجة الحق الحكيم أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام (الخيامي) النيسابوري. كان متعلقا بآثار ابن سينا ، ويعتبره البعض تاليا له في أجزاء علوم الحكمة [1] .. ومن آثاره الفلسفية :

رسالات في الطبيعيات ، رسالة في الوجود ، رسالة في الكون والتكليف ، وترجمة لخطبة أبي علي الفراء .

(١٠) أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي أو البغدادي (م ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م) . وهو مؤلف : المعتبر ، النفس ، التفسير . وكان يخالف ابن سينا ، ويؤيده في معتقداته الأمير علاء الدولة بن فرامرز . وكان علاء الدين بدوره فيلسوفا .. وله كتاب قيم اسمه (مهجة التوحيد) .

(١١) الحكيم أبو سعد (أبو سعيد) محمد بن محمد الغانمي ، صاحب كتاب (قراضة الطبيعيات) .

(١٢) القاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي ، صاحب كتاب (البصائر النصيرية) [2] في المنطق ، وكتاب (التبصرة) وغيرهما من المؤلفات

---

(١) البيهقي : تتمة صوان الحكمة . ص ١١٢ .

(٢) طبع هذا الكتاب في المطبعة الأميرية ببولاق بمصر سنة ١٣١٧ هـ .

العربية . وله آثار فارسية ، منها : (شرح رسالة الطير لابن سينا) ، (شرح الرسالة السنجرية في الكائنات العصرية) [1] .

(١٣) تاج الدين محمد بن عبد الكريم الشارستاني (م ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) ، وله مؤلفات في الفلسفة والحكمة .

(١٤) شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي . ولد في ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م في سهرورد . واتّهم بالإلحاد لخلافه مع القدامى واستفادته في اصطلاحاته من ألفاظ الدين الزردشتي واصطلاحاته . مما جعل علماء حلب يستبيحون دمه ويأمر الحاكم صلاح الدين الأيوبي — بتحريض من المتعصبين — بقتله في عام ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م . وكان يلقب بألقاب عدة ، منها : شيخ الاشراق ، المقتول ، الشهيد ، المؤيد بالملكوت . ومن آثاره الفارسية والعربية :

منطق التلويحات ، كتاب التلويحات ، كتاب المقاومات ، كتاب المشارع والمطارحات ، كتاب حكمة الإشراق ، رسالة في اعتقاد الحكماء ، قصة الغربة الغربيّة ، آواز جبرئيل ، رسالة العشق ، لغت موران ، صفير سيمرغ ، ترجمة رسالة الطير لابن سيناء ، اللمحات ، الهياكل النورية ، الألواح العمادية ، المبدء والمعاد ، طوارق الأنوار ، البارقات الإلهية ، لوامع الأنوار ، روزى باجماعت صوفيان ، عقل سرخ ، پرتو نامه ، يزدان شناخت ، في حالة الطفولية ، التنقيحات في الحكمة .. وغير ذلك من الكتب .

(١٥) الإمام فخر الدين الرازي أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن

---

(١) تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(٢) شهاب الدين هذا شخص آخر غير شهاب الدين عمر السهروردي العارف المشهور . وهو من أكبر فلاسفة العالم ، حتى أن القرن السادس يمكن أن يعتبر بظهوره — كما يرى البعض — من أهم العصور في تاريخ الفلسفة .

ابن علي الطبرستاني الرازي ، الفقيه الشافعي المعروف بابن الخطيب . كانت قدرته تتمثل في قدرته على التشكيك والجدل والرد على الفلاسفة حتى لقد سمي إمام المشككين .

ولد في عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م أو ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م في الري وتوفي في هرات عام ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م. ومن آثاره في الفلسفة والحكمة : الملخّص، شرح الإشارات ، شرح عيون الحكمة ، مباحث المشرقية [١] ، النهاية ، الرسالة إلى المغرب حيث الروحية .

وقد امتد اثر الفلسفة من مشرق الممالك الإسلامية نضجت وخاصة في الأندلس . ومن فلاسفة تلك الديار الذين تأثروا بفلسفة المشرق :

(١) ابن باجه أبو بكر محمد بن يحيي المعروف بابن الصائغ (م ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م) [٢] .

(٢) ابن طفيل أبو بكر محمد بن عبد الملك . وله العديد من الكتب الفلسفية .. ومن أشهرها « حي بن يقظان » [٣] ، وكانت وفاته في عام ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م .

(٣) ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد ، المولود في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦م . وله كثير من المؤلفات الفلسفية والشروح والتلخيصات [٤] . توفي في عام ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م .

(ب) العلوم الرياضية والفلكية :

لمعت في هذا العهد أسماء عدد كبير من الأساتذة الذين ألّفوا الكثير من

---

(١) طبع في مجلدين في حيدر آباد عام ١٣٤٣ هـ .
(٢) د . محمد غلاب : الفلسفة الإسلامية في المغرب ، طبع مصر ، ص ٢٧ — ٤١ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٤٢ — ٥٩ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٦٠ — ١٣٢ .

الكتب في العلوم الرياضية ، والفلكية . وكان الرياضيون والمنجّمون يلقون الحظوة في بلاط الأمراء والأغنياء ، ويتعرّضون لنقمتهم إذا أخطأوا [١] .

وكان البعض يكتبون حول هذين الفنين بالفارسية . وممن نالوا شهرة في هذا العصر :

(١) بهاء الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي بشر الخرقي المروزي ، صاحب « منتهى الإدراك في تقسيم الأفلاك » ، « التبصرة في علم الهيئة » . كان حيا حتى عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م حيث كان في رفقة اتسزخوارزمشاه في خوارزم [٢] .

(٢) شرف الدين الطوسي (م ٦٠٩ هـ = ١٢١٢ م) . أحد المنجمين المشهورين والرياضيين المعروفين . أنجز اصطلاحات في الاصطرلاب ، وشرحها في كتاب ألّفه بعنوان (المسطح) [٣] .

(٣) أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازني . فاق أقرانه شهرة في الهيئة والنجوم ، وألّف كتباً أهمها : الزيج السنجري أو (المعتبر السنجري) ، وميزان الحكمة .

(٤) أبو العباس فضل بن محمد اللوكري [٤] . له زيج اشترك في وضعه معه عبد الرحمن الخازني وعمر الخيام والواسطي وأبو حاتم الأسفزاري.

(٥) أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيامي النيشابوري ، اشترك في وضع الزيج

---

(١) يوجد ما يدل على ذلك في چهار مقاله ، طبع بمباي ١٣٢٤ ، ص ٨ ، ١٣ ، ١٤ . وقد تعرض الشاعر الأنوري لغضب سنجر حين أخطأ في أحكام النجوم ، كما رأينا .

(٢) طبقا لما ورد في (الكامل) لابن الأثير ، تحت حوادث سنة ٥٣٦ . أما حاجي خليفة فيذكر في كشف الظنون بند ٣٣٨ ـ ٣٣٩ أنه توفي في عام ٥٣٣ هـ .

(٣) Aldo Miel, la science arabe, Brill, 1939, pp. 150-152.

(٤) مرّ ذكره بين الفلاسفة .

الذي مرّ ذكره .. بأمرٍ من ملكشاه ونظام الملك [1] . ومن آثاره الهامة المتصلة بالعلوم الرياضية والفلكية : رسالة الجبر والمقابلة ، ورسالة في شرح ما أُشكل من مصادرات كتاب اقليدس ، ورسالة في الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما [2] ، ولوازم الأمكنة [3] ، ورسالة قصيرة في حل مسئلة جبرية بواسطة قطـــاع مخروطي .

(٦) أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المشهور بابن فندق وفريد خراســان (م ٥٦٥ هـ = ١١٦٩ م) . ألف العديد من الكتب ، منهــا : تتمة صوان الحكمة ، جوامع أحكام النجوم ، تاريخ بيهق ، لباب الأنساب ، تفسير نهج البلاغة ، معرفة الكرة وذات الحلق والاصطرلاب ، قواعد علوم الطب ، مناهج الدرجات في شرح كتاب النجاة ، تنبيه العلماء على تمويه المتشبهين بالحكماء ، عرايس النفايس في أصناف العلوم ، وأمثلة الأعمال النجومية .

(٧) الإمام أبو علي حسن بن علي قطّان المروزي . قتل في فتنة الغز عام ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م بعد أن ترك لنا عددا من المؤلفات ، من أهمها : گيهان شناخت .. وهو في علم الهيئة .

(٨) أبو حاتم المظفر الاسفزاري ، وله كثير من المؤلفات في الرياضيات . توفي عام ٥١٥ هـ = ١١٢١ م .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حوادث سنة ٤٦٧ .

(٢) المقصود منه بيان قاعدة أرشميدس وقانونه لتعيين أوزان الأشياء ، مع الاهتمام بالوزن الخاص لكل منها . (تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٣١١) .

(٣) خاص بالفصول وعلة اختلاف هواء البلاد والأقاليم .
(چهار مقاله ، ليدن ، حاشية ص ٢٢٠ ــ ٢٢١) .

(٩) ظهير الدين أبو المحامد محمد بن مسعود المسعودي الغزنوي . من أهم آثاره الكتاب الفارسي : (كفاية التعليم) . ألّفه عام ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م . وله كذلك : (نافع الثمرة) في الهيئة ، (معرفة عناصر وكائنات الجو) ، و (جهان دانش) ويتحدث فيه عن الأفلاك والأرض .

ومن النبوءات القائمة على الفلك والتنجيم والتي ثبتت صحتها في عهد السلاجقة .. نبوءة الحكيم الموصلي الخاصة بوفاة الوزير نظام الملك . ونبوءة أحمد بن عبد الملك العطاش الحشاش [1] . ومن النبوءات التي فشل أصحابها نبوءة الأنوري التي تنبأ فيها بقيام عاصفة هائلة مدمرة ، ولم يتحقق زعمه .

ومن الشروط التي كان توفُّرها في المنجِّم أمراً لازماً .. ألاَّ يُضارَع في أربعة علوم ، هي :

الهندسة ، الحساب ، الهيأة ، الأحكام . [2]

الطب :

رغم أن علماء هذا العهد لم يتقدموا تقدما ملحوظا في ميدان الطب ، ولم يتجاوزوا ما أحرزه الأطباء السابقون على عهدهم أمثال : ابن سينا .. إلا أنهم تركوا لنا مؤلفات شهيرة في الطب ، كتبوا جانباً منها بالفارسية ، وبذلوا خدمات جليلة لهذه اللغة عن طريق ضبط الكثير من الإصطلاحات الطبية الفارسية المتداولة في ذلك العهد وإثباتها وتسجيلها .

ومن مشاهير أطباء ذلك العهد :

(١) شرف الدين محمد ايلاقي مؤلف الكتاب الهام في الطب : (الفصول

---

(١) چهار مقاله (الترجمة العربية للدكتورين عزام والخشاب) ، طبع القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) چهار مقاله ، طبع بمباي سنة ١٣٢٤ ، ص ١ .

الإيلامية) الذي حظي بشروح عديدة نظراً لأهميته . وقد مات شرف الدين في معركة قطوان عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م .

(٢) ابن أبي الصادق أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن أبي الصـــــادق النيسابوري الذي كان يلقب ببقراط الثاني . يُعتبر من أساتذة الطب في ذلك العهد . توفي في أواخر القرن الخامس بعد أن ترك كتابا بعنوان « شرح فصول بقراط » .. يعدُّ من أفضل الشروح ، وكتابا بعنوان « شرح مسائل حنين » ، وغيرهما في علم الطب .

(٣) سيد اسماعيل الجرجاني [١] ، أحد تلاميذ ابن أبي الصادق الذين طار صيتهم في القرن السادس الهجري ، وهو يعدُّ ضمن من أحيوا علم الطب عن طريق مؤلفاته . عاش في خراسان وخوارزم ، وعمل في خدمة قطب الدين محمد وابنه أتسز خوار زمشاه ، وتوفي في مرو عام ٥٣١ هـ = ١١٣٦ م . وترجع أهميته في الطب إلى كونه أول شخص – بعد ابن سينا – ناقش في آثاره كلَّ موضوعات العلم الطبية بالصورة التي فكـر فيها القدامى ، ودوّنها مع أبحاث وتحقيقات جديدة . كما أنه أبرز أهم الآثار الطبية في لغة فارسية . ومن مؤلفاته :

خفي علائي ، الطب المملوكي ، ذخيره [٢] ، أغراض ، يادگار ،

(١) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ، ج ١ ص ١٣٧ ،
E. Browne, Arabian Medicine, pp. 98-100.

(٢) ألفه الجرجاني في عام ٥٠٤ هـ باسم قطب الدين محمد بن انوشتكين خوارزمشاه ... وقد كتبه باللغة الفارسية ، ثم ترجم فيما بعد إلى العربية والعبرية والتركية . ومنذ وضعه مؤلفه وهو يعدّ من أهم ما كتب في الطب ... حتى أن نظامي عروضي السمرقندي يرى أن كل من يبغي أن يصبح يوما ماهرا في الطب يلزمه أن يقرأ كتاب (ذخيره) وأمثاله من الكتب الهامة .

أنظر : نظامي عروضي السمرقندي : چهار مقاله ، طبع بمباي ، ص ١٦ .

كتاب في الردّ على الفلاسفة ، تدبـير يوم وليلة ، وصيّتنامه ، التذكرة الأشرفية في الصناعة الطبيّة ، كتاب في القياس ، كتاب في التحليل ، كتاب المنيه ، زبدة الطب .

(٤) الإمام فخر الدين الرازي (م ٦٠٦ هـ= ١٢٠٩ م)[٢] . من كبار علماء الطب في القرن السادس .. له كثير من الكتب في الطب ، غير أن أهمها شرحه على كليات كتاب القانون لابن سينا .

ويلاحظ أن معظم الرياضيين والفلاسفة الذين ذكرنا أسماءهم وأعمالهم كانوا على دراية بفن الطب ، ولهم مؤلفاتهم في هذا الميدان .. وكان بعض الأشخاص يتخذ من الطب مهنة ويكسب عن طريق الاشتغال بالعلاج قوتَه .

ثالثا : العلوم الأدبيّة واللغويّة والبلاغيّة :

أجمع الدارسون على أن العلوم الأدبية قد ارتقت رقياً كبيراً ملحوظاً في عصر السلاجقة . وأرجعوا ذلك إلى كثرة المدارس وانتشارها في كافة الممالك الإسلامية ، خاصة في بغداد ومدن إيران وبلاد ما وراء النهر .. وأرجعوه أيضا إلى كثرة الأساتذة العظام .

وقد راجت العلوم الأدبية لأسباب منها :

١ — اهتمام المدارس بتدريس العلوم الدينية وما يتبعها من علوم أدبية عربية.

٢ — وجود المكتبات والأوقاف في كثير من المدن ، مما يُعتبر عاملا هاما من عوامل تشجيع الدارسين لهذه العلوم .

٣ — وجود المشجِّعين لعلماء الأدب العربي من بين السلاطين والوزراء وكبار القوم .. مما زاد في عدد العلماء .

وقد سار عِلم اللغة في نفس الخط الذي اتبعه أصحاب العلوم اللسانية من قبل ، فنظِّمت اللغات بناء على قواعد الاشتقاق . واتبع أسلوبان معروفان بين اللغويين الاسلاميين في تدوين اللغات وهما :

(آ) الأسلوب المبني على تنظيم الألفاظ من جهة معانيها .

(ب) الأسلوب المبني على تنظيم الألفاظ بناء على حروف الهجاء وذكر معانيها .

ومن الخصائص البارزة لكتب اللغة في تلك الفترة أن بعضها كان يشتمل على تفسير اللغات باللغة الفارسية [1] .

ومن كبار علماء اللغة في العصر السلجوقي :

(١) بديع الزمان أبو عبدالله حسين بن ابراهيم نطنزي . وهو يعد من كبار الأدباء ومن الشعراء أصحاب اللسانين . توفي في أواخر القرن الخامس في عام ٤٩٧ هـ = ١١٠٣ م أو في عام ٤٩٩ هـ = ١١٠٥ م ، واستمر تأثيره الأدبي متمثلا في أدباء القرن السادس . وأهم مؤلفاته : (دستور اللغة) أو (كتاب الخلاص) [2] .

(٢) أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري الأديب واللغوي الإيراني الكبير . كان من أصحاب اللسانين ، وقد اشتهر بكتابيه : (الأمثال) و (السامي في الأسامي) . وقد توفي أبو الفضل في عام ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م .

(٣) سعيد بن أحمد الميداني . حظي ببعض الشهرة . توفي في عام ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م بعد أن ألّف كتابا اسمه (الأسمى في الأسماء) .

(٤) أبو الفضل حبيش بن ابراهيم بن محمد التغليسي ، الذي ألّف بالفارسية والعربية كتابيه : (قانون الأدب) ، (القوافي) . كان معاصرا لقلج أرسلان بن مسعود من سلاجقة الروم (٥٥٩ هـ = ١١٦٣ م إلى ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م) .

---

(١) تاريخ أدبيات در ايران ، ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) معجم البلدان ، طبع لايبزيج ، ج ٤ ص ٧٩٣ .

(٥) أبو عبدالله حسين بن أحمد الزوزني ، من مشاهير العصر في اللغة والنحو وفي اللغة العربية . توفي عام ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م بعد أن ألف كتبه : (المصادر) ، (شرح سبعه معلقه) ، (ترجمان القرآن) .

(٦) محمود بن عمر القاضي الزنجي السنجري صاحب كتاب (مهذّب الأسماء في مرتّب الحروف والأشياء) .

(٧) ابن الأثير الجزري ، هو أبو السعادات مجد الدين مبارك بن محمد بن عبد الكريم . عاش في الفترة ما بين ٥٤٤ هـ ، ٦٠٦ هـ = ١١٤٩ – ١٢٠٩ م . له كتاب في ذكر لغات الحديث الغريبة ، عنوانه (النهاية في غريب الحديث) أو (نهاية اللغة) .. وله كتب في ميادين أخرى [١] . والمعروف أنه أخ لابن الأثير أبي الحسن عز الدين صاحب كامل التواريخ .

(٨) العلاّمة جار الله الزمخشري [٢] أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ٤٦٧ – ٥٣٨ هـ = ١٠٧٤ – ١١٤٣ م . أنتج الكثير من المؤلفات ، من بينها :

مقدّمة الأدب [٣] ، أساس البلاغة ، المستقصى في أمثال العرب ، كتاب سوائر الأمثال ، شرح لامية العرب ، الفائق في غريب الحديث .

(٩) أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد المقري البيهقي المعروف بأبي جعفرك مقري البيهقي (٤٧٠ – ٥٤٤ هـ) . ومن أهم مؤلفاته : (المحيط في لغات القرآن) ، ينابيع اللغة وتاج المصادر .

---

(١) كشف الظنون ، ج ٢ بند ١٩٨٩ ، كامل التواريخ ، حوادث سنة ٦٠٦ ، وفيات الأعيان ، طبع مصر ، ج ١ ص ٦٥ ، مفتاح السعادة ، ج١ ص ١٠٩ – ١١٠ .
(٢) رضا زاده : تاريخ أدبيات ايران ، ص ٢٥٤ .
(٣) لهذا الكتاب قيمة كبيرة ، حيث أنه يشتمل على اللغات الفارسية القديمة .
أنظر : وفيات الأعيان ، طبع مصر ، ج ٢ ص ١١٩ – ١٢٣ .

(١٠) الإمام أبو الفتح مطرّزي الخوارزمي ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي . (٥٣٨ – ٦١٠ هـ = ١١٤٣ – ١٢١٣ م) ، أحد كبار النحاة والأدباء واللغويين في إيران في ذلك العهد . له كتاب مشهور في اللغة بعنوان (المغرب في لغة الفقه) وآخر بعنوان (المعرب) . وكان يتميز بسعة اطلاعه في ميدان العلوم الأدبية .

(١١) نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي (٤٦٢ – ٥٣٨ هـ = ١٠٦٩ – ١١٤٣ م) . ألّف من الكتب ما يناهز الألف . ومن أهمها كتاب في لغات الفقه عنوانه (طِلبة الطلبة) ، وكتابي (المنظومة في الخلافيات) ، (القند في علماء سمرقند) .

أما العلوم البلاغية فقد بلغت مرتبة الكمال في ذلك العهد ، وأصبح فيها ضوابط وقواعد مدوّنة . ويُعَدُّ عبد القاهر (م ٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م) [1] من أكبر العلماء الذين استطاعوا – في العصر السلجوقي – أن يؤلفوا كتبا قيِّمة في المعاني والبيان . ومن أهم كتبه : (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) .. وهما أول الكتب المدوّنة المرتبة في علم المعاني والبيان ، وإن كانت خالية من مراعاة ترتيب الفصول والأبواب .

وممن اشتهروا في ذلك الميدان أيضا العلامة جار الله الزمخشري . وقد خلّف العديد من المؤلفات القيِّمة في العلوم الأدبية والبلاغية ، أمثال : (أساس البلاغة) ، (القسطاس) ، (محاجات) في علم الأحاجي . ومنهم العلامة سراج الدين أبو يعقوب يوسف السكاكي الخوارزمي (٥٥٥ – ٦٢٦ هـ = ١١٦٠ – ١٢٢٨ م) الذي كان متبحراً في العلوم وبخاصة البلاغية منها . ومن كتبه القيمة كتاب (مفتاح العلوم) .

---

(١) ورد هذا التاريخ في كتاب ذبيح الله صفا (تاريخ أدبيات درايران) ، أما رضا زاده شفق فيذكر في كتابه تاريخ أدبيات ايران أن الوفاة كانت في عام ٥٠٢ هـ .

وكان تدوين الكتب البلاغية وتأليفها يتم بالفارسية . ففي أواخر القرن الخامس ألف محمد بن عمر الرادوياني كتابا بالفارسية أطلق عليه اسم (ترجمان البلاغة) ، وهو يبحث في المعاني والبيان والبديع الفارسي . وفي القرن السادس ألف رشيد الدين الوطواط محمد عمري الكاتب البلخي كتابا بالفارسية اعتمد فيه على الكتاب السابق ، وأطلق عليه اسم (حدائق السحر في دقائق الشعر) ، وهو يبحث فيه بدوره في المعاني والبيان والبديع الفارسي .



ثبت بأسماء المراجع الواردة بالكتاب

المراجع الفارسية[1]

(١) أحمد بن حسين بن علي الكاتب : تاريخ جديد يزد ، طبع يز د عام ٣١٧ هـ . ش .

(٢) آذر : آتشكده ، طبع بمباي سنة ١٢٧٧ هـ .

(٣) أفضل الدين كرماني (أبو حامد أحمد بن حامد الكرماني) : عقد العلا للموقف الأعلى .. (تاريخ كرمان)، طبع طهران عام ١٣١١ هـ.ش .

(٤) أفضل الدين كرماني : بدايع الزمان في وقايع كرمان (تاريخ أفضل) . جمع ونشر مهدي بياني . طبع طهران عام ١٣٢٦ هـ . ش .

(٥) أفضل الدين كرماني : المضاف إلى بدايع الأزمان ، تصحيح عباس اقبال آشتياني ، طبع طهران عام ١٣٣١هـ.ش .

(٦) أمير خواند : روضة الصفا . طبع طهران عام ١٢٧٠ هـ .

(١) هذا الثبت مرتب ترتيباً أبجدياً باعتبار الكلمات مجردة من أداة التعريف (ال) ومن كلمة (ابن) وكلمة (أبو) .

(٧) أمين أحمد رازي : تذكرة هفت إقليم . جلداول ، طبع كلكته عام ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .

(٨) أنوري (أوحد الدين أنوري) : ديوان أنوري : نشر سعيد نفيسي ، طبع طهران عام ١٣٣٧ هـ .

(٩) ابن البلخي : فارسنامه ، طبع لندن سنة ١٩٢١ م .

(١٠) بهار (محمد تقي بهار ملك الشعراء) : سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي (جلد دوم) ، طهران ١٣٢١ هـ . ش .

(١١) ابن البيبي (يحي بن محمد المعروف بابن البيبي) : مختصر سلجوقنامه . نشر هوتسما ، ليدن ١٩٠٢ م .

(١٢) البيهقي : تاريخ بيهقي (تاريخ مسعودي) ، طبع طهران عام ١٣١٦ هـ . ش .

(١٣) تربيت (محمد علي تربيت) : دانشمندان آذربيجان . طبع طهران ١٣١٤ هـ .

(١٤) جامي (عبد الرحمن الجامي) : نفحات الأنس من حضرات القدس ، طبع لكهنو عام ١٣٣٣ هـ = ١٩١٥ م .

(١٥) جامي : بهارستان ، طبع طهران عام ١٣١١ هـ . ش .

(١٦) جويني (عطا ملك الجويني) : جهانگشا .

طبع طهران باشراف سيد جلال الدين تهراني ، طبع سلسلة جب التذكارية ليدن ١٩١١ م .

طبع ليدن عام ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م ، طبع لندن ١٩٢١ م . نشر محمد القزويني .

طبع ليدن عام ١٩٣٧ م باشراف القزويني .

(١٧) الحسني الرازي (السيد المرتضى الداعي الحسني الرازي) : تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام . طبع طهران عام ١٣١٣ ﻫ .

(١٨) حمدالله مستوفي قزويني (حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي القزويني) :
تاريخ گزيده . طبع طهران عام ١٣٣٩ ﻫ باهتمام . د . عبد المحسن نوائي ، نشر براون . طبع ليدن عام ١٣٢٨ ﻫ = ١٩١٠ م .

(١٩) حمدالله مستوفي قزويني : نزهة القلوب . طبع ليدن عام ١٣٣١ ﻫ = ١٩١٣ م .

(٢٠) خاقاني : كليات خاقاني . طبع لكهنو .

(٢١) خاقاني : ديوان خاقاني . تقديم علي عبد الرسول ، طبع طهران عام ١٣١٦ ﻫ . ش .

(٢٢) خليلي : سلطنت غزنويان ، طبع كابل عام ١٣٣٣ ﻫ .

(٢٣) خواندمير (غياث الدين بن همام الدين) : حبيب السير في أخبار أفراد البشر . طبع بمباي عام ١٢٧٣ ﻫ = ١٨٥٨ م ، طبع طهران عام ١٣٣٣ ﻫ . ش .

(٢٤) خواندمير : دستور الوزراء ، طهران عام ١٣١٧ ﻫ . ش .

(٢٥) دولتشاه (دولتشاه بن بختشاه السمرقندي) : تذكرة الشعراء .
طبع ليدن عام ١٣١٨ ﻫ = ١٩٠٠ م ، طبع بمباي بسعي واهتمام ميرزا محمد ملك الكتاب الشيرازي .

(٢٦) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران ، جلد دوم ، ازميانهٔ قرن پنجم تا آغاز قرن هفتم هجري ، چاپ سوم ، تهران ١٣٣٩ ﻫ .

(٢٧) الراوندي (أبو بكر محمد بن علي بن سليمان الراوندي) : راحة الصدور وآية السرور (أعلام الملوك) . نشر وحواشي وتصحيح محمد إقبال ، طبع ليدن ١٩٢١ م .

(٢٨) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، طبع أنقرة سنة ١٩٥٧ م .

(٢٩) رشيد الدين الوطواط : حدائق السحر في دقائق الشعر . طبع طهران عام ١٣٠٨ ﻫ باهتمام عباس اقبال .

(٣٠) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات ايران ، طهران ١٣٢١ ﻫ .

(٣١) سعد الدين الوراويني : مرزبان نامه ، طبع طهران .

(٣٢) سعدي (أبو عبدالله مشرف بن مصلح السعدي الفارسي) : كتاب گلستان في النوادر والأمثال والشعر والحكايات . تصحيح وحواشي ميرزا عبد العظيم خان جرجاني . طبع عام ١٣١٠ ﻫ . ش . (الطبعة الثانية) .

(٣٣) سعيد نفيسي : المدرسة النظامية ، بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي ، نشر في عام ١٩٥٤ م .

(٣٤) ابن سفنديار (بهاء الدين محمد بن حسن بن سفنديار) : تاريخ طبرستان تحقيق عباس اقبال ، طبع طهران ١٣٢٠ ﻫ .

(٣٥) سنائي (أبو المجد مجدود بن آدم) : ديوان سنائي ، طبع طهران ١٣٢٠ ﻫ . ش .

(٣٦) شبلي نعماني : شعر العجم (تاريخ شعرا وأدبيات ايران) . ترجمة سيد محمد تقي فخر داعي گيلاني ، چاپ أول ، طهران ١٣١٦ ﻫ .

(٣٧) شمس القيس (شمس الدين محمد بن قيس الرازي) : المعجم في معايير أشعار العجم . تصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني ومدرس رضوي ، طبع دانشگاه تهران ١٣٣٥ ﻫ .

(٣٨) شهرستاني : الملل والنحل (ترجمة) . بتصحيح واهتمام السيد جلال

نائيني (الطبعة الثانية) ، طبع طهران ١٣٣٥ هـ .

(٣٩) صدر الدين الحسيني (صدر الدين أبو الحسن علي السيد الإمام الشهيد أبو الفوارس ناصر بن علي الحسيني) : أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد اقبال ، طبع لاهور عام ١٩٣٣ م .

(٤٠) ظهير سمرقندي : سندبادنامه ، طبع استانبول عام ١٩٤٨ م ، باهتمام السيد أحمد آتش .

(٤١) عباس اقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي .. از تاريخ تشكيل اين سلسله تامرگ سلطان (٤٣٢ — ٥٥٢ هـ) . طبع طهران ١٣٨٨ هـ . ش .

(٤٢) عبد النبي قزويني : ميخانه ، طبع لاهور عام ١٩٢٦ م .

(٤٣) عطار (فريد الدين العطار النيشابوري) : تذكرة الأولياء ، طبع طهران عام ١٣٤٦ هـ . ش .

(٤٤) عوفي (سديد الدين محمد بن محمد عوفي البخاري) : جوامع الحكايات ولوامع الروايات . تقديم وتعليق محمد معين ، طبع طهران عام ١٣٣٥ هـ .

(٤٥) عوفي : لباب الألباب ، طبع ليدن ١٩٠٣ م .

(٤٦) فرهاني (حسين فرهاني) : شرح مشكلات ديوان أنوري ، تهران ١٣٤٠ هـ .

(٤٧) فروزانفر (بديع الزمان بشرويهٔ خراساني) : سخن وسخنوران — شرح حال ومنتخب أشعار شعراء خراسان وما وراء النهر منذ بداية القرن ٣ حتى أواخر ٧ هـ . ق — نشر لجنة المعارف ، بمطبعة شركة طبع الكتاب (الطبعة الثانية) عام ١٣١٨ هـ .

(٤٨) فروزانفر : مولانا جلال الدين محمد ، طبع سنة ١٣١٥ هـ .

(٤٩) قزاوغلي : مرآة الزمان ، طبع شيكاغو عام ١٩٠٧ م .

(٥٠) قزويني (محمد بن عبد الوهاب القزويني) : دورهٔ كامل بيست مقالة قزويني . جلد ١ ، ٢ چاب دوم ، تهران سال ١٣٣٢ هـ .

(٥١) قاسم غني : تاريخ تصوف دراسلام ، طبع طهران ١٣٢٢ هـ . ش .

(٥٢) گوادر : مناره هاي اصفهان . بحث منشور بمجلة آثار ايران ، العدد الثاني .

(٥٣) مجتبي مينوي مجلهٔ دانشكدهٔ ادبيات ، العدد الرابع ، السنة الثانية . تيرماه . ١٣٣٤ هـ .

(٥٤) مجمل القصص والتواريخ (مجهول المؤلف) ، طبع طهران سنة ١٣١٨ هـ . ش .

(٥٥) محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ، طبع ليدن عام ١٨٨٦ م .

(٥٦) محمد بن المنور : أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد . طبع ذبيح الله صفا ، طهران ١٣٣٢ هـ . ش .

(٥٧) أبو المعالي نصرالله بن محمد بن عبد الحميد : كليلة ودمنة ، طبع طهران (الطبعة الثانية) عام ١٣١١ هـ . ش .

(٥٨) المقدسي : أحسن التقاسيم . طبع ليدن عام ١٩٠٦ م.

(٥٩) منهاج السراج الجوزجاني (منهاج الدين عثمان بن سراج الدين) : طبقات ناصري . تعليق عبد الحي حبيبي ، الطبعة الثانية ، كابل عام ١٣٤٢ هـ . ش .

(٦٠) مولوي اغا علي أحمد علي : هفت آسمان . طبع كلكته عام ١٨٧٣ م .

(٦١) ناصر خسرو : ديوان ناصر خسرو ، طبع طهران .

(٦٢) ناصر خسرو : سفر ، طبع سفرنامه ، باريس ١٨٨١ م .

(٦٣) ناصر خسرو : زاد المسافرين ، طبع برلين .

(٦٤) ابو نصر القباوي : تاريخ بخارا (تلخيص محمد بن زفر بن عمر) ، طبع مدرس رضوي .

(٦٥) نصير الدين أبو الرشيد عبد الجليل : بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض (كتاب النقض) طبع طهران عام ١٣٣١ ه .

(٦٦) نظام الملك (أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الشهير بخواجه نظام الملك) : سياستنامه ، طبع عباس اقبال آشتياني . طهران عام ١٣٢٠ ه . ش .

(٦٧) نظام الملك : مجمع الوصايا ، طبع بمباي ١٣٠٥ ه . ش .

(٦٨) نظامي عروضي سمرقندي (أحمد بن عمر بن علي نظامي عروضي سمرقندي : چهار مقاله . طبع بمباي ١٣٢١ ه = ١٩٠٣ م ، بمباي بمطبعة گلزارحسنى ١٣٢٤ ه ، ليدن عام ١٣٢٧ ه = ١٩٠٩ م بسعي محمد عبد الوهاب قزويني ، طهران عام ١٣١١ ه .

(٦٩) هدايت (رضا قليخان المتخلص بهدايت) : تذكرة المحققين (رياض العارفين) ، طبع طهران . الطبعة الأولى ١٣٠٥ ه ، الثانية ١٣١٦ ه .

(٧٠) هدايت : مجمع الفصحاء ، طبع طهران عام ١٢٩٥ ه .

(٧١) همائي (جلال همائي) : غزالي نامه ، طبع طهران عام ١٣١٥ = ١٣١٨ ه . ش .

(٧٢) ويلسن (كريستي ويلسن) : تاريخ صنايع ايران (ترجمة عبدالله فريار

إلى الفارسية) . طبع طهران عام ١٣١٧ هـ . ش = ١٩٣٨ م .

(٧٣) يحيى القزويني (يحي بن عبد اللطيف الحسيني القزويني) : لب التواريخ . نشر سيد جلال طهراني ، أز نشريات مؤسسهٔ خاور ، مطبعة يمنى ١٣١٤ هـ .

(٧٤) اليزدي بن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ، طبع ليدن ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م .

المراجع العربية

(١) ابن الأثير (جمال الدين علي بن الأثير) : تاريخ الكامل ، جـ ١٠ ، ١١ طبع مطبعة ذات التحرير ، ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٣ هـ ، الكامل في التاريخ ، جـ ١٠ ، ١١ ، ١٢ طبع نورنبرج ١٨٥١ م ، ليدن ١٨٦٣ م . تاريخ ابن الأثير ، طبع بولاق سنة ١٢٨٩ هـ .

(٢) د . أحمد كمال الدين حلمي : أوحد الدين الأنوري : عصره وبيئته وشعره ، رسالة دكتوراة (غير مطبوعة). مكتبة كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

(٣) اربري (ا . ج . اربري ، ومجموعة من الأدباء المستشرقين) : تراث فارس . نقله للعربية الأساتذة : محمد كفافي ، السيد يعقوب بكر ، أحمد محمود الساداتي ، محمد صقر خفاجة ، أحمد عيسى . واشترك في كتابته وراجع ترجمته د . يحي الخشاب . طبع القاهرة عام ١٩٥٩ م .

(٤) أرمينوس فامبري : تاريخ بخاري ، (ترجمة د . أحمد محمود الساداتي ، مراجعة د . يحي الخشاب) ، طبع القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

(٥) ارنست كونل : الفن الإسلامي ، (ترجمة أحمد موسى) ، طبع القاهرة .

(٦) براون (ادوارد جرنفيل براون) : تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي إلى السعدي . (الترجمة العربية للدكتور ابراهيم أمين الشواربي) . طبع مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

(٧) البنداري (الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني) : مختصر تواريخ آل سلجوق . نشر هوتسما ، طبع ليدن ١٨٨٩ م .

(٨) البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد) : الجماهر في معرفة الجواهر . (الطبعة الأولى) ، طبع حيدر آباد عام ١٣٥٥ هـ .

(٩) ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي الأتابكي) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبع دار الكتب المصرية عام ١٣٤٨ هـ .

(١٠) التنوخي (أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي) : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة . نشر المستشرق د . س . مرجليوث . مطبعة أمين هندية ، القاهرة ١٩٢١ م .

(١١) إبن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكتاني الأندلسي) : الرحلة . تحقيق د . حسين نصار ، طبع بغداد عام ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م .

(١٢) ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . طبع حيدر آباد الدكن عام ١٣٥٨ هـ .

(١٣) ابن الجوزي : تلبيس إبليس . طبع مصر سنة ١٩٢٨ م .

(١٤) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام . طبع دار الكاتب المصري ، القاهرة عام ١٩٤٦م .

(١٥) حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله كاتب چلبي) : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. طبع استانبول في مجلدين: الأول نشر وتعليق محمد شرف الدين بالتاقايا ورفعت بيكه الكليس في عام ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م والثاني في عام ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م . طبع ليبزج (نشر المستشرق جوستاف فلويجل) عام ١٨٣٥ هـ = ١٨٥٨ م .

(١٦) حتّي وجرجي وجبور : تاريخ العرب ، طبع بيروت عام ١٩٥٠ م .

(١٧) د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . (جـ ٣ الطبعة الثالثة) ، طبع القاهرة عام ١٩٥٥ م .

(١٨) د . حسن ابراهيم حسن : المعز لدين الله الفاطمي ، طبع القاهرة عام ١٩٤٨ م .

(١٩) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر) : مقدمة ابن خلدون ، طبع بيروت عام ١٨٨٦ م .

(٢٠) ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر الشامي) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . طبع بولاق عام ١٢٨٣هـ، القاهرة عام ١٢٧٥ هـ ، مصر عام ١٣١٠ هـ .

(٢١) ابن الدبيثي (محمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثي) : المختصر المحتاج إليه . مطبعة المعارف ببغداد ، عام ١٣٧١ هـ = ١٩٥١م .

(٢٢) الدوري (د . عبد العزيز الدوري) : دراسات في العصور العباسية المتأخرة . طبع بغداد سنة ١٩٤٥ م .

(٢٣) الديار بكري : تاريخ الخميس ، طبع القاهرة ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦ م ، ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .

(٢٤) الديلمي : بيان مذاهب الباطنيّة ، طبع استانبول ١٩٣٨ م .

(٢٥) ديماند (م . س . ديماند) : الفنون الإسلامية (ترجمة أحمد محمد عيسى ومراجعة د . أحمد فكري) طبع دار المعارف بمصر (طبعة ثانية) عام ١٩٥٨ . الطبعة الأولى عام ١٩٥٤ .

(٢٦) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور (الترجمة العربيّة للدكاترة الشواربي وعبد النعيم والصياد) ، طبع القاهرة ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م .

(٢٧) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، طبعة الفقي سنة ١٩٥٢ م .

(٢٨) رشيد الدين الوطواط : حدائق السحر في دقائق الشعر (ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي) ، طبع القاهرة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .

(٢٩) رشيد الدين الوطواط : مجموعة الرسائل العربية ، طبع مصر عام ١٣١٥ هـ .

(٣٠) رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسي . ترجمة د . محمد موسى هنداوي ، طبع القاهرة عام ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

(٣١) زامباور (ادوارد فون زامباور) : معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي (الجزء الثاني) . أخرجه د . زكي محمد حسن د ، د .حسن أحمد محمود . طبع جامعة فؤاد الأول عام ١٩٥٢ م .

(٣٢) زكي مبارك : النثر الفني ، طبع القاهرة ١٩٣٤ م .

(٣٣) زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، طبع القاهرة عام ١٩٤٠ م .

(٣٤) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين . طبع دار الآثار العربية ، القاهرة عام ١٩٣٧ م .

(٣٥) ابن السباعي (أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين) : الجامع المختصر ،

نشر وتحقيق د . مصطفى جواد . طبع بغداد عام ١٩٣٤ م .

(٣٦) ابن السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى ، طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة ، عام ١١٢٩ هـ .

(٣٧) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، طبع المكتبة التجارية ، عام ١٣٧١ هـ .

(٣٨) السيوطي : طبقات المفسرين ، طبع ليدن عام ١٨٣٩ م .

(٣٩) أبو شامه : الروضتين ، طبع مصر عام ١٢٨٧ هـ .

(٤٠) الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) : الملل والنحل ، طبع القاهرة عام ١٣١٧ هـ .

(٤١) الصياد (د . فؤاد عبد المعطي الصياد) : المغول في التاريخ .

(٤٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الأمم والملوك ، طبع مصر عام ١٣٣٦ هـ ، وطبع ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١ م .

(٤٣) الطرطوشي (أبو بكر محمد بن الوليد الأندلسي) : سراج الملوك ، المطبعة الخيرية عام ١٣٠٦ هـ .

(٤٤) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، المطبعة الرحمانية عام ١٩٢١ م .

(٤٥) د . طلعت اسماعيل أبو فرحه : مسعود سعد سلمان ، عصره وبيئته وشعره (رسالة دكتوراه) ، مكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس .

(٤٦) عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق . طبع عام ١٩٥٩ م ، طبع مطبعة الهلال عام ١٩٢٤ م .

(٤٧) ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب المعروف بابن العبري) : مختصر تاريخ الدول ، طبع بيروت ١٨٩٠ م .

(٤٨) د . عبد النعيم محمد حسنين : نظامي الگنجوي شاعر الفضيلة ، عصره وبيئته وشعره . الطبعة الأولى ، القاهرة عام ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

(٤٩) د . عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، طبع مكتبة النهضة بمصر عام ١٩٥٩ م .

(٥٠) عماد الدين محمد حامد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق (اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني) ، طبع مصر عام ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م .

(٥١) عماد الدين الكاتب الأصفهاني (أبو عبدالله محمد بن صفي الدين) : زبدة النصرة ونخبة العصرة . اختصار أبي الفتح البنداري ، طبع هوتسما وتحقيقه ، ليدن ١٨٨٩ م .

(٥٢) الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي) : تهافت الفلاسفة . طبع بمباي عام ١٣٠٤ هـ .

(٥٣) غنيمي (د . محمد غنيمي هلال) : مختارات من الشعر الفارسي ، طبع القاهرة عام ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م .

(٥٤) أبو الفدا الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود : المختصر في أخبار البشر . طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة ، عام ١٣٢٥ هـ .

(٥٥) ابن الفوطي (عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابوني) : الحوادث الجامعة .

(٥٦) القزويني : (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) : آثار البلاد وأخبار العباد . نشر فردناند وستنفلد ، طبع جوتنجن ١٨٤٨ م .

(٥٧) ابن القلانسي (ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي) : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م .

(٥٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، طبع دار الكتب المصرية عام ١٣٣٧ هـ .

(٥٩) ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي) : البداية والنهاية . المطبة السلفية بالقاهرة عام ١٣٥١ هـ ، مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٤٨ هـ .

(٦٠) الكريم الأقسراني : مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار ، طبع أنقرة سنة ١٩٤٤ م .

(٦١) لويس برنارد : أصول الإسماعيلية (ترجمة) . طبع القاهرة عــام ١٩٤٧ م .

(٦٢) المجلسي (محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي : بحار الأنوار ، طهران عام ١٣٣٢ هـ .

(٦٣) د . محمد غلاب : الفلسفة الإسلامية في المغرب ، طبع مصر .

(٦٤) المسعودي : مروج الذهب ، طبع باريس عام ١٨٦١ — ١٨٧٧ م .

(٦٥) المسعودي : التنبيه والإشراف : ليدن عام ١٨٩٣ م .

(٦٦) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية . طبع دمشق عــام ١٩٥٣ م .

(٦٧) ابن المعمار البغدادي : الفتوة . تحقيق فؤاد حسين ، مطبعة شفيق عام ١٩٥٨ — ١٩٦٠ م .

النوبختي

(٦٨) المقريزي : الخطط ، القاهرة ١٢٧٠ هـ .

(٦٩) ابن منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ، طبع القاهرة عام ١٩٢٥ م .

(٧٠) ابن ميسر : أخبار مصر . نشر هنري ماسيه . طبع القاهرة عــام ١٩٢٠ م .

(٧١) ابن النديم : الفهرست . طبع مصر .

(٧٢) نظامي عروضي السمرقندي : چهار مقاله (ترجمة الدكتورين عزام والخشاب) . طبع القاهرة عام ١٩٤٨ م .

(٧٣) النوبختي (أبو الحسن محمد بن موسى) : فرق الشيعة ، طبع النجف عام ١٩٣٦ م .

(٧٤) ابن هشام : سيرة ابن هشام ، طبع وستنفلد ..

(٧٥) ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي) : تاريخ ابن الوردي ، طبع مصر .

(٧٦) ولبر (دونالد ولبر) : إيران ماضيها وحاضرها (ترجمة د. عبد النعيم حسنين عن الإنجليزية) ، طبع مكتبة مصر عام ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م .

(٧٧) اليافعي (أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي) : مرآة الجنان : طبع حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ هـ .

(٧٨) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله الحموي الرومي) : معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكـــان .
طبع القاهرة عام ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م .

المراجع الأوروبية :

1) Aldo Mieli, la Science Arabe, (Brill, 1939).

2) Aldo R. Travels of Marcopolo (London 1931).

3) Barker : The Crusades (London, 1925).

4) Curtin : The Mongols' History (Boston 1908).

5) E. Browne, Arabian Medicine.

6) Lane poole : The Mohammadan Dynasties (London, 1895).

8) Massé : Anthologie, Persane (Paris 1950).

9) M.S. Dimond : A Hand book of Mohammadan Art, (New York 1947).

10) R.L. Hobson : A guide to the Islamic Pottery of the near east (British Museum), (London, 1932).

11) Sanaullah : The decline of the Seljuqid Empire (Calcutta, 1928).

